تفريغ محاضرات برنامج التأصيل العقدي

مقرر الفصل الأول لمادة:

توحيد الألوهية

فضيلة الأستاذ الدكتور:

عبد العزيز بن جليدان الظفيري

المحاضرة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

{ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

أَمَّا بَعْدُ

فَإِنَّ أصدق الْحَدِيثِ كلام اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ في النَّار.

أما بعد..

فحياكم الله في هذا الدرس والمتعلق بتوحيد الألوهية وسندرس إن شاء الله توحيد الألوهية بشيء من التفصيل بذكر النصوص التي دلت على هذا النوع من أنواع التوحيد. وهذه النصوص قد تكلم عنها أهل العلم وبينوا حق الله عز وجل في إخلاص العبادة لله جل وعلا، وهذا يعتبر امتثالا لما أمر الله عز وجل به أنبيائه ورسله من إخلاص العبادة له تبارك وتعالى و الدعوة إلى هذا الأمر العظيم، فإنه كما هو معلوم ما من نبي إلا وقد دعا قومه إلى عبادة الله تبارك وتعالى **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)**. وكان هذا من أجل حق الله تبارك وتعالى فإن أعظم حق لله عز وجل وهو الذي من أجله خلق الخلق إنما هو عبادته كما قال جل وعلا **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)**.

ومن أجلّ المصنفات التي اهتم بها أهل العلم هو **كتاب التوحيد** للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وهذا الكتاب قد اهتم به أهل العلم بالشرح فإنه ما من عالم من العلماء في هذا الزمان إلا وقد شرح هذا الكتاب. وميزة هذا الكتاب هو الاختصار وانتقاء النصوص التي أراد الشيخ رحمه الله أن يبين مقصودها بوضعها تحت الباب الذي يتكلم عنه الشيخ رحمه الله، ولذا سندرس إن شاء الله في هذا المستوى كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وذلك بحاشية الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي رحمه الله.

وهذا الكتاب وهو الحاشية يعتبر اختصارا لكتاب التوحيد وهو من أفضل ما أُلِّف في شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب.

وقبل الحديث عن الكتاب وشرحه يحسن بنا أن نذكر طرفا من ترجمة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فهو الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي النجدي .

ولد الإمام رحمه الله سنة (1115) للهجرة ونشأ في بلد العيينة من بلاد نجد مع والده رحمه الله وكان والده قاضيا على بلد العيينة .

وقرأ الإمام محمد رحمه الله على والده الشيخ عبد الوهاب في الفقه وفي بعض العلوم وبرع الشيخ رحمه الله حتى إنه حفظ القرآن في سن مبكره و ارتحل الشيخ رحمه الله إلى البصرة و إلى الأحساء والى مكة وإلى المدينة وقد أخذ العلم عن عدد من اهل اعلم ومنهم الشيخ محمد المجموعي وكذلك عبد الله بن إبراهيم ال سيف والشيخ محمد حياة السندي وغيرهم من أهل العلم .

كان الشيخ رحمه الله غيورا على التوحيد فإنه قد أنكر على الناس بعض البدع التي ظهرت في زمنه حتى إنه حصل له الأذى من بعض الناس واخرج منها رحمه الله.

ثم إن أمير العيينة قد ناصر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلا أن صاحب الأحساء قد هدد بن المعمر بأن يقتل الشيخ أو أن يخرجه فأخرج الشيخ رحمه الله من العيينة فانتقل بعد ذلك إلى الدرعية وفي نجد ونصرة الإمام محمد بن سعود رحمه الله وآزره ونصر دعوته رحمه فانتشرت الدعوة في ذلك الوقت وفي ذلك المكان حتى انتقلت هذه الدعوة المباركة إلى أماكن عده من الجزيرة العربية .

وألف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عدة رسائل من اشهرها كتاب التوحيد وكشف الشبهات وكذلك الأصول الثلاثة ومسائل الجاهلية وغيرها من المصنفات النافعة وقد جمعت في مجموعه مباركه جمعت مؤلفاته ورسائله ومكاتباته رحمه الله عليه.

وتوفي الشيخ رحمه الله عام (1206) للهجرة رحمه الله وغفر له.

ومن يقرأ في سيرة الشيخ رحمه الله يجد أن عنده الاهتمام العظيم بجانب توحيد الألوهية وذلك لكثرة المخالفين في هذا الأمر في ذلك الوقت وألف الشيخ رحمه الله كما تقدم شيئا من تلك الكتب التي فيها مناقشه للذين يخالفون اهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم ومنها كتابه كشف الشبهات، وقد أقام الشيخ رحمه الله الحجه كذلك في كتابه التوحيد الذي معنا فإنه يورد النصوص من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبي صلى الله عليه و آله وسلم، ثم يذكر في خاتمه كل باب من تلك الأبواب بعض المسائل المستفادة من هذا الباب وهذا من أجل تنبيه القارئ على مقصوده رحمه الله من عقده للباب وكذلك من إيراده لهذه النصوص تحت هذا الباب.

ابتدأ المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتابه التوحيد بالبسملة فقال :

" بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ "

وهذا تأسيا بكتاب الله عز وجل وبسنة النبي ﷺ.

والمصنف رحمه الله لم يأت بخطبة ومقدمة للكتاب، وإنما اكتفى بالترجمة وهي التي قال بعدها: كتاب التوحيد، وذلك كما قال بعض أهل العلم لأنك بمجرد أن تقرأ عنوان الكتاب تعرف أن موضوعه هو التوحيد كما قاله الشيخ بن عثيمين رحمه الله.

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم معنا كما في حاشيته أن المصنف رحمه الله لم يفتتح كتابه بخطبه تنبئ عن مقصوده ولعله حمد وتشهد نطقا عند وضع الكتاب.

واقتصرعلى البسملة لأنها من ابلغ الثناء والذكر درج على هذا عدد من العلماء وأكثرهم ينص على أن الشيخ رحمه الله لم يضع مقدمة لكتابه وإنما بعد البسملة ابتدأ بقوله " كتاب التوحيد " والحق في ذلك أن الشيخ رحمه الله قد ذكر بعد البسملة الحمدلة ثم الصلاة على النبي ﷺ، وقد أفاد بهذه الفائدة الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في كتابه فتح المجيد فقال: " والمصنف قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة لأنها من أبلغ الثناء والذكر للحديث المتقدم وكان النبي ﷺ يقتصر عليها في مراسلاته كما في كتابه لهرقل عظيم الروم" ثم قال :

" ووقع لي نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدأ فيها بالبسملة وثنى والحمد بالصلاة على النبي ﷺ " انتهى كلامه رحمه الله.

وقوله رحمه الله (بسم الله) فإن الباء في قول بسم للاستعانة ومعناه هنا أني اولف مستعينا بالله تبارك وتعالى والاسم مأخوذ من السمو وهو الرفعة وقيل من السمه وهي العلامة وكلمه (الله) لفظ الجلالة علم للذات الإلهية وهو مشتق من الالوهية وأصله إله كما قال بن عباس رضي الله عنهما (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه اجمعين) فهو على هذا مشتق وليس بجامد وقد ناقش الأمام بن القيم رحمه الله في كتابه بدائع الفوائد من يقول بأن اسم الله عز وجل جامد وليس بمشتق واسمه تبارك وتعالى (الله) هو أعرف المعارف وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى وأصله الإله وحذفت الهمزة وادغمت اللام في اللام فقيل (الله) ومعناه ذو الالوهية والعبودية على خلقه أجمعين كما تقدم معنا.

والرحمن يقصد به أنه رحمن الدنيا والأخرة.

والرحيم هي الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

وهما اسمان من اسماء الرب تبارك وتعالى يدلان على صفه الرحمة لله عز وجل والتي وسعت كل شيء وذكر أهل اعلم أن الرحمن دال على الصفة وان الرحيم دال على تعلقها بالمرحوم كما قال عز وجل (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)

وقد دلت البسملة على أنواع التوحيد الثلاثة التي تأتي معنا إن شاء الله

فإن لفظ الله وتقدم أن المقصود منه اي المعبود دال على توحيد الألوهية،

وأما توحيد الأسماء والصفات فدل عليه لفظ (الله، الرحمن، الرحيم)،

وأما الربوبية فيؤخذ من (الباء في قوله بسم الله) أي أبدا مستعينا بالله والاستعانة تكون بالرب الخالق المتصرف المدبر للأمور ولا يستعان بما سواه فتدخل الربوبية في ذلك ضمنا وأما الحمد فهو ذكر المحاسن المحمود مع حبه واجلاله وتعظيمه

وأما الصلاة على النبي ﷺ فالمقصود منها الثناء عليه الصلاة والسلام والعناية به واظهار شرفه وفضله وحرمته.

ثم قال المصنف رحمه الله

كتاب التوحيد

وكتاب مصدر كتب يكتب كتابا وكتابتا وكتبتا ومدار المادة على الجمع ومنهم قال تكتب بنو فلان إذا اجتمعوا

وأما التوحيد فهو مصدر وحد يوحد توحيدا أي جعل الشيء واحدا

والالف واللام في كلمة التوحيد إنما هي للعهد الذهني والمقصود به أذهان من سلمت فطرهم ولم تعبد غير الله تبارك وتعالى فالمقصود من التوحيد هنا التوحيد المعهود للمسلمين الذي دل عليه كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ ودل عليه كذلك الإجماع والعقول السليمة

والتوحيد عند أهل السنة والجماعة ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وقد دل عليها استقراء النصوص من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ

- فالنوع الاول هو: **توحيد الربوبية:**

وهو العلم والإقرار بأن الله رب كل شيء وخالقه ومالكه والمدبر لأمور خلقه جميعهم، هذا النوع من أنواع التوحيد قد أقر به المشركون ولم يخالفوا في ذلك كما قال الله تبارك وتعالى (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ) فهم لا يخالفون في هذا التوحيد.

- والنوع الثاني هو: **توحيد الأسماء والصفات:**

وهو إثبات ما اثبت الله عز وجل لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ من الصفات العظيمة وذلك من غير تكييف ومن غير تمثيل ومن غير تحريف ومن غير تعطيل.

- والنوع الثالث وهو **توحيد الإلهية وتوحيد العبادة** : وهو إخلاصها لله تبارك وتعالى وهذا الأمر يتعلق بأفعال العباد ولذلك يقال في تعريف توحيد الألوهية : هو إفراد الله بأفعال العباد والعبادة اسم: جامع لكل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة منها والباطنة وهذا النوع من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية هو الذي بعثت من اجله الرسل وأنزلت من أجله الكتب وذلك لكثرة المخالفين له من زمن نوح عليه السلام إلى أن بعث النبي ﷺ وبذلك نعلم خطأ المتكلمين والمتصوفة الذين جعلوا غايتهم إنما هو توحيد الربوبية فعرفوا كلمه لا إله إل الله بأنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا مدبر إلا الله، من نحو هذه المعاني التي يقرها المشركون ولا ينكرونها ، والمعنى الحق في قول

لا إله إلا الله كما سيتبين لنا مرارا وتكرارا في هذا الكتاب إنما معناه (لا معبود بحق إلا الله) ولا يكون العبد موحدا حتى يأتي بهذا النوع من أنواع التوحيد وهو إفراده تبارك وتعالى بالعبادة لأنه عز وجل هو المستحق بالعبادة.

وهذه الأقسام الثلاثة متلازمه كل نوع منها لا ينفك عن الاخر فمتى اتى بنوع منها ولم يأتي بالآخر لم يكن موحدا والقسم الثالث وهو توحيد الألوهية ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله أنه هو مقصود المصنف رحمه الله تعالى بتصنيف هذا الكتاب وإن كان قد ضمنهم نوعين الاخرين ، يعني توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فإن المقصود الاعظم من تأليف هذا الكتاب هو توحيد الألوهية لكن الشيخ رحمه الله كما سيأتي إن شاء الله في ذكر بعض الأبواب أنه لم يهمل توحيد الربوبية ولا توحيد الأسماء والصفات بل ذكر شيئا متعلقا بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات إلا أن الصفة الغالبة على هذا الكتاب إنما هو توحيد الألوهية وذلك لأن هذا النوع وهو توحيد الالوهية هو أول دعوة الرسل حيث قالوا (أن أعبدوا الله ما لكم من إله غيره) . ولعموم البلوى في زمانه بعبادة القبور والأشجار وغيرها ودعوة الأنبياء والأولياء والصالحين وغيرهم فمن أجل ذلك صنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله العناية العظيمة في بيان هذا التوحيد.

يقول ابن القيم رحمه الله في تقسيم آخر للتوحيد:

قال **" التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد"**

* فأما **توحيد المعرفة والإثبات** : فهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات

*وأما **توحيد القصد والطلب** فهو توحيد الألوهية والعبادة.

ثم ذكر ابن القيم رحمه الله أهمية هذا النوع من أنواع التوحيد وذكر أنه لأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب بل كل سورة في القرآن فهي متضمنه لنوعي التوحيد بل كل آية متضمنه للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله وهو التوحيد العلمي الخبري ،

وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه وهو الإرادي الطلبي وإما أمر ونهي وهو حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن اهل التوحيد وجزائهم وأهل الشرك وجزائهم فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي الشرك وأهله وجزائهم.

وركنا التوحيد: الصدق، والإخلاص

إذن على الداعية وعلى طالب العلم أن يحرص أشد الحرص على فهم هذا النوع من أنواع التوحيد وذلك من أجل إخلاص العبادة له جل وعلى وحده لا شريك له ومن أجل تبصير الناس وإرشادهم وتحذيرهم مما قد وقع فيه الكثير ممن ينطق ب لا إله إلا الله وقد وقع في الشرك الأكبر من عبادة غير الله تبارك وتعالى وكانت هذه أولى دعوات الرسل حيث دعوا الناس إلى عبادة الله تبارك وتعالى.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى **" وقول الله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)"**

في قول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقول الله تعالى ذكر أهل العلم أنه يصح فيها الرفع والجر فأما الرفع فعل انها مستأنفه فتقول كتاب التوحيد ثم تسكت وقول الله تعالى فهنا قد رفع على الاستئناف

وذكر بعضهم أنه يصح فيها الجر فتقول وقول الله تعالى كتاب التوحيد وقول الله تعالى فتكون مضافة إلى التوحيد.

" وقول الله عز وجل(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) هذا فيه الغاية من خلق الثقلين الإنس والجن وذكر الحكمة العظيمة من ذلك وهي عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه فهو جل وعلى فعل الأول وهو الخلق من أجل الغاية الثانية وهي أن يفعل العباد عبادته تبارك وتعالى وحده لا شريك له وهذا كما في قوله تبارك وتعالى (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى) يعني لا يؤمر ولا ينهى وكل ذكر للعبادة في القرآن فإنما معناها توحيد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة والعبادة فيها ذل وانقياد وخضوع لله تبارك وتعالى ولهذا سميت وظائف الشرع عبادات لأنهم يفعلونها خاضعين لله عز وجل فيكونون من أهل رضاه.

إذا تبين لنا أن الشيخ رحمه الله أورد هذه الآية وهي مناسبة جدا في ابتدأ المصنف رحمه الله لهذا الكتاب ليدل على مضمونه (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) يعني يوحدون، ثم قال عز وجل بعده (مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ) فالله عز وجل هو الغني والعباد هم الفقراء إليه عز وجل في جميع أحوالهم وفي جميع شئونهم وهذه الآية فيها بيان عظم شأن التوحيد إذ كان الخلق كلهم لم يخلقوا إلا من أجل أن يخلص له في هذه العبادة.

ومن وجه آخر فإن هذه الآية قد جاءت بعد قول الله تبارك وتعالى (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) ثم قال (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وهذا فيه إشارة ودلاله للداعية في أن أول ما يجب عليه أن يذكر الناس به هو هذه الغاية التي من أجلها خلق الله عز وجل الخلق وهو عبادته وتوحيده جل وعلى دونما سواه.

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وقوله (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) وتأمل كيف أن الشيخ رحمه الله أورد هذه الآية بعد تلك الآية التي فيها ذكر الغاية من خلق الجن والانس وهو العبادة والتوحيد فهذه الآية الثانية (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) هي مفسره في الحقيقة للآية السابقة وفيها بيان تلك العبادة وبيان ذلك التوحيد وهو صرف هذه العبادة لله عز وجل وحده دونما سواه ويجب على العباد كلهم أن يجتنبوا الطاغوت

والطاغوت: مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد وكل من تعدى حده بأي نوع من الطغيان فهو طاغوت ويكون واحدا وجمعا ويؤنث ويذكر والسلف لهم تفاسير لا تنافي فيما بينها وكلها ترجع إلى ما ذكره ابن القيم : رحمه الله بأن الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده من معبود او متبوع او مطاع فكل من عبد من دون الله عز وجل وهو راض بهذه العبادة يكون طاغوت وأما من لم يرضى بهذه العبادة فلا يكون طاغوت كالأنبياء والمرسلين وكالصالحين وكالملائكة الكرام الذين عبدوا من دون الله عز جل فإن هؤلاء لا يطلق عليهم طواغيت وإنما الطاغوت هو الذي يعبد من دون الله عز وجل ويكون راضيا بهذه العبادة .

ومن فوائد هذه الآية أن الله عز وجل بعث في كل طائفه وفي كل قرن وفي كل جيل من الناس رسولا منذ حدث الشرك في قوم نوح إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ وكلهم يأمرون الناس بأن أعبدوا الله يعني وحدوا الله عز وجل بالعبادة واجتنبوا يعني اتركوا وفارقوا عبادة ما سواه ولهذا خلقت الخليقة وارسلت الرسل وأنزلت الكتب .

وقوله اجتنبوا ابلغ من قوله اتركوا فإن اتركوا لعدم الفعل واجتنبوا تقتضي ذلك وتقتضي المباعدة والمجانبة وهذه الآية كما تقدم هي مفسره للآية السابقة وهذا هو معنى قول لا إله إلا الله فإنها تضمنت النفي والإثبات وهما ركنا كلمة التوحيد فإن لا إله هذا فيه نفي و إلا الله هذا فيه إثبات وقوله في هذه الآية اعبدوا الله هذا إثبات وقوله اجتنبوا الطاغوت هذا فيه النفي وهو نفي لكل ما يعبد من دون الله تبارك وتعالى وعدم استحقاقه بالعبادة، وهذه طريقة القرآن يقرن النفي بالإثبات فينفي ما سوى الله ويثبت عبادة الله وحده وذلك لان النفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات بدون النفي فإذا قال مثلا لا إله هذا لا يوجد فيه الكمال إلا إذا اثبت التوحيد للرب تبارك وتعالى وكذلك اذا اثبت التوحيد اذا اثبت العبادة لله عز وجل ولم ينفها عن غيره فإن هذا لا فائدة فيه ولذلك كانت الفائدة في جمع الإثبات مع النفي فيخلص العبادة لله عز وجل وحده ويكفر بكل ما عبد من دونه فهذه الآية العظيمة تضمنت عدة فوائد منها إثبات الحجه على العباد وذلك بإرسال الرسل **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا).**

ومن الفوائد كذلك بيان معنى لا إله إلا الله وتضمنها للنفي والإثبات وفيها كذلك الحكمة في إرسال الرسل وأن الرسالة قد عمت كل أمه وفيه دليل على أن دين الأنبياء واحد وقوله عز وجل (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا**) البعث يقصد به الإرسال يعني أرسلنا (**فِي كُلِّ أُمَّةٍ**)الأمة اطلاقاتها في القرآن تطلق على الإمام كما قال عز وجل (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ**) يعني كان إماما وتطلق على الملة (**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ**) يعني على مله ويطلق على الزمان كما قال عز وجل (**وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**) وتطلق على الطائفة كما في هذه الآية (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا**) يعني في كل طائفة.

ثم قال الإمام المجدد رحمه الله : **وقوله (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ)الآية**

والمعنى في قوله (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) يعني أمر ووصى وأوجب على ألسن رسله أن يعبد وحده دون ما سواه، وقوله (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) المقصود بالقضاء هنا القضاء الشرعي

فإن القضاء ينقسم إلى قسمين :(إلى قضاء كوني قدري – وإلى قضاء شرعي ديني)

وهذه الآية قد جاء فيها ذكر جمله من الشرائع وابتدأت بالتوحيد فدل على أنه أوجب الواجبات إذ لا يبتدأ إلا بالأهم فالأهم ثم ختمت هذه الآية بالنهي عن الشرك فدل على أنه من أعظم المحرمات وفي هذه الآية معنى لا إله إلا الله لأن قوله عز وجل ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا) هذا فيه معنى لا إله وقوله (إِلَّا إِيَّاهُ) هو معنى إلا الله فتضمن النفي والإثبات.

ثم إن الله عز وجل قرن بهذا الحق وهو توحيده بر الوالدين وهو حق من حقوق الوالدين (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).

وقد يستشكل البعض كون الله عز وجل ذكر حقه ثم قرنه بحق الوالدين ولم يذكر حق النبي ﷺ والجواب عن ذلك أن حق الله عز وجل متضمن لحق الرسول ﷺ لأن الله عز وجل لا يعبد إلا بما شرع الرسول ﷺ وأفاد هذا الشيخ بن عثيمين رحمه الله في القول المفيد.

ثم قال المصنف رحمه الله وقوله (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ) الآية وهذه الآية فيها يأمر الله عز وجل عباده بعبادته وحده لا شريك له فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه وهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا وقرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الي حرمه ، ودلت على أن اجتناب الشرك شرط في صحه العبادة.

والشرك ذكر الشيخ رحمه الله في تعريفه : قال تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، وقوله شيئا: هذا نكرة في سياق النهي فتعم الشرك قليله وكثيره كما أنها تعم كل شيء فلا يشرك بالله عز وجل أي شيء لا نبي ولا ملك ولا ولي ولا غيرهم من الخلق وهذه الآية كسابقتها فيها إثبات ونفي فيها إثبات العبادة لله عز وجل والأمر به، وفيها كذلك النفي نفي عبادة ما سوى الله تبارك وتعالى فلا يعبد غير الله عز وجل وهذا يؤخذ من النهي في هذه الآية ولا تشركوا به شيئا

ثم قال المصنف رحمه الله **وقوله تعالى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153))**

فهذه الآيات فيها أمر من الله عز وجل للنبي ﷺ أن يقول للمشركين تعالوا **تعالوا) أي هلموا وأقبلوا (أتل) أي أقص عليكم وأخبركم بـ: {مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} 7 حقا لا تخرصا ولا ظنا، بل وحيا منه وأمرا من عنده: {أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}** وهذا فيه محذوف تقديره وصاكم ألا تشركوا به شيئا فيكون المعنى حرم عليكم ما وصاكم بتركه من الإشراك به ولهذا إذا سؤل الصحابة رضي الله عنهم عما يقول لهم رسول الله ﷺ، قالوا: "يقول أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا."

والشاهد من إيراد هذه الآية أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ أن يبين للناس النهي عن الإشراك به تبارك وتعالى وذكر الله عز وجل جمله من المحرمات وابتدئها بالنهي عن الشرك والنهي عن الشرك يستدعي التوحيد بالاقتضاء فإذا نهى الله عز وجل عن الشرك فإن هذا فيه أمر بالتوحيد ودل على أن التوحيد هو أوجب الواجبات وأن الشرك هو أعظم المحرمات وهذا هو وجه مطابقة هذه الآية للترجمة التي ذكرها الشيخ رحمه الله.

وأنبه الإخوة الذين عندهم هذه الطبعة في أن قول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله لما قال وشيئا نكره في سياق النهي فتعم الشرك قليله وكثيره في الآية السابقة (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ) قال بعد ذلك في هذه الطبعة وتسمى هذه الآية آية الحقوق العشرة، وآية الحقوق العشرة هي التي في سورة الأنعام (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) فإن هذه الآيات المقصودة من آية الحقوق العشرة ذلك لأنها تضمنت عشرة حقوق وابتدأت بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

قال : فدلت على أن التوحيد هو أوجب الواجبات وأن الشرك أعظم المحرمات وفيها تفسير التوحيد وأنه عبادة الله وحده وترك الشرك وهذا وجه مطابقه الترجمة قاله حفيد المصنف، ويقصد به الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في كتابه (فتح المجيد).

ثم قال تعالى : (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) و الإحسان إلى الوالدين كما قال القرطبي هو برهما وحفظهما وسيادتهما وامتثال أمرهما وإزاله الرق عنهما وترك السلطنة عليهما، والمعنى أي احسنوا بالوالدين إحسانا.

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) أي لا تأدوا بناتكم خشية العيلة والفقر فإني رازقكم وإياكم، يعني لا تخافون من الفقر بسبب رزقهم فهو على الله تبارك وتعالى وخص الأولاد لأن قتلهم يجمع بين القتل وقطيعة الرحم وكان المشركون يقتلون أولادهم خشية الفقر إلا أن قتل البنات هو أكثر ما يفعلونه ومع ذلك هم كذلك يقتلون بعض الذكور خشية الافتقار ونهاهم الله عز وجل عن ذلك.

ثم نهى الله عز وجل عن جميع الفواحش فقال (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) وهذه الفواحش قد تكون ظاهرة وبينه للناس وقد تكون هذه الفواحش تفعل في السر.

وقال (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ) وهذا مما نص عليه في هذه الآية تأكيدا وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش.

(ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) قال هذا فيه إشارة إلى هذه المحرمات التي أولها النهي عن الشرك ، والوصية الأمر المؤكد المقرر و سميت وصية الميت وصية لأنه يعهدها لمن بعده يتمسكوا بها، لعلكم تعقلون : ولعل للتعليل أن الله عز وجل وصانا بهذه الوصايا وأمرنا بها وأكد علينا فيها لنعقلها ونعمل بها.

ثم قال: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ) وهذا نهي عن القرب الذي يعم وجوه التصرف إلا ما يحسن في هذه الأموال و إلا ما يكون في سعيا في نمائها.

ثم قال : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ) وهذا أمر بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء.

(لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) يعني من اجتهد في اداء الحق وأخذه فإن أخطأ بعد استفراغ الوسع وبذل الجهد فلا حرج عليه .

(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ) وهذا فيه أمر بالعدل في الأقوال والأفعال وعلى القريب وعلى البعيد.

قال (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ) يعني بوصية الله التي وصاكم بها فأوفوا بأن تطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه.

(ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يعني تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه.

ثم قال (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) أي يعني الذي اوصيكم به في هاتين الآيتين المشتملتين على ترك المنهيات وأعظمها الشرك وفعل الواجبات وأعظمها التوحيد، صراطا مستقيما واضحا سهلا واسعا فاتبعوه، وهذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم،

وقوله (صِرَاطِي) يعني طريقي و مسلكي وشريعتي.

(مُسْتَقِيمًا) يعني قيما،

والصراط: هو الطريق الذي هو دين الإسلام وهو طريق الله الذي نصبه لعباده المؤمنين موصلا إليه وهو شريعة الله عز وجل لا اعوجاج فيه ولا طريق إليه سواه.

وقد جمع ثلاثة أمور:

*السهولة

*والسعة

*والقرب

فهو أقرب الطرق إلى الله عز وجل وأوسعها وأسهلها ولو اجتمع اهل الأرض وأضعاف أضعافهم لوسعهم بل الطرق كلها مسدوده على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله وجعله موصلا لعباده إليه وهو إفراده بالعبودية.

ثم نهى الله عز وجل عن الخروج عن هذا الصراط وقال: (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) وهي البدع والشبهات.

(فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) يعني تميل وتشتت بكم هذه الطرق المختلفة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده.

ثم أورد المصنف رحمه الله أثرا عن ابن مسعود رضي الله عنه : قال من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)

وقوله خاتمه يصح فيها الوجهان بفتح التاء وكسرها خاتمه بالفتح او خاتمه بالكسر، والخاتم: هو حلقه ذات فص من غيرها وحقيقه الختم الإستيثاق وليس المعنى من ذلك أنها وصية مكتوبه مختوم عليها لأن النبي ﷺ لم يوصي بشيء من ذلك وإنما المقصود من ذلك الوصية التي يكون عليها خاتم النبي ﷺ وهو كالتوقيع على الأمر الذي يريده النبي ﷺ إيصاله إلى الناس، فقوله عليها خاتمه : أي التي من أخر ما وصى به، يعني التي لو قدر أنه وصى وختم هذه الوصية وفتحت بعده لكانت هذه الآيات، وهذا فيه دلاله على عظم شأن هذه الآيات التي أراد ابن مسعود رضي الله عنه أن يبين أهميتها للناس.

كما أورد المصنف رحمه الله حديث معاذ رضي الله عنه: **قال " عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه و سلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى اللهِ؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا». " أخرجاه في الصحيحين**

وهذا السؤال من النبي ﷺ خرج بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم وأشهد لهمته أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ وحق الله على العباد هو ما يستحقه عليهم من عبادته وحده تبارك وتعالى، وحق العباد على الله إنما هذا من عند الله تبارك وتعالى وتفضلا وإحسانا فإنه ليس على الله عز وجل حق واجب بالعقل كما تدعيه المعتزلة وهو هذا الأمر متحققا محاله لأنه من عند الله عز وجل ،

وحديث معاذ فيه الدلالة الظاهرة على أهمية التوحيد وأنه حق من حقوق الرب تبارك وتعالى، وقول معاذ الله ورسوله أعلم : هذا فيه حسن الأدب من المتعلم وأنه ينبغي لمن سؤل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم ، وقوله حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا : يعني يوحدوه بالعبادة ويفردوه بها ويتجردوا من الشرك قليله وكثيره صغيره وكبيرة ومن لم يتجرد من الشرك فإنه في حقيقه الأمر لم يكن اتيا بعبادة الله عز وجل وحده بل هو مشرك قد جعل لله ندا في عبادته ، قال وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا : يعني أن لا يعذب من يعبده ولا يشرك به شيئا ، والعذاب هو كل ما يعي الإنسان ويشق عليه من العذب وهو المنع وسمي عذابا لأنه يمنع المعاقب من معاوده مثل جرمه ويمنع غيره من مثل فعله ،

وفي هذا الحديث لم يذكر النبي ﷺ التوحيد وقد أجاب عن هذا الحافظ بن حجر فقال : اقتصر على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم إذ من كذب رسول الله ﷺ فقد كذب الله عز وجل ومن كذب الله فهو مشرك، ثم إن معاذ رضي الله عنه أراد ان يبشر الناس فاستأذن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال افلا ابشر الناس يعني في هذا الأمر العظيم وهو فضل هذا التوحيد وفضل من تمسك به عند الله عز وجل.

واستنبط منه اهل العلم استحباب بشارة المسلم بما يسره وما فيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا فقال له النبي ﷺ لا تبشرهم فيتكلوا ، وفي رواية اني اخاف ان يتكلوا يعني يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الاعمال الصالحة اعتمادا على ما يتبادر من ظاهر الحديث،

وجاء في بعض الروايات أن معاذ رضي الله عنه اخبر بها عند موته تأثما يعني تحرجا من الإثم ولم يكن يكتمها الا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة أما الاكياس فاذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم

وتبين من هذا الترجمة التي اوردها الشيخ رحمه الله والنصوص التي ذكرها الشيخ أن أمر التوحيد في غاية الأهمية وأن على العبد أن يتعلم هذا التوحيد الذي هو بهذه المنزلة والمكانة في دين الإسلام .

نكمل إن شاء الله في الدرس القادم

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الثانية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله أما بعد

حياكم الله أيها الإخوة في اللقاء الثاني في التعليق على حاشية كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وتأليف الشيخ عبد الرحمن بو قاسم رحمه الله .

وفي هذا اللقاء ندرس الباب الثاني من ابواب كتاب التوحيد وهو

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وهذا الباب عقده المصنف رحمه الله ليوجه الهمم الى هذا الأمر العظيم وهو توحيد الله عز وجل وذكر بعض الفضائل الواردة في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي ﷺ للتوحيد وذكر هذا التوحيد لا يلزم من ثبوت الفضل للشيء ان يكون غير واجب وإنما المقصود أن هذا الأمر الواجب وهذا الأمر العظيم قد جعل الله عز وجل له فضائل عديدة ، ومثال ذلك صلاة الجماعة فإن صلاة الجماعة ورد في الحديث لها فضائل ومنها قوله عليه الصلاة والسلام :**(صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)** لا يلزم من ثبوت الفضل أن تكون غير واجبه وقد نبه على هذا الشيخ بن عثيمين رحمه الله .

وقوله " باب " هو خبر مبتدأ مخذوف تقديره هذا باب ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف، وأما ما فيجوز أن تكون موصولة وأن تكون مصدرية فإذا كانت موصولة فتكون بمعنى الذي ويكون المقصود من الباب فضل التوحيد الذي يكفره من الذنوب وأما إذا كانت مصدرية فيكون فضل التوحيد وتكفيره للذنوب وهذا الثاني هو أقوى وأوجه لأن الأول قد يوهم أن هنا ذنوبا لا يكفرها التوحيد.

والباب كما قال المصنف الشارح رحمه الله في اللغة هو المدخل إلى الشيء.

واما في الاصطلاح فهو اسم لجمله من العلم تحته فصول ومسائل غالبا

وغالب من يذكر الباب وما تحته من النصوص لا يريد من ذلك أن يذكر جميع النصوص الواردة فيه وإنما في الغالب فإنه يأتي بهذا الباب ويذكر نماذج مما يدل على هذه الترجمة والشارح رحمه الله ذكر مناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد فقال :

" ولا ريب أن التوحيد أفضل الأعمال على الإطلاق وأعظمها تكفيرا للذنوب ولما ذكر معنى التوحيد وكانت الأنفس لها تشوق وتشوف الى معرفة المعاني ونيل الفضائل وتحصيلها ناسب ذكرى فضله وتكفيره للذنوب ترغيبا فيه وتحذيرا من الشرك ."

وأما التوحيد في قوله باب فضل التوحيد فما المقصود به ؟

ذهب بعض الشراح في التوحيد الى ان المقصود به انواع التوحيد الثلاثة وهو (توحيد الربوبية – وتوحيد الألوهية – وتوحيد الأسماء والصفات) فيكون مقصود الشيخ من ذكر هذا الباب هو ان يذكر فضائل أنواع التوحيد الثلاثة

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المقصود من عقد هذا الباب هو توحيد الألوهية دون غيرهم من الأبواب، ولعل هذا هو الصحيح والله اعلم، وذلك لأن النصوص التي اوردها الشيخ رحمه الله في هذا الباب تدل على هذا النوع من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية وتوحيد العبادة ولم يذكر الشيخ ما يتعلق بتوحيد الربوبية ولا ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات. ولم يذكر الشيخ رحمه الله شيئا من الفضائل الواردة في هذين النوعين من أنواع التوحيد

فيكون المقصود من عقد هذا الباب هو ذكر فضل التوحيد وهو توحيد الألوهية وكونه يكفر الذنوب.

ثم أورد الشيخ رحمه الله قول الله عز وجل: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}**

فقوله : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال الشارح رحمه الله: **" أي أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يخلطوا توحيدهم بشرك "**

ثم فسر اللبس فقال: **" ولبس الشيء بالشيء تغطيته به وإحاطته به من جميع جهاته، ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر، وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومنه سمي الشرك ظلما والمشرك ظالما؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها. "**

فالذين آمنوا : الإيمان كما هو عند أهل السنة والجماعة : هو الإقرار والإذعان والانقياد لأمر الله عز وجل ولتوحيده فهؤلاء المؤمنون لم يخلطوا إيمانهم بهذا الظلم الذي نفاه الله عز وجل عن إيمانهم وقد جاءت هذه الآية في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام عندما خوفه قومه فقال لهم { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }

ثم قال :{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}

فقوله { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } هذه الآية قد اختلف أهل العلم فيها فقيل بأنها مستأنفة وقيل أنها من كلام إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل إنها من كلام الله تبارك وتعالى لتثبيت عبده إبراهيم الخليل

وقد ذكر الله عز وجل فضل هذه الأوصاف في قوله:{ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } بمعنى أن من آمن ولم يلبس إيمانه بظلم فإن له الأمن والاهتداء ولذلك قال الشارح :

" أي هم الآمنون في الدنيا والآخرة المهتدون إلى الصراط المستقيم، ولما نزلت هذه الآية شق على أصحاب رسول الله ﷺ ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فقالوا: يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ قال: " ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} ". فبين ﷺ أن من لم يلبس إيمانه

بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان أيضا من أهل الاصطفاء في قوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} ، فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة، الشرك، وظلم العباد في نفس أو مال أو عرض، وظلم نفسه بما دون الشرك، كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقا، بمعنى أنه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه، كما لو ظلمها ببخله ببعض الواجبات حبا للمال، أو أحب ما يبغضه الله حتى يقدم هواه على محبة الله ونحو ذلك.

وليس مراد النبي ﷺ بقوله: "بشرك" الشرك الأكبر، فيؤخذ منه أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن والاهتداء التام، بل مراده ﷺ نفي نوعي الشرك، فإن أهل الكبائر معرضون للوعيد، مع أنها دون الشرك الأصغر بإجماع أهل السنة، ومع ذلك لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام، كما وردت به نصوص الكتاب والسنة، فصاحب الشرك الأصغر أولى بلحوق الوعيد له، فظهرت مطابقة الآية للترجمة، وذلك أن من مات على التوحيد لم يلبسه بشرك فله الأمن على ما تقدم، بخلاف غيره من الأعمال مع عدمه، فتبين بذلك أفضلية التوحيد وأنه السبب في النجاة من النار.

فهذه الآية كما ذكر الشارح فيها بيان فضل التوحيد وأن من آمن ولم يلبس إيمانه بهذا الظلم فإن له الأمن والإهتداء وقد فسر النبي ﷺ هذا الظلم بالشرك واستدل بقول لقمان (إن الشرك لظلم عظيم) فهنا ذكر النبي ﷺ أن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء ومؤد هذا الكلام الذي ذكره الشارح أن الناس يتفاوتون في حصول الأمن والاهتداء من عدمه

ويمكن أن نقسم الناس إلى ثلاثة أقسام من حيث الأمن والاهتداء:

فالقسم الأول هو : هم الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ولم يخلطوا إيمانهم بظلم بل جاءوا بإيمانهم على التمام والكمال أي آمنوا إيمانا مطلقا كاملا فهؤلاء لهم الأمن المطلق والاهتداء المطلق ، يعني الأمن الكامل والاهتداء الكامل.

والقسم الثاني : هم الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك لكن إيمانهم ضعيف ناقص وذلك بسبب الذنوب والمعاصي فإن حصول المن لهم والاهتداء يكون بقدر إيمانهم ، وهؤلاء يكون لهم مطلق الأمن والاهتداء ،

وأما القسم الثالث: فهم الذين لم يؤمنوا فهؤلاء ليس لهم الأمن وليس لهم الاهتداء،

فمن جاء بالإيمان المطلق ، يعني الإيمان الكامل فله الأمن والاهتداء المطلق ومن جاء بمطلق الإيمان فله مطلق الأمن والاهتداء وليس له الأمن المطلق الكامل،

وذلك بناءً على عقيدة أهل السنة والجماعة في أن الناس يتفاوتون في إيمانهم وليسوا هم على درجة واحدة كما في مقدم الآية التي ذكرها الشارح (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ)

فالظالم لنفسه هم العصاة

والقسم الثاني : المقتصد

والقسم الثالث: وهم المحسنون

فالعصاة الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي والذنوب فإن هؤلاء يحصل لهم الأمن ويحصل لهم الاهتداء بقدر ما عندهم من الإيمان وهم معرضون للوعيد يوم القيامة كما ثبت في النصوص الشرعية والتي ذكرها الشيخ رحمه الله.

والقسم الثاني هم الذين أتوا بالإيمان الواجب عليهم، فإن هؤلاء هم المقتصدون فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات وهؤلاء لهم الأمن والاهتداء.

والقسم الثالث وهم الأكمل وهم المحسنون الذين جاءوا بالمستحبات وابتعدوا عن المكروهات

وقول الشارح " فمن سلم من اجناس الظلم الثلاثة إلى آخره" هنا فيه بيان لأنواع الظلم وأن الظلم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول وهو ظلم متعلق في حق الله تبارك وتعالى وهو الشرك به

والقسم الثاني هو ظلم العباد في نفس او مال او عرض

والثالث وهو ظلم العبد نفسه بما هو دون الشرك من المعاصي

وأنبه إلى أنه لا يصح أن يقال في اقسام الظلم ظلم العبد لربه تعالى الله عز وجل عن ذلك وقد قال الله تبارك وتعالى:(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

والخلاصة من هذه الآية هي أن هذه الآية دلت على فضل التوحيد وأن من آمن بالله عز وجل ووحده ولم يلبس إيمانه بالظلم فإن له الأمن والاهتداء والناس يتفاوتون في ذلك فمن اشرك بالله تبارك وتعالى الشرك الأكبر فإنه لا يحصل له الأمن ولا الاهتداء مطلقا

وأما إن أمن بالله تبارك وتعالى ولم يشرك به لكن ظلم نفسه باقترافه للذنوب والمعاصي فإن له مطلق الأمن والاهتداء يعني أنه لابد أن يدخل الجنة، لابد أن يدخل الجنة كما وعد الله عز وجل بذلك في نصوص اخرى وكما سياتي معنا ولكونه موحدا. ومن عقيدة أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر أنهم لا يخلدون في النار إن دخلوها بل هم تحت مشيئة الله تبارك وتعالى يوم القيامة وهذا على خلاف ما تعتقده المعتزلة والخوارج من قولهم بخروج العبد من الإيمان إن ارتكب الكبائر وأنه يوم القيامة يكون خالدا مخلدا في نار جهنم ،

وأتمُّ الأقسام كما تقدم معنا وأكملها هو من أتى بهذا الإيمان الخالص ولم يظلم نفسه بشرك ولم يقترف شيئا من الذنوب والمعاصي وهي مرتبة المقتصدين ومرتبة المحسنين الذين ذكرهم الله عز وجل في الآية السابقة {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}

وهذه الآية فيها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة على تفاوت أهل الإيمان وأن الناس ليسوا على درجة واحدة بل هم يتفاوتون في ذلك وفي هذه الأقسام الثلاثة التي تقدم ذكرها كلها يظهر فيها فضل التوحيد لمن آمن بالله تبارك وتعالى ولو اقترف الذنوب والمعاصي فإنه يحصل له الأمن ويحصل له الاهتداء بقدر إيمانه الذي عنده ،

وأما الأمن والاهتداء فقال بعض أهل العلم إن المقصود بالأمن هو الأمن في الآخرة وأن الاهتداء هي الهداية في الدنيا

والصحيح في ذلك انها عامة في الأمن والاهتداء فهو آمن في الدنيا والآخرة وكذلك هو مهتد على الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة .

ثم أورد الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال : **قال رسول الله ﷺ: " من شهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" " أخرجاه .**

وهذا الحديث كذلك فيه بيان فضل التوحيد وأن هذه الكلمة التي ينطقها العبد ويعتقد بما فيها أن الله عز وجل ليدخله الجنة يوم القيامة، قال الشارح رحمه الله :

في قوله من شهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له : أي من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا، فإن الشهادة تقتضي العلم بالمشهود به، فلو كان عن جهل لم تكن شهادة، وتقتضي الصدق، وتقتضي العمل بذلك، وبهذا يتبين أنه لابد من العلم بها والعمل والصدق. فبالعلم ينجو من طريقة النصارى، وبالعمل ينجو من طريقة اليهود، وبالصدق ينجو من طريقة المنافقين، وقوله "وحده" تأكيد وبيان لمضمون معناها، حال من الاسم الشريف، وهو تأكيد للإثبات. وقوله "لا شريك له" تأكيد للنفي، تأكيد بعد تأكيد، اهتمام بمقام التوحيد.

قال النووي رحمه الله: ((هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاقتصر صلى الله عليه وسلم في هذه الأحرف على ما يباين جميعهم)) .

ومعنى "لا إله إلا الله" لا معبود بحق إلا الله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة نفيا وإثباتا، فـ"لا إله" نفت الإلهية عن كل ما سوى الله. و "إلا الله" أثبتت الإلهية لله وحده، فنفت جميع ما يعبد من دون الله، وأثبتت العبادة لله وحده لا شريك له، والعبادة إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع.

وقال شيخ الإسلام: ((الإله هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع; ولهذا كانت لا إله إلا الله أصدق الكلام، وأهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله)) انتهى.

وفي هذا الكلام من الشارح رحمه الله عدة مسائل :

الأولى: وهي تعريف الشهادة : فإن الشهادة هي الإقرار مع العلم بما يشهد به كما قال الله عز وجل إلا من شهد بالحق وهم يعلمون، قال المفسرون إلا من شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون معناها ، وكلمة الشهادة تقتضي العلم وتقتضي الصدق وتقتضي العمل بما علمه العبد وكذلك تقتضي اليقين،

واشار رحمه الله الى من ينقاد ذلك في مخالفته للعلم وهم النصارى فإن من ترك العلم وعمل بجهله فإن فيه شبها من النصارى وأما من يعمل ولكن بدون علم ففيه شبه من اليهود،

وأما ما يتعلق بالصدق فإن من يتكلم بكلمة لا إله إلا الله وهو غير صادق في يقينها وفي معرفتها وعلمها فإنه يكون فيه شبه من المنافقين،

والمسألة الأخرى بين الشيخ رحمه الله ما يتعلق بتفسير كلمة العبادة وأن العبادة وهي كلمة التوحيد لا إله إلا الله المقصود منها لا معبود بحق إلا الله وكلمة بحق في التعريف لابد منها لان من فسر هذه الكلمة بقوله لا معبود الا الله فإنه قد يناقض الواقع وقد يقال بأن هناك معبودات عبدت من دون الله تبارك وتعالى وهي موجوده ومتوافرة ولكن هذه المعبودات باطله فنقول لا معبود بحق إلا الله.

وكلمة لا إله الا الله فيها ركنان هما : النفي والإثبات، نفي كل معبود يعبد من دون الله واثبات هذه العبادة لله تبارك وتعالى كما تقدم في الدرس السابق.

ولا تكون هذه العبادة شرعية الا عند تألُّه القلب بالحب والخضوع، فعندما يعمل العبد لا بد أن يكون مع هذه العبادة خضوع وذلّ وحب لله تبارك وتعالى، فإن هذه هي العبادة الشرعية.

ومن تأكيد النبي ﷺ قوله " وحده" وقوله " لا شريك له " فإن كلمة " وحده" تأكيد وبيان لمضمون معنى لا إله إلا الله، وكلمة " لا شريك له " تأكيد لنفي كل معبود من دون الله تبارك وتعالى وعدم استحقاقه لهذه العبادة وان المستحق للعبادة هو ربنا تبارك وتعالى من دون جميع المعبودات.

ثم قال الشارح : " **والحاصل أن لا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيا وإثباتا، واعتقد ذلك، وقبله وعمل به، وأما من قالها من غير علم بمعناها، ولا اعتقاد ولا عمل بمقتضاها من نفي الشرك وإخلاص القول والعمل لله وحده فغير نافع بالإجماع، بل تكون حجة عليه. والمشركون الأولون**

جحدوها لفظا ومعنى، فإنه ﷺ لما قال لهم: " قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا " قالوا: (أجعل الآلهة إلها واحدا) . ومشركو زماننا أقروا بها لفظا وجحدوها معنى، فتجد أحدهم يقولها ويأله غير الله بأنواع العبادة، بل يخلصون العبادة في الشدائد لغير الله، فهم أجهل من مشركي العرب، والمتكلمة وغيرهم يزعمون أن معنى الإله هو القادر على الاختراع، وأن من أقر بأن الله وحده خالق كل شيء فهو الموحد، وليس الأمر كذلك حتى يشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه سبحانه وحده هو المستحق للعبادة، ويلتزم بها". في هذا الكلام من الشارح عدة أمور وهي:

أن من قال لا إله إلا الله يجب أن ينطق بها وأن يعتقد معناها ويعمل بمقتضاها

ثم ذكر الشيخ – رحمه الله – بعض الخلل الواقع في من ينطق بكلمة لا إله إلا الله، فمن هؤلاء من يقول هذه الكلمة لكنه لا يعتقد بمعناها وقد لا يعمل بمقتضى هذه الكلمة من نفي الشرك، وإخلاص القول والعمل لله عز وجل ، فإن هذه الكلمة غير نافعة لهم حتى يعملوا بها، والعمل بها هو إخلاص العبادة لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له، ولذلك المشركون الأولون جحدوا هذه الكلمة وقالوا {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا } وذلك لأنهم يعلمون أن من قال لا إله إلا الله فإنه أبطل عبادة كل ما سوى الله تبارك وتعالى، ولكنهم عبدوا الآلهة وجعلوها وسائط بينهم وبين الله عز وجل، وذلك قال الشارح " فإنه ﷺ لما قال لهم: " قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا " قالوا: (أجعل الآلهة إلها واحدا) ." ثم ذكر الشيخ – رحمه الله – بعض مظاهر الشرك في هذا الزمان انهم أقروا بهذه الكلمة لفظا وجحدوها معنى وذلك لأنهم صرفوا العبادة لغير الله عز وجل فتجدهم يطوفون حول القبور ويسجدون لها ويصرفون لها العبادة، عبادة الخوف وعبادة النذر وعبادة الذبح وغيرها من أنواع العبادات، فهؤلاء أشركوا بالله تبارك وتعالى مع نطقهم بهذه الكلمة ، فهذه الكلمة لم تفد قائليها وقال " بل يخلصون العبادة في الشدائد لغير الله، فهم أجهل من مشركي العرب" أجهل من مشركي العرب لأن مشركي العرب يعرفون أن هذه الكلمة معناها ابطال عبادة كل ما سوى الله، لذلك إذا نطقوا بها يجب عليهم أن يكفروا بطواغيتهم، وأما هؤلاء فإنهم نطقوا بهذه الكلمة وعبدوا غير الله عز وجل فلم يعرفوا المعنى الحقيقي لهذه الكلمة.

ثم ذكر صنفا آخر ممن أخلّ بهذه الكلمة وهم المتكلمة، والمتكلمة هم اهل الكلام. واهل الكلام إذا أطلق فإنه يراد بهم الجهمية والمعتزلة والكُلاَّبية والأشاعرة والماتُريدية، فإن هؤلاء الفرق أهل الكلام، وكثير من المتكلمة يفسر كلمة لا إله إلا الله بأنه لا خالق إلا الله او لا قادر إلا الله أو يكون المقصود من ذلك القادر على الاختراع وأن من أقر بأن الله عز وجل خالق كل شيء فهو الموحّد _ يعني عندهم _ وليس الأمر كذلك حتى يشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك، فهؤلاء قد أخلوا بمعنى هذه الكلمة ففسروا توحيد الألوهية بتوحيد الرّبوبية، قال " وأن محمدا عبده ورسوله يعني شهادة أن محمدا عبده ورسوله بصدق ويقين، وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم أمره ونهيه ولزوم سنته، وأتى بهاتين الصفتين وجمعهما رفعا للإفراط والتفريط؛ فإن كثيرا ممن يدعي أنه من أمته أفرط بالغلو قولا وفعلا، حتى جوزوا الاستغاثة به في جميع ما يستغاث بالله فيه، أو فرط بترك متابعته، والرضى عن سنته بالأوضاع والقوانين الباطلة، وشهادتهم ناقصة على حسب ما معهم من تلك الأمور. و "عبد" بمعنى "متعبد" عام، وبمعنى "عابد" خاص بمن عبد الله، وإضافته إلى الله إضافة تشريف كقوله: (أسرى بعبده) ، ومعناه هنا المملوك العابد، والعبودية الخاصة وصفه، و "رسوله" أي مرسله بأداء شريعته "

ومؤدّى هذا الكلام اننا نعتقد أن محمدا عبده ورسوله. وهذه الشهادة تقتضي طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والابتعاد عما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع.

وألمح الشيخ – رحمه الله – إلى الردّ على من غلا في النبي ﷺ وأفرط في ذلك. والطائفة الثانية الذين فرطوا في جانبه عليه الصلاة والسلام. فقوله عبد هذا فيه رد على من غلا في النبي عليه الصلاة والسلام حتى أوصله الى درجة الألوهية والعياذ بالله، فتوجهوا إليه بالعبادة. وقوله " ورسوله" هذا فيه رد على من انتقص من النبي ﷺ ولم يتبعه. ومن أتم الأمور التي يمدح بها النبي ﷺ هو أن يُجمع بين كونه عبدا وبين كونه رسولا، فهو عبد لله تبارك وتعالى عابد له عز وجل ورسول من عند الله تبارك وتعالى، فهو عليه الصلاة والسلام بشر مثلنا لكن ميّزه الله تبارك وتعالى بالرسالة واصطفاه لها كما قال الله عز وجل { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ } فهو بشر مثل الناس لكن ميّزه الله تبارك وتعالى بالوحي الذي جاء من عنده.

ثم قال " وأن عيسى عبد الله ورسوله" وهذا فيه ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في عيسى عليه السلام وأنه عبد لله تبارك وتعالى ورسول له. قال الشارح " وفي رواية: وابن أمته، خلافا لما يعتقده اليهود أنه ابن زانية. أو ما يعتقده النصارى أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، فلابد أن يشهد أنه عبد الله ورسوله عن علم ويقين، بل لا يصح توحيد عبد علم بمقالتهم في عيسى حتى يتبرأ منهم ومن مقالتهم، ويأتي بما هو الحق في ذلك، وهو شهادة أن عيسى عبد الله ورسوله" .

وقوله " عبد الله ورسوله" هو كقوله في محمد ﷺ عبد الله ورسوله وهو في الرد على طائفتين، طائفة غلت في عيسى وطائفة فرطت في حقه. فأما الذين غلوا فيه فهم النصارى الذين جعلوه هو الله أو ابن الله او ثالث ثلاثة، والطائفة التي انتقصته هم اليهود الذين يزعمون بأنه ابن بغي _ وحاشاه وحاشا أمه _ فإنه عبد ورسول، وهذا دلّ عليه كذلك حديث الرسول ﷺ " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله " وهذه الشهادة لا بد أن تكون من عند المسلم.

قال بعد ذلك " وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه "

قال الشارح " أي خلقه من أنثى بلا ذكر بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل إلى مريم فنفخ في جيب درعها قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} خلقه بقوله: (كن) ، وأوجده بقدرته وحكمته، فكان بقوله: (كن) ، وسمى كلمة؛ لوجوده بقوله تعالى: (كن) ، فليس هو (كن) ، ولكن كان ب (كن) ، ف (كن) من الله قولا، وليس (كن) مخلوقا، وعيسى روح من الأرواح التي خلقها واستنطقها، وأخذ عليها الميثاق بقوله: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} بعثه إلى مريم فدخل فيها. قال الحافظ: ((وصفه بأنه منه فالمعنى أنه كائن منه، أي مكون ذلك وموجده بقدرته وحكمته)) اهـ

والمضاف إلى الله إذا كان عينا قائمة بنفسها كعيسى امتنع أن تكون صفة لله، وإنما هو إضافة مخلوق إلى خالقه، وهو على قسمين: إضافة تشريف وتكريم كبيت الله، وخليل الله، وروح الله. وإضافة لا تقتضي تشريفا كقوله: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} أي كائنة منه كونها وأوجدها سبحانه، وأما إذا كان المضاف إليه معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات كالسمع والبصر، وجب أن يكون صفة لله قائما به، وفيه إثبات صفة الكلام خلافا للجهمية، فإنهم جعلوا كلام الله مخلوقا، والنصارى جعلوا كلامه معبودا "

في هذه الفقرة من كلام الشارح _ رحمه الله _ عدة مسائل وهي:

وهي تفسير * كلمة الله * و * روح منه * في حق عيسى عليه السلام، فأما قول الله عز وجل عن عيسى بأنه كلمته فإن المقصود من ذلك أنه كان بكلمة كن، فإن الله عز وجل قال لعيسى " كن " فكان عيسى، ولذلك سمي كلمة الله لأنه كان بهذه الكلمة، وليس عيسى _ عليه السلام _ هو كلام الله وليس هو " كن " وإنما ب " كن " كان عيسى عليه السلام. وكذلك * روح منه *، فهو كائن من عند الله تبارك وتعالى فقوله " روح منه " أي أن عيسى عليه الصلاة والسلام صار بالكلمة فنفخت فيه هذه الروح التي هي من عند الله تبارك وتعالى، وأضيف إلى الربّ تبارك وتعالى إضافة تشريف.

وذكر الشارح ضابطا ذكره شيخ الاسلام وغيره من أهل العلم أن المضاف إلى الله عز وجل على نوعين:

- إذا كان هذا عينا قائمة بذاته كـ : البيت مثلا وكالناقة وكالعبد، فإن هذه أعيان وهي قائمة بنفسها لا تقوم بغيرها فإنها تكون إضافتها من إضافة المخلوق إلى خالقه. مثل: بيت الله وناقة الله. وهي على قسمين:

* منها ما يكون اضافة تشريف إلى الله تبارك وتعالى مثل : عبد الله

* وهناك إضافة قد لا تقتضي هذا التشريف وهي كما مثّل الشيخ – رحمه الله -

- والنوع الثاني من أنواع المضاف إلى الله عز وجل هو ما لم يكن المشاف عينا قائمة بذاتها، مثل العين ومثل اليد فإنها لا تستقل لا تكون عينا بذاتها ولا تكون يدا بذاتها وإنما تقوم بغيرها، فهذا يكون إضافتها إلى الله عز وجل من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف.

وبذلك نقول بأن المقصود بإضافة عيسى إلى الربّ تبارك وتعالى هو إضافة المخلوق إلى خالقه.

قال " والجنة حق والنار حق "

ذكر الشارح قال " **أي وشهد أن الجنة التي أخبر الله في كتابه أنه أعدها للمتقين حق ثابتة لا شك فيها، وأن النار التي أخبر أنه أعدها للكافرين حق ثابتة، وأنهما الآن مخلوقتان موجودتان** " وهذا واضح في عقيدة أهل السنة والجماعة في أن النار والجنة مخلوقتان وموجودتان الآن وهذا خلافاَ لأهل البدع من المعتزلة وغيرهم الذين يزعمون بان الجنة والنار لم يخلقا بعد.

ثم قال ﷺ " أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" أخرجاه.

قال الشارح " **أي على ما كان فيه من صلاح أو فساد، وهذه الجملة جواب الشرط، أي من شهد إلى آخره أدخله الله الجنة بإخلاصه وصدقه والإيمان برسوله وما أرسل به، وإن كان مقرا وله ذنوب، فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السيئات فإنه يدخل الجنة على أحد ثلاثة تقادير. إما أن يلقى الله سالما من جميع الذنوب فيدخلها من أول وهلة، أو يلقى الله وهو مصر على كبيرة أو ذنب، وهو بين أمرين إما أن يعفو الله عنه فيدخله الجنة، أو يجازيه بجرمه ثم يدخله الجنة، ففيه فضل التوحيد وذلك أن من مات على التوحيد فمصيره إلى الجنة بكل حال** "

وهذا الفضل العظيم هو قوله " أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " هو وجه المطابقة بين الحديث الذي أورده الشيخ _ رحمه الله _ وبين الباب الذي معنا * باب فضل التوحيد وما يكفّره من الذنوب * فإن من فضل التوحيد أن الله عز وجل يدخل الموحد إلى الجنة على ما كان من العمل.

والدخول إلى الجنة هو على قسمين:

- إما أن يكون الدخول كاملا تاما وهذا يكون بلا عذاب من عند الله تبارك وتعالى لمن أتم الإيمان والعمل

- وقد يكون دخولا ناقصا وهو النوع الثاني، وهو المسبوق بعذاب لمن نقص عمله فإنه وغن دخل النار فإنه يخرج منها بعد ذلك إن كان موحدا ويدخل الجنّة.

وعلى كلا التقديرين يكون فيه فضل لهذا التوحيد كما ذكر الشيخ رحمه الله فإنه يدخل الجنة على أحد ثلاثة تقادير : إما ان يلقى الله سالما من جميع الذنوب، فهذا يخل الجنة مباشرة. أو يلقى الله وهو مصر على كبيرة أو ذنب وهذا هو بين امرين؛ إما أن يعفو الله عز وجل عنه فيدخله الجنة أو يجازيه بجرمه ثم يدخله الجنة ففيه فضل التوحيد.

ثم قال المصنف : **ولهما في حديث عتبان " فإن الله حرم على من قال لا إلا الله يبتغي بذلك وجه الله "**

قال المصنف _ رحمه الله _ " هذا هو حقيقة معناها، فإن من قالها يبتغي بها وجه الله لا بد أن يعمل بما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، فإن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه، وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو ولوجود مانع، ومما قيدت به في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "غير شاك" وفي الصحيح: " من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة " وفي رواية: " ما من أحد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار " ، ولمسلم: " لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة " ، وله أيضا: " من لقيت يشهد ألا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة " ، وفيهما مرفوعا: " ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة "، فيحمل المطلق على المقيد

قال شيخ الإسلام وغيره: قالها بصدق وإخلاص ويقين ومات على ذلك، فإن حقيقة التوحيد انجذاب القلب إلى الله جملة بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيرا ممن يقولها يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله، ومن شهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال.

قال الشارح وغيره: لا بد في شهادة ألا إله إلا الله من سبعة شروط لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

)أحدها) العلم المنافي للجهل. (الثاني) اليقين المنافي للشك. (الثالث) القبول المنافي للرد. (الرابع) الانقياد المنافي للترك. (الخامس) الإخلاص المنافي للشرك. (السادس) الصدق المنافي للكذب. (السابع) المحبة المنافية لضدها. ونظمها بعضهم فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها "

وهذا الكلام السابق فيه بيان فضل التوحيد وان الله عز وجل حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله. ومؤدّى الكلام الذب نقله عن شيخ الإسلام _ رحمه الله _ أن مثل هذه النصوص وهي نصوص الوعد لا ينبغي أخذها دون تلك النصوص التي فيها بيان أن من أهل الكبائر ممن ينطق بـ لا إله

إلا الله انه قد يدخل النار، أنه قد يدخل النار ويكون تحت مشيئة الرب تبارك وتعالى. ويجمع بين هذه النصوص كلها وأن من اهل التوحيد من يدخل النار ومنهم يعفو الله عز وجل عنه.

ثم ذكر الشيخ _ رحمه الله _ ركنا لا إله إلا الله وهي: النفي والإثبات كما تقدم معنا.

قال " **وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به قال: قل يا موسى لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله "** رواه ابن حبان والحاكم وصححه

وهذا الحديث كذلك فيه فضل هذه الكلمة وأن المقصود من هذه الكلمة ليس هو مجرد النطق بها دون اعتقاد معناها، وفيه ان الله عز وجل قال في هذا الحديث القدسي " لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري " يعني ساكنهن.

وهذا الحديث يبين ان هذه السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفّة وكلمة لا إله إلا الله وضعت في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله، يعني رجحت بهن، وهذا فيه دليل على عظم شأنها وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك وتحقيق لله تبارك وتعالى الذي هو أفضل الأعمال وأساس الملة والدين.

ثم قال: وللترمذي وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة "

وهذا فيه دليل كذلك فضل التوحيد وأن الله تبارك وتعالى يعفو عن العباد وإن اتوا بقراب الأرض خطايا لمن شاء ثم إنهم من صفات هؤلاء الذين يعفو الله سبحانه وتعالى عنهم أنهم لا يشركون بالله عز وجل شيئا.

وجاء "" شيئا " نكرة في سياق النفي فيعم كل شرك، فإن الله عز وجل يأتي بقرابها مغفرة له.

والحديثان الأخيران شرحهما الشارح بكلام موجز وجميل وبديع وقد اختصره من بعض الكتب ومنها فتح المجيد، فيحسن بطالب العلم ان يرجع إليه وأن يقرأه وهي واضحة الدلالة في هذا الباب وهي ان الله تعالى قد جعل هذا الفضل العظيم لمن وحّده.

نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون منهم ونسأل الله عز وجل الإخلاص في القول والعمل

والله اعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الثالثة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

حياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء الثالث من دروس توحيد الألوهية والذي نتدارس فيه كتاب حاشية التوحيد للإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تأليف الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله. ومعنا اليوم باب من أبوب كتاب التوحيد وهو:

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

فبعد أن بين المصنف رحمه الله التوحيد وبين أهميته وذكر فضله عقد هذا الباب ليبين تحقيق التوحيد فإما أن يقال هذا الباب مكمل للباب الذي قبله لأن الذي قبله هو باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وأما هذا الباب ففيه باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، فيكون من فضائل التوحيد هذا الفضل العظيم وهو أن من حققه فإنه يدخل الجنة بغير حساب، وإما أن يقال بأن هذا الباب أخص من الباب السابق فإن الباب السابق إنما يكون لكل مسلم فلكل مسلم نصيب من التوحيد ومن ذلك الفضل الذي هو دخول الجنة إما بعد العذاب وإما أن يدخلها ابتداءً كما مر معنا في الدرس السابق وأما هذا الباب فإنه يكون لخاصة أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممن حقق التوحيد فالمصنف عقد هذا الباب وعطفه على ما قبله لأنه أخص وهذا الأمر الثاني هو الأرجح والله أعلم وهو أن هذا الباب هو نوع من ذلك الباب إلا أنه أخص منه.

وفيه ذكر فضيلة عظيمة تكون لبعض أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقول المصنف رحمه الله باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب (يعني ولا عذاب)وتحقيق التوحيد يكون بتخليصه من الشرك الأكبر والأصغر وكذا تخليصه من البدع والمعاصي ويمكن أن يقال بأن تحقيق التوحيد هو الإتيان به على أتم الأ حوال وأحسنها وهو تصفيته من الشرك والبدع والمعاصي وهذه الأمور الثلاثة يسميها ابن القيم معوقات التوحيد فمعوقات التوحيد هي ثلاثة [الشرك – البدع – المعاصي]

قال الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله عند قول المصنف باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

قال " أي هذا باب فيه أدلة من الكتاب والسنة تدل على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب،" ثم ذكر شيئا متعلقا بالمناسبة بين هذا الباب والباب الذي قبله وهو قوله " لما ذكر التوحيد

وفضله ناسب أن يذكر تحقيقه، فإنه لا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه، وتحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد، وتحقيقه من وجهين: واجب ومندوب. "

فقوله رحمه الله " وتحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد " هذا في اشارة الى التفريق بين هذا الباب والباب الذي قبله فتحقيق التوحيد قدر زائد على بيان معنى التوحيد الذي أراده الشيخ رحمه الله في الباب السابق ثم بين أن هذا التحقيق يكون من وجهين:

الوجه الأول وهو: الواجب وذلك بتخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي . فالشرك ينافيه بالكلية، والبدع تنافي كماله الواجب، والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه، وهذا الذي تقدم مما ذكرنا عن ابن القيم رحمه الله أنه يسميها نواقص التوحيد قال رحمه الله: " فلا يكون العبد محققا للتوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي،"

قوله فلا يكون العبد محققا للتوحيد يعني يقصد بذلك تحقيق التوحيد الواجب حتى يسلم من هذا الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر ويسلم من البدع والمعاصي،

وأما الوجه الثاني المندوب وهو تحقيق المقرَّبين، تركوا ما لا بأس به حذرا مما به بأس، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام.

فهذا النوع أو هذا الوجه وهو تحقيق التوحيد المندوب هو أرفع وأعلى من سابقه فالمقصود منه أن يسعى العبد في البعد عن المكروهات ويسعى في التنافس في الخيرات فهو بالإضافة إلى إتيانه بالإيمان الواجب وهو فعل الواجبات وإبتعاده عن المحرمات ولا سيما الشرك والبدع والمعاصي فإنه زاد على ذلك بإتيانه بالمستحبات وابتعاده عن المكروهات ولذلك كان هذا هو تحقيق المقربين.

ولا يكون العبد محققا للتوحيد إلا بأمور ثلاثة :

- الأمر الأول وهو العلم فلا يمكن تحقيق شيء قبل أن تعلم كما قال الله عز وجل (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ)
- الأمر الثاني وهو الإعتقاد فإذا علمت ولم تعتقد فإنك لم تحقق التوحيد ،
- والأمر الثالث وهو الإنقياد فإذا علمت واعتقد لكنك لم تنقد فإنك لم تحقق التوحيد وقد ذكر هذا الشيخ بن عثيمين رحمه الله في القول المفيد ثم اورد الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى قول الله تبارك وتعالى :{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

وقد جاء المصنف رحمه الله بهذه الآية ليبين مثالا على من حقق التوحيد.

وكل من يذكر في كتاب الله عز وجل ممدوحا فإن الواجب فيه أمرين:

- الأمر الأول هو محبته كمحبة الأنبياء ومحبة الملائكة ومحبة الصالحين
- والأمر الثاني وهو الإقتداء بمن مدحهم الله تبارك وتعالى فإبراهيم عليه السلام وصفه الله عز وجل بصفات ينبغي علينا الإقتداء بها والسعي إلى العمل بها.

فمقصود المصنف رحمه الله من إيراد هذه الآية بيان أن إبراهيم عليه السلام قد حقق التوحيد وكان تحقيقه للتوحيد بإتيانه بهذه الصفات التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية يقول الشيخ عبد الرحمن رحمه الله: "وصف الله خليله -عليه السلام- بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد، وأثنى عليه بها فقال: (كان أمة) أي إماما على الحنيفية، قدوة يقتدى به، معلما للخير، أو لما اجتمع فيه من صفات الكمال والخير والأخلاق الحميدة ما يجتمع في أمة استحق اسمها، والقولان متلازمان، فإنه أمة على الحق وحده، وإمام لجميع الحنفاء، يقتدون به في ذلك."

والقولان هما كما هو واضح أن أمة معناه إماما على الحنيفية وقوله "إن ابراهيم كان امة" يعني كان اماما، والقول الثاني هو انه كان امة اي بمنزلة الأمة بما اجتمع فيه من صفات الكمال والخير والأخلاق الحميده فكان هذه الصفات الموجودة في امة كامله وجدت في ابراهيم عليه السلام.

وقال المصنف القولان متلازمان وعلل هذا بأنه امة على الحق وحده وإمام لجميع الحنفاء، ولا مانع من القول بكليهما.

وإنما كان أمة وذلك لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين بهما تنال الإمامة في الدين كما قال الله عز وجل { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } ثم في الصفة الثانية قال الله عز وجل { قَانِتاً لله } قال الشارح رحمه الله:

(قانتا) أي خاشعا مطيعا، والقنوت دوام الطاعة، والمصلي إذا طال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت، قال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ}

فجعله قانتا في حال السجود وحال القيام وهذان الوصفان اللذين وصف الله عز وجل بها إبراهيم عليه السلام وهما كونه عليه السلام أمة وكونه قانتا لله تبارك وتعالى في هاتين الصفتين تحقيق العبودية في نفسه أولا علما وعملا وثانيا دعوة وتعليما واقتدائا به وما كان يقتدى به إلا لعمله بهذا العلم الذي عمله في نفسه.

ووصفه في الثانية بالإستقامة على ذلك كما قال تعالى { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } فتضمن قوله امة وقانتا لله تضمنت العلم والعمل والإستقامة والدعوة وفي الصفة الثالثة التي امتدح الله عز وجل بها إبراهيم عليه السلام وهي قوله (حنيفا) وقال الشارح:

(حنيفا) أي منحرفا عن الشرك إلى التوحيد، مقبلا على الله، معرضا عن كل ما سواه، فالحنيف هو المستقيم، وعند العرب ما كان على دين إبراهيم، وانتصب (حنيفا) على الحال. هذا هو معنى الحنيف فإنه في الأصل معناه الميل فإن الحنف هو الميل وقوله حنيفا:اي مائلا منحرفا قصدا عن الشرك فهو تعمد الإنحراف عن الشرك والإبتعاد عنه وكل من انحرف عن الشرك فإنه يكون مستقيما فهذه هي الإستقامة وهي البعد عن الشرك بالله تبارك وتعالى ولذلك قال الشارح رحمه الله:

" فالحنيف هو المستقيم فهو على الخط المستقيم لكن عند الشرك نجد انه ينحرف عنه ولا يسلك في سبيله وقد قال الله تبارك وتعالى في هذه الصفه عن ابراهيم عليه السلام (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) كذلك قوله { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }

ثم قال الله تبارك وتعالى {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

قال الشارح رحمه الله: فارقهم بالقلب واللسان والبدن، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك، وما ذاك إلا من أجل تحقيقه التوحيد، بل ضم إلى ذلك البراءة من المشركين، وعاب ما كانوا عليه وكفرهم، كما قال الله عنه: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} ، فتبرأ من العابد قبل المعبود، وضم إلى ذلك أن اعتزلهم، فلم يكن منهم بأي اعتبار كان.

قال تعالى: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} إلى قوله: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ} فهذا هو تحقيق التوحيد، وبه تظهر مناسبة الآية للترجمة، حيث وصف خليله بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد، وقد أمرنا بالتأسي والاقتداء به، فقوله عن إبراهيم عليه السلام أنه لم يكن من المشركين أي أنه كان موحدا خالصا لله تبارك وتعالى فهو لم يكن من المشركين طرفة عين خالصا من شوائب الشرك مطلقا فنفى عن الخليل عليه السلام الشرك على ابلغ وجوه النفس بحيث لا ينسب إليه شرك وان قل.

وهذا فيه تكذيب لكفار قريش حين زعموا انهم على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام فقوله لم يكن من المشركين اي ان إبراهيم عليه السلام لم يشرك بالله تبارك وتعالى ولم يفعل اي نوع من أنواع الشرك كما أنه كذلك مبتعدا عن المشركين متبرئ منهم ولذلك كان إبراهيم عليه السلام كما ذكر المصنف في الآية عنه عليه السلام انه قال في تبراه (إنني براء مما تعبدون) فالتبرء هنا يكون من المعبودات من دون الله عز وجل ويكون كذلك تبرءاً من العابدين اللذين يتوجهون بالعبادة لغير الله تبارك وتعالى وقوله ولم يكن من المشركين في النفي يجوز حذف النون ويجوز إثباتها كما في قوله تبارك وتعالى في الآية الآخرى {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} قال الشارح رحمه الله: وقد أمرنا بالتأسي والإقتداء به، فقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}.وهذا فيه أن إبراهيم عليه السلام يجب علينا أن نقتدي به في هذا الأمر وهو البراءة من العابدين اللذين يعبدون غير الله تبارك وتعالى والبراءة كذلك من المعبودات من دون الله عز وجل.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن من شروط لا إله إلا الله البراءة من المشركين والسند إلى هذه الآية وغيرها من الآيات التي فيها بيان وجوب البراءة من الشرك والمشركين.

ثم قال الشارح " وقال المصنف _ يقصد به الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله_:

وقال المصنف: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين،معنى هذا أن إبراهيم عليه السلام كان أمة يقوم مقامها، قال: {قَانِتاً لِّلَّهِ} لا للملوك ولا للتجار المترفين. وهذا فيه كذلك تحقيق للتوحيد وإشارة إلى أن هذا القنوت إنما هو لله عز وجل وحده فهو قد حصر هذا القنوت وطول القيام وطول السجود وجميع العبادات التي يعملها إنما تكون لله عز وجل لا لغيره ، قال:{حَنِيفاً} لا يميل يمينا ولا شمالا كفعل العلماء المفتونين.: {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} خلافا لمن كثر سوادهم، وزعم أنه من المسلمين. انتهى كلامة رحمه الله.

وتلخص من هذه الآية أن الله عز وجل أمرنا بالإقتداء بإبراهيم الخليل عليه السلام بهذه الصفات التي هي صفات من حقق التوحيد وهي كونه أمة وهذا فيه إشارة إلى وجوب العمل بالعلم لأنه كما تقدم أن الله عز وجل لما أمرنا بالإقتداء بإبراهيم عليه السلام إنما كان ذلك لعمله بما يدعو إليه

والصفة الثانية وهو كونه قانتا لله تبارك وتعالى وهذا فيه تحقيق العبودية لله جل وعلا، وكذلك حنيفا مائلا عن الشرك مبتعدا عنه، وكذلك لم يكن من المشركين طرفة عين وكان متبرءا منهم ومن معبوداتهم التي عبدت من دون الله جل وعلا.

ونستفيد من قول الله جل وعلا: {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} في تبرء الخليل عليه السلام من اليهود والنصارى حيث زعموا بأن إبراهيم كان يهوديا او كان نصرانيا فكذبهم الله بذلك : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا) فكذبهم الله بذلك، فهو عليه السلام بريء من القول بأنه كان يهوديا أو يكون نصرانيا.

ثم أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قول الله عز وجل :{وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ}

قال الشارح رحمه الله: " وصف المؤمنين السابقين إلى الجنة فأثنى عليهم بهذه الصفات الحميدة، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} خائفون وجلون. {وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، ثم طبع على أعمالهم الصالحة بطابع الإخلاص، وهو السلامة من الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره، فقال: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ} لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه، ويعلمون أنه لا إله إلا هو الأحد الصمد، ومن كان كذلك فقد بلغ النهاية من تحقيق التوحيد، الموجب لدخول الجنة بغير حساب، ومن لا فلا، وذلك لأن الأعمال من حيث هي لا تصح مع الأكبر، فإن سلم من الأكبر فإن الأعمال لا تزكو ولا تنمو إلا بالسلامة من الأصغر"

وفي قول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله هذا فائدة مهمة متعلقة بشرح الآيات الواردة في كتاب التوحيد ذلك أنه ينبغي علينا دراسة السياق الذي وردت فيها هذه الآيات ولذلك نجد أن شراح كتاب التوحيد يهتمون في كثير من الأحيان بذكر سياق الآيات السابقة للآية التي اوردها الشيخ رحمه الله فهنا في هذه الآية ينبه الشارح الى أن هذه الآية جاءت في سياق مدح الله تبارك وتعالى للسابقين الى الجنة وأن الله عز وجل أثنى عليهم بصفات عديدة وصفات حميدة فمن هذه الصفات قوله عز وجل:

(إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) يعني خائفون وجلون (وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) اي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، ثم طبع على أعمالهم الصالحة بطابع الإخلاص والسلامة من الشرك قليله وكثيرة صغيره وكبيرة فقال: (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ).

إذا مقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في إيراده هذه الآية هو بيان أن من صفات من حقق التوحيد بل أعظم صفة لهم هو أنهم كانوا لا يشركون بالله تبارك وتعالى اي لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا هو الأحد الصمد ومن كان كذلك فقد بلغ النهاية من تحقيق التوحيد الموجب لدخول الجنة بغير حساب ومن لا فلا ثم قال : وذلك لأن الأعمال من حيث هي لا تصح مع الأكبر لأن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال فإن سلم من الأكبر فإن الأعمال لا تزكو ولا تنمو إلا بالسلامة من الأصغر

يعني من الشرك الأصغر فمن أشرك بالله عز وجل الشرك الأصغر فإنه على خطر ومعلوم أن من صفات من حقق التوحيد هو السلامة من الشرك الأكبر والشرك الأصغر كما تقدم معنا في أول هذا الدرس إذا أورد الشيخ رحمه الله هذه الآية لبيان شأن أولياء الله تبارك وتعالى مادحا إياهم واصفا إياهم بصفات عديدة أعظمها هو السلامة من الشرك.

وقوله: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ} هنا النفي اذا تسلط على الفعل المضارع فإنه يفيد العموم يعني لا يشركون بالله عز وجل شركاً أصغر ولا شركاً اكبر.

ثم أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حديث بن عباس رضي الله عنه، قال: " عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ فقلت: أنا ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: " لا رقية إلا من عين أو حمة ". قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي: هذا موسى وقومه ، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ". فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي: هذا موسى وقومه ، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ". وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال: " هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم. ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم ، قال: سبقك بها عكاشة ".

فالحديث هنا مجلس مذاكرة بين التابعين انتهى إلى نصوص وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل قد قدر هذه النصوص وأمروا بالعمل بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا الحديث من اجل أن فيه بيان بعض صفات من حقق التوحيد، فحصين بن عبد الرحمن كان عند سعيد بن جبير فقال أيكم راى الكوكب الذي انقض البارحة يعني سعيد بن جبير هو السائل، فقال حصين أنا ثم قال " أما اني لم اكن في صلاة ولكني لدغت"

في قوله " أيكم رأى الكوكب"

قال الشيخ الشارح : أي كوكبا رجم به تلك الليلة، والقائل هو سعيد بن جبير، والكوكب النجم، و "انقض" بالقاف والضاد أي سقط، "والبارحة" هي أقرب ليلة مضت، قال ثعلب وغيره يقال قبل الزوال: رأيت الليلة، وبعد الزوال: رأيت البارحة، وهي مشتقة من برح إذا زال، وفيه فضيلة السلف، وأن ما يرونه من الآيات السماوية لا يعدونه عادة، بل يعلمون أنه آية من آيات الله.

قال فقلت: أما إني لم أكن في صلاة قال الشارح :القائل هو حصين، خاف أن يظن الحاضرون أنه رأى الكوكب المنقض وهو يصلي، فنفى عن نفسه إيهام العبادة، وهذا يدل على حرص السلف على الإخلاص، وقوله "أما" بالتخفيف حرف استفهام بمنزلة ألا، فإذا وقعت "إن" بعدها كسرت، أو الهمزة للاستفهام، و "ما" اسم بمعنى شيء، أي ذلك الشيء حق، وعلى هذا تفتح أن بعدها، والأنسب هنا الأول. يعني ان تقول أما إني بكسر إن، قال ولكني لدغت ،بضم اللام وكسر الدال، يقال: لدغته العقرب وذوات السموم، تلدغه لدغا لسعته، أي أصابته بسمها، واللدغ واللسع واللسب بمعنى، أو اللسع بالناب واللدغ بالفم، يعني فأوجب لي اللدغ الاستيقاظ، لا أني كنت أصلي.

هنا يبرر كونه أنه قد سهر ولم يكن من عادتهم السهر في ذلك الوقت إلا من أجل الصلاة فكان يبين لهم أنه إنما سهر في ذلك الوقت ورأى هذا الكوكب الذي انقض في وقت متاخر من الليل لأنه قد لدغ وكان من شدة الألم لم يستطع النوم، قال فما صنعت ، قال: ارتقيت وفي لفظ مسلم: "استرقيت" أي طلبت من يرقيني.

قال فما حملك على ذلك، سأله عن مستنده في فعله، هل كان مقتديا أولا؟ ففيه طلب الحجة على صحة المذهب.وليس في هذا بأس ان يطلب الإنسان الدليل على ما يسمعه من العلماء فإن هذا أمر مرغوب فيه

قال فما حملك على ذلك قال حديث حدثناه الشعبي، يعني لماذا طلبت الرقية قال حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم يعني من جواز الرقية قال حدثنا عن بريدة بن الحصين أنه قال " لا رقية الا من عين او حمة " ، اي قال الشارح:

"أي لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة، وإنما خص العين والحمة لكونهما تصدران من أنفس خبيثة شريرة روحانية شيطانية، فالرقية بالقوى الرحمانية كالنفث والريق أولى وأشفى ما يدفع الإيماني الروحاني به هذين النوعين، ولا يمنع جواز الرقية من غيرهما من الأمراض؛ لأنه أمر بالرقية مطلقا،"

هنا يبين ان قوله لا رقية الا من عين او حمه أن المقصود من ذلك أنه لا رقية أكمل ولا انفع من كونها يرقى بها المعين الذي اصيب بالعين او الذي اصيب بالسم.

قال : " لأنه أمر بالرقية مطلقا وقد رقى صلى الله عليه وسلم ورقي، والعين هي إصابة العائن غيره بعينه إذا نظر إليه، عدوا كان العائن أو حاسدا أو غيرهما، فتؤثر فيه بإذن الله فيمرض بسببها، ومن أسباب العين أن يتعجب الشخص من الشيء يراه فتتبعه نفسه، فيتضرر ذلك الشيء منه، يقال: عانه يعينه فهو عائن، إذا أصابه بالعين، ويندفع شره بأسباب منها: التعوذ بالله من شره، والصبر عليه، وفراغ القلب

من الاشتغال به، والإحسان إليه مهما أمكن، والصدقة وتقوى الله والتوكل عليه، والإقبال إليه، ومعرفة أن الأسباب كلها بيده سبحانه."

وكذلك مما ينتفع به هو اخذ الاثر كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال و "الحمة" بضم الحاء وتخفيف الميم: الحية والعقرب وشبههما، أو السم أو الإبرة، وفي رواية: من الحية والعقرب. يعني انه لا رقية انفع ولا افضل من الرقية من العين التي تصيب الإنسان او السم الذي يحصل من العقرب او الحية فلا يفهم من قوله انه لا رقية الا من عين او حمه ان الرقية لا تكون الا في هذين الأمرين كما تقدم.

ثم قال: قد احسن ما انتهى الى ما سمع وهذه كلمة بديعة وجميلة فيها الثناء على من التزم بما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم وعمل بما جاء عنه عليه الصلاة والسلام

قال الشارح: " أي فعل الحسن من أخذ بما بلغه من العلم وعمل وبه، بخلاف من يعمل على جهل، أو لا يعمل بما يعلم، فذلك المسيء، وهذا الحديث رواه أحمد وابن ماجه عنه مرفوعا، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عمران بن حصين مرفوعا، ورجال أحمد ثقات، وأصله في الصحيحين،" قال: " وفيه فضيلة علم السلف، وحسن أدبهم، وتلطفهم في تبليغ العلم، وأن من عمل بما بلغه فقد أحسن، ولا يتوقف العلم به على معرفة كلام أهل المذاهب وغيرهم."

وهذا فيه بيان ان من بلغه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به فقد احسن ولا يلزم من هذا ان يعرف اقوال اصحاب المذاهب كما ذكر الشيخ رحمه الله

ثم استدرك فقال: ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد. "

فقوله ولكن حدثنا بن عباس هنا حصين ابن عبد الرحمن رضي الله عنه انتهى الى ما سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن اخبره سعيد بن الجبير عن درجة ارفع من تلك الدرجة وهي درجة التوكل، قال: " عرضت علي الأمم فرأيت قال الشارح: الله أعلم متى عرضت، وعرضها أن الله تبارك وتعالى أراه مثالها إذا جاءت الأنبياء ومن تبعهم يوم القيامة.

والعرض الذي جاء في النصوص الشرعية على نوعين عرض الخلائق على الله جل وعلى فلا يغيب احد وانما يعرضون على الله تبارك وتعالى والعرض الثاني وهو عرض الأعمال على الناس وهذا كذلك يكون يوم القيامة.

وقد اختلف اهل العلم متى كان هذا العرض وهو عرض الأمم على النبي صلى الله عليه وسلم

فالمصنف رحمه الله يرى أن هذا العرض بمعناه ان الله سبحانه وتعالى اراه مثالها اذا جاءت الأنبياء ومن تبعهم يوم القيامة

وهناك قول آخر لأهل العلم وهو ان هذا إنما كان في الإسراء لما اسري بالنبي صلى الله عليه سلم

وهناك قول اخر ان هذا العرض انما كان في المنام،

قال فرايت النبي ومعه الرهط وقال الشارح: والذي في صحيح مسلم "الرهيط" بالتصغير، والرهط بالسكون ويفتح، الجماعة دون العشرة جمعه أرهط وأرهاط، ولا واحد له من لفظه.

قال والنبي ومعه الرجل والرجلان :أي أتباعه الواحد والاثنان لقلة متبعه.

والنبي وليس معه احد: أي يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد، بل منهم من قتله قومه، فإن الناجي من الأمم هم القليل، ولكن هم السواد الأعظم، وإن كانوا أقل القليل، فإنهم الأعظمون قدرا عند الله وإن قلوا، فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة،

قال المصنف: ((وفيه ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة، وأن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها، والمراد أمة الإجابة لا أمة الدعوة)).

فقوله النبي معه الرجل والرجلان يقصد بذلك النبي عليه الصلاة والسلام ان من الأنبياء من ياتي يوم القيامة ومعه رجل واحد ومن الأنبياء الاخرين من ياتي ومعه رجلان فقط ونبي ثالث ياتي وليس معه احد وفي هذا ان الانبياء متفاوتون في عدد اتباعهم وان من الانبياء من لا يتبعه احد.

وهذا فيه رد على من يحتج بالكثرة ويزعم ان الحق محصور فيهم وليس كذلك فالواجب اتباع الكتاب والسنة مع من كان وانما كان.

وقوله اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي قال: السواد: ضد البياض، أي رفع لي أشخاص كثيرة، من بعد لا أدري من هم. وهذا فيه بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، قال فظننت انهم امتي وذلك لكثرتهم، وإنما ظن ذلك لما أوحي إليه وأطلع عليه من كثرة أمته، ولم يعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأشخاص التي ترى من بعد لا يدرك منها إلا الصورة.

فقيل لي هذا موسى وقومه فنظرت فإذا سواد عظيم وقوله موسى وقومه هو موسى بن عمران كليم الرحمن. وقومه: أتباعه على دينه من بني إسرائيل، ففيه فضيلة أتباعه منهم، وأنهم كثيرون جدا، بل هم أكثر الأمم تابعا لنبيها بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} أي في زمانهم، وذلك أن في زمانهم وقبله ممن كفر خلقا لا يحصون كحزب جالوت وبختنصر وغيرهم. وما تقدم فيه رفع استشكال ذكره بعض اهل اعلم وهو كونه عليه الصلاة والسلام لم يعرف امته حتى ظن انهم امة موسى عليه السلام وقد ثبت في الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قيل له كيف تعرف من لم ترى من امتك قال " انهم غر محجلون من اثر الوضوء"

والجواب عن هذا الإستشكال هو ما ذكره الشارح رحمه الله بأن الأشخاص التي رآها في الافق لا يدرك منها الا الكم من غير تمييز لأعيانهم وأما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه فإنه محمول على ما إذا قربوا منه.

وقد ذكر هذا الحافظ ابن حجر رحمه الله.

وقوله فنظرت فإذا سواد عظيم قال:وفي رواية: "قد سد الأفق". وفي صحيح مسلم: " ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق ". وهذا يدل على كثرة أمة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أنهم أكثر من أمة موسى عليه السلام فقيل لي هذه امتكم معهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب"

قال الشارح: اي لتحقيقهم التوحيد، وفيه فضيلة هذه الأمة وأنهم أكثر الأمم تابعا لنبيهم صلى الله عليه وسلم، وقد كثروا في عهد الصحابة -رضي الله عنهم- وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، فملؤوا القرى والأمصار والقفار، وكثر فيهم العلم، وما زالوا على السنة في القرون الثلاثة المفضلة. وقد قلوا في آخر الزمان حقيقة لا دعوى، لا سيما وقد كثرت فيهم عبادة غير الله، واستحلال كثير من المحرمات، قال المصنف: وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية والكمية الكثرة والعدد، والكيفية فضيلتهم في صفاتهم،

وفي رواية: " ويدخل الجنة من هؤلاء من أمتك سبعون ألفا ". وفي رواية: " تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ". وأخرج أحمد والبيهقي وغيرهما: " فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفا ". قال الحافظ: ((وسنده جيد)) .

ولمسلم: " مع كل واحد منهم سبعون ألفا "

وهذا هو الشاهد من إيراد المصنف رحمه الله لهذا الحديث في هذا الباب وهو باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب. فقوله عليه الصلاة والسلام أن هؤلاء السواد اللذين رآهم هم أمته عليه الصلاة والسلام ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، المقصود انهم لا يحاسبون يوم القيامة ولا يعذبون وهذا العذاب شامل لنوعي العذاب [عذاب القبر – عذاب النار].

وهم لا يعذبون في البرزخ وكذلك لا يعذبون يوم القيامة وهو المقصود بقوله عليه الصلاة والسلام ومعهم سبعون الفا اي انهم معهم على الحقيقة او أن المقصود بالمعية هنا معية معنوية ذهب الحافظ بن حجر رحمه الله الى ان المقصود بالمعية هنا معية معنوية فقوله هؤلاء امتك او هذه امتك ومعهم سبعون الفا يعني من غيرهم ولم يكونوا من جملة هؤلاء السواد لانهم لم يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ولأنه أراد الزيادة في تكثير امته بإضافة السبعين الفا اليهم.

واعترض على هذا بعض اهل العلم ومنهم الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه على كتاب التوحيد كتاب التيسير وقال " وما قاله ليس بظاهر فإن في رواية ابن فضيل ويدخل الجنة منهم عليه من امتك سبعون الفا "

وعلى كل فإن هؤلاء اللذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم في الحقيقه قله من أمة النبي صلى الله عليه وسلم والسبعون الفا جاء في بعض الروايات التي ذكرها الشيخ وهي أنه مع كل الف سبعون الفا وهو مع هذا لا يتعدى الخمسة ملايين في جملة أمة النبي صلى الله عليه وسلم كلها مما يدل على أن الذين حققوا التوحيد هم قلة من أمته عليه الصلاة والسلام _ نسأل الله عز وجل أن نكون منهم_

بعد أن قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول نهض ودخل منزله قال الشارح: أي قام من مجلسه الذي حدثهم فيه بهذا الحديث، فدخل منزله أي داره، وله تسعة أبيات بحجرها من جريد مشورة بمسوح الشعرعن يسار المصلي، قبل أن يزاد المسجد، ثم أدخلت فيه بعد ذلك.

قال فخاض الناس في اولئك يعني تباحثوا وتناظروا وإختلفوا في من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فذكروا بعض الأعمال التي ظنوها اعمالا تصلح أن يكون أصحابها هم اللذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. وهذا فيه جواز الإجتهاد فيما لا يعلم دليله ولكن لا يجزم بالصواب القول الذي يقوله الإنسان.

وقال المصنف يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : ((وفيه عمق علم السلف؛ لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل. وفيه حرصهم على الخير)) .

قال فخاض الناس في اولئك يعني تكلموا وتناظروا فقال بعضهم فلعلهم اللذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم فلعلهم اللذين وردوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء. وهنا ذكروا بعض الأعمال التي ظنوها من الأعمال التي تكون سببا في دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب وذكروا من أجل هذه الأعمال انهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لان هؤلاء هم افضل الخلق بعد الرسل لا كان ولا يكون مثلهم وقال بعضهم " فلعلهم اللذين وردوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا" وهذا كذلك ظنوها مزية على من ورد في الجاهلية وهو كذلك وقد يكون من ادركته الجاهلية افضل كما في حديث " خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" وكما وقع لعمر وخالد رضي الله عنهما وغيرهما.

قال :" وذكروا اشياء " يعني غير ذلك فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما حصل من التناظر والتفاوض الذي كانوا عليه في من هؤلاء اللذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال صلى الله عليه وسلم مبينا هؤلاء قال " هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ".

قال "هم الذين لا يسترقون"

قال الشارح اي لا يطلبون من يرقيهم استسلاما للقضاء وتلذذا بالبلاء، وهكذا ثبت في الصحيحين، وفي رواية لمسلم: "ولا يرقون" وقد حكم اهل العلم على هذه الرواية ولا يرقون بأنها وهم من الراوي وان النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا يرقون"، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقى فقال: " من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل ". وقال: " لا بأس بالرقى إذا لم تكن شركا ". وقد رقى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، ورقى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وقد ذكر الشارح:والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مستعطف ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن، وإنما المراد وصف السبعين ألفا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم. أم حمزة:

وقد ذكر بعض العلماء انهم لا يسترقون لعدة امور الامر الأول هو لقوة اعتمادهم على الله عز وجل والثاني لعزة نفسوهم عن التذلل لغير الله تبارك وتعالى ، والثالث لما فيه من التعلق بغير الله جل وعلى يعني ان الرقية طلب الرقية يكون فيها تعلق بغير الله عز وجل فالطالب للرقية يكون في قلبه ميل للراقي كما هو مشاهد عند كثير من عامة الناس يتعلق قلبه بالرقاة ويبحث عنهم كثيرا وهذا كما هو معلوم هناك في كمال التوكل على الله عز وجل ثم قال: ولا يكتوون يعني لا يسألون غيرهم أن يكويهم، كما لا

يسألون غيرهم أن يرقيهم، وقوله: "ولا يكتوون" أعم من أن يسألوا ذلك أو يفعل بهم باختيارهم، والكي في نفسه جائز،والكي ذكر بن القيم رحمه الله كما نقل الشارح انه قد تضمنت احاديث الكي اربعة انواع احدها فعله يعني فعل النبي صلى الله عليه وسلم والثاني عدم محبته يعني الكرهه له والثالث الثناء على من تركه والرابع النهي عنها قال بن القيم ولا تعارض بينها فإن فعله له يدل على جوازه وعدم محبته لا يدل على المنع منه وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه اولى وأفضل وأكمل اي في تحقيق التوحيد فكان النبي صلى الله عليه وسلم قال: هم اللذين اخلصوا اعمالهم وتركوا ما لا بأس به حذرا مما به بأس وأما النهي عنه فعلى سبيل الإختيار والكراهه على من تركهما توكلا لا تجلدا ولا تصبرا فهو من كمال تحقيق التوحيد ومن تركهما تجلدا وتصبرا لم يكن تركه من التوحيد في شىء فضلا على أن يكون من تحقيقه قوله: فمن تركهما توكلا لا تجلدا ولا تصبرا فهو من كمال تحقيق التوحيد، ومن تركهما تجلدا وتصبرا لم يكن تركه من التوحيد في شيء فضلا عن أن يكون من تحقيقه. يعني أن المقياس في ذلك هو وجود التوكل فإذا توكل على الله تبارك وتعالى وتصبر فإنه يكون هنا من هؤلاء اللذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أما مجرد التصبر والتجلد دون وجود التوكل على الله عز وجل حق توكله فإن هذا لا يكون ممدوحا ولا يكون من تمام تحقيق التوحيد ثم قال المصنف رحمه الله.

ثم قال عند قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتطيرون أي لا يتشاءمون بالطير ونحوها. ويأتي بيان الطيرة في بابها إن شاء الله تعالى لأن المصنف رحمه الله عقد بابا متعلقا في الطيره قال باب ما جاء في الطيره.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ربهم يتوكلون قال الشارح اي تركوا الشرك رأسا ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها، وتركوا الكي وإن كان يراد للشفاء، والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله، وتفويض أمورهم إليه، وثقتهم به، ورضاهم عنه، وصدق الالتجاء إليه، وإنزال حوائجهم به سبحانه وتعالى، والاعتماد بالقلب الذي هو نهاية تحقيق التوحيد، وهو الأصل الجامع الذي تفرعت عنه تلك الأفعال والخصال، وعطفه على تلك من عطف العام على الخاص؛ لأن كل واحدة منها صفة خاصة من التوكل وهو أعم من ذلك، ومقصد ذلك أن قوله وعلى ربهم يتوكلون يدخل فيه كل ما سبق فإن هذا الأمر وهو قوله وعلى ربهم يتوكلون هو نهاية تحقيق التوحيد والذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضا به ربا والاها والرضا بقضائه ونحو ذلك ثم قال الشارح والحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلا، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلا على الله كالاكتواء والاسترقاء، وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه، فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعا؛ لما في الصحيحين: " ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله ". وأخرج أحمد " يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد، قالوا: ما هو؟ قال: الهرم" "

قال ابن القيم: ((وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع والعطش، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب، وتعطيلها يقدح في التوكل، فلا يجعل العبد عجزه توكلا، ولا توكله عجزا)) .

وهو يشير هنا الى الرد على المتصوفه وغيرهم اللذين يعطلون الأسباب وهذا الحديث لا يدل على تعطيل الأسباب كما أوضح الشارح رحمه الله

وهنا سؤال هل هذه الأشياء التي وردت في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على ان من لم يتصف بها فهو مذموم؟ والجواب ان الكمال قد فاته الا بالنسبة للتطير فانه لا يجوز ذلك لانه ضرر وليس له حقيقة اصلا كما ياتي معنا باذن الله وقد نبه على هذا الشيخ بن عثيمين رحمه الله ثم ذكر قصة عكاشه وقوله : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم. ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم ، قال: سبقك بها عكاشة ".

وقوله سبقك بها عكاشه اي قال ذلك سدا للذريعه لئلا يتتابع الناس فيسال من ليس اهلا فيرد فيعرفه الحاضرون وقوله عليه الصلاة والسلام سبقك بها عكاشه ولم يقل عليه الصلاة والسلام لست منهم او لست على اخلاقهم ونحو ذلك وهذا تلطفا بالصحابي عليه الصلاة والسلام وفيه حسن الأدب معهم

وقال القرطبي لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشه فلذلك لم يجب اذ لو اجابه لجاز ان يطلب ذلك كل من كان حاضرا فيتسلسل الأمر فسد الأمر بقول ذلك وهذا اولى من قوله من قال كان منافقا لوجهين الوجه الأول هو ان الأصل في الصحابة عدم النفاق فلا يثبت ما يخالف ذلك الا بنقل صحيح والثاني انه قل ان يصدر مثله على السؤال الا عن اصل صحيح ويقين بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف يصدر ذلك من منافق وفي الختام نسال الله تبارك وتعالى ان نكون ممن حقق التوحيد وان نكون ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب

والله اعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

المحاضرة الرابعة

بِسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ونحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أمّا بعد

حياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء الرابع والذي نتدارس فيه كتاب حاشية كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، من تأليف الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله.

واليوم معنا إن شاء الله **باب الخوف من الشرك**

وقد عقد المصنف هذا الباب ليبيين أهمية ما سيأتي ذكره من أنواع الشرك الصغير والكبير ليتعلمه العبد المسلم ويبتعد عنه.

و أسباب الخوف من الشرك ممكن أن نحصرها في عددٍ من الأمور:

- الأمر الأول أن الله عز وجل لا يغفر للمشرك: وذلك أنه من أعظم الذنوب على الإطلاق.

- الأمر الثاني هو لكثرة أهل الباطل لا سيما في هذا الزمان الذين سوّغوا الشرك ودافعوا عنه.

- الأمر الثالث وهو لكثرة من وقع فيه حتى إن بعض الناس اتخذ هذا الشرك ديناً يتدين به لله تبارك وتعالى فيلتجئُ للصالحين ويدعوهم من دون الله عز وجل ويصرف لهم أنواعا من العبادات.

- الأمر الرابع أن النبي ﷺ خافه علينا.

- الأمر الخامس هو للعقوبة العظيمة التي أخبر بها النبي ﷺ وهي أن المشرك بالله عز وجل خالدٌ مخلد في نار جهنم

- الأمر السادس لأن الأنبياء خافوه ومنهم الخليل عليه الصلاة والسلام، بل إن النبي ﷺ خافه علي أصحابه وقد استعاذ النبي ﷺ من هذا الشرك فقال "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم "

- الأمر السابع أن من خاف من الشرك سلِمَ بإذن الله من الوقوع فيه وصح توحيده وحققه كما في آخر حديث أورده الشيخ _رحمه الله_ فإنه ذكر فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم " من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار " واكتفى النبي ﷺ بذكر نفي الشرك هنا عن ذكر التوحيد، ذلك لأن نفي الشرك يستلزمُ إثبات التوحيد وتحقيقه.

- الأمر الثامن وهو لأن منه ما هو خفي يقع فيه العبد من حيث لا يشعر ولذلك كان ينبغي الخوف من هذا الشرك إذا كان هذا حاله وهو خفاؤه على الناس، بل خفاؤه على أصحاب النبي ﷺ كما سيأتي معنا بإذن الله.

هذه هي أسباب الخوف من الشرك وهي المستخلصة من الأحاديث والآيات التي أوردها الشيخ رحمه الله في هذا الباب وعند التأمل كذلك في كلام الشارح رحمه الله عند شرحه هذا الباب.

والمصنف رحمه الله كما تقدم أراد أن يُبين أهمية ما سيأتي من ذكر أنواع الشرك الأصغر والأكبر وأراد كذلك أن يرشدنا إلى أن من الخطأ ما يظنه البعض من السلامة للأمة من أن تقع في الشرك، وزعم البعض أن الشرك قد زال وانتهي وهنا بيَّن أن هذا الامر باطل وأن الشرك لازال يقع في كثير ممن ينتسبُ الي هذه الأمة وأنه يجب علينا أن نحذره أشد الحذر.

قال الشارح رحمه الله عند قول المصنف: **باب الخوف من الشرك**

" أي باب وجوب الخوف من الشرك وتحتُّمه والتحذير منه وبيان ما يتعلق به من الخسران الأبدي والعذاب السرمدي.

وخاف الشيء: فزع منه واتقى ضدَّ أمن .

لما ذكر التوحيد وفضله وتحقيقه ناسب أن يذكر الخوف من ضدِه وهو الشرك ليحذره المؤمن ويخافُه على نفسه.

قال حذيفة رضي الله عنه " كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن أقع فيه "

وفِي الحديث "مَن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه " فيحذر المؤمن زوال تلك النعمة. وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من قول " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " قيل له " يا رسول الله وَإِنَّ القلوب لتتقلب ؟" قال " إن قلوب العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فإن شاء سبحانه أقامها على دينه وإن شاء أزاغها "

وحقيقة الخوف من الشرك صدق الالتجاء الى الله والاعتماد عليه والابتهال والتضرع إليه والبحث والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه ليسلم من الوقوع فيه.

في هذا الكلام الذي ذكره الشارح رحمه الله فيه

- أولا حكم الخوف: وصرَّح هنا بوجوب الخوف من الشرك وكذلك ذكر ما يتعلق بتعلم الشرك ومعرفته لأنك لا يمكن أن تتقي شيئا الا بعد معرفته وبعد العلم به.

- وبيَّن رحمه الله ما يتعلق بعاقبة هذا الشرك وهو العذاب السرمدي يوم القيامة .

- وعرّف الخوف بأنه خاف الشيء أي فزع منه، واتقى ضد أمن.

- ثم بيَّن المناسبة وهي تقدمت معنا.

لما ذكر التوحيد وفضله وتحقيقه ناسب أن يذكر الخوف من ضده وهو الشرك ليحذره المؤمن ويخافه على نفسه ثم استدل بحديث حذيفة رضي الله عنه وهو مناسب هنا جدا في بيان الخوف من الشرك وأن

حذيفة رضي الله عنه كان يسأل عن الشر مخافة الوقوع فيه واستدل بحديث "من أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه " فيحذر المؤمن زوال تلك النعمة. وكان ﷺ يكثر من قول " يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك " قيل له يا رسول الله وإن القلوب لتتقلب قال : "إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فإن شاء سبحانه أقامها علي دينه وإن شاء أزاغها "

وهذا كذلك فيه بيان أن مادام أن القلوب متقلبة وأن الله عز وجل يتصرف بها فإنه يجب علي العبد أن يحذر الوقوع في الشرك وأن يخافه أشد الخوف.

- ثم بيَّن حقيقة الخوف من الشرك قال : وهو صدق الالتجاء الي الله والاعتماد عليه. والابتهال والتضرع اليه والبحث والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه يسلم من الوقوع فيه

وهذا حق فإن معرفة الشرك أمر متحتم وواجب كما تقدم معنا فالعبد يلتجئ الى الله عز وجل ويعتمد عليه ويبتهل ويتضرع اليه من أجل أن يسلمه من الشرك الذي وقع فيه كثير من الناس

قال : " والبحث والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه يسلم من الوقوع فيه " هذا فيه حكم تعلم الشرك وهو أمر واجب متحتم

وأما من يزعم أنه يريد أن يحقق التوحيد دون معرفة الشرك فإنه مبطل. ذلك لأن عمر رضي الله عنه قال : " إنما تنقضُ عُرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية ".

قال شيخ الاسلام رحمه الله: " وهو كما قال عمر رضي الله عنه، فإن كمال الاسلام هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله. ومن نشأ في المعروف فلم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من عَلِمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم ولهذا يوجد خبيرٌ بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه وجهاد له ما ليس عند غيره ولهذا كان الصحابةُ أعظم إيمانا وجهاداً ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر بما علموه من حسن حال الايمان والعمل الصالح وقبح حال الكفر والمعاصي " انتهى كلامه رحمه الله.

وفي هذا بيان لأهمية معرفة الشرك ولذلك الشيخ رحمه الله عقد عدَّةِ أبواب في هذا الكتاب متعلقة بالشرك الأصغر وبالشرك الأكبر.

ثم ننبه أن قول المصنف رحمه الله: باب الخوف من الشرك، إلى أن المقصود من الشرك هنا هو الشرك الأكبر والشرك الأصغر، المصنف رحمه الله أراد أن يُبين أن هذا الخوف متعلق بكِلا النوعين؛ فيخاف العبد من الوقوع في الشرك الأكبر كما يخاف كذلك من الوقوع في الأصغر وذلك لأن المصنف رحمه الله عقد هذا الباب وأورد بعض النصوص التي فيها ذكر الشرك الأصغر وكذلك ذكر فيها الشرك الأكبر.

وتنبيه آخر متعلق بما ذكره الشيخ رحمه الله قوله وفِي الحديث من " أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه" ورفع هذا إلي النبي ﷺ لم يرد وإنما جاء هذا الأثر عن سفيان الثوري رحمه الله، وذكره ابن وضاح في كتابه البدع.

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب " رحمه الله وقول الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ}

قال الشارح رحمه الله " أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به أي عادل غيره به فيما يختص به سبحانه، وسارقٌ خالصَ حقه لغيره ومشبه المخلوق العاجز بمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه وإذا كان من مات على الشرك لا يغفر له وجب علي العبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا. شأنه عند الله. ومع كونه أعظم الذنوب عند الله سبحانه ولا يغفر لمن لقيه به فهو هضم للربوبية وتنقص للألوهية وسوء ظن برب العالمين. "

وفِي هذا بيان سبب إيراد المصنف رحمه الله لهذه الآية في هذا الباب فهو يبيّن أن الشرك لا يغفره الله عز وجل أبداً، ولذلك كان على العبد أن يخاف من الوقوع فيه. وإذا كان هذا الشرك في هذه المنزلة فإن هذا يتحتم علي العبد أن يخاف من ربه عز وجل.

قال " لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به أي عادلٌ غيره به فيما يختص به سبحانه وسارق خالص حقه لغيره " قول المصنف أي عادل غيره به معني العدول هنا الانصراف والعزوف عن الشيء قال وصارف خالص حقه لغيره ومشبه المخلوق العاجز بمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه: هذا فيه أن المشرك في توحيد الالوهية هو في حقيقة الأمر مشبه للخالق بالمخلوق ومشبه المخلوق بالخالق تعالى الله عز وجل علوا كبيرا، فمن صرف العبادة لغير الله تبارك وتعالى فإنه هنا شبه المخلوق العاجز بالخالق. تبارك وتعالى الذي له الكمال المطلق من كل الوجوه لأن هذه العبادات لا تكون الا للخالق جل وعلا فإذا صرفها يكون هنا قد شبه المخلوق الضعيف الذي لا يستحق هذه العبادة بالخالق تبارك وتعالى وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا شبيها بمن له الحمد كله وله الخلق كله وله الملك كله واليه يرجع الامر كله بيده الخير كله وأزمَّة الأمور كلها بيده سبحانه وتعالى، ومرجعُها اليه وما شاء كان وما لم يشاء لم يكن لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

فأقبح التشبيه هو تشبيه العبد العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات، ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة له وحده وتعظيمه وإجلاله والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرةً أن يكون لله وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرةً أن يكون لغيره،

فمن فعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ندّ له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله.

وهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يغفرها مع أنه كتب علي نفسه الرحمة. هذا معني كلام الامام ابن القيم رحمه الله نقله الشيخ سليمان بن قاسم رحمه الله في كتابه التيسير.

ثم قال الشارح رحمه الله وإذا كان من مات علي الشرك لا يغفر له وجب علي العبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله وقد تقدم أن هذا هو سبب إيراد المصنف رحمه الله هذه الآية في هذا الباب.

قال " مع كونه أعظم الذنوب عند الله سبحانه ولا يغفر لمن لقيه به فهو هضمٌ للربوبية وتنقص للألوهية وسوء ظن برب العالمين،" وإنما كان الشرك هضما للربوبية ذلك لأنه عظَّم من لا يستحق التعظيم ولأن

توحيد الالوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فمن عبد الله عز وجل وحده لا شريك له فإنه يدخل ضمنه اعتقاده بأن الله عز وجل هو الخالق وهو الرازق وهو المدبر وهو المحيي وهو المميت وهو الذي بيده ملك كل شيء وهو النافع وهو الضار. فإذا صرف العبادة لغير الله تبارك وتعالى فإن هذا بلا شك يكون هضما لجناب الربوبية وأما كونه تنقصا للألوهية وذلك لأنه عبد غير الله عز وجل وتوجه بالعبادة لمن لا يستحقها، وكذلك كونها شركا سوء ظن بالله تبارك وتعالى وذلك أن المشرك يظن بالله عز وجل غير الحق وغير الظن الحسن ولو أحسن الظن بالله تبارك وتعالى لوحَّده حق توحيده ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروا الله حق قدره وكيف يقدرُه حق قدره من جعل له عدلا وندا يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته؟ فإن هذا بلا شك أنه قد أساء الظن بالله تبارك وتعالى.

وقد ذكر هذا ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان عند قول الله عز وجل { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } يعني ما دون الشرك. قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله " أي يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده " وفي الصحيح أنه ﷺ أعطي ثلاثا منها وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات أما التي أُعطيها صلي الله عليه وسلم هذه الامور الثلاث وهي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة و هذا الامر الذي ذكره الشيخ في الحديث وهو في صحيح مسلم "غفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات " والمقحمات بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء معناه الذنوب العظام وهي الكبائر التي تهلك صاحبها وتورده الي النار وتُقحمه إياها، فإن التقحم هو الوقوع في المهالك.

والمقصد من هذا أن النبي صلي الله عليه وسلم أخبر أن من لم يشرك بالله تبارك وتعالي شيئا فإن الله عز وجل يغفر له هذه الكبائر وذهب بعض العلماء الى أن المراد بغفرانها أي أنه لا يخلد في النار.

ويحتمل أن يكون المراد بعض أمة النبي ﷺ ممن أراد الله عز وجل أن يعفو عنه وأن يغفر له هذه الكبائر. فإن مذهب أهل الجماعة في أصحاب الكبائر في الدنيا أنه لا يسلب عنه مطلق الايمان وإنما يقال مؤمن فاسق وأما في الآخرة فإنه تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء عذَّبه وإن شاء عفى عنه كما في هذه الآية { ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء }

قال الشارح " ففيه فضل السلامة من الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره فتبين بهذه الآية ونحوها أن الشرك أعظم الذنوب لأن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه، وأما ما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة إن شاء غفر لمن لقيه به وإن شاء عذبه. ولا يجوز أن يحمل قوله (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) على التائب، فإن التائب من الشرك مغفور له بنص القرآن. وفي الآية رد علي الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بتخليد أصحاب الكبائر في النار"

ومراد هذا الكلام أن الشرك لا يغفره الله تبارك وتعالى فهو ليس داخلا تحت مشيئته جل وعلا وإنما الداخل تحت مشيئته تبارك وتعالى هي الكبائر إن شاء الله عز وجل غفر لأصحابها وإن شاء عذبهم وذلك لأن الله عز وجل جعل مغفرة ما دون الشرك معلقةً بالمشيئة.

قال الشارح :ولا يجوز أن يحمل قوله (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) علي التائب فإن التائب من الشرك مغفورٌ له بنص القران ثم إن التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره فإذا تاب من الشرك وتاب من الكبائر فإن الله عز وجل يغفر له كما قال تبارك وتعالى

{۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} وهنا عمم وأطلق لان المراد به التائب وأما الآية التي معنا {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ} وهنا خَصَّ وعلق بأن المراد به من لم يتب ليست هذه الآية {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ} أنه في التائب لان التائب من الذنب كما لا ذنب.

كما قال الشارح وفي الآية رد علي الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بتخليد أصحاب الكبائر في النار مذهب الخوارج والمعتزلة في أصحاب الكبائر أنهم يعتقدون أن صاحب الكبيرة خرج من الإيمان عند الخوارج أن مرتكب الكبيرة كفر ويصرّحون بكفره وأما المعتزلة فيزعمون أنه في منزله بين المنزلتين ويقصدون بالمنزلتين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر وهو خرج من الايمان لكن لم يدخل في الكفر بل بقي في منزلة ثالثه بين تلك المنزلتين وأما الحكم الأخروي فإن الخوارج والمعتزلة متفقون علي أن صاحب الكبيرة خالدون مخلد في نار جهنم ووجه الرد علي الخوارج والمعتزلة أن الله عز وجل ذكر أنه يغفر ما دون الشرك وما دون الشرك هو الكبائر والصغائر

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله :وقال الخليل عليه السلام { واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام }

قال الشارح رحمه الله: والخُلة أخص من المحبة ولهذا اختص بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

ويأتي قوله ":فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ، قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا "

فالخلة أعلى منزلة من المحبة، والخُلة تمنع الشرك فلا شرك في الخلة بخلاف المحبة قد تكون فيه مشاركة وأما ما ينتشر من حديث النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال " إبراهيم خليل الله وأنا حبيب الله " فهذا لا يثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم، فالثابت عنه عليه الصلاة والسلام أنه خليل الله كما أن إبراهيم عليه السلام كذلك خليل الله، وسيأتي إن شاء الله كما أشار الشارح شرح هذا الحديث بإذن الله أن الله قد اتخذني خَلِيلا في باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده.

قال الشارح في قوله تعالى:{ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ } أي اجعلني وبني في حيّز وجانب عن عبادة الأصنام وباعد بيننا وبينها، وهذا مما يخيف العبد فإذا كان الخليل عليه السلام إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده وابتلي بكلمات فأتمهن. وقد كسر الأصنام بيده يخاف أن يقع في الشرك فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب، بل أولى بالخوف منه وعدم الأمن بالوقوع فيه،

قال إبراهيم التيمي رحمه الله :ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة فبنيت المساجد والمشاهد علي القبور وغيرها فصُرفت لها العبادات بأنواعها وأشبهوا ما وقع في الجاهلية وأعظم واتخذوا ذلك دينا وهي أوثان وأصنام.

في هذا الجزء من كلام الشارح رحمه الله بيان لسبب إيراد المصنف هذه الآية في هذا الباب وذلك أن إبراهيم الخليل عليه السلام دعي ربه تبارك وتعالى أن يجنبه عبادة الاصنام وأن يباعد بينه وبينها وهذا مما يخيف العبد كما قال الشارح، وذلك لان إبراهيم عليه السلام له المنزلة العظيمة عند الله تبارك وتعالى، فهو إمام الحنفاء، وهو الأمة، وهو الذي كسر الأصنام بيده، وهو الذي جادل المشركين وأقام عليهم الحجج البيّنات في عدم استحقاق تلك المعبودات للعبادة وأنها حق واجب لله تبارك وتعالى وحده لا

شريك له. فإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام خاف من هذا الأمر فإن أولى من يخاف من هذا هو من يأتي بعده ولذلك قال إبراهيم التيمي " ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم..." .

ثم ذكر الشارح رحمه الله أن كثيرا من الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة قد وقعوا في هذا الشرك كما هو مشاهد وواقع عند كثير ممن ينتسب الي العلم وهم ليسُ بعلماء بل إنهم شابهوا أهل الجاهلية الذين عبدوا غير الله تبارك وتعالى واتخذوا دينا غير ما أمرهم الله عز وجل به.

ثم قال الشارح و" هي أوثان وأصنام فإن الصنم ما كان مصورا على أي صورة، والوثن ما عبد مما ليس له صورة الحجر والابنية وقد يسمي الصنم وثنا كما قال الخليل: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}

فالأصنام أوثان كما. أن القبور بالنص أوثان، فالوثن أعم، وقال بعض العلماء كل ما عُبد من دون الله بل كل ما يشغل عن الله يقال له صنم.

وقد بين الخليل عليه السلام هذا الفرق بين الصنم والوثن فإن الصنم ما كان منحوتا علي صورة البشر أو علي صورة الحيوانات ونحوها أما الوثن ما عُبد من دون الله عز وجل مما ليس له صورة فيدخل في الوثن الأحجار والاشجار والأبنية وكذلك القبور وهذا الإطلاق هو الأشهر في الفرق بين الصنم والوثن.
ولكن قد يسمي الصنم وثنا كما ذكر الشارح وكما نقل عن الخليل عليه السلام.
{إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}]

ثم قال الشارح " فالأصنام أوثان كما أن القبور بالنص أوثان، فالوثن أعم ويقصد المؤلف بالنص قول النبي صلي الله عليه وسلم "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد " وعلى هذا يكون الوثن أعم لأنه يشمل ما صوّر على صورة وما لم يصوّر على صورة _ قال _ وقال بعض العلماء كل ما عبد من دون الله بل كل ما يشغل عن الله يقال له صنم"

فنَعَم، كل ما عبد من دون الله يطلق عليه بأنه صنم لكن قوله بل كل ما يشغل عن الله يقال له صنم هذا ذكره بعض العلماء لاسيما من اللغويين وقولهم في هذا محل نظر وحملهم علي ذلك انهم قالوا أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يخاف من عبادة تلك الأوثان التي كان يعبدها قومه وكأنه الخليل عليه السلام قال اجنبني عن الاشتغال بما يصرفني عنك

فقولهم مبني علي نفي الخوف عن إبراهيم عليه السلام ولذلك كان الخليل قد قال هذا القول {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ} لا لأن إبراهيم كان يخافه _ وهذا محل نظر_ كما تقدم معنا أن هذا القول من إبراهيم عليه السلام إنما هو خوف من عبادة تلك الأوثان التي كان يعبدها قومه لان القلوب _ قلوب العباد_ بين أصبعين من أصابع الرحمن كما تقدم معنا.

ثم قال الشارح " وقد بيَّن الخليل عليه السلام السبب الذي أوجب الخوف من ذلك من قوله : {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ} فإذا عرف الانسان ذلك أوجب له الخوف أن لا يقع فيما وقع فيه الكثير ولا يأمن الوقوع فيه إلا جاهل به وبما يخلص منه من العلم بالله وبما بعث به رسوله صلي الله عليه وسلم من توحيده والنهي عن الشرك به."

الشاهد من هذه الآية واضح هو أن الخليل عليه السلام طلب ربه ودعاه بأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام وهذا فيه خوف إبراهيم عليه السلام من عبادة غير الله تبارك وتعالي وقد ورد دعاء إبراهيم عليه السلام بين جمله من الادعية التي. دعاها إبراهيم وكان أولها هذا الدعاء فاجتناب عبادة الأصنام في الدعاء أهم من غيره من الادعية. ثم إن إبراهيم عليه السلام في قوله { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ} أراد بذلك بنيه وبناته من صلبه لكنه لم يذكر البنات لدخولهم تبعا للبنين وقد استجاب الله عز وجل دعاء إبراهيم الخليل وجعل بنيه أنبياء وجنبهم عبادة الاصنام.

وعلي كلٍ فإن هذا يوجب من القلب الحيّ أن يخاف من الشرك لا كما يقول الجهال إن الشرك لا يقع في هذه الأمة ولهذا أمنوا الشرك ووقعوا فيه هذا كلام الشيخ سليمان في التيسير.

ثم أورد الشيخ حديث النبي صلي الله عليه وسلم قال وفِي الحديث " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " فسُئل عنه فقال الرياء.

قال الشارح رحمه الله: يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه.

أي أشدَّ خوف أخافه عليكم. وهذا من شفقته ﷺ علي أمته ورأفته ورحمته بهم فلا خير إلا دلهم عليه ولا شر إلا حذرهم منه

وهذا حديث أورده المصنف مختصرا غير معزو وقد رواه. أحمد . والطبراني والبيهقي بأسانيد جيده أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لصحابته "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال " الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم :اذهبوا إلى الذين كُنتُم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء "

ابتدأ الشارح بذكر روايةٍ عن النبي صلي الله عليه وسلم في التحذير من هذا الشرك قال " يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجلٍ إليه " وقد جاء في بعض الأحاديث إن النبي صلي الله عليه وسلم قال للناس " إياكم وشرك السرائر" قالوا يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال " يقوم الرجل فيزين صلاته لما يري من نظر الرجل" وهو حديث حسن

ذكر الشارح رحمه الله بعض الروايات التي تدل على أن الشرك وهو الرياء

ثم قال الشارح والشرك قسمان أكبر وأصغر وبينهما فرق في الحكم والحد

- فالأكبر أن يسوي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله كالمحبة، وحكمه أنه لا يغفر لصاحبه أبداً إلا بتوبة وأنه يحبط جميع الاعمال وأن صاحبه خالد مخلد في النار.

والأصغر هو ما أُتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، وحكمه أنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم " إن الله لا يغفر أن يشرك به " وأنه يحبط العمل التي قارنه ولم يُوجب التخليد في النار و لا ينقل عن الملة ويدخل تحته الموازنة إن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة وإلا دخل النار.

وهنا في هذا الكلام يُبين لنا الشارح رحمه الله قسمي الشرك بالله عز وجل شرك الالوهية وأنه على قسمين وذكر الفرق بينهما.

ويحسن بِنَا أن نذكر أقسام الشرك عموما الذي ذكره المصنف هو ما يتعلق في الشرك في الالوهية وأما الشرك عموماً فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث تعلقه بأنواع التوحيد

الشرك من حيث تعلقه بأنواع التوحيد علي ثلاثة أقسام :

1- القسم الأول وهو الشرك في الربوبية: وهو على نوعين:

- النوع الأول هو شرك التعطيل: وهو أقبح أنواع الشرك ويقصد بذلك إنكار الرب تبارك وتعالى؛ تعطيل الله عن الوجود، مثال ذلك شرك فرعون لما قال { وما رب العالمين } ومن هذا شرك أهل وحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين الذين يقولون بأن كل ما في الوجود هو الله _ تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا_.

- النوع الثاني من الشرك في الربوبية هو شرك من جعل معه إلٰهاً آخر ولَم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذي يجعلونه أنه ثالث ثلاثة وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة، ويدخل في هذا عُبَّاد القبور الذين يزعمون أن لأصحاب القبور تصرف في الخلق وأنهم يقضون الحاجات ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم ونحو ذلك من الامور التي لا تكون إلا لله تبارك وتعالى.

2- القسم الثاني وهو الشرك في توحيد الأسماء الصفات: وهو كذلك على نوعين:

- النوع الأول وهو تشبيه الخالق بالمخلوق، مثل من يقول يدُ الله عز وجل كيدي، وسمعه كسمعي وبصره كبصري، هذا هو شرك الممثلة أو المشبهة.

- النوع الثاني من هذا الشرك هو اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء لله الحق كما قال الله عز وجل { ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه }

ويلحدون في أسمائه كما قال ابن عباس يعني يشركون.

3- القسم الثالث وهو الشرك في توحيد الألوهية أو في توحيد العبادة وهو الذي ذكره المصنف رحمه الله هنا معنا وهو الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

- الشرك الأكبر أن يجعل لله عز وجل ندّا يدعوه كما يدعو الله و يسأله الشفاعة كما يسأل الله ويصرف إليه العبادة.

وبالجملة فإن الشرك الأكبر هو أن يجعل لله عز وجل ندا يعبده كما يعبد الله.

- وأما النوع الثاني وهو الشرك الأصغر مثل يسير الرياء والتصنع للمخلوق.

وكلا النوعين من أنواع الشرك في الألوهية قد اهتم به المصنف اهتماما بالغا في كتابه كتاب التوحيد وذكر نماذج عديدة من أنواع الشرك الأكبر ومن أنواع الشرك الأصغر كما سوف تدرسونه في هذا الكتاب بإذن الله.

وذكر الشارح رحمه الله عدة فوارق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، ومن أهم هذه الفوارق أن صاحب الشرك الأكبر يخرج من الملة إن كان مسلما وأشرك بالله عز وجل شركا أكبر يخرج من الملة

بخلاف صاحب الشرك الأصغر فإنه لا يخرج من الملة، هذا فيما يتعلق من أمور الدنيا وأما ما يتعلق في الحكم الأخروي فإن صاحب الشرك الأكبر خالد مخلد في نار جهنم وأما صاحب الشرك الأصغر فإنه لايخلد فيها.

ولكن هاهنا مسألة ذكرها الشارح رحمه الله في ما يتعلق في حكم صاحب الشرك الأصغر هل يغفر الله عز وجل له أولا ؟

تقدم معنا في الآيات السابقة { إن الله لا يغفر أن يشرك به } وقد اختلف العلماء في هذا الشرك هل هو على إطلاقه بحيث إن الله عز وجل لا يغفر للمشرك أي شرك كان سواء كان أصغر أو أكبر أو أن المقصود من ذلك هو الشرك الأكبر.

وقال الشارح " وحكمه أنه لا يغفر لصاحبه إلا بتوبة لعموم { إن الله لا يغفر أن يشرك به } وأنه يحبط العمل الذي قرنه.

وقد استدل الشارح رحمه الله وغيره من أهل العلم بعموم هذه الآية { إن الله لا يغفر أن يشرك به)

وعلى كل فإن كلا القولين أصحابهما متفقان علي أن المشرك شرك أصغر لا يخلد في نار جهنم لكن الخلاف في هذه الآية { إن الله لا يغفر أن يشرك به } هل يدخل فيه صاحب الشرك الأصغر كما يكون في صاحب الشرك الأكبر أو أن هذا من قبيل العموم المراد به الخصوص الذي هو الشرك الأكبر.

وذهب إلى أن هذه الآية علي عمومها وتشمل الشرك الأصغر والشرك الأكبر غير واحد من أهل العلم منهم شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم والامام المجدد محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من أهل العلم.

وقول الشارح " وأنه يحبط العمل الذي قرنه."

وهذا حق في أنه اذا عمل العبد عملا وكان هذا العمل مرادا به غير الله تبارك وتعالى مثل السمعة والرياء فإن هذا العمل يكون لغير الله فيحبط هذا العمل الذي قرنه ولا يحبط جميع أعماله كمن يصلي وزيَّن صلاته من أجل الناس فإن هذا العمل لا يكون خالصا لله تبارك وتعالي بل دخله الشرك الأصغر الذي هو الرياء فهذه الصلاة لا تكون مقبولة عند الله تبارك وتعالى.

قال " ولا يوجب التخليد في النار ولا ينقل عن الملة، ويدخل تحت الموازنة إن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة وإلا النار."

ويقصد بالموازنة :هو وضع حسناته ووضع سيئاته في الميزان. يوم القيامة.

وإذا كان ﷺ يخافه على أصحابه الذين وحدوا الله ورغبوا إلى ما أمروا به وهاجروا وجاهدوا وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم فكيف لا يخافه وما فوقه من لا يدانيهم ومن لا نسبة له إليهم في علم ولا عمل،
خصوصاً إذا عرف أن أكثر الناس اليوم بل كثير من علماء الأمصار لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقرَّ به المشركون، لم يعرفوا معني الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله ويقولون من قالها فهو مسلم وإن فعل ما فعل.

فينبغي للإنسان أن يحذر كل الحذر ويخاف أن يقع في الأكبر إذا كان الأصغر مخوفاً على الصالحين وهو وجه إيراده له مع أن الترجمة تشمل النوعين.

وقد أخبر صلي الله عليه وسلم عن أمته بوقوع الشرك وقد عمت به البلوى في أكثر الأقطار حتى اتخذوه دينا مع ظهور البراهين في النهي عنه والتخويف منه.

وفيه أن الرياء من الشرك وأنه من الأصغر وأنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين

هنا في قول الشارح رحمه الله خصوصا إذا عرف أن أكثر الناس الْيَوْمَ بل من علماء الأمصار لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقرّ به المشركون؛ يقصد توحيد الربوبية فإن هؤلاء يزعمون أن معني لا إله الا الله يعني لا خالق الا الله ولا رازق الا الله ولا مدبر الا الله من معاني الربوبية، وهذا يقر به المشركون لم يعرّفوا معني الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله ويزعمون أن كل من قال هذه الكلمة يعني لا إله الا الله فهو مسلم وإن فعل ما فعل وإن أشرك بالله عز وجل .

قال " فينبغي للإنسان أن يحذر كل الحذر ويخاف أن يقع في الأكبر إذا كان الاصغر مخوفاً علي الصالحين " ويقصد بذلك بالصالحين الصحابة لأن النبي ﷺ خافه علي أصحابه.

قال ووجه إيراده له مع أن الترجمة تشمل النوعين _ ويقصد بالنوعين الشرك الاصغر والشرك الأكبر_ وقد أخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أمته بوقوع الشرك كما قال النبي صلي الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتي تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة "وغيرها من النصوص..

"وقد عمت به البلوى" وهذا استدلال بالواقع فإن الواقع الشاهد على وجود هذا الشرك في هذه الأمة.

قال " في أكثر الأقطار حتي اتخذوه دينا مع ظهور البراهين في النهي عنه والتخويف منه " قال " وفيه _يعني في هذا الحديث _ أن الرياء من الشرك وأنه من الاصغر وأنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين."

ثم أورد الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب حديث ابن مسعود رضي الله عنه وهو قوله عليه الصلاة والسلام. "من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار " رواه البخاري

وهذا تقدم معنا في أحد أسباب الخوف من الشرك وهو أن صاحب الشرك خالد مخلد في نار جهنم.

قال الشارح " هذا حديث فيه أيضا التحذير من الشرك والتخويف منه، من جعل لله ندا في العبادة يدعوه ويسأله ويستغيث به نبياً كان أو غيره دخل النار."

قال ابن القيم :

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذَا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أيـاً ... كان من حجر ومن إنســان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافــه ... ويــحــبــه كمحبة الــديــان.

والندُّ: المثل والشبيه يقال: فلان ند فلان ونديده أي مثله وشبيهه.

واتخاذ الند على قسمين:

- أن يجعل لله شريكا في أنواع العبادة أو بعضها فهذا شرك أكبر.
- والثاني ما كان من نوع الشرك الاصغر كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكيسير الرياء. قال الشيخ: " وكبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر وحبه لما يبغضه الله حتى يقدم هواه علي محبة الله شرك أصغر "

هنا في قول النبي صلي الله عليه وسلم "من مات وهو يدعوا لله نداً دخل النار" وجه إيراد هذا الحديث في هذه الترجمة ظاهر و بيّن وهو أن الشرك بالله تبارك وتعالى يوجب الخلود في النار وهذا يقتضي خوف العبد من أن يشرك بالله تبارك وتعالي شيئا.

ثم ذكر الشارح أن الند على قسمين وهذا فيه أن التنديد منه ما هو أكبر _تنديد أكبر_ ومنه ما هو تنديد أصغر.

يعني من يجعل لله عز وجل مثلا وشبيها ومعبودا يصرف إليه أنواع العبادة هذا شرك أكبر.

وهناك ما يكون شرك أصغر كقول الرجل ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكَيَسِير الرياء وهذه جعل لها المصنف رحمه الله أبواباً سوف تأتي معنا بإذن الله.

وذكر الشارح عن الامام محمد بن عبد الوهاب أنه كـ " بخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر يعني أنه يقدم محبوبه على محبوب الله تبارك وتعالى

قال " وحبه لما يبغضه الله حتى يقدم هواه علي محبة الله شرك أصغر يعني من أنواع الشرك الأصغر. والندُ جاء في كتاب الله عز وجل مثل قوله (﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) وقال (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) ومن السنة كما يأتي معنا إن شاء الله أن رجلاً قال للنبي صلي الله عليه وسلم " ما شاء الله وشئت." فقال عليه الصلاة والسلام "أجعلتني لله نداً بل قل ما شاء الله وحده "

ثم أورد المصنف الحديث الأخير في هذا الباب وهو حديث جابرٍ رضي الله عنه

قال: ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال"من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار".

قال الشارح :من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة أي من مات ولَم يتخذ مع الله شريكا في الإلهية ولا في الخلق ولا في العبادة دخل الجنة.

فيه فضيلة السلامة منه يعني من الشرك منه حديث أبي ذَر ""أتاني جِبْرِيل فبشرني من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة "" قلت :وإن زنى وإن سرق قال "وإن زنى وإن سرق "وفِي الرابعة قال "على رغم أنف أبي ذَر "ودخول من مات غير مشرك الجنة مقطوع به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخلها أولاً، وإلا فهو تحت المشيئة فإن عفا عنه دخلها أولاً وإلا عذب ثم خرج من النار وأُدخل الجنة.

معني هذا أن صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه

قال" ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار"

قال الشارح : فإذا كان التغليظ في النهي عن الشرك بهذه الشدة فينبغي شدة الخوف منه هذا هو وجه إيراد المصنف رحمه الله لحديث جابر في هذا الباب وهو العقوبة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه وذكرها عنه نبيه ﷺ في سنته من الخلود في النار .

قال " وقوله :شيئا، نكرة تعم قليل الشرك وكثيره، أما الأكبر فلا عمل معه البتة ويوجب الخلود في النار ولا فرق بين الكافر عنادا وغيره ولا بين من انتسب إلى ملة الإسلام أو خالفها. ومن المعلوم بالضرورة من الدين المجمع عليه عند أهل السنة أن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلد في النار أبد الآباد، وأن من مات لا يشرك بالله شيئا يدخل الجنة وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحن.

وأما الشرك الأصغر كيسير الرياء وقول الرجل ما شاء الله وشئت ومالي إلا الله وأنت ونحو ذلك فيطلق عليه الشرك كما في حديث "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " ونحو ذلك ولكن لا يخرج بذلك من الملة بالكلِّية ولا يستحق اسم الكفر علي الإطلاق فهو أخف من الأكبر وقد يكون أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

واقتصر علي نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم فالمراد من مات حال كونه مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به إجمالاً في الإجمالي وتفصيلا في التفصيلي.

وفيه قرب الجنة والنار والجمع بين قربهما في حديث واحد متقارب في الصورة.

هذا الكلام بيان الفرق بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر وقد تقدم ذكره وسيأتي إن شاء الله كما تقدم ذكر بعض أصناف الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

وهنا ذكر الشارح أن صاحب الشرك الأصغر لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق فهو أخفُ من الأكبر قال " وقد يكون أكبر بحسب حال قائله ومقصده." يعني أن بعض أنواع الشرك الأصغر قد يصل للشرك الأكبر؛ مثال ذلك: إذا حلف بغير الله فإنه يكون مشركا شرك أصغر وهو الشرك اللفظي _الشرك اللساني_ لكن حين أُنضمَّ لذلك كونه يقدس هذا الرجل ويعتقد فيه ما يعتقد في الله تبارك وتعالى من استحقاق العبادة فإنه في هذه الحالة يكون مشركا شرك أكبر.

قال " واقتصر علي نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء " يعني أنه لما ذكر في الحديث أن من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار يقصد أنه هنا ذكر الشرك دون ذكر التوحيد فإن هذا الذكر ذكر؛ الشرك يستدعي ذكر التوحيد.

وقوله بالاقتضاء وهو ما يدل عليه صريح اللفظ أو معناه المتبادر منه، فإن نفي الشريك يقتضي وجود التوحيد ووجود التوحيد يقتضي نفي الشريك.

وقوله واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم يقصد بذلك شهادة أن محمدا رسول الله فإن من وحَّد الله عز وجل فإنه يلزم من ذلك وجوب شهادته ان محمدا رسول الله

والفرق هنا بين الاقتضاء واللزوم هو ما تقدم أن الاقتضاء هو ما يدل عليه صريح اللفظي أو معناه المتبادر منه وأما اللزوم هنا فهو ما يفيده معنى اللفظ لزوما من غير نص عليه وهنا لم ينص على شهادة أن محمدا رسول الله لكنها تستلزم هذه الشهادة فلا يمكن للعبد ان يكون موحدا مخلصا عابدا لله تبارك وتعالي بالمعني التفصيلي إلا بمعرفة أن محمدا رسول الله

قال " فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الإيمان به إجمالاً في الاجمالي وتفصيلا في التفصيلي. وفيه قرب الجنة والنار والجمع بين قربهما في حديث واحد متقارب في الصورة " ويقصد بذلك أن الله عز وجل في الجنة والنار في حديث واحد.

هذا والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا من يهده الله فلا مضِلّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

حيّاكم الله أيّها الإخوة في هذا اللقاء الخامس من توحيد الألوهية والذي نتدارس فيه حاشية كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من تأليف الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله.

والباب الذي معنا اليوم هو قول المصنِّف رحمه الله تعالى:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله:

لمّا فرغ المصنِّف رحمه الله من بيان التوحيد وفضائله الواردة في الكتاب والسّنة إنتقل بعد ذلك الى ما يتعلّق بالدعوة الى الله عزّ وجل، فإنّ من علِم لابد أن يعمل ثمّ بعد هذا العمل يدعو النّاس إلى ما بصره الله عزّ وجل به من التوحيد و إفراد الله عزّ وجل بالعبادة. ولا يكون العبد مؤهلا بالدعوة الى الله عزّ وجل إلاّ بعد أن يتعلّم التوحيد، ولا ينبغي له أن يقتصِر على نفسه في هذا العلم فلا يُعلِم النّاس ولا يبصِّرهم لا سيما مع وقوع الشرك بالله عزّ وجل المناقض للتوحيد.

وفي هذه الترجمة أيّها الإخوة تنبيه على أنّه لا ينبغي لمن عرف الحق أن يقتصر على نفسه كما يظنّ الجهّال ويقولون: اعمل بالحق وأترك الناس وما يعنيك من النّاس. بل يدعو الى الله عزّ وجل بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهذا هو شأن المرسلين وأتباعهم إلى يوم الدّين كما نبّه إلى ذلك الشيخ سليمان رحمه الله في كتابه التيسير.

ومن المعلوم أنّ النّاس في حاجة ماسّة الى العلماء والى طلاّب العلم الذين يُبصرونهم بأمور دينهم؛ ومن أولى ما يُبصّر به النّاس هو توحيد الله عزّ وجل وهذا هو مقياس الداعية النّاجح والداعية المتبع للأنبياء و المرسلين، هل يتبع الأنبياء والمرسلين في دعوتهم الى الله عزّ وجل؛ فإنّ أولى وأوّل ما دعى اليه الأنبياء والمرسلون هو الدعوة الى توحيد الله عزّ وجل، الدعوة الى إفراد الله تبارك و تعالى بالعبادة كما تقدّم معنا مِرارا { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ }

ولذلك قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الأصول الثلاثة قال " إعلم رحمك الله أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل: الأولى العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيّه ومعرفة دين الإسلام بالأدلّة، الثانية العمل به، الثالثة الدعوة اليه، الرابعة الصبر على الأذى فيه؛ والدليل قول الله تعالى: بسم الله

الرحمن الرحيم :{وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)} قال الشافعي رحمه الله تعالى : " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلاّ هذه السورة لكفتهم " وقال البخاري رحمه الله تعالى:" باب العلم قبل القول والعمل. والدليل قوله تعالى { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ }

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل"

إذن، من تعلّم فإنّه يجب عليه أن يعمل بهذا العلم الذي عِلمه ثمّ يجب عليه أن يدعو النّاس الى الله تبارك وتعالى على بصيرة وعلى علم كما في سورة العصر وهي السورة السابق ذكرها وهي قوله تبارك وتعالى{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فالذين آمنوا هم الذين تعلّموا، هم الذين علموا وعملوا الصالحات، هذا عمل بالعلم

الذي تعلّموه { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ } وهذا هو الدعوة { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } حين يكون في الدعوة أذى من النّاس يصبِر.

هذا هو كما تقدّم سبيل الأنبياء والمرسلين.

إذن قول المصنّف رحمه الله في هذا الباب "باب الدعاء إلى شهادة أن لا اله الاّ الله" يُقصد منه الدعوة إلى شهادة أن لا اله الاّ الله؛ ومقصود الباب هو أنّي سأورد بعض النصوص التي تدلّ على وجوب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وعلى فضلها وأنّها أوّل ما يجب على العباد أن يدعوا النّاس إليه

وهذا هو مقياس الدعوة الناجحة والدعوة الصالحة، الدعوة إلى الحق، وقد فاز بذلك أهل السنة والجماعة حيث إنّهم أوْلَوا أمر التوحيد غاية الأهمية ولذلك كانوا يُبصِّرون النّاس ولا زالوا بأمر التوحيد ويُبيّنون لهم خطورة الشرك وأنّه أوّل ما يجب على العباد أن يفعلوه، وكلّ من أغفل أمر التوحيد وابتدأ بغيره مع شدّة حاجة النّاس إلى هذا الأمر فإنّ دعوته تكون مخالفة لدعوة الأنبياء والمرسلين وقد انتهج طريقا غير طريق النبيّ صلى الله عليه وسلّم وغير طريق صحابته الكرام رضي الله عنهم ، قال الشيخ عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله " لمّا ذكر المصنف التوحيد وفضله وتحقيقه وما يوجب الخوف من ضدّه نبّه بهذه الترجمة على أنّه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه ، فإنّ الرجل إذا علِم وجب عليه العمل وإذا علم وعمل وجبت عليه الدعوة إلى الله حتى يكون من ورثة الأنبياء وعلى طريقهم وطريق أتباعهم،

قال الحسن لمّا تلى { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ } قال " هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبّ أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا النّاس إلى ما أجاب من دعوته وعمِل صالحا في إجابته؛ قال إنّني من المسلمين، هذا خليفة الله"

" والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى توحيده والإيمان به وبما جاءت به رسله وذلك يتضمن الدعوة إلى أركان الإسلام وأصول الإيمان والإحسان، بل الأمر بما أمر به والنّهي عمّا نهى عنه ولا تتم إلاّ بذلك.

وأوّل ما يبدأ به الدعوةَ الدعوةُ إلى التوحيد الذي هو معنى الشهادة كما كان شأن المرسلين وأتباعهم كالمصنّف رحمه الله ، وكلّ واحد من الأمّة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره "

هنا يبيّن الشارح رحمه الله في مطلع هذا الكلام سبب عقد المصنّف رحمه الله لهذا الباب بعد ما سبق من تلك الأبواب. ونحن كما تعلمون نحرص كثيرا على ذكر مناسبة الباب لكتاب التوحيد ومناسبة الباب للأبواب السابقة وكذلك مناسبة ما يورده الشيخ رحمه الله من النصوص من كتاب الله ومن سنّة النبيّ صلى الله عليه وسلّم تحت هذه الأبواب حتى يتبيّن العلاقة بين النصوص، وبين الباب وبين وما قبله، وبين الباب وكتاب التوحيد ، وهذا لمن اطّلع على شروح كتاب التوحيد يجد أن الشرّاح يهتمون بهذا كثيرا.

ثمّ تحدّث الشارح رحمه الله عن وجوب العلم ووجوب العمل ثمّ الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

قال" حتى يكون من ورثة الأنبياء وعلى طريقهم وطريق أتباعهم فإنّ هذا الطريق الذي سُلِك هو طريق الأنبياء والمرسلين وهو الدعوة إلى الله عزّ وجل ، لكن لا تكون هذه الدعوة قائمة وصحيحة إلاّ إذا كانت موافقة لدعوة الأنبياء والمرسلين. وأوّل ما يجب على الداعية أن يكون على علم وعلى بصيرة فيما يدعو النّاس إليه، فلابد من العلم. أمّا مجرّد الدعوة إلى الله عزّ و جل بلا علم فإنّ هذه طريقة مخالفة لطريقة الأنبياء والمرسلين مخالفة لهدي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومخالفة لمنهج أهل السنّة والجماعة"

لا يجوز لأحد أن يدعوَ النّاس إلاّ مع وجود العلم فإذا كان صاحب علم وعنده علم فإنّه هنا يدعو النّاس إلى الله تبارك وتعالى ، ثمّ ذكر أثرا عن الحسن رحمه الله لمّا تلا قوله تعالى { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ } قال " هذا حبيب الله هذا وليّ الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحبّ أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا النّاس إلى ما أجاب الله فيه من دعوة وعمل صالحا في إجابته ، وقال { إنّني من المسلمين} هذا خليفة الله"

ومقصود الحسن رحمه الله هنا هو بيان منزلة الداعية إلى الله تبارك وتعالى وأنّه مقرّب إلى الله جلّ وعلا سالك طريقة الأنبياء والمرسلين ولأنّه قد أجاب الله عزّ و جل فيما أمر به من الدعوة إليه جلّ و علا.

وأنبِّه إلى أنّ قوله رحمه الله " { وقال إنّني من المسلمين } هذا خليفة الله " هذه الكلمة و هي كلمة خليفة الله الصواب أنّه لا يجوز قولها فإنّه لا ينبغي لأحد أن يكون خليفة عن الله تبارك وتعالى؛ لأنّ هذا يوهم مالا يليق في حق الله تبارك وتعالى، والمعنى الذي لا يليق في حق الله عزّ و جل هنا عندما يُقال خليفة الله هو غياب الله، تعالى الله عزّ و جل عن ذلك علوا كبيرا ، فإذا قيل خليفة الله فإنّ الخليفة هو الذي يخلُف من غاب عنّا.

ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله " والمقصود هنا أنّ الله لا يخلفه غيره فإنّ الخلافة إنّما تكون عن غائب وهو سبحانه شهيد مدّبر للخلق لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره، وهو سبحانه خالق الأسباب و المسبّبات جميعا " إلى آخر كلامه رحمه الله.

وعلى كلّ إن ثبت هذا عن الحسن فإنّ فيه ما فيه مما تقدّم قوله.

قال الشارح رحمه الله وهو يعرف الدعوة إلى الله عز وجل، قال " هي الدعوة إلى توحيده والإيمان به وبما جاءت به رسله، وذلك يتضمن الدّعوة إلى أركان الإسلام وأصول الإيمان والإحسان، بل الأمر بما أمر به والنهي عما نهى عنه، ولا تتم إلا بذلك "

فالدعوة إلى الله عز وجل تشمل جميع الشرائع التي جاء بها النبيّ ﷺ، وأول ما يدخل فيها الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ولهذا قال الشارح " وأوّل ما يبدأ به الدعوةُ إلى التوحيد الذي هو معنى الشهادة كما كان شأن المرسلين وأتباعهم كالمصنّف رحمه الله "

يبين رحمه الله أن الانبياء والمرسلين وأتباعهم على الحق صاروا على الدعوة إلى طريق الله تبارك وتعالى وكلهم ابتدأ دعوته إلى توحيد الله .

قال كالمصنف رحمه الله ويقصد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فإن من قرأ سيرته ومصنفاته يجد أنه أولى هذا الجانب غاية الأهمية، فقدم الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى على كل دعوة ذلك إلى حاجة الناس إلى هذا.

فيبدأ الداعية كما تقدم في دعوته إلى توحيد الله عز وجل وذلك لأنه لا تصح الأعمال إلا بهذا التوحيد، فإذا صلح التوحيد صلح ما بعده وإذا لم يصلح التوحيد فإن ما بعده لا يصلح. فإن الأصل هو توحيد الله تبارك وتعالى.

فيكون اول ما يجب على العباد هو توحيد الله عز وجل وهو أول ما يدعى إليه الناس كما تقدم معنا.

ثم قال " وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه اذا لم يقم به غيره "

وهذا فيه الحكم إلى الدعوة إلى الله عز وجل وأن حكمها فرض عين إذا لم يقم به غيره ،فإذا قام به غيره يكون الحكم هنا به فرض كفاية وليس بفرض عين.

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقول الله تعالى { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ } الآية.

وتلاحظ في هذه الآية ذكر الدعوة وذكر الإخلاص فهنا قال { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ } فقوله "أدعو" هذا فيه الدعوة ،وقوله "إلى الله" هذا فيه شهادة أن لا إله إلا الله، وقوله " على بصيرة " يعني على علم.

قال الشارح رحمه الله " يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله واخلاص العبادة لله وحده طريقتي و دعوتي ومسلكي الى الله وحده لا شريك له ،لا إلى حظٍّ ولا الى رئاسة. بل إلى الله على بصيرة بذلك ويقين

وبرهان وعلم مني به، أنا ومن اتبعني، أي يدعو إليه على بصيرة أيضا من اتبعني وصدقني وآمن بي. والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل .

وهى الخصيصة التي اختص بها الصحابة رضوان الله عليهم على سائر الامة ،وهي أعلى درجات العلماء.

"وسبحان الله" وهذه تكملة الآية، أي: أعظم الله وأنزِّهُه وأقدسه وأبجله عن أن يكون له شريك في ملكه أو نظير أو نديد، تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا.

وما أنا من المشركين في الاعتقاد والعمل والمسكن، لست منهم ولا هم مني، بأي نسبة كانوا بحيث لا يعد منهم بوجه من الوجوه؛ إن نظر في الاجتماعات فليس منهم وإن جلسوا في المجالس فليس منهم وان خرجوا في المحافل فليس منهم ....فليس منهم في أي حال من الأحوال.

وفيه وجوب الهجرة وهو معلوم في الكتاب والسنة والإجماع. وبذلك يظهر وجه المطابقة بين الآيات والترجمة.

والنصوص في الدعوة إلى الله كثيرة كقوله { ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ} وقوله { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} وهى واجبة على من اتبعه أن يدعو إلى الله كما دعا إليه.

ففي هذه الآية يأمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول هذه المقالة { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي} وقوله هذه فيها إشارة إلى أمر موجود، فمنهج النبي صلى الله عليه وسلم وطريقته موجودة .

والسبيل هو الطريقة والمسلك، {قل هذه سبيلي}،ما هو سبيله ؟ الدعوة إلى الله عز وجل. وتكون هذه الدعوة على بصيرة أي على علم.

{ قل هذه سبيلي} أي طريقتي ومنهجي الذي يسلكه وهو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وتضمن هذا الدعوة إلى توحيد الله عز وجل والدعوة إلى الإخلاص له جل وعلا وحده.

فمن سلك مسلك النبي صلى الله عليه وسلم ودعا الناس إلى الله عز وجل ودعاهم الى التوحيد والإخلاص له جل وعلا فقد اتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقته.

" وقد قال الشارح لا إلى حظ ولا رئاسة بل إلى الله، إذن الدعوة هذه تكون خالصة لله تبارك وتعالى وتكون دعوة إلى وجوب الإخلاص لله جل وعلا.

وقوله {على بصيرة} أي على بصيرة بذلك ويقين وبرهان وعلم مني به.

إذن لا تكون الدعوة صحيحة كما تقدم معنا الا إذا كانت دعوة على بصيرة ودعوة على علم.

وقوله {أنا ومن اتبعني} معنى ذلك وأتباعي أيضاً يدعون الناس على بصيرة، وهذا فيه أن من يدعو على غير بصيرة فهذا لا يكون من أتباعه عليه الصلاة والسلام على الحقيقة.

قال أي ويدعو إليه على بصيرة أيضا من اتبعني وصدّقني وآمن بي.

ثم عرف البصيرة بأنها المعرفة التي يُميّز بها بين الحق والباطل وهى الخصّيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة وهى أعلى درجات العلماء.

وكل من سلك طريقة الانبياء والصحابة فإنه داخل في مضمون هذه الآية وهى قوله { ومن اتبعني }.

لكن أولى من يدخل في هذا هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وتتمة الآية وهى قوله { وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }،هذا فيه تنزيه لله عز وجل وتعظيمه وتقديسه عن أن يكون له شريك في ملكه أو نظير أو نديد.

الشريك في الملك: هذا متعلق بالشرك في الربوبية

والشريك في النظير: يعني المساوي، وهذا فيه شرك في الأسماء والصفات

أو نديد: والمقصود به المعبود الذى يعبد من دون الله تبارك وتعالى وهذا فيه شرك في الألوهية.

وهنا قوله { وَسُبْحَانَ اللَّهِ } هذا فيه تنزيه الله عز وجل عن الشرك في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات تعالى الله عز وجل وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وما أنا من المشركين يعني في الاعتقاد والعمل والمسكن، يعني أني لست من المشركين في اعتقاداتهم، لا اعتقد ما يعتقدونه ولا أعمل مثل عملهم ولا أجامعهم ولا أساكنهم، لست منهم ولا هم مني.

وهذا فيه البراءة من المشركين والبراءة من أعمالهم.

قال " بأي نسبة كانوا بحيث لا يعد منهم بوجه من الوجوه، إن نُظر في الاجتماعات فليس منهم، وإن جلسوا في المجالس فليس منهم، وإن خرجوا في المحافل فليس منهم. فليس منهم في أي حال من الأحوال "

قال " وفيه وجوب الهجرة " يعني هجرة المشركين ومساكنة المشركين.

ولذلك قال " وهو معلوم في الكتاب والسنة والإجماع وبذلك يظهر وجه المطابقة بين الآيات والترجمة والنصوص إلى الدعوة إلى الله كثيرة كقوله { ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ } وقوله { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} وهى واجبة على من اتبعه أن يدعو إلى الله كما دعا إليه وبذلك تكون هذه الآية مطابقة للترجمة في أن سبيل النبي صلى الله عليه وسلم و سبيل صحابته الكرام ومن اتبعهم هوالدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة.

وفى قوله { وسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} عدة فوائد ذكرها بعض أهل العلم منها:

أن الشرك بالله تبارك وتعالى مسبّة له؛ وذلك من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله عز وجل عن المسَبَّة. وذلك بقوله سبحان الله أنزهه و أقدسه وما أنا من المشركين. فمن أقبح الشرك كونه مسبة لله عز وجل.

وقوله وما أنا من المشركين بمعنى أنه لا يصير معهم، ولو لم يشرك، فإنه لا يخالط المشركين كما نبه على ذلك أهل العلم.

ثم ذكر الشارح كلاما لابن القيم رحمه الله وتقسيما لمراتب الدعوة، قال " وذكر ابن القيم أن مراتب الدعوة ثلاثة أقسام: وذلك بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالبا للحق محبا له مؤثرا له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلا بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معاندا معارضا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن. "

هذه مراتب الدعوة إلى الله عز وجل وتبين من خلالها أنك عندما تدعو الناس فإنك تنظر الى حال المدعوين، فقد تحتاج إلى الحكمة دون الموعظة والجدال، وقد تحتاج إلى الموعظة والجدال، وقد يكون مشتغلا بضد ذلك وإذا عرف الحق فإنه لا يتبعه فإنه يحتاج معه إلى الجلاد كما قال المصنف رحمه الله والمقصود به القتال، فإن قتال الكفار المعاندين المعارضين هو من سبيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وأما المجادل والمعاند فإن الجهاد شرع في حقه.

ثم قال " ولا بد في الدعوة إلى الله من شرطين: أن تكون خالصة لوجه الله، وأن تكون على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون الداعي عارفا بما يدعو إليه، فإن أخل بالأول كان مشركا، وإن أخل بالثاني كان مبتدعا."

- وهذا فيه أن الدعوة إلى الله عز وجل عبادة وكل عبادة لابد فيها من توافر شرطين؛ الشرط الأول وهو الإخلاص لله عز وجل. والشرط الثاني أن تكون وفق سنة النبي ﷺ.

قال " إن أخل بالأول"

ويقصد به أن تكون خالصة لله عز وجلّ_ هذا هو الشرط الأول_ إن أخل به فكان مقصده رئاسة أو كان مقصده شيئا من امور الدنيا فإنه هنا يكون مشركاً

وقال " إن أخلَّ بالثاني "

وهي ما يتعلق بالمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم كان مبتدعاً

" وقال الشيخ: يحتاج إلى شروط كما في الحديث، ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيها فيما يأمر به، فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه، فالفقه قبل الأمر: ليعرف المعروف فيأمر به، ويعرف المنكر فينكره، والرفق عند الأمر: ليسلك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود، والحلم بعد الأمر: ليصبر على أذى المأمور المنهي."

فقوله رحمه الله : "قال الشيخ" يقصد بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية " يحتاج الي شروط كما في الحديث (ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهي عن المنكر) إلى آخره ذكر هذا الحديث القاضي أبو يعلي كما نقله شيخ الاسلام عنه قال في نص كلامه " كما جاء في بعض الأثر عن بعض السلف وروره مرفوعا، ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد // لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلى آخره// "

ثم قال الشارح :و قال المصنف _يقصد الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله_ وقال هذا في مسائله

المسائل أيها الإخوة موجودة في نهاية كل باب. في الأصل الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله جعل في نهاية كل باب مسائل مستفادة من كل باب ومن النصوص التي أوردها.

وفيه تنبيه لطالب العلم على المسائل المستخلصة من النصوص الشرعية.

قال ((فيه أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم، وفيه التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرا لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه، وأن البصيرة من الفرائض، وأن من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيها لله عن المسبة. وأن من دلائل قبح الشرك كونه مسبة لله، وفيه إبعاد المسلم عن المشركين ألا يصير منهم ولو لم يشرك))

من أين أخذ هذه المسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؟

قوله :" فيه أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم" هذا مأخوذ من الآية التي أوردها الشيخ { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ }. وقوله " وفيه التنبيه على الإخلاص" كذلك هذا في الآية نفسها { أَدْعُو إِلَى اللَّهِ } وقوله بعد ذلك " وأن البصيرة من الفرائض "مأخوذ من قوله عز وجل { عَلَىٰ بَصِيرَةٍ }

قال " وأنَّ من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيهاً لله عن المسبة " هذا كذلك في قوله { وَسُبْحَانَ اللَّهِ } وقوله " وأن من دلائل قبح الشرك كونه مسبة لله " وهذا قوله كذلك في هذه الآية { وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

قال " وفيه إبعاد المسلم عن المشركين ألا يصير منهم ولو لم يشرك "

وهو قوله { وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

وهذا فيه تنبيه على جزء من معنى هذه الآية. وتقدم معنا أن قوله {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} يشتمل على أني لست من المشركين في الاعتقادات ولا في الأعمال ولا في المسكن، وهنا ينبه بأنك ولو لم تعتقد بعقيدة المشركين فانك لاتصير معهم وتجامعهم.

- ثم أورد الشيخ حديث أبن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له " إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وفي رواية: " إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " أخرجاه. - هذا الحديث الذي أورده الشيخ رحمه الله وهو حديث ابن عباس في مبعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن فيه مقصد من مقاصد ايراده في هذا الباب وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل معاذا الى اليمن داعيةً وأمره أن يبدأ أولا في دعوته الى توحيد الله تبارك وتعالى فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالتوحيد في الدعوة علي غيرها في أمور الشرائع، فدل على أن أمور الشرائع تبعٌ للتوحيد إن أقروا بالتوحيد فانهم يدعون الى بقية أركان الإسلام مثل الصلاة ثم الزكاة ثم الحج ونحو ذلك من الشرائع.

فابتداء الدعوة يجب أن يكون في توحيد الله عز وجل. و تقدم معنا سبب ذلك وهو أن الله عز وجل إنما خلقنا لعبادته وحده لا شريك له، ولأن العبد اذا كان مشركا بالله تبارك وتعالى فإن جميع الأعمال تكون

حابطة عنه ولا يقبلها الله تبارك وتعالى منه، ولأنها طريقة الأنبياء والمرسلين يجب على كل داعية أن يتقيد بها

- قال الشارح رحمه الله عن بعث معاذ الي اليمن قال " أرسله داعيا إلى الله" وقوله بعث معاذا يعني أرسله، " سنة عشر قبل حجّهِ صلي الله عليه وسلم، ولم يزل علي اليمن واليا وقاضيا الي أن قدم في خلافة أبي بكر ثم توجه إلى الشام فمات بها قال الشيخ: ((ومن فضائله أنه بعثه إلى اليمن مبلغا عنه ومفقها ومعلما وحاكما)) اهـ.

وقوله " قال الشيخ " يقصد به شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

ثم قال " وفيه مشروعية بعث الإمام الدعاة إلى الجهات يدعون إلى الله، بل يتعين عليه بتأكد."

وهذا من سبيل النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله عز وجل فإنه كان عليه الصلاة والسلام يبعث الدعاة وكان يكتب الى الملوك. وهذا فيه اقامة الحجة من النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الناس.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ " إنك تأتي قوما من أهل الكتاب "

قال الشارح " يعني بذلك اليهود والنصارى لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب، وقد أوتوا علوما في أصول الأديان وفروعها، وليسوا أميين كسائر العرب، فنبهه على ذلك ليتهيأ لمناظرتهم، يعني خذ أهبتك لهم، فإنهم أهل علم، ليسوا كغيرهم. وقال الحافظ: ((هو كالتوطئة للوصية ليجمع همته عليها)) "

- هذا فيه أن الداعية إلى الله عز وجل ينبغي عليه النظر في حال المدعو، وأن يخاطب كلا بحسب ما يليق به وما يحتاجه في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

وكذلك مما يستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام " انك تأتي قوما من أهل الكتاب" هذا فيه دليل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم فهو مرسل عليه الصلاة والسلام الى الجن والإنس، ومرسل إلى اليهود والنصارى والمشركين وعموم الناس عليه الصلاة والسلام.

ومن الفوائد كذلك التي نبه عليها بعض أهل العلم أن الإنسان ينبغي عليه أن يكون على بصيرة في دينه وذلك لأن لا يبتلى بمن يورد عليه شبهة من علماء المشركين هذا فيه التنبيه على الاحتراز من الشبه والحرص على طلب العلم. كل هذا أخذ من قوله عليه الصلاة والسلام (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب)

ثم قال له صلي الله عليه وسلم (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله)

وهنا وجهان: يجوز رفع أول مع نصب شهادة وبالعكس كما نبه أهل العلم، فيجوز أن تقول فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله فيكون قوله أولَ خبر يكن مقدم وشهادة يكون اسم يكن مؤخر ويكون مرفوعا.

ويجوز أن تقول فليكن –أولُ – ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله الا الله فيكون أولُ هنا اسم يكن وشهادةَ يكون خبرا له. وهذا نبه إليه الشارح كذلك، قال " فإنه لا بد أن يأتوك بعلوم وأشياء، ولكن لا يكن همك إلا هذا الشأن. و "شهادة" بالرفع على أنه اسم يكن مؤخر، و"أول" خبرها، ويجوز العكس."

قال " وفي رواية (إلى أن يوحدوا الله) "

قال الشارح " هذه الرواية في كتاب التوحيد من صحيح البخاري، أشار بها المصنف إلى التنبيه على معنى شهادة ألا إله إلا الله، فإن معناها توحيد الله بالعبادة ونفي عبادة ما سواه، وفي رواية: " فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله "، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وفي رواية للبخاري: " أدعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله "، فهذه الروايات يفسر بعضها بعضا، والمراد بذلك العلم والعمل بما دلت عليه، من إفراد الله بالعبادة، بخلاف من قال: أول واجب النظر في الوجود، أو القصد إلى النظر، فلا واجب على المكلفين أعظم من التوحيد علما وعملا، ومن أدلته هذا النص وغيره؛ فإن قوله: " فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله " مع قوله: "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب" يعني أنهم أهل علوم وكتب وحجج، ومع ذلك أمره أن يدعوهم إلى إفراد الله بالعبادة، لكونهم محتاجين إلى أن تبين لهم ذلك، فإن منهم من يجهله، أو يعلمه ولكن الشهوة تمنعه من ذلك، وحب المال والجاه والرياسة والعياذ بالله"

ففي كلام الشارح رحمه الله بيان لبعض الروايات التي جاءت في حديث معاذ رضي الله عنه وكلها يفسر بعضها بعضاً فإن شهادة أن لا إله الله هي معنى أن يوحدوا الله. فإن التوحيد هو افراد الله عز وجل بالعبادة وهي قول لا إله إلا الله. وفي هذه الكلمة نفي كل معبود من دون الله عز وجل والكفر به

ثم ذكر المصنف فائدة جليلة في مسألةِ أول واجب على العباد وهذه المسألة يكثر الحديث عنها لاسيما عند المتكلمين، فإنهم يقولون بأن أول واجب على المكلف هو النظر في الوجود، أو القصد إلى النظر؛ بمعني أن العبد اذا بلغ فانه يجب عليه أن ينظر في ملكوت السموات والارض وأن ينظر في الجبال وأن ينظر في الاشجار من أجل أن يتعرف على الله عز وجل فيدخل إلى الاسلام بعد ذلك، فهذا هو أول واجب على العبد. ويقولون أن العبد إذا أراد أن يدخل في الاسلام، إذا كان كافرا وأراد أن يدخل في الإسلام فإنك لا تأمره ابتداءً بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، بل يجب عليك أن تخبره بالنظر في ملكوت السموات والأرض ثم بعد ذلك ينطق بالشهادتين. وهذا القول باطل وهو أن أول واجب علي العباد هو النظر أو القصد إلى النظر لعدة أمور نبه إليها أهل العلم؛ من هذه الأمور أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذا إلى اليمن وأرسل غيره إلى الملوك والأمراء وأرسل بعض أصحابه إلى الوفود كان عليه الصلاة والسلام يأمرهم بأن يأمروا الناس بالشهادة وهي قول لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله.

ولم يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر أحدا بأن ينظر في ملكوت السموات والأرض، أو أن يأمر أحدهم بأن ينظر في ذلك، بل إن صحابته الكرام رضي الله عنهم لم ينقل عن أحد منهم أنهم أمر بهذا، بل كلهم كانوا يدعون الناس لعبادة الله عز وجل وحده لا شريك له.

وأمرٌ آخر وهو أن معرفة الله عز وجل هي معرفة فطرية؛ { فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ } فالكل يعرف الله عز وجل ويعرفونه بفطرهم التي فطرهم عز وجل عليها، وإنما يكون الأمر بالنظر ووجوب الأمر بالنظر لمن ينكر وجود الله عز وجل، لا من يقرُّه، فمن أنكر وجود الله عز وجل وألحد في ذلك فإنه يناقش ويؤمر بأن ينظر في السموات وأن ينظر في الأرض وأن ينظر في الأشجار، وأن يتمعّن فيمن خلق هذه الأكوان.

وأما من أقر بوجود الخالق _ أقر بتوحيد الربوبية _ واعتقد بأن الله عز وجل موجود ويعرف ربّه، فإنه أول واجب عليه هو توحيد الله تبارك وتعالى كما في حديث معاذ.

فحديث معاذ الذي معنا فيه دلالة على إبطال هذا القول كما نبّه إليه الشارح.

قال " بخلاف من قال: أول واجب النظر في الوجود، أو القصد إلى النظر"

قلنا بأن هذا هو قول المتكلمين ومنهم الأشاعرة.

ثم قال الشارح " فلا واجب على المكلفين أعظم من التوحيد علما وعملا، ومن أدلته هذا النص وغيره"

يعني من الأدلة التي تدل على أن أعظم واجب على المكلفين هو توحيد الله عز وجل حديث معاذ رضي الله عنه، فإن قوله " فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله " مع قوله " إنك تأتي قوما أهل كتاب " يعني أنهم أهل علوم وكتب وحجج" إلى آخر كلامه رحمه الله.

ثم قال الشارح " وفيه أنه لا يحكم بإسلام شخص إلا بالنطق بالشهادتين كما هو مذهب أهل السنة."

نعم. إذا نطق العبد بالشهادتين فإنه يكون له حكم المسلمين.

ثم قال الشارح " وفيه أنه لا يحكم بإسلام شخص إلا بالنطق بالشهادتين كما هو مذهب أهل السنة.

وقال الشيخ: قد علم بالاضطرار من دين الرسول، واتفقت الأمة أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلما، وإذا لم يتكلم مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين. "

فقوله " قال الشيخ " تقدم معنا وهذا لعله سيتكرر معنا كثيرا أن قوله قال الشيخ، يقصد بذلك المصنف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فهنا يتحدث عن أنه لا بد من النطق بالشهادتين، فإذا لم ينطق بالشهادتين فإنه يكون كافراً، لا يدخل إلى الإسلام إلا بأن ينطق بالشهادتين.

وقوله " وإذا لم يتكلم مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين" يعني اذا قدر على النطق بالشهادتين لكنه لم ينطق بهما فإنه لا يكون مسلما، بل يكون كافرا.

وقوله " مع القدرة" بمعنى أنه لو كان الشخص أبكم لا يتكلم فإنه هنا لا يستطيع الكلام فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

ثم قال: " قال المصنف" _ يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله _ " وفيه أن التوحيد أول واجب، والنبي ﷺ أخذ عشر سنين كلها في الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن ضده وهو الشرك، وفيه أن الإنسان قد يكون من أهل العلم، وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها، والتنبيه على التعليم بالتدريج، والبداءة بالأهم فالأهم " هذه الأمور التي ذكرها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه

الله هي في مسائله، وقلنا بأن مسائل الشيخ تكون في آخر كل باب يذكر الشيخ فوائد سماها مسائل متعلقة بالباب.

فقال " وفيه أن التوحيد أول واجب" ، _ وهذا أخذ من حديث معاذ [فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله]_ قال " والنبي ﷺ أخذ عشر سنين كلها في الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن ضده وهو الشرك،" _ وهو بهذا يشير إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام لما انتقل إلى المدينة فإنه اهتم كذلك بأمر التوحيد ولم يكن اهتمامه عليه الصلاة والسلام في مكة فحسب، بل إنه عليه الصلاة والسلام اهتم بأمر التوحيد كذلك في المدينة ويؤخذ هذا من أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن وكان هذا في السنة العاشرة كما تقدم معنا _. قال " وفيه أن الإنسان قد يكون من أهل العلم، وهو لا يعرفها،" _ يعني لا يعرف كلمة التوحيد_ " أو يعرفها _ يعني يعرف الكلمة_ ولا يعمل بها،" وهذا مأخوذ من إرسال النبي ﷺ معاذاً إلى أهل الكتاب فإن المقصود من ذلك هم أهل الكتاب الذين إما أن يكون عندهم علم بلا عمل أو يكون عندهم عمل بلا علم، وهذا هو شأن الضالين وشأن المغضوب عليهم. قال " والتنبيه على التعليم بالتدريج، والبداءة بالأهم فالأهم " أما التدريج فهو باقي الحديث الذي معنا إن شاء الله " فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم..." إلى آخر الحديث، والبداءة بالأهم فالأهم فإن الأهم هو التوحيد وقد بدأ به النبي ﷺ وقدمه على غيره.

قال " وفي رواية: " إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك " قال الشارح " أي شهدوا وانقادوا لذلك، وكفروا بما يعبد من دون الله."

" فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم "

قال الشارح " ثنى بالأعمال بعد التوحيد لأنها لا تصح بدونه، فهو شرط لصحة جميع الأعمال. وفيه أن الصلاة أول واجب بعد الشهادتين، وأن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، فإن حصل دعي إلى الصلاة، وإلا لم يدع إليها، فإن الصلاة وغيرها من سائر الأعمال لا تصح بدونه، ولا يلزم من ذلك ألا يكون الكفار مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم، وجمهور العلماء على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، المأمور بها والمنهي عنها، كالتوحيد إجماعا لقوله: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} "

هنا في هذه الجزئية يبين أهمية الصلاة، ولكن هذه الصلاة لا يؤمر بها العبد إلا بعد أن يدخل في الإسلام.

قال بعد ذلك مشيراً إلى مسألة مشهورة عند أهل العلم وهي مسألة هل الكفار مخاطبون بفروع الشرائع أو لا ؟ بمعنى أن الكافر اذا لم يدخل في الإسلام، هل هو مخاطب بالصلاة؟ هل هو مخاطب بالزكاة ؟ هل هو مخاطب بالحج ؟ هل هو مخاطب بحرمة الخمر ؟ بحرمة الزنى ؟ بحرمة السرقة... ونحو ذلك

فجمهور العلماء كما نقل شيخ الإسلام رحمه الله يرون أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع، وذلك استناداً إلى قول الله عز وجل {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43)} هذا فيه أنهم حوسِبوا بتركهم للصلاة.

وأشار الشيخ إلى عدم التعارض بين المسألتين ؛ المسألة الأولى أنهم لا يؤمرون بالصلاة إلا بعد الأمر بالتوحيد والمسألة الثانية هي مسألة هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ؟ فقال رحمه الله " فإن الصلاة وغيرها من سائر الأعمال لا تصح بدونه، ولا يلزم من ذلك ألا يكون الكفار مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم " يعني أن هذا الأمر جعله الله عز وجل زيادة في عذاب هؤلاء الكفار.

قال " فإن هم أطاعوك لذلك "

قال الشارح " وأقاموا الصلاة الشرعية، وفي رواية الفضل بن العلاء: " فإذا صلوا".

قال " فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم "

قال " فيه دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة، وقرنها الله بالصلاة في أكثر من ثمانين موضعا من كتابه، منها: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ}. وعن ابن مسعود مرفوعا: " أمرت بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومن لم يزك فلا صلاة له". وحديث: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة " وفيه أنها تؤخذ من الأغنياء فترد على الفقراء، وهو محتمل لفقراء المسلمين، وفقراء تلك البلدة، والمحلة، والقبيلة، والطائفة. وأنه يكفي إخراجها في صنف واحد، بل دلت السنة على جواز دفعها إلى شخص واحد، وإنما خص الفقراء لأنهم أكثر من تدفع إليهم، ولأن حقهم آكد من بقية الأصناف الثمانية. وفيه أن الإمام أو نائبه هو الذي يتولى قبضها، ومن امتنع منها أخذت منه قهرا. "

هذا فيه بيان منزلة الزكاة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، ويشير هنا إلى قول النبي ﷺ " تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم " يشير الشيخ إلى الخلاف بين أهل العلم من المقصود من قوله " من أغنيائهم " وقوله " على فقرائهم". فهل المقصود من ذلك عموم المسلمين؛ أنه يؤخذ من أغنياء هؤلاء وتردّ على فقراء المسلمين ؟ أو إن المقصود من ذلك أن هذه الزكاة تعطى لأهل تلك المحلّة أو تلك البقعة او ذلك المكان أو تلك الدولة أو نحو ذلك...

ثم قال " فإن هم أطاعوك لذلك "

قال الشارح " أي أدوا الزكاة المشروعة فاقبلها منهم، وفي رواية الفضل: " فإذا أقروا بذلك فخذ منهم ".

قال " فإياك وكرائم أموالهم "

قال الشارح " في أخذ الزكاة، بنصب "كرائم" على التحذير، جمع كريمة خيار المال، وفي المطالع: هي الجامعة للكمال الممكن في حقها، من غزارة لبن، وجمال صورة، أو كثرة لحم وصوف. وفيه أنه يحرم على العامل أخذ كرائم الأموال، ويحرم على صاحبه إخراج شراره، بل الوسط; لأن ذلك سبب لإخراجها بطيب نفس، ونية صحيحة، فإن طابت نفسه بالكريمة جاز."

هذا فيه تنبيه النبي ﷺ على الذي يأخذ الزكاة _ العامل الذي يأخذ الزكاة _ على أن لا يأخذ كرائم الأموال ونفائس الأموال؛ مثل أن يأخذ من الإبل أو من الغنم والبقر ما تكون غزيرة اللبن وجميلة الصورة ونغيسة الثمن ونحو ذلك.

وإنما يأخذ الوسط منها، يأخذ الوسط منها.

وقول الشارح " وفي المطالع"

يقصد بذلك كتاب [مطالع الأنوار] ومؤلفه هو ابن قرقول.

ثم قال " واتق دعوة المظلوم "

قال الشارح " أي اجعل العدل وترك الظلم وقاية بينك وبين الله تقيك دعوة المظلوم، والمتقي من اتقى الله في عمله، ففعل كما أمر خالصاً لله. وفيه التنبيه على التحذير من جميع أنواع الظلم، فيجب على كل عامل وغيره أن يتحرى العدل فيما استعمل فيه، فلا يظلم بأخذ زيادة على الحق، ولا يحابي بترك شيء منه. "

قال " فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " أخرجاه.

" أي فإن دعوة المظلوم لا ترد ولا تحجب عن الله. وفيه مشروعية بعث الإمام العمال لجباية الزكاة، وأنه يعظ عماله وولاته، ويأمرهم بتقوى الله، وينهاهم عن الظلم، ولم يذكر في هذا الحديث الصوم والحج. قال الشيخ: أجاب بعض الناس أن بعض الرواة اختصره وليس كذلك، ولكن ذلك بحسب نزول الفرائض، وأول ما فرض الله الشهادتان ثم الصلاة، ولهذا لم يذكر وجوب الحج في عامة الأحاديث، إنما جاء في الأحاديث المتأخرة، أو أنه يذكر في كل مقام ما يناسبه، فيذكر تارة الفرائض التي يقاتل عليها كالصلاة والزكاة، وتارة الصلاة والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم، فإما أن يكون قبل فرض الحج، وإما أن يكون المخاطب لا حج عليه، وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض، ولهذا ذكر تعالى في كتابه القتال عليهما؛ لأنهما عبادتان ظاهرتان. ولما بعث معاذا إلى اليمن لم يذكر في حديثه الصوم؛ لأنه تبع وهو باطن، ولا ذكر الحج لأن وجوبه خاص ليس بعام، ولا يجب في العمر إلا مرة."

قوله " قال الشيخ " تقدم معنا مرارا أن المقصود هو شيخ الإسلام رحمه الله، وهنا يبحث سبب عدم ذكر الصوم والحج في حديث معاذ؛ وأهل العلم لهم كلام كثير، وكان كلام شيخ الإسلام رحمه الله الذي نقله الشارح دقيقاً في هذا.

قال " ولهما (أي البخاري ومسلم) عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: " لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله

يفتح الله على يديه" . فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأُتي به، فبصق

في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، وأعطاه الراية فقال: انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم "

يدوكون أي يخوضون.

في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه والذي يعتبر أصح حديث روي في فضائله رضي الله عنه كما قال شيخ الإسلام رحمه الله.

ففي هذا أن النبي عليه الصلاة والسلام وعد بإعطاء الراية غدا _ وهذا كان يوم خيبر _ وكان علي رضي الله عنه قد تخلّف عن النبي ﷺ بسبب الرمد الذي كان في عينيه، وكان صفة من سيعطيه النبي ﷺ هذه الراية أنه يحب الله ورسوله وأن الله تبارك وتعالى يحبه وكذا رسوله ﷺ.

والراية بمعنى اللواء؛ وهو العلم الذي يحمل في الحرب، يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يدفعه لمُقَدَّم العسكر.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الراية تختلف عن اللواء، فإن راية النبي ﷺ كانت سوداء وكان لواءه أبيضا.

قال الشارح رحمه الله _ من ضمن شرحه لهذا الكلام _ " والمحبة مواطأة القلب على ما يرضى الرب، وأصلها الميل إلى ما يوافق المحب، وفيه فضيلة علي رضي الله عنه وزيادة منقبته؛ لشهادة رسول الله ﷺ له بذلك بخصوصه. قال الشيخ: هذا أصح حديث روي لعلي من الفضائل، وليس هذا الوصف مختصا به، ولا بالأئمة؛ فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه، أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج، وفيه إثبات صفة المحبة خلافا للجهمية. "

تقدم معنا أن قوله " قال الشيخ " يقصد بذلك شيخ الإسلام.

والنواصب هم الذين ناصبوا العداء لآل بيت النبي ﷺ.

ونبه المصنف على إثبات صفة المحبة لله عز وجل خلافاً للجهمية الذين عطلوا هذه الصفة.

قال " يفتح الله على يديه"

وهذه بشارة من النبي ﷺ بحصول الفتح، وقد حصل هذا، وهو علم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام.

"فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها "

قال " أي سهروا تلك الليلة يبحثون ويتفاوضون، ويتناظرون فيمن سيعطاها. قال المصنف (يعني الامام محمد بن عبد الوهاب) : "يدوكون" أي يخوضون، يعني فيمن يدفعها إليه، وفيه يقال: داك القوم يدوكون، إذا وقعوا في اختلاط واضطراب ودوران. وخاضوا في الحديث تفاوضوا فيه; وفيه حرص الصحابة

على الخير، واهتمامهم به، وعلو مرتبتهم في العلم والإيمان، فينبغي التنافس في الخير، وعلو الهمة في طلبه."

" فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها "

قال الشارح " أي حرصًا عليه لكونه محبوبا عند الله"

_ لأن النبي ﷺ ذكر في مقدَّم أن الله عز وجل ورسوله يحبه، وأنه كذلك يحب الله ورسوله، فالكل أراد أن يعطى هذه وكان يؤمل أن يأخذها من النبي ﷺ لما لهذا الفضل العظيم.

ثم ذكر الشارح إشكالا؛ قال " فإن قيل: إذا كان هذا ليس من خصائص علي رضي الله عنه فلم تمناه بعض الصحابة؟ أجاب شيخ الإسلام بأنه إذا شهد النبي ﷺ لمعين بشهادة، أو دعا له بدعاء، أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة، ومثل ذلك الدعاء، وإن كان يشهد ويدعو لخلق كثير، ولكن تعيينه الشخص من أعظم فضائله. قال المصنف: ((وفيه فضيلة علي يعني لشهادته له على التعيين)) ".

ومعنى هذا أن في هذا زيادة فضل ومزية لأن الرسول ﷺ ذكر تعيين هذا * يحب الله ويحبه الله *.

" فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه "

يعني من الرمد كما في بعض الروايات.

قال " فأرسلوا إليه"

قال الشارح " من يأتيه به، قال الشارح: وفي نسخة بخط المصنف: فأرسل إليه. مبني للفاعل، ويحتمل أنه لما لم يسم فاعله. "

" فأُتي به، فبصق في عينيه "

" بفتح الصاد أي بزق، ويقال: بزق ثم تفل ثم نفث ثم نفخ. "

قال " ودعا له فبرأ "

" بفتح الراء والهمزة، أي عوفي في الحال عافية كاملة."

"كأن لم يكن به وجع "

يعني " من رمد ولا ضعف بصر، وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في الحديث: ((فدعا له فاستجيب له)) . وللطبراني عن علي: ((فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي ﷺ إلي الراية)) . وفيه علم من أعلام النبوة."

قال " وأعطاه الراية "

" أي دفعها إليه مع ما به من وجع العين، ولم يسع في طلبها.قال المصنف: فيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع ومنعها ممن سعى. "

فالصحابة رضي الله عنهم، مع انهم سعوا وأتوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ليؤملوا أن يأخذوا هذه الراية، كل يؤمل أن يأخذ هذه الراية إلا أنهم لم يحصلوها، وكان قدر الله عز وجل أن تكون هذه لعليّ رضي الله عنه.

" فقال: انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم"

انفذ؛ قال " بضم الفاء وكسر الراء وسكون السين، أي امض برفق وتؤدة ولين، متمهلا على رسلك، من غير عجلة ولا طيش حتى تنزل بساحتهم، وساحة القوم وسوحهم ما قرب من حصونهم، وفيه الأدب عند القتال، وترك الطيش والأصوات المزعجة، وأمر الإمام عماله بالرفق واللين، من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة."

قال " ثم ادعهم إلى الإسلام "

هذا هو محلّ الشاهد من إيراد المصنف رحمه الله لهذا الحديث في هذا الباب وهو الدعوة إلى الإسلام.

قال " أي والإيمان فإن الإسلام إذا أفرد دخل فيه الإيمان، كما أنه إذا أفرد الإيمان دخل فيه الإسلام بلا نزاع "

وهذا فيه الفرق بين الإسلام والإيمان، وأن الإسلام اذا ذكر لوحده دخل فيه الإيمان، وأن الايمان اذا ذكر لوحده فإنه يدخل فيه الإسلام.

واما اذا ذكر الإسلام والإيمان معا؛ فإنه يقصد بالإيمان الامور الباطنة التي تكون في القلب مثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ونحو ذلك..

واما الإسلام فإنه يكون الأعمال الظاهرة التي تكون على البدن.

ثم عرف الإسلام بأنه " الاستسلام لله بالتوحيد والخضوع له، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. وأصل الإسلام هو التوحيد، وهو معنى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإن شئت قلت: هو شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله"

" وإن شئت قلت: هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه فإن من عبد معه غيره لم يكن مسلما، والطاعة لرسوله ﷺ فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وهذا هو الشاهد للترجمة. وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه، وفيه مشروعية الدعوة قبل القتال، وإن كانوا قد دعوا قبل ذلك، فيندب إعادة الدعوة؛ ليعلم المشركون أن قصد المسلمين لهم بالدعوة والقتال هو دخولهم في الإسلام، ليس المراد التشفي منهم وأخذ أموالهم، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارّون (يعني غافلون). فالدعوة دعوتان: واجبة وهي دعوة التبليغ، ومندوبة وهي تبليغهم قبل القتال كما فعل علي رضي الله عنه."

معنى هذا أنه اذا دُعوا قبل ذلك فإن للإمام الخيار: إما أن يدعوهم مرة ثانية واما أن يقاتلهم.

قال " وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه "

يعني " في الإسلام إذا أجابوك إليه فأخبرهم بما يجب من حقوقه التي لا بد لهم من فعلها، كالصلاة والزكاة وغيرهما من شرائع الإسلام، بقوله: " فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها " فإن امتنعوا عن شيء من حقها فالقتال باق، فالنطق بالشهادتين سبب العصمة، لا أنه نفسه العصمة، أو هو العصمة لكن بشرط العمل]

_ ومعنى هذا أن العبد اذا نطق بالشهادتين فإن هذا سبب للعصمة لا أنه نفسه عصمة؛ يعني أنه إذا قال لا إله إلا الله وبعد ذلك امتنع عن الزكاة مثلا فإنه يقاتَل؛ لا نقول بأن هذه الكلمة عاصمة لدمه مطلقاً. وكذلك إذا نطق بالشهادتين ولكنه عبد غير الله، فإن هذه الكلمة تكون سبباً لعصمته لكن إذا نقضها فإن هذا السبب يسقط ولا تكون هذه الكلمة هي العصمة بنفسها؛ هذا كلام الشيخ رحمه الله.

قال " أو هو العصمة لكن بشرط العمل؛ فإن لله حقوقا في الإسلام من لم يأت بها لم يكن مسلما. وفيه أيضا بعث الإمام الدعاة إلى الله كما فعل النبي ﷺ وخلفاؤه. قال عمر: " والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم ".

قال " فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم "

[أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل رفع على الابتداء، والخبر خير. وحمر بضم الحاء المهملة وسكون الميم، والنعم بفتح النون والعين، أي هداية رجل على يديك خير لك من الإبل الحمر، وإنما عبر بها لأنها أنفس أموال العرب إذ ذاك. وكانوا يضربون بها المثل والمراد خير من الدنيا وما عليها. وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا للتقريب إلى الإفهام "

_ يعني الهداية والأجر لها مثله النبي ﷺ بأمر دنيوي يراه الناس، وهذا من أجل التقريب إلى الأفهام.

" وإلا فذرة من ذرات الآخرة خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها. وفيه الترغيب في الدعوة إلى الله لتحصل للداعي هذه الفضيلة بهداية رجل واحد، ولهذا حلف النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق ولو لم يحلف، ترغيبا في هذا العمل وحضا عليه، ولو لم يهتد بالدعوة إلا رجل واحد، فكيف بهداية الفئام؟ كما وقع للمصنف -رحمه الله-، وغيره من أئمة الدين. وفيه جواز الحلف على الخبر والفتيا ولو لم يستحلف."

قال " يدوكون أي: يخوضون "

[فسر المصنف -رحمه الله- هذه اللفظة بأن المراد خوض السامعين، وبحثهم في هذا الخير وتمني حصوله.]

وعلى كل فإن هذا الحديث فيه دلالة على مقصود المصنف رحمه الله من عقد هذا الباب

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا من يهده الله فلا مضِلّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

حيّاكم الله أيّها الإخوة في هذا الدرس السادس من دروس توحيد الألوهية والذي نتناول فيه كتاب التوحيد بحاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله.

معنا اليوم باب وهو بابٌ مهمّ متعلق بمعنى لا إله إلا الله

قال الإمام المجدّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله:

وقوله رحمه الله في العطف " وشهادة أن لا إله إلا الله " ليس معنى هذا العطف هو بيان تغاير اللفظين في المعنى، فإن العطف قد يقتضي التغاير في المعنى وقد لا يقتضي التغاير في المعنى؛ مثلا: عكف الأرض على السماوات، هذه تقتضي المغايرة بين الأرض والسماوات؛ عندما يقول الله عز وجل { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، فهنا الأرض جنسها يختلف عن جنس السماوات.

وهناك من العطف ما قد لا يقتضي المغايرة، بل يكون من قبيل عطف الخاص على العام، مثل عطف جبريل عليه السلام وميكائيل على الملائكة كما قال الله تبارك وتعالى { مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} فهنا العطف بين جبريل وميكال وما قبله هو من قبيل عطف الخاص على العامّ.

وقد يكون العطف من قبيل تغاير الصفات مثلما قال الله عز وجل { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ} إلى آخر الآيات، فهذا العطف يقتضي التغاير في المعنى، لكن المسمى واحد، فالربّ تبارك وتعالى له هذه الصّفات.

كذلك هنا؛ في قول الشيخ " تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله" فإن هذا العطف لا يقتضي التغاير في المعنى، وإنما هو عطف من أجل التغاير في الألفاظ فقط، وإلا فإن المعنى واحد؛ فشهادة أن لا إله إلا الله هي معنى التوحيد.

ونجد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الباب وهو باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله يريد أن يبين بزيادة إيضاح معنى هذه الكلمة وأن هذه الكلمة تقتضي إفراد الله عز وجل بالعبادة وكذلك تقتضي الكفر بكلّ ما عبد من دون الله عز وجل والبراءة منه.

فهنا الشيخ يبين التوحيد بمعناه، وكذلك يبين التوحيد بما يضادّه، فما يضاد التوحيد هو الشرك بالله عز وجل، ولذلك يقال: *وبِضِدِّها تتَبَيَّنُ الأشْياءُ*، فإذا بُيّن الشرك ووضح للناس فإن التوحيد يكون بارزا وواضحا لهم.

والفرق بين هذا الباب والباب الأول الذي عقده الشيخ رحمه الله وهو قوله " كتاب التوحيد وقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} هو أن ذاك الباب الأول أراد الشيخ منه أن يبين المعنى الإجمالي للتوحيد، وأما هنا فإن الشيخ أراد أن يبين المعنى التفصيلي لهذه الكلمة، وأراد أن يبين كذلك وجوب الكفر بكلّ ما عبد من دون الله تبارك وتعالى وبيان ضده وهو الشرك بالله تبارك وتعالى. فكأن الباب الأول متعلق ببيان المعنى الإجمالي للتوحيد، وهنا الشيخ رحمه الله أراد أن يبين التفصيل فيه ولذلك قال رحمه الله في آخر هذا الباب الذي معنا، قال " وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.".

وأما العلاقة بين هذا الباب والأبواب السابقة التي مرّت معنا، فإن الأبواب السابقة متعلقة بالتوحيد وفضائله والدعوة إليه والخوف من ضده الذي هو الشرك، فكأن النفوس اشتاقت إلى معرفة هذا الأمر الذي خلقت له الخليقة والذي بلغ من شأنه عند الله عز وجل أن من لقيه به غفر له وإن لقيه بملء الأرض خطايا. فبين الشيخ رحمه الله في هذا الباب أن هذا التوحيد وأن كلمة لا إله إلا الله ليست اسماً لا معنى له، أو قولا لا حقيقة له كما يظنّه الجاهلون الذين يظنون أن غاية التحقيق في هذه الكلمة هو النطق بكلمة الشهادة من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني بل إن بعض النظّار كما تقدم معنا وبعض المتكلمين يفسرون هذه الكلمة كلمة لا إله إلا الله بـ: لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله ولا مدبر إلا الله، ففسروا توحيد الألوهية الذي بعث فيه الأنبياء والمرسلون وأنزلت الكتب فسروه بتوحيد الربوبية والذي لا ينكره الكفار الذين بعث فيهم النبي ﷺ.

قال الشارح رحمه الله " **عطف الشهادة على التوحيد من عطف الدال على المدلول؛ فإن التوحيد هو معنى لا إله إلا الله ومدلولها مطابقة، يعني باب بيان إيضاح التوحيد، توحيد الإلهية والعبادة؛ لأنه هو المقصود بالذات من تصنيف الكتاب، وبيان مدلول شهادة ألا إله إلا الله من النفي والإثبات، وما تضمنته من إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه، فالتفسير تارة بذكر ما تحت اللفظ من معنى، وتارة بذكر الضد والمنافي؛ فإن قيل: قدم في أول الكتاب ما يبين معنى لا إله إلا الله وما تضمنته من التوحيد، فما فائدة هذه الترجمة؟ قيل: في هذه الآيات التي في هذا الباب بخصوصها مزيد بيان لمعنى كلمة الإخلاص، وما دلت عليه من توحيد العبادة، والحجة على من تعلق على الأولياء والصالحين."**

قول الشارح " **عطف الشهادة على التوحيد من عطف الدال على المدلول"** يريد رحمه الله بالدال هو كلمة "لا إله إلا الله" والمدلول هو كلمة " التوحيد " فإن كلمة التوحيد التي هي دلالة دلّت على مدلول وهو التوحيد.

قال " **فإن التوحيد هو معنى لا إله إلا الله ومدلولها مطابقة"** ودلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على كامل معناه، فإذا قيل إنسان فإن هذا اللفظ يدل على الإنسان الذي يتحرك والذي يذهب والذي يأتي والذي له الصفات المتعددة، فكلمة لا إله إلا الله دلّت دلالة تامة على هذا المعنى وهو التوحيد لله تبارك وتعالى.

قال " **يعني باب بيان إيضاح التوحيد، توحيد الإلهية والعبادة؛ لأنه هو المقصود بالذات من تصنيف الكتاب"** تقدم معنا أن جل كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو في توحيد الألوهية، وإن ضمنه شيئا مما يتعلق بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات إلا أنه شيء قليل بالنسبة إلى ما يتعلق بتوحيد الألوهية.

قال " **وبيان مدلول شهادة ألا إله إلا الله من النفي والإثبات"**

يعني أن شهادة لا إله إلا الله دلّت على نفي وإثبات وهما ركنا لا إله إلا الله، فإن كلمة لا إله إلا الله فيها نفي وإثبات، أما النفي في قول " لا إله " وأما الإثبات فهو " إلا الله". فـ " لا إله " هذا نفي لكل معبود عبد من دون الله تبارك وتعالى وأنه لا يستحق العبادة، وإثبات هذه العبادة بقول " إلا الله " فإن الله عز وجل هو المستحق للعبادة.

قال " **وما تضمنته من إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه"**

ثم قال " **فالتفسير تارة بذكر ما تحت اللفظ من معنى، وتارة بذكر الضد والمنافي"**

يقصد بذلك أن المعاني إذا فسرت عند أهل اللغة وعند أهل العلم عموما فإنهم تارة يفسرون اللفظ بكامل معناه وقد يفسرون اللفظ بضده، فمثلا التوحيد يفسرونه بعبادة الله عز وجل وحده، وقد يفسرونه ببيان ضده وهو الشرك بالله تبارك وتعالى، فالتوحيد يكون ضده الشرك وهو المنافي للتوحيد.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله الفرق بين هذا الباب وبين ما قدمه في الباب الأول. قال " **فإن قيل: قدم في أول الكتاب ما يبين معنى لا إله إلا الله وما تضمنته من التوحيد، فما فائدة هذه الترجمة؟ قيل: في هذه الآيات التي في هذا الباب بخصوصها مزيد بيان لمعنى كلمة الإخلاص، وما دلت عليه من توحيد العبادة، والحجة على من تعلق على الأولياء والصالحين."**

وهذا تقدم معنا أن الشيخ أراد التفصيل هنا في هذا الباب في معنى لا إله إلا الله. وعلى كلٍّ فإن هذا يدل على اهتمام الشيخ رحمه الله بهذا التوحيد وتفسيره للناس والذين اختلط عندهم الفهم ففسر بعضهم التوحيد بالشرك _ والعياذ بالله _ وبعضهم فسر التوحيد بتوحيد الربوبية الذي لا ينكره الكفار كما تقدم معنا.

ثم أورد الشخ رحمه الله آية في هذا الباب وهي قوله تبارك وتعالى **{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً}**

قال الشارح " **يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها وهو قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} صيغة عموم شمل كل مدعو من دون الله من الأنداد، وارغبوا إليهم، فإنهم يعني جميع من يدعي من دون الله: {فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ} أي بالكلية (ولا تحويلا) أي ولا يحولونه إلى غيركم؛ فإن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له، فهو المستحق أن يفرد بجميع العبادة.: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} أي يدعوهم أهل الشرك، ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم، عباد أمثالهم مقهورون مربوبون. (فالذين) اسم موصول يتناول كل مدعو من دون الله. قال ابن عباس: " كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا "، والذين هم يدعون: {يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} أي يتبارون في طلب القرب، فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له، وطاعته فيما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه. وقال ابن عطية: أخبر تعالى أن هؤلاء المعبودين يطلبون التقرب إلى الله، والتزلف إليه، فـ (أيهم) مبتدأ وخبره (أقرب) و (أولئك) يراد بهم المعبودون، وهو مبتدأ، وخبره (يبتغون) ، والضمير في (يدعون) للكفار، وفي (يبتغون) للمعبودين، و (الوسيلة) ما يتقرب به، وتوسل إلى الله عمل عملا تقرب به إليه، ولما أعد الله لأوليائه الكرامة، جعل لذلك وسيلة، وهي عبادة الله بامتثال ما أمر به، وأعظم القرب التوحيد الذي بعث الله به رسله، وهو الذي يقربهم إلى الله أي إلى عفوه ورضاه، ووصف ذلك بقوله: {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ}"**

في هذا الكلام من الشارح بيان لمعنى هذه الآية – وذكرنا في درس سابق أن المضطلع على كتاب التوحيد قد يحتاج في بعض الآيات إلى معرفة سياقها حتى يفهم مراد إيراد الشيخ رحمه الله لهذه الآية في هذا المكان – فهنا في هذه الآية التي ذكرها الشيخ رحمه الله ذكر الله عز وجل قبلها قوله تعالى **{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ}** هنا في هذه الآية فيها ذكر وممدحة لعباد الله عز وجل المؤمنين الذين يُدعون من دون الله تعالى، فإن هؤلاء الذين يدعوهم الكفار من دون الله عز وجل سواء كانوا من الملائكة أو كانوا من الأنبياء أو كانوا من الصالحين؛ هؤلاء لا يستطيعون أن يكشفوا الضر عنكم ولا عن تحويله، وإنما القادر على ذلك هو من له الملك كله وهو ربنا تبارك وتعالى، فهؤلاء عباد أمثالكم لا يستطيعون أن يزيلوا هذا الأمر الذي حلّ بكم وهو الضر ولا يستطيعون كذلك أن يحولوه من مكان إلى آخر.

وقوله تبارك وتعالى " **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**"

فقوله " يدعون" أي يدعوهم المشركون من دون الله تبارك وتعالى، وهم عباد الله عز وجل الصالحين والملائكة المقربين، من شأنهم أنهم يتقربون إلى الله عز وجل بأنواع القرب ويتسابقون ويتبادرون إلى ذلك. وقوله " الوسيلة " يقصد بها كل ما أوصلك إلى الله تبارك وتعالى. فالوسيلة هي القُرَب، أنواع القُرَب التي يتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

وذكر الشيخ تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وهو أن أهل الشرك كانوا يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا { **الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**} فكان حقا على هؤلاء المشركين أن يقتدوا بأولئك الصالحين بأن يتوجهوا لله عز وجل بالعبادة وحده لا شريك له وأن لا يتقربوا لأي مخلوق بهذه العبادة التي هي حق خالص لله جل وعلا.

ثم قال الشارح رحمه الله " **قال شيخ الإسلام: ((فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها، فقد تناولته هذه الآية كما تتناول من دعا الملائكة والجن، فقد نهى الله عن دعائهم، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، لا يرفعونه بالكلية، ولا يحولونه من موضع إلى موضع آخر كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: (ولا تحويلا) فذكر نكرة تعم أنواع التحويل، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين، أو دعا الملائكة فقد دعا من لا يغيثه، ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله)) اهـ.**

فإذا كان دعاء الأولياء والصالحين شركا، عرفنا أن التوحيد هو دعاء الله وحده لا شريك له، فكان في هذه الآية تفسير التوحيد، وأنها دلت على أن دعوة الله وحده هي التوحيد، وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة، وهو تفسير الشيء بضده."

يقصد الشيخ بذلك أن المصنف رحمه الله أورد هذه الآية ليبين معنى الشرك وهو دعوة غير الله تبارك وتعالى، وأن دعاء غير الله تبارك وتعالى مهما بلغ في المنزلة عند الله عز وجل فإنه لا يستحق هذه العبادة، بل إن المعبودات التي عبدت من دون الله عز وجل من الأنبياء والصالحين والملائكة فإن هؤلاء ليس لهم أي أمر من أمور الربوبية مثل كشف الضر عن الناس أو تحويله من مكان إلى آخر.

ويمكن أن يقال بأن هذه الآية التي أوردها الشيخ رحمه الله مع سياقها تبين معنى التوحيد وما يضاده وهو مقصود الباب. فإن قوله تبارك وتعالى { **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** } هذا فيه بيان الشرك. وأما قوله تبارك وتعالى { **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** } أن هذا هو التوحيد. فإن هؤلاء الذين عُبدوا من دون الله عز وجل موحدون له، وأن العابدين لهم مشركون به تبارك وتعالى.

وقوله { **يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ** } هذا فيه التوحيد، وذلك أنه قدم الجار والمجرور على لفظ الوسيلة وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر. فظهر بهذا أن هذه الآية مفسرة للتوحيد.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن هذه الآية جمعت أركان القلب الثلاثة: **الحب والخوف والرجاء.**

فالحب في قوله تبارك وتعالى عن هؤلاء { **يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** } فهم يتنافسون في القرب إلى الله تبارك وتعالى من أجل محبتهم له { **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ** } هذا في الرجاء { **وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً** } هذا في الخوف.

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى " **وقوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ}**

قال الشارح " **وتمامها: {فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} في ذريته من بعده، يدينون بها (لعلهم يرجعون) إليها، والكلمة هي: لا إله إلا الله بإجماع أهل العلم. وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي أريدت به، فعبر عما نفته بقوله: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}، وعما أثبتته بقوله: {إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} أي خلقني، فقصر العبادة على الله وحده، ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك. قال ابن كثير: ((هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله، جعلها في ذريته، يقتدي به فيها من هداه الله منهم، ففي الآية معنى لا إله إلا الله مطابقة، فإن هذه اللام تسمى لام النفي، ولام التبرئة، فتبين أن معناها النفي والإثبات، والتجريد والتفريد، والولاء والبراء، وتبين أن معنى لا إله إلا الله توحيد الله بإخلاص العبادة له، والبراءة من عبادة كل ما سواه.)) "**

فهذا الكلام يبين لنا وجه إيراد الآية في الباب وأنها اشتملت على نفي وإثبات فإنها مساوية لكلمة التوحيد بل إنها التوحيد. والبراءة هي الكفر والبغضاء والمعاداة، وهذه البراءة لا بد منها ولا يصح إسلام العبد إلا بها، فإبراهيم الخليل عليه السلام تبرأ من عبدة تلك المعبودات ومن تلك المعبودات التي عبدت كذلك من دون الله، وكذلك تبرأ من العابدين أيضاً.

فقول إبراهيم الخليل عليه السلام { **إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي** } هذه الكلمة هي من أحسن ما يكون في تفسير شهادة أن لا إله إلا الله. فقوله { **إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ** } هذا فيه نفي وقوله { **إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي** } هذا فيه إثبات، فاشتملت هذه الكلمة على تفسير لا إله إلا الله وأوضحت معناها.

وقوله، قول إبراهيم الخليل عليه السلام، هذا فيه دليل على أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا يعرفون الله تبارك وتعالى كونه من جملة معبوداتهم، كانوا يعبدون الكواكب وكانوا يعبدون الله عز وجل، ويعرفونه، فهنا نفى جميع تلك المعبودات إلا الذي فطره وهو الله تبارك وتعالى.

وقول الخليل { **إِنَّنِي بَرَاءٌ**} هو على وزن فَعَال وهي صفة مشبهة من التبرّأ وهو التخلي، والمعنى أنني متخلٍّ تمام التخلي عما تعبدون، ذكر هذا الشيخ ابن عثيمين، وقال الشيخ الفوزان بأن معنى البراء: فيه قطع الصلة والبعد عن المُتبرَّأ منه بخلاف الموالاة.

وذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فائدة في قول إبراهيم الخليل عليه السلام { **إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**} : لم يقل إلا الله وإنما قال { **إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**} وهذا فيه فائدتان: - الفائدة الأولى: الإشارة إلى علة إفراد الله بالعبادة؛ فكما أنه متفرد بالخلق فيجب أن يفرد بالعبادة. – والفائدة الثانية: الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تفطرهم حتى يعبدوها.

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى " **وقوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} الآية."**

قال الشارح رحمه الله " **الأحبار العلماء، والرهبان هم العباد، وجعلوهم مشرعين في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل، فصاروا بذلك أربابا؛ لأن التشريع من خصائص الربوبية، كما أن العبادة من مستحقات الربوبية، وفسر رسول الله ﷺ هذه الآية لعدي لما قال: إنهم لم يعبدوهم، فقال: " بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم "**. رواه أحمد وغيره، وحسنه **الترمذي. وقوله: (والمسيح ابن مريم) أي اتخذوه ربا بعبادتهم له.: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.**

فدلت على أن من أطاع غير الله في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله فقد اتخذه ربا ومعبودا، وجعله لله شريكا، وذلك ينافي التوحيد، فكل معبود رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع ربا ومعبودا، والرب هو المعبود، ولا يطلق معرفا إلا على الله تعالى، قال تعالى: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة، **أن من اتخذ شخصا يحلل ما حلل، ويحرم ما حرم فهو مشرك.**

والتوحيد الذي هو مدلول شهادة ألا إله إلا الله هو إفراد الله بالطاعة في تحريم ما حرم، وتحليل ما حلل، وهذه الآية كقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} يعني وأنتم كفار، ونحن بريئون منكم، وأنتم بريئون منا."

ففي هذا بيان لسبب إيراد هذه الآية في هذا الباب وذلك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يريد أن يبين قاعدة مهمة متعلقة بالعبادة وبتوحيد الله تبارك وتعالى وهي أن طاعة العلماء والعباد في المعصية من الشرك المنافي للتوحيد الذي هو من معاني ومدلولات التوحيد، فهذه الطاعة هي الأصل في العبادة، والعبادة لا تصرف إلا لله تبارك وتعالى. ولذلك قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله " ومراد المصنف رحمه الله بإيراد الآية هنا أن الطاعة في تحريم الحلال وتحليل الحرام من العبادة المنفية عن غير الله تعالى، ولهذا فسرت العبادة بالطاعة وفسر الإله بالمعبود المطاع، فمن أطاع المخلوق في ذلك فقد عبده، إذ معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله يقتضي إفراد الله بالطاعة وإفراد الرسول بالمتابعة، فإن من أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله، وهذا أعظم ما يبين التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله لأنها تقتضي التوحيد ونفي الشرك في الطاعة فما ظنك بشرك العبادة كالدعاء والتوبة والاستغاثة وسؤال الشفاعة وغير ذلك من أنواع الشرك في العبادة ؟ " اهـ.

فالآية إذن فيها بيان لما حصل من أهل الكتاب وهو أنهم اتخذوا أحبارهم وهم علماؤهم ورهبانهم وهم عُبَّادُهم وجعلوهم مشرعين في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله فصاروا بذلك كالأرباب مع الرب تبارك وتعالى، ومن المعلوم أن التحليل والتحريم حق خالص لله تبارك وتعالى فلا يجوز لأحد أن يتبع فيه مخلوقا إلا النبي ﷺ لأنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، { إن هو إلا وحي يوحى}.

ثم قال الشارح " **قال شيخ الإسلام: ((وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا على وجهين: أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرمه الله، أو تحريم ما أحل اتباعا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله شركا."**

ومعنى هذا الكلام بيان لشرك الطاعة، وهو أن يعلم تبديل هذا الحبر أو تبديل هذا الراهب لدين الله تبارك وتعالى فيحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فيتبعه على هذا التبديل مع علمه به فإن هذا كفر وخروج عن ملة الإسلام، وهو الشرك الذي عناه المصنف رحمه الله في هذا الباب.

قال " **الثاني: أن يكون اعتقادهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتا؛ لكونهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت "إنما الطاعة في المعروف"، "**

وهو هنا يبين النوع الثاني من أنواع طاعة هؤلاء الأحبار أو طاعة الرهبان أو طاعة العلماء أو نحوهم وذلك بتحليل الحرام أو تحليل الحلال ويكون باعثها هو الشهوة، فإن هذا يكون كبيرة من الكبائر ولا يخرج عن دائرة الإسلام.

ثم ذكر طرفا ثالثا، قال " **ثم ذكر المحرم للحلال إن كان مجتهدا قصده اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن خفي عليه الحق، وقد اتقى الله، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، ولكن من علم أن هذا خطأ ثم اتبعه، وعدل عن قول الرسول ﷺ فله نصيب من هذا الشرك، لاسيما إن اتبع في ذلك هواه، ونصره باليد واللسان، مع علمه بأنه مخالف للرسول ﷺ فهذا شرك، وإن كان المتبع للمجتهد عاجزا، وفعل ما يقدر عليه فلا يؤاخذ إن أخطأ.)) "**

وقد اهتم المصنف رحمه الله بهذا الجانب وهو ما يتعلق بشرك الطاعة وعقد له بابا سيأتي إن شاء الله وهو **باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله.**

قال المصنف بعد ذلك **"وقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}"**

قال الشارح رحمه الله **" (من) للتبعيض، أي فريق من الناس، وقد ذكر حال المتخذين الأنداد على سبيل الذم، فإنه ذكر حال المشركين حيث جعلوا لله أندادا، أي أمثالا ونظراء يعبدونهم معه و (يحبونهم كحب الله) أي يسوونهم في المحبة المقتضية الذل للمحبوب، والخضوع له كحب الله. وهو الله لا إله إلا هو، لا ضد له، ولا ند له، ولا شريك له، وكل من صرف من العبادة شيئا لغير الله رغبة إليه، أو رهبة منه فقد اتخذه ندا لله، وفي الصحيحين: عن ابن مسعود مرفوعا قال: " أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك"**

قال " }وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ} من أصحاب الأنداد لأندادهم، ولحبهم له، وتمام معرفتهم به لا يشركون به شيئا، بل يعبدونه وحده. ثم توعد المشركين فقال: {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ }، يقول: لو علموا ما يعاينونه هنا، وما يحل بهم من الأمر الفظيع على شركهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلالة. "

والقصود من هذا الكلام أن المصنف رحمه الله _ الإمام محمد بن عبد الوهاب_ أراد من هذه الآية بيان نوع من أنواع الشرك وسوف يتحدث عنه فيما سيأتي معنا إن شاء الله، وهو المتعلق بشرك المحبة.

وشرك المحبة منافٍ للتوحيد كفعل هؤلاء المشركين الذين ذكر الله عز وجل عنهم أنهم اتخذوا أندادا لله عز وجل، معبودات، نظراء يصرفون إليهم العبادة ويحبونهم كحب الله تبارك وتعالى.

وفي قوله { **يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}** فيه قولان:

* يحبونهم كحب المؤمنين لله تعالى

* والقول الثاني هو أنهم يحبونهم كحب المشركين لله، فالمشركون يحبون الله عز وجل ويحبون معبوداتهم من دون الله تبارك وتعالى.

والقول الثاني هو الأقرب وهو الصواب إن شاء الله، وهو أن هؤلاء المشركين يحبون الله عز وجل ويحبون معبوداتهم، وساووا بين هاتين المحبتين؛ بين محبة الله عز وجل وبين محبة الأنداد والنظراء من دون الله تبارك وتعالى، ولذلك ذكر الله عز وجل عنهم أنهم يوم القيامة يقولون **{ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}** والتسوية المراد بها هنا هي التسوية في المحبة.

ثم قال الشارح " **قال المصنف** _ يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله _ **: ((ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟)) اهـ . "**

فهذا الكلام من الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حق وواقع عند من عبد غير الله تبارك وتعالى، لا سيما من المشركين الذين توجهوا إلى القبور والأضرحة في العبادة، فإن محبتهم لهذه القبور ولأصحابها أعظم من محبة الله عز وجل.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله معلقا على كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا: " قلت: مراده أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وعلى قدر التفاضل في هذا الأصل وما ينبني عليه من الأعمال الصالحة يكون تفاضل الإيمان والجزاء عليه في الآخرة، فمن أشرك بالله في ذلك فهو المشرك"

وفي هذه الآية أخبر تعالى عن أهل الشرك أنهم يقولون لآلهتهم وهم في الجحيم **{ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}** ومعلوم أنهم ما ساووهم به في الخلق والرزق والملك، وإنما ساووهم به في المحبة والإلهية والتعظيم والطاعة، فمن قال لا إله إلا الله وهو مشرك بالله في هذه المحبة فما قالها حق القول وإن نطق بها، إذ هو قد خالفها بالعمل كما قال المصنف " **فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله؟"**

ثم قال الشارح " **فمن أشرك مع الله غيره في المحبة فقد جعله شريكا لله في العبادة، واتخذ ندا من دون الله، وذلك هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه لقوله: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} والمراد محبة التأله والتعظيم المختصة برب العالمين، التي هي إحدى القاعدتين اللتين عليهما مدار العبادة كما قال ابن القيم:**

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

إلى أن قال:

ليس العبادة غير توحيد المحـ ... بَة مع خضوع القلب والأركان

وهذا هو الذي اعترف به المشركون، وهم بين أطباق الجحيم، أنهم صاروا في الجحيم بسببه حيث قالوا: {إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، ومن المعلوم أنهم ما ساووهم به في الخلق والتدبير، إنما ساووهم به في هذه المحبة، فدلت الآية على أن من اتخذ ندا مع الله يحبه كمحبة الله فقد أشرك الشرك الأكبر المنافي للتوحيد، فإذا عرفنا أن هذا شرك، فالتوحيد ضده، وهو أن يفرد الرب بهذه المحبة المختصة التي هي التوحيد، وبذلك ظهر معنى التوحيد وتفسيره، وشهادة ألا إله إلا الله. وأما محبة الملائمات وهي المحبة الطبيعية فلا تكون شركا، ويأتي بيان ذلك في بابه إن شاء الله تعالى."

المقصد من هذا الكلام هو أن الشيخ رحمه الله أراد أن يبين أن من انواع الشرك محبة غير الله تبارك وتعالى، وتقدم أن ذكر ما يضاد التوحيد فيه بيان للتوحيد، فعندما تبين الشرك بالله تبارك وتعالى فإنك هنا تبين التوحيد، فمن بين معنى الشرك بالله عز وجل، شرك المحبة، محبة غير الله عز وجل المحبة الشركية فإنه يريد أن يبين المحبة التي لا تجوز إلا لله عز وجل.

وذكر الشارح لنا هنا محبة التألّه والتعظيم وهي الضابط في هذه المحبة، فمن أحب شيئا مُألِّها إياه أو معظما له فيما يختص برب العالمين وصرف إليه أي نوع من أنواع العبادة فإنه قد أشرك بالله تبارك وتعالى.

وأشار الشيخ رحمه الله إلى أنه ليس كل محبة تكون شركاً، وإنما هناك المحبة الطبيعية كمحبّة الولد، وحبة الوالد ومحبة الزوجة ونحو ذلك.. فإن هذه لا تكون شركا لأنها ليس فيها تأليه وليس فيها تعظيم.

والمصنف رحمه الله اهتم بباب المحبة وعقد لها باباً سيأتي معنا إن شاء الله وهو **باب قول الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}**

ثم قال الإمام المجد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله " **وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله) "**

قال الشارح رحمه الله " **أي وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو مالك اسمه سعد بن طارق، كوفي ثقة مات في حدود الأربعين ومائة، وأبوه طارق بن أشيم الأشجعي صحابي له أحاديث. ورواه أحمد بلفظ " من وحد الله، وكفر بما يعبد من دون الله " فهذا يفسر لا إله إلا الله، فعلق ﷺ عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين: الأول: قول لا إله إلا الله عن علم ويقين، كما قد قيد ذلك في قولها في غير ما حديث، فإن من قالها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجود النفاق، لا يقولها إلا عن صدق وعمل بها، وعلم بما دلت عليه من النفي**

والإثبات. والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لا بد من قولها والعمل بها، والبراءة مما ينافيها؛ فإن النبي ﷺ علق عصمة الدم بالأمرين جميعا، قولها عن علم ويقين، والكفر بما يعبد من دون الله، ففيه أنه لا يحرم ماله ودمه إلا إذا قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم يأت بما يعصم ماله ودمه، وفيه معنى قوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا}

قال المصنف: ((وهذا من أعظم ما يبين لك معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أجلها وأعظمها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع)) اهـ.

وهذا هو الشرط المصحح لقول لا إله إلا الله، فلا يصح قولها بدون هذه الخمس التي ذكر أصلا، قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}، وقال: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} الآية، أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا عن ذلك أو بعضه قوتلوا إجماعا، بل أجمعوا على أن من قال: لا إله إلا الله ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.

وفي الصحيحين: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ".

وفي رواية: " ويؤمنوا بي وبما جئت به "، فلا بد من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فأيما طائفة امتنعت عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، فإنه يجب قتالها كما قاتل أبو بكر مانعي الزكاة، واتفق عليه الصحابة والفقهاء، ويكفي المنصف ما ذكره العلماء من كل مذهب في باب حكم المرتد، فإنهم ذكروا فيه أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان.

والكفر لغة الستر، وكفر يكفر كفرا وكفرانا: ضد آمن،

وسمي الكافر كافرا لأنه مغطى على قلبه، وشرعا: تكذيبه ﷺ في شيء مما جاء به."

في هذا الكلام الذي ذكره الشيخ رحمه الله بيان لسبب إيراد المصنف رحمه الله لهذا الحديث في هذا الباب وهو أن هذا الحديث فيه بيان وتفسير لمعنى كلمة لا إله إلا الله وذكر جزء مهم في هذه الكلمة وهو الكفر بكل ما يعبد من دون الله عز وجل، لا بد للإنسان أن يكفر بكل ما عبد من دون الله تبارك وتعالى كما تقدم عن إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو البراءة من كل معبود والبراءة من العابدين والبراءة من هذه العبادة التي توجهوا بها إلى غير الله جل وعزّ.

والمهم معنا هنا في هذا الحديث هو أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم؛ والمقصود بالعصمة الحرمة وعدم التعرض للمال وعدم التعرض للمسلم بالقتل، ذكر النبي ﷺ فيه أمرين:

<u>الأمر الأول:</u> قول لا إله إلا الله، لكن هذا القول لا بد أن يكون عن **علم** وعن **يقين** وهذان شرطان من شروط لا إله إلا الله، فإن شروط لا إله إلا الله **سبعة**:

1- **العلم**

2- **اليقين**

3- **الإخلاص**

4- **الصدق**

5- **المحبة**

6- **القبول**

7- **ثم الانقياد لهذه الكلمة.**

واحفظها في بيت شعر:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصِدْقُكَ معْ   محبّةٍ وقَبولٍ والانقيادُ لها

والأمر الثاني: هو الكفر بما يعبد من دون الله، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى وهو قول لا إله إلا الله، بل لا بد من قولها والعمل بها والبراءة مما ينافيها، " والبراءة مما ينافيها " يعني البراءة من كل معبود، وأن تكفر بكل معبود ولو كانت الملائكة، ولو كانوا الأنبياء والصالحون، فإن الكفر بهم يقصد به اعتقاد بعدم استحقاقهم لهذه العبادة التي يتوجه إليهم بها، فإن العبادة لا تكون إلا لله تبارك وتعالى.

قال " **فإن النبي ﷺ علق عصمة الدم بالأمرين جميعا، قولها عن علم ويقين، والكفر بما يعبد من دون الله"**

بل إن أهل العلم ذكروا أن من شروط لا إله إلا الله شرط ثامن؛ وهو **الكفر بالطاغوت**، وهو أن يكفر بالطاغوت وأن يكفر بكل معبود من دون الله تبارك وتعالى.

فلا يحرم إذن الدم والمال إلا بوجود الكفر بالطاغوت والكفر بكل ما عبد من دون الله تبارك وتعالى، فإن قال لا إله إلا الله لكنه لم يتبرأ من تلك المعبودات ولم يكفر بها فإنه لم يأت بما يعصم ماله ويعصم دمه، قال تعالى " **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ }**

ثم قرأنا كلام المصنف رحمه الله _ الإمام محمد_ الذي نقله الشارح، وهو يبين لنا أن من قال هذه الكلمة لكنه مع ذلك لم يكفر بالطاغوت فإنه لا يعد من جملة المسلمين ولو قال لا إله إلا الله، ولو عبد الله، ولو صلى، ولو زكى، فإن هذه لا تفيده حتى يكفر بالطاغوت، لأن هذه هي معنى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله. قال الإمام " **بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه"** ثم بين أهمية هذه المسألة فقال " **فيا لها من مسألة ما أجلها وأعظمها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع" اهـ.**

إذن أيها الإخوة، كلمة لا إله إلا الله لا تفيد قائلها حتى يأتي بما دلت عليه هذه الكلمة من إخلاص العبادة لله وحده والكفر بكل ما عبد من دون الله جل وعلا.

ثم وضح الشيخ رحمه الله أن هذه الكلمة وإن كانت تمنع من القتل وتمنع من التعرض لمال المسلم إلا أنه قد يعرض عارض على العبد فيشرك بالله تبارك وتعالى أو قد أحيانا يزني فيقام عليه الحد أو يمتنع من الزكاة كما حصل من الذين امتنعوا عن الزكاة في زمن الصدّيق فقاتلهم عليه أبو بكر رضي الله عنه مع أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، وكذلك إذا استحل الأمر المحرم، كأن يستحل الربا أو يستحل الزنى أو نحو ذلك فإنه كذلك يجب قتالهم إجماعا ولا تعصمهم هذه الكلمة وهي كلمة لا إله إلا الله.

ثم أشار الشارح إلى باب يُذكر في كتب الفقه عند أهل العلم و هو باب حكم المرتدّ فإنهم ذكروا فيه أشياءً كثيرة يكفر بها الإنسان.

ثم عرّف الكفر بأنّه هو الستر و أن الكافر يُغطّى على قلبه بالكفر، ثم عرّف الكفر بأنه في الشرع هو تكذيبه صلى الله عليه و سلم في شيء مما جاء به. هذا التعريف الأخير بالكفر هو تعريف ببعض معناه و إلا فإنه غير محصور فيه، فالكفر لا يكون محصورا في التكذيب فقط كما هو واضح من سياق الكلام، و في كلام أهل العلم الشيء الكثير من ذلك فإن أنواع الكفر كثيرة منها كفر الشك و منها كفر الإعراض و منها كفر التكذيب و منها كفر الاستهزاء و نحو ذلك...

ثم قال **" وحسابه على الله عز وجل "**

أي الله تبارك وتعالى هو الذي يتولى حسابه، وهو المطلع على السرائر، فإن كان صادقا جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقا عذبه العذاب الأليم. وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر، فمن أتى بالتوحيد والتزم شرائعه ظاهرا، وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك.

وهذا أصل أصيل عند أهل السنة والجماعة وهو الحكم بالظاهر على الأفراد فإذا قالوا لا إله إلا الله وجب الكف عن دماءهم والكف عن أموالهم فلا يتعرضون فإنما يعاملون معاملة الاسلام،

فإن كان في باطنهم شيء يختلف عن ظاهرهم كالنفاق فان حسابهم على الله تبارك و تعالى والذي يتولى أمرهم.

ثم قال المصنف **" وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب "**

قال الشارح **" ترجمة الكتاب فاتحته، وشرحها تفسيرها وتبينها، وتوضيح معناها؛ وذلك أن ما بعدها فيه ما يبين التوحيد، ويوضح معنى لا إله إلا الله، وفيه بيان أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع وتنزيه الرب تعالى عما لا يليق بجلاله، وقد جمع -رحمه الله- في هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد ما لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق، وما لا يعذر أحد عن معرفته، فمن استحضره استغنى به عن غيره في بيان التوحيد، والرد على كل مبتدع."**

في هذا الكلام بيان أن الشيخ رحمه الله أراد ان يبين الشرك الأكبر والشرك الاصغر وما لا يليق بالله تبارك وتعالى كما سنقرأ إن شاء الله تعالى، فإن هذا الباب وما قبله كالمقدمة لما سيأتي ذكره.

فقوله **" وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب"** فيها دلالة على أن الأبواب السابقة فيها تفصيل لما ذكره الشيخ في السابق، ففيه تفصيل للتوحيد وفيه تفصيل كذلك للشرك الأكبر والاصغر وفيه كذلك ذكر مالا يليق بالله تبارك وتعالى.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله ثناءً على هذا الكتاب وهو حق، فإن هذا الكتاب على اختصاره بين التوحيد وذكر ما يناقضه ولم يسبق الى هذا العمل.

نسأل الله عز وجل أن يغفر للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وللشارح ولنا جميعا.

وهذا والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

حياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء السابع والذى نتناول فيه شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وذلك بشرح الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم في حاشيته على كتاب التوحيد.

واليوم معنا باب مهم من الأبواب التفصيلية التي وعد الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بذكر ما يتعلق بتفسير التوحيد وتفسير كلمة لا إله إلا الله، فإنه كما تقدم معنا في آخر الباب السابق الذي هو باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله فإن الامام قال في نهاية هذا الباب **"وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب".**

وتقدم أن المقصود من ذلك أن الإمام رحمه الله سيبين أنواعا من الشرك الأكبر والأصغر وإن بيان الشرك الأكبر والشرك الأصغر فيه بيان التوحيد، فإن الشيء يعرف بضده، فيكون سبب عقد هذا الباب وهو:

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وما بعده من الأبواب إنما هو لتفسير كلمة التوحيد كلمة لا إله إلا الله.

وهذا النوع الذي يتناوله الشيخ رحمه الله في هذا الباب ،وهو لبس الحلقة والخيط و نحوهما هو نوع من أنواع الشرك، وعلاقته بتفسير كلمة التوحيد هو أن الشيء كما تقدم يعرف بضده. فبضدها تتبين الاشياء ،ففسر التوحيد ببيان ضده.

وأهل العلم دائما يعرفون الشيء بضده، وهذا من أجود أنواع التعليم.

ثم إن تحقيق التوحيد لا يتحقق إلا بترك الشرك، وتقدم معنا أيها الإخوة أن الشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر وشرك أصغر.

فأما الشرك الأكبر فإنه ينافي أصل التوحيد ومعنى هذا أن الشرك يزيل التوحيد، كما قال الله عز وجل { وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا}

فإذا أشرك العبد بربه تبارك وتعالى الشرك الأكبر فإنه يخرج من الملة وهو في الآخرة خالد مخلد في جهنم.

وأما النوع الثاني وهو الشرك الأصغر فإنه ينافي كمال التوحيد الواجب. والمعنى أنه لا يخرج عن دائرة الإسلام بل يكون مسلما _ صاحب الشرك الأصغر_ لكنه مرتكبا لذنب عظيم، بل أعظم الكبائر هو الشرك بالله تبارك وتعالى. والشرك الأصغر هو أعظم الكبائر.

وعلى كل فإن الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الباب وما بعده من الأبواب يريد أن يبين لنا بعضا من أنواع الشرك بقسميه : الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

وأن هذا كما تقدم قريبا هو من بيان معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

ومعرفة الشرك بنوعيه الأكبر والاصغر واجب متحتم على كل مسلم لا لذاته وإنما ليتقيه العبد ويحذر منه. وسيأتي منه أبواب عديدة فيها بيان الشرك الأكبر و الشرك الأصغر.

قال الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **" باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه"**

فقوله رحمه الله **"باب من الشرك"**: (من) هنا تبعيضية، والمقصد من ذلك أني سأذكر لك بعض من أنواع الشرك، فمن أنواع الشرك التي سأذكرها لك لبس الخيط و الحلقة و نحوهما لرفع البلاء أو دفعه، فيكون مقصود الشيخ رحمه الله هو التمثيل في هذا الباب على نوع من أنواع الشرك وابتدأه المصنف رحمه الله لكثرة ما يقع عند بعض المسلمين من لبس الحلقة والخيط ونحوهما، فإن هذا منتشر في زمن الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكذلك هو منتشر إلى هذا اليوم لدى كثير من المسلمين.

والفرق بين الحلقة والخيط: هو أن الحلقة ما يلبس في اليد و غيره و يكون دائري الشكل، و يكون هذا من الحديد أو يكون النحاس أو نحو ذلك..

وأما الخيط فهو ما يتخذ من القماش والحرير ونحو ذلك ويوضع كذلك في اليد أو في أي جزء من أجزاء الجسم .

وقال رحمه الله في الترجمة **"و نحوهما "** أي نحو الخرز و التمائم وغير ذلك و ما يعلق على البيوت وعلى السيارات ونحوهما.

فذكر الحلقة والخيط هنا في هذا الباب مقصود الشيخ منه رحمه الله التمثيل كما هو واضح. ومقصد من يضع الحلقة أو الخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

والفرق بين رفع البلاء و دفعه هو أن رفع البلاء يكون بعد وقوعه، فإذا وقع البلاء بالإنسان كالمرض ونحوه فإنهم يضعون هذه الحلقة و يعلقونها أو يضعون هذا الخيط على أيديهم أو على رقابهم ونحو ذلك من أجل أن يرفع عنهم المرض ونحوه.

وقال **" أو دفعه "** يعني يدفع هذا المرض عنه قبل أن يقع.

فيكون الفرق بين الرفع وبين الدفع هو أن الرفع يكون بعد نزول البلاء، وأما الدفع فإنه يكون قبل نزول البلاء.

وأما الحكم الشرعي في حكم لبس الحلقة والخيط ونحوهما فإنه قد يكون شركا أكبر مخرجا من الملة وقد يكون شركا أصغر لا يخرج من الملة.

* فقد يكون شرك أكبر إذا اعتقد اللابس لها أنها تدفع هذا المرض أو ترفعه بنفسها، فإنه والحالة هذه يكون شرك أكبر يخرج العبد عن الملة.

* وأما إن اعتقد أنها سبب دون اعتقاد أنها لها تأثير مباشرا أو أن لها تأثيرا مستقلاً فإنها والحالة هذه تكون من قبيل الشرك الأصغر ولا تكون من قبيل الشرك الأكبر.

وذكر بعض أهل العلم أن من جعل سببا لم يجعله الله تعالى سببا لا شرعاً ولا قدرا فإنه يكون شركا أصغر.

ولبس الحلقة ونحوها إن اعتقد أنها سبب ولكنها ليست مؤثرة بنفسها فهو مشرك الشرك الأصغر، لأنه اعتقد أن ما ليس بسبب سببا، فقد شارك الله تعالى في الحكم لهذا الشي بأنه سبب والله تعالى لم يجعله سببا.

وطريق العلم بأن الشيء سبب إما عن طريق الشرع، وذلك كالعسل فيه شفاء للناس؛ وقد ورد هذا في كتاب الله عز وجل، وكقراءة القرآن فإن فيها شفاء للناس وقد جاء هذا في كتاب الله عز وجل فهذا سبب شرعي.

وإما ان يعرف أنه سببُ عن طريق القدر؛ مثال ذلك الدواء: إذا علمنا أن هذا الدواء الفلاني علاج للمرض الفلاني فإن هذا السبب يسمى بالسبب القدري، وهو سبب ظاهر بين. وقد أفاد هذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في كتابه القول المفيد علي كتاب التوحيد.

ولهذا نقول ونعيد بأن حكم هذا اللبس إما ان يكون شركا أصغر وذلك إن اعتقد بأنها سبب، أو يكون من قبيل الشرك الأكبر وذلك إن اعتقد أنها تدفع أو تنفع بنفسها. وهذا الحكم منصرفٌ على أنواع من الشرك الأصغر يأتي معنا حكمها؛ فإن مثلا الحلف بغير الله يكون حكمه شرك أصغر، ولكن ان اعتقد بالمحلوف أنه ينفع أو يضر واعتقد هذا فإنه يكون من قبيل الشرك الأكبر المخرج عن دائرة الاسلام.

إذن كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شرك أكبر بحسب حال من قالها وبحسب حال من فعلها فإذا اعتقد أنها تضر أو تنفع بنفسها فإن هذا شرك أكبر مخرج عن الملة.

قال الشارح الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله _عند قول الإمام باب من الشرك لَبْس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلايا أو دفعه_

قال " من تبعيضية، ولبس بضم اللام، يعني من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد لبس الحلقة. وهي: كل شيء استدار من صفر وغيره، والخيط ونحوهما: كالودعة والتميمة والمسمار والخرزة ونحو ذلك، لرفع البلاء: إزالته بعد نزوله، أو دفعه: منعه قبل نزوله، ويجمع ذلك شيء واحد، وهو الطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، واتخاذ تلك الأشياء ونحوها من أعمال الجاهلية، وكانوا يعلقونها على أولادهم ودوابهم، وذلك ينافي التوحيد بالكلية، أو ينافي كماله؛ لأن الشافي الكافي من كل شيء هو الله سبحانه، وطلب الشفاء والبركة بالحلق والخيوط وغيرها هضم لجناب التوحيد، ولبسها على قسمين: اعتقاد أنه سبب، فشرك أصغر، أو يدفع أو ينفع فشرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن هنا متصرفا بالنفع والضر غير الله، والمصنف -قدس الله روحه- ابتدأ في تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، بذكر شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر، فإن الضد لا يعرف إلا بضده كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

فمن لم يعرف الشرك لم يعرف التوحيد وبالعكس، وقدم الأصغر الاعتقادي ترقيا من الأدنى إلى الأعلى."

هنا في قول الشارح **" من تبعيضية ولبس بضم اللام"** يعني من الشرك الأصغر، وسيأتي عند المصنف التفصيل في الحكم فإنه إن اعتقد أنها تضر أو تنفع بنفسها فإنه كما تقدم يكون شرك أكبر، لكن إن لبسها ولَم يعتقد بذلك وإنما اعتقد أنها سبب فإن هذا هو الحكم الذي ذكره الشيخ وهو الشرك الأصغر.

.وقول الشيخ **" المنافي لكمال التوحيد "** فإن المقصود بكمال التوحيد هنا كمال التوحيد الواجب، فإنه كما تقدم كمال التوحيد ينقسم الي قسمين

- كمال التوحيد الواجب
- وكمال التوحيد المستحب

فالذي أتى بالشرك الاصغر يكون قد أتى بما ينافي كمال التوحيد الواجب وليس كمال التوحيد المستحب لان هذا الذنب وهو الشرك الاصغر ينافي الواجب في التوحيد

ثم عرَّف الشيخ الحلقة قال " **لبس الحلقة. وهي: كل شيء استدار من صفر وغيره** " الصفر هو النحاس **" والخيط ونحوهما: كالودعة والتميمة والمسمار والخرزة ونحو ذلك،"** . والودعة هي كما قال بعض أهل العلم الصدف التي تؤخذ من البحر فإنهم يعلقونها من أجل اتقاء العين ويأتي ذكرها إن شاء الله.

وأما التميمة فهي مفرد تمائم سيأتي إن شاء الله في الباب الآتي ذكرها وحكمها وهو **باب ما جاء في الرقى والتمائم.**

قال **" لرفع البلاء: إزالته بعد نزوله، أو دفعه: منعه قبل نزوله،"** قال **" ويجمع ذلك شيء واحد، وهو الطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، واتخاذ تلك الأشياء ونحوها من أعمال الجاهلية، وكانوا يعلقونها على أولادهم ودوابهم"**

وهذا الأمر كما قال المصنف معروف عند أهل الجاهلية، فإنهم كانوا يعلقون التمائم ويعلقون الحلق والخيوط على أنفسهم ويعلقونها كذلك على دوابهم.

ثم ذكر الحكم، قال **" وذلك ينافي التوحيد بالكلية، أو ينافي كماله؛"**

فإذا نافى التوحيد بالكلية فإننا نقول هنا أنه مناف لأصل التوحيد، ومعنى هذا أنه أشرك بالله الشرك الأكبر وهذا حكمه تقدم ذكره أنه قد يكون هذا اللبس شركا أكبر.

قال **" أو ينافي كماله"**

أي ينافي كماله الواجب كما تقدم، فيكون من قبيل الشرك الأصغر.

ثم علل ذلك فقال **" أن الشافي الكافي من كل شيء هو الله سبحانه، وطلب الشفاء والبركة بالحلق والخيوط وغيرها هضم لجناب التوحيد،"**

والهضم: في اللغة هو الظلم والغصب والقهر.

والمعنى من ذلك أنه ظلم لجناب التوحيد وفيه منقصة فيه.

قال " **ولبسها على قسمين: اعتقاد أنه سبب، فشرك أصغر، أو يدفع أو ينفع فشرك أكبر؛"**

يقصد أو يدفع أو ينفع يعني بنفسه، فإذا اعتقد أن هذا الذي لبسه يدفع أو ينفع بنفسه هذا شرك أكبر؛ وهو شرك أكبر في الربوبية لأن هذا الأمر – وهو النفع والضر – هو من معاني الربوبية، فيكون مشركاً بالله هذا الشرك.

قال " **لأنه اعتقد أن هنا متصرفا بالنفع والضر غير الله، والمصنف -قدس الله روحه- ابتدأ في تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، بذكر شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر"**

هذه هنا هي المناسبة، مناسبة إيراد الشيخ لهذا الباب بعد الباب السابق، وقد تقدم ذكر هذا.

وقول الشيخ " **والمصنف -قدس الله روحه-** "

يقصد به الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

وقوله " **قدس الله روحه** " هذه استعملت كثيرا عند أهل العلم، ولعل مقصودهم من ذلك هو تطهير هذه الروح والمقصود هو تطهيرها من الذنوب والمعاصي والدعاء بالرحمة لها.

ثم قال المصنف " **فإن الضد لا يعرف إلا بضده كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. فمن لم يعرف الشرك لم يعرف التوحيد وبالعكس، وقدم الأصغر الاعتقادي ترقيا من الأدنى إلى الأعلى.** "

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله " **وقول الله تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} الآية** "

وتتمة الآية **{ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ}.**

قال الشارح رحمه الله " **أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمشركين: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ} أي أخبروني عن الذين تدعون من دون الله، وتسألونهم من الأنداد والآلهة: {إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ} مرض أو فقر أو بلاء أو شدة: {هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} أي أنتم تعلمون أنهم لا يقدرون على ذلك أصلا، وتعترفون بذلك، (أو أرادني برحمة) صحة وعافية وخير: {هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} أي أنتم تعلمون أنهم لا يستطيعون شيئا من الأمر، وتعترفون أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك، فإذا علمتم أنهم لا يقدرون على ذلك فلم تعلقون عليهم من دون الله، (قل) يا محمد (حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) أي الله كافي من توكل عليه، والتوكل التفويض والاعتماد،**

فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى هو معبودهم وحده المفوض إليه جميع أمورهم، لزوما لا محيد لهم عنه. "

في هذه الآية التي معنا يخاطب الله عز وجل المشركين به، والشرك الذي أشركوه هو الشرك الأكبر الناقل من الملة.

واستدل المصنف رحمه الله بهذه الآية على ما بوّب عليه وهو **باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**، وإن كان لبس الحلقة والخيط ونحوهما يكون من باب الشرك الأصغر إلا ان السلف تكاثر عنهم الاستدلال بما ورد في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر كما يأتي معنا إن شاء الله. والجامع بين الأمرين هو أن كلا المشركين به سواء الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر عندهم تعلق بغير الله تبارك وتعالى، فإذا بطل التعلق بالأعظم فإن التعلق بما دونه يكون باطلا من باب أولى.

وكذلك يمكن أن يقال بأن من أنواع لُبس الخيط والحلقة ونحوهما ما يكون من قبيل الشرك الأكبر كما تقدم معنا، فناسب تماما أن يورد ما ورد في الشرك الأكبر على هذا اللبس الذي فيه خروج عن ملة الإسلام إن اعتقد أنها تنفع أو تضر بنفسها.

فالمناسبة بين هذه الآية والباب ظاهرة وواضحة في أن هؤلاء الذين يُدعون من دون الله تبارك وتعالى لا يستطيعون أن يكشفوا الضر أو أن يدفعوه عن أحد، وكذلك لبس الحلقة والخيط ونحوهما فإنها مثل تلك الأصنام لا تستطيع أن تدفع شيئا ولا أن ترفعه.

وفي هذا تأكيد على العبد أن يخلص لله تبارك وتعالى في عبادته وألا يتوجه بها إلا إليه تبارك وتعالى وأن يتوكل على الله تبارك وتعالى حق توكله، وعندئذ يتبين معنا التوحيد ومعنى كلمة لا إله إلا الله كما أراده الشيخ رحمه الله كما تقدم معنا.

فقوله تعالى **{ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ }** والخطاب هنا للمشركين { **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ }** سواء كانت هذه المعبودات ملائكة أو كانوا أنبياء وصالحين أو كانوا كواكب وأشجار أو أحجار أو أصنام وأوثان فإنها كلها داخلة في هذه الآية **{ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ }** فهي لا تستطيع أن تكشف الضر عن الناس ولا أن تدفعه.

{ **إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ }**

فقوله إن أرادني بضر، الضر هنا جاء نكرة في سياق الشرط؛ فيعمّ جميع أنواع الضرر.

{ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ }

قال الشارح **" أي أنتم تعلمون أنهم لا يقدرون على ذلك أصلا، وتعترفون بذلك،"**

لأنهم يعتقدون أن هذه الأصنام والأوثان التي يعبدونها من دون الله تبارك وتعالى إنما هي واسطة بينهم وبين الله تعالى، ولم يعتقدوا بأنها هي التي خلقتهم ولا هي التي رزقتهم، وكان أحدهم إذا طاف بالبيت – من المشركين – كانوا يقولون " لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك " فهم يعترفون بوجود الله، ويعتقدون بأن هذه الأصنام والأوثان لم تخلقهم أصلا.

ولذلك قرر الله عز وجل هذا التوحيد الذي يعتقدونه وهو توحيد الربوبية واستدل به على بطلان تلك المعبودات التي عبدت من دونه تبارك وتعالى.

وقوله **{ كَاشِفَاتُ }** يشمل الدفع ويشمل الرفع، فهي لا تكشف الضر بدفعه وإبعاده ولا تكشفه برفعه وإزالته.

وكذلك دلّ على أن هذه المعبودات لا تستطيع أن تكشف هذا الضر ولو اجتمعت جميعها أو انفرد بعضها فإنها لا تستطيع أن ترفع هذا الضر أو أن تدفعه.

ثم قال تبارك وتعالى **{ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ }**

" أي أنتم تعلمون أنهم لا يستطيعون شيئا من الأمر، وتعترفون أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك،"

وهذا هو المعنى الذي تقدم من معاني الربوبية التي يقر بها المشركون

" فإذا علمتم أنهم لا يقدرون على ذلك فلم تعلقون عليهم من دون الله،"

يعني تتعلقون بها وتتعلق قلوبكم بهذه المعبودات.

" (قل) يا محمد (حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) أي الله كافي من توكل عليه، والتوكل التفويض والاعتماد، فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى هو معبودهم وحده المفوض إليه جميع أمورهم، لزوما لا محيد لهم عنه. "

ثم قال الشيخ **" وهذا في القرآن كثير يقيم تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون به أن ذلك لله وحده، ويقرون به على ما يجحدونه من عبادته وحده، هذا وهم إنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، كما قال تعالى: {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ}.**

قال مقاتل: سألهم النبي ﷺ فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإذا كان ذلك كذلك بطلت عبادتهم الآلهة مع الله، وإذا بطلت فلبس الحلقة والخيط ونحوهما كذلك.

والمصنف -رحمه الله- استدل بالآية النازلة في الأكبر على الأصغر، كما استدل بها ابن عباس وحذيفة وغيرهما، وهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده، وأن جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكذلك لا يصلح شيء من أنواع التعلقات بغير الله عز وجل."

فهذا الكلام من الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله فيه تأكيد لما سبق من بطلان التوجّه بالعبادة لغير الله تبارك وتعالى أو أن يعتقد العبد النفع والضر بغير الله تبارك وتعالى أو أن يجعل شيئاً سبباً لم يجعله الله عز وجل سبباً؛ لا شرعا ولا قدراً.

فإن لُبس الحلقة والخيط ونحوهما باطلة ومحرمة وشرك؛ قد يكون شركا أكبر وقد يكون شركاً أصغر كما تقدم معنا، كحال تلك المعبودات التي عُبدت من دون الله عز وجل وهي لا تستحق العبادة، فإذا كانت تلك الأصنام أو كانت تلك الملائكة والأنبياء والصالحين لا يستطيعون كشف الضر فكذلك هذه الخيوط وهذه الحِلَق، فإنها لا تدفع شيئا أراده الله عز وجل بعباده.

وقوله تعالى في آخر هذه الآية **{ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}**

هنا قدم الجار والمجرور، وهذا يفيد الحصر: **{ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ }** فلا يُتوكل إلا عليه، لا يُتوكل على الأصنام ولا يُتوكل على الحِلق والخيوط ونحوها، وهذا هو معنى قول الشيخ رحمه الله **" وهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر.."** إلى آخر كلامه.

ثم أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حديثا مرفوعا إلى النبي ﷺ وهو **" عن عمران بن حصين رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال من الواهنة. فقال: انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا".** رواه أحمد بسند لا بأس به. **"**

قال الشارح عند قول عمران رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صُفر، قال **" وفي رواية الحاكم: "دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة صفر"، فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث، والحلقة كان المشركون يجعلونها في أعضادهم، من نحاس أصفر وغيره، يزعمون أنها تحفظهم من أذى العين والجن ونحوهما، وكذا لبس حلقة الفضة للبركة، أو لمنع البواسير، وخواتيم لها فصوص مخصوصة للحفظ من الجن وغيرها. "**

وهذا يبين أن المشركين الأوائل كاموا يلبسون هذه الحلقات ويضعونها في اماكن مختلفة من أجسادهم، منها ما يضعونها في أعضادهم، وكانوا يلبسونها من أجل إزالة المرض او من اجل دفعه قبل ان يصل إليهم.

قال **" فقال: ما هذه؟ قال من الواهنة. "**

قال الشارح في قول النبي ﷺ **{ ما هذه ؟} " يحتمل أن الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها، ويحتمل أن يكون للإنكار، قال الشارح: وهو أظهر."**

ويقصد بالشارح: الشيخ عبد الرحمن ابن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب في كتابه فتح المجيد، فإن هذا الكتاب وهو الحاشية هو اختصار لكتاب فتح المجيد.

قال **" يحتمل أن الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها، "** فكأن المقصود ان النبي ﷺ إنما سأل عمران لأنه لا يعلم عن سبب هذا اللبس، فاستفصل النبي ﷺ عن سبب هذا اللبس وهو لا يعلم.

والاحتمال الآخر هو ان يكون النبي ﷺ قد سأل هذا السؤال من أجل الإنكار على عمران رضي الله عنه.

وهذا هو الأشهر، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما سأل سؤال إنكار لا سؤال استفصال.

قال **" ولفظه: "ويحك ما هذه"؟ قال: من الواهنة،"**

قال **" والواهنة عرق يأخذ بالمنكب وباليد كلها فيرقى منها، وقيل: مرض يأخذ بالعضد، أو ريح فيه تأخذ الرجال دون النساء، وربما علق عليها جنس من الخرز يقال له خرز العصمة، وإنما نهى عنها لأنها إنما تتخذ لتعصم من الألم، وفيه اعتبار المقاصد. "**

فقوله " **من الواهنة** " أي لبستها بسبب الواهنة، وهو مرض يوهن الإنسان ويضعفه، وقد يكون في الجسم كلّه وقد يكون في بعض الأعضاء.

قال " **وربما علق عليها جنس من الخرز يقال له خرز العصمة** " كذلك قد يقال له خرز الواهنة.

وقوله " **وإنما نهى عنها لأنها إنما تتخذ لتعصم من الألم، وفيه اعتبار المقاصد.** "

قوله " **وإنما نهى عنها لأنها إنما تتخذ لتعصم من الألم** " وهو هنا يشير إلى أن جعل هذا سببا لم يجعله الله تعالى سببا لا شرعا ولا قدرا، فليس من الشرع وضع هذه على اليد أو وضعها على العضد، وليس هي كذلك من قبيل العلاج القدري الذي جعله الله عز وجل للناس وأسبابه معلومة. بل تكون هذه من قبيل من جعل سببا لم يجعله الله عز وجل سببا لا شرعا ولا قدرا، فيكون من قبيل الشرك الأصغر كما تقدم معنا.

وأما قول الشارح: " **وفيه اعتبار المقاصد** "

وهو هنا يعني قول النبي ﷺ "ما هذه؟ " وهذا على اعتبار أن هذا السؤال سؤال استفصال لا سؤال إنكار فإن النبي ﷺ على القول الآخر وهو أن هذا السؤال سؤال استفصال، قال له " ما هذه ". ومن قال بهذا القول قالوا لأن من أراد إنكار المنكر عليه أن يسأل أولاً عن الحال لأنه قد يظن ما ليس بمنكر منكرا.

ثم قال الشارح عند قول النبي ﷺ، فقال " **انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا"**

قال " **انزعها بكسر الزاي. وأصل النزع: الجذب بقوة و القلع، من نزعت الشيء من موضعه نزعاً من باب ضرب، قلعته وانتزعته مثله. أي انبذها عنك وهو لفظ أحمد وهو أبلغ فإنه يتضمن النزع وزيادة. وهو الطرح والإبعاد وهذا زجر له وإنكار عليه وقد أخبره ﷺ أنها لا تنفعه بل تضره. وأن هذا الداء الذي لبسها له لا يزول بل لا تزيده إلا وهناً، أي ضعفاً معاملة له بنقيض قصده لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، وكذا كل أمر نهى عنه، فإنه لا ينفع غالباً؛ وإن نفع بعض النفع فضرره أكبر من نفعه وابتلاء من الله وامتحان.**

وهكذا شأن الأمور الشركية ضررها علي أصحابها في الدنيا في الغالب والآخرة وذلك من أجل التفات قلوبهم إلي غير الله ومن تعلق شيئاً وكل إليه ومن وكل إلي غير الله هلك وإذا كان هذا في الأصغر الذي يجامع أصل التوحيد فكيف بالأكبر الذي ينافيه بالكلية "

في هذا الجزء من الشرح يُبين الشارح رحمه الله أن النبي ﷺ أنكر إنكارا شديدا على هذا الصحابي الجليل الذي وضع هذه الحلقة في يده وقال له انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا وذكر الرواية الأخرى عن النبي صلي الله عليه وسلم وهي "انبذها" وهو أبلغ يعني اطرحها فإنه يتضمن النزع وزيادة. قال " هو الطرحُ والإبعاد وهذا زجر له وإنكار عليه، ثم أخبره النبي ﷺ أنها " **لا تزيدك إلا وهنا"** يعني ضعفا "

" **فهذه التي تضعها على يدك لا تزيدك إلا ضعفا على ضعف، وهذا معاملة بنقيض القصد؛ فمن علق قلبه بغير الله تبارك وتعالى وأراد تقوية بدنه فإنه لا يحصل إلا الضعف، فإن كل أمر نهى عنه الشارع فإنه لا ينفع غالبا وإن نفع بعض النفع فضرره أكبر من نفعه، وفيه ابتلاء من الله عز وجل وامتحان،**

وهكذا شأن الأمور وهكذا شأن الأمور الشركية ضررها على أصحابها **في الدنيا في الغالب والآخرة وذلك من أجل التفات قلوبهم إلي غير الله ومن تعلق شيئاً وكل إليه ومن وكل إلي غير الله هلك "**

" من تعلق شيئاً وكل إليه " يعني أن الله عز وجل يكله إلى هذا الأمر الذي توكل عليه، وأن الله عز وجل لا يوفقه إلى ما يحب ويرضاه.

ثم قال الشارح **" وإذا كان هذا في الأصغر الذي يجامع أصل التوحيد،"**

يقصد رحمه الله أن صاحب الشرك الأصغر عنده أصل التوحيد، فالذي أشرك بالله الشرك الأصغر لا ننفي عنه أصل التوحيد، بل معه أصل التوحيد كما تقدم، قال **" فكيف بالأكبر** – يعني الشرك الأكبر - **الذي ينافيه بالكلية."**

فالشرك الأكبر ينافي أصل التوحيد كما مر معنا مرارا.

ومقصود الشيخ رحمه الله أن قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العقوبة أنها لا تزيدك إلا وهنا إذا كان في الشرك الأصغر فما ظنك في الشرك الأكبر الذي ينافي أصل التوحيد فإنه من باب أولى أنها لا تزيد إلا ضعفا إلى ضعف إلى ضعف.

ثم قال عليه الصلاة والسلام **" فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا "**

قال الشارح **" نفى عنه الفلاح لو مات وهي عليه؛ لأنه شرك والحالة هذه، والفلاح من أجمع الكلمات التي نطقت بها العرب، وهو الفوز والظفر والسعادة. وفي رواية: "وكلت إليها".**

قال المصنف: ((فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يعذر بالجهالة، والشاهد منه إنكار النبي صلى الله عليه وسلم عليه، وأنه دليل على المنع من لبس الحلقة والخيط ونحوهما لذلك، وفيه إنكار المنكرات الشركية حتى إن من العلماء من جعلها ركنا سادسا من أركان الإسلام)) . "

في قول النبي صلى الله عليه وسلم **" فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا "**

والمقصود من ذلك أنك لو مت ولم تتب منها فإنه لا يحصل فلاح مطلقا، وهذا في حال اعتبارنا له أنه من قبيل الشرك الأكبر، فإنه لا يحصل له اي فلاح.

واما إن كان من قبيل الشرك الأصغر فإنه لا يحصل الفلاح المطلق، الفلاح الكامل، وإن كان عنده أصل الفلاح.

قال الشارح **" قال المصنف _ يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب _ ((فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر"**

وذلك لهذه العقوبة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لمن علق في يده مثل تلك الحلقة.

ثم قال **" وأنه لم يعذر بالجهالة،"**

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق عليه هذا الحكم وهو عدم الفلاح إن مات وهي عليه.

والشيخ ابن عثيمين رحمه الله علق هنا وقال في قول المصنف **" وأنه لم يعذر بالجهالة،"** قال " هذا فيه نظر، لأن قوله صلى الله عليه وسلم **" لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبدا "** ليس بصريح أنه لو مات قبل العلم، بل ظاهره " لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبدا " أي: بعد أن علمت وأمرت بنزعها"

ثم فصل رحمه الله - الشيخ ابن عثيمين - في مسألة الجهل وأن هناك من الجهل ما يعذر فيه الإنسان وأن هناك جهل لا يعذر فيه مما كان ناشئا عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم فإنه لا يعذر فيه؛ سواء كان في الكفر أو في المعاصي.

- ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى كتاب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله القول المفيد -

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **" وله عن عقبة بن عامر مرفوعا: " من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ". وفي رواية: " من تعلق تميمة فقد أشرك ".**

في قوله **" وله "** يعني للإمام أحمد رحمه الله **" عن عقبة بن عامر مرفوعا: " من تعلق تميمة فلا أتم الله له،"**

قال الشارح **" أي علقها عليه أو على غيره من طفل أو دابة ونحو ذلك، متعلقا بها قلبه في طلب خير أو دفع شر، فلا أتم الله له ما قصده، دعاء عليه بنقيض قصده، أن الله لا يتم له أمره، ودعاؤه صلى الله عليه وسلم على متعلقها يفيد أنه محرم، وتحريمه يفيد أنه من المحرمات الشركية، وإنما كان شركا لما يقوم بقلبه من التعلق على غير الله، في جلب نفع أو دفع ضر، وكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك، وكانوا يتلمحون من تعليقها تمام أمر من علقت عليه أن يتم له أمره، وذكر التميمة منكرة تعميما، حسما للمادة التي تؤول إلى الشرك. قال المنذري: ((التميمة خرزة كانوا يعلقونها، يرون أنها تدفع عنهم الآفات، وهذا جهل وضلال؛ إذ لا مانع ولا دافع غير الله)) . وفي النهاية: ((التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام)) اهـ. والتمائم أعم من ذلك، فتكون من عظام، ومن خرز، ومن كتابة، ومن غير ذلك."**

فهنا يبين الشارح أن قول النبي صلى الله عليه وسلم **" من تعلق تميمة "** يعني إما أن يكون علقها على نفسه أو علقها على غيره، سواء كان دابة أو كان طفلا أو نحو ذلك.

" فلا أتم الله له "

هذا فيه دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم على من علق هذه التميمة بأن لا يتم الله أمره.

وإنما سميت تميمة كما قال بعض أهل العلم، من أجل أنهم كانوا يعتقدون أنها تتم لهم الأمر، فلذا دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بنقيض قصدهم؛ قال **" فلا أتم الله له "** يعني لا أتم الله له أمره.

وهذا يفيد أن هذا الأمر محرم، بل هو شرك بالله تبارك وتعالى.

- والمصنف كما ذكرنا سيعقد بابا في التمائم وهو الباب الآتي بعد هذا الباب. -

وقوله **" وفي النهاية: التمائم جمع تميمة "**

النهاية كتاب معروف في غريب الحديث، وهو: النهاية في غريب الحديث والأثر، ومؤلفه هو ابن الأثير، وعرف التمائم بأنها خرزات، والشارح قال بأن التمائم أعم من ذلك؛ يعني أعم من أن تكون خرزات " فتكون من عظام، ومن خرز، ومن كتابة، ومن غير ذلك."

قال **" ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ". وفي رواية: " من تعلق تميمة فقد أشرك ".**

قوله **" ومن تعلق ودعة "**

" ودعة بفتح فسكون وتفتح "

يعني يجوز أن تقول وَدْعَة، ويجوز أن تحركها وتقول وَدَعَة.

قال **" و "لا ودع" بتخفيف الدال أي لا ترك له ما يحب، أو لا جعله في دعة وسكون، بل حرك عليه كل مؤذ، وهذا دعاء عليه أيضا، معاملة له بنقيض قصده، وكانوا يتلمحون من اسمها الدعة والسكون.**

قال في النهاية: ((الودعة شيء أبيض يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وقيل يشبه الصدف يتقون به العين)) .

وفيه وعيد شديد لمن فعل ذلك، يفيد أنه محرم، وإذا تقرر أنه محرم فالرواية الثانية بينت أنه من المحرمات الشركية، ومع كونه شركا فقد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقيض مقصوده"

قال " ورواه أبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي."

فهؤلاء يعلقون هذه الودعة، وسميت ودعة لأنهم يزعمون أنها مدعاة للراحة والسكون والطمأنينة.

وهنا دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم كذلك بنقيض قصده وقال **" فلا ودع الله له "**

أي لم يتركه ولم يجعله في سكون وراحة، فهو إنما علق هذه الودعة من أجل تحصيل السكون والراحة، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يحصل هذه الراحة ولا يحصل هذا السكون.

وقول الشارح " **وفيه وعيد شديد لمن فعل ذلك، يفيد أنه محرم، وإذا تقرر أنه محرم فالرواية الثانية بينت أنه من المحرمات الشركية** "

ويقصد بالرواية الثانية؛ التي ذكرها الشيخ " **من تعلق تميمة فقد أشرك** "

قال الشارح في الرواية الأخرى " **من تعلق تميمة فقد أشرك** " قال " **وذلك** " **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل عليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: "إن عليه تميمة"، فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: من تعلق تميمة فقد أشرك "**. رواه **أحمد من حديث عقبة بن عامر. ورواه الحاكم بنحوه، ورواته ثقات.**

وإنما جعلها صلى الله عليه وسلم شركا؛ لأنه أراد رفع القدر المكتوب، وطلب دفع الأذى من غير الله تعالى الذي هو النافع الضار، والتعلق يكون بالفعل أو بالقلب أو بهما.

وإنما كان شركا من جهة تعلق القلب على غير الله في جلب نفع أو دفع ضر، فكان شركا من هذه الحيثية.

قال الشيخ: من تعلق قلبه بمخلوق فالمخلوق عاجز، وهو من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة، وذلك أن يرجو العبد قضاء حاجته من غير ربه وصرف القلب عن التعلق بالمخلوق بمعرفة ألا خالق إلا الله، فلا يستقل سواه بإحداث أمر من الأمور بل ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فإذا تحقق العبد ذلك كان سببا لأن ينال مطلوبه. "

في قول الشارح رحمه الله " **وإنما جعلها صلى الله عليه وسلم شركا** " إلى آخره..

هو معنى كلام ابن الأثير في النهاية.

وقوله " **لأنه أراد رفع القدر المكتوب** " كذا في هذه النسخة التي عندنا، ولعل الصواب بالدفع. لأنه أراد دفع القدر المكتوب.

وتمام كلام ابن الأثير؛ قال " **وإنما جعلها شركا لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه** "

وقوله " **والتعلق يكون بالفعل أو بالقلب أو بهما.** "

فالتعلق بالفعل هو وضع الخرز ووضع التمائم على البدن وعلى اليد ونحو ذلك،

أو يكون متعلقا قلبه بها حتى لو نزعت عنه فإن قلبه يكون متعلقا بها.

وقد يكون بهما كليهما، كأن يضع هذه الحلقة أو يضع هذا الخيط على يده، وكذلك قلبه معلق بها.

قال " **وإنما كان شركا من جهة تعلق القلب على غير الله في جلب نفع أو دفع ضر، فكان شركا من هذه الحيثية.** "

وهذا فيه سبب تسمية هذا شركا، وهو أنه تعلق قلبه بغير الله تبارك وتعالى.

ثم ذكر أن القلب ينصرف عن التعلق بالمخلوق بمعرفة أن لا خالق إلا الله فلا يستقل سواه بإحداث أمر من الأمور؛ بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فإذا تحقق العبد ذلك كان سببا لأن ينال مطلوبه؛ فلا يتعلق قلبه إلا بالله عز وجل حينئذ.

ثم أورد الشيخ رحمه الله أثرا عن حذيفة رضي الله عنه قال **" ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه "** رأى **رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ} "**

قال الشارح أنه " رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه **"**

" أي عن الحمى، وكان الجهال يعلقون الخيوط والتمائم، يزعم أحدهم أنها لا تصيبه الحمى إذا لبس ذلك أولا تضره، ولفظه: " دخل حذيفة على مريض، فرأى في عضده سيرا فقطعه وانتزعه ". وروى وكيع عن حذيفة أنه " دخل على مريض يعوده فلمس عضده، فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رقي لي فيه، فقطعه وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك ". وفيه وجوب إزالة المنكر مع القدرة على ذلك، وإن كان يعتقد أنه سبب، فإنه لا يجوز من الأسباب إلا ما أباحه الله، مع عدم الاعتماد عليه، وأن تعليق الخيوط والحروز والطلاسم والتمائم ونحو ذلك شرك يجب إنكاره، وإزالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه، بل يفيد شرعية المثابرة في قطع المنكرات، والمبادرة إلى إزالتها بلا ممالأة لأحد؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان "

هذا حكم ما يوجد من المنكرات، وأهمها الأمور الشركية. "

هذا الأثر الوارد عن حذيفة رضي الله عنه في قطع خيط كان رجل قد وضعه من أجل الحمى _ وهي ارتفاع حرارة البدن _ وكان الجهال يعلقون الخيوط والتمائم، يزعمون بأن أحدهم لا تصيبه الحمى إن وضع ذلك ولا يضره.

فحذيفة رضي الله عنه انتزع هذا وقطعه من يد هذا المريض ونهاه عنه وقال **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ}**

وقول الشارح **" وفيه وجوب إزالة المنكر مع القدرة على ذلك "**

وهذا قيد مهم في إزالة المنكر باليد وهو وجوب القدرة.

قال **" وإن كان يعتقد أنه سبب، فإنه لا يجوز من الأسباب إلا ما أباحه الله، مع عدم الاعتماد عليه "**

وهنا فائدة ذكرها الشيخ السعدي رحمه الله ؛ قال " ولا بد من معرفة ثلاثة أمور في الأسباب " يعني كل سبب لابد أن ننظر في تحققه إلى ثلاث أمور فيه:

١_ " الأول ألا يجعل منها سببا إلا ما ثبت أنه سبب شرعا أو قدرا " وفصلنا القول في كونه سببا شرعيا أو كونه سببا قدريا.

٢_ " الثاني: ألا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها. " ومعنى هذا أنه يأتي بالأسباب ولكن لا يعتمد بقلبه عليها.

٣_ " الثالث: أن يعتقد أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره ولا خروج لها عنه." فهذه الأسباب والمسببات جميعا من قضاء الله وقدره.

ثم قال الشارح " وأن تعليق الخيوط والحروز والطلاسم والتمائم ونحو ذلك شرك يجب إنكاره، وإزالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه "

وهذا تقدم بقيد القدرة على ذلك.

والحديث الذي ذكره الشيخ رحمه الله **" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان "**

فليس كل أحد يستطيع أن يزيل المنكر بيده.

قال **" بل يفيد شرعية المثابرة في قطع المنكرات، والمبادرة إلى إزالتها بلا ممالأة لأحد "**

يعني لا يكون في ذلك ممالأة.

والممالأة هي المسايرة.

ثم تلا حذيفة قول الله تبارك وتعالى **{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ}**

قال الشارح **" قال ابن عباس: " تسألهم من خلقهم؟ فيقولون الله، وهم مع ذلك يعبدون غيره " وفي استدلال حذيفة بهذه الآية على أنه شرك، دليل على صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما نزل في الأكبر؛ لشمول الآية النوعين، ودخوله في مسمى الشرك. ودليل على صحة استدلال المصنف بالآية أول الباب، وكمال علم الصحابة بالتوحيد، وما ينافيه أو ينافي كماله."**

في هذه الآية استدلال حذيفة بقوله **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ}** هي وإن نزلت في أصحاب الشرك الأكبر إلا أن حذيفة استدل بها على نوع من أنواع الشرك الأصغر.

وفسر ابن عباس هذه الآية بقوله **" تسألهم من خلقهم؟ فيقولون الله "** يعني أنهم يقرون بتوحيد الربوبية؛ يعتقدون بأن الله هو الخالق وهو الرازق ونحو ذلك.

قال **" وهم مع ذلك يعبدون غيره "**

ثم قال **" وفي استدلال حذيفة بهذه الآية على أنه شرك، دليل على صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما نزل في الأكبر"**

وتقدم معنا أن السلف يستدلون بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

وذكر السبب وهو **" لشمول الآية النوعين، ودخوله في مسمى الشرك "** فهذا شرك وهذا شرك.

قال **" ودليل على صحة استدلال المصنف _ يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب _ بالآية أول الباب، وكمال علم الصحابة بالتوحيد، وما ينافيه أو ينافي كماله."**

نسأل الله عز وجل لنا ولكم التوفيق والسداد .

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الثامنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء المتجدد والذي نتناول فيه كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بشرح الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وذلك في كتابه حاشية كتاب التوحيد.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

باب ما جاء في الرقى والتمائم:

لما بيّن الإمام المجدد رحمه الله في الباب السابق ما يتعلق بحكم لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، وجزم هناك في الباب بأنه يعتبر شركًا بالله تبارك وتعالى، تناول في هذا الباب نوعًا من تلك الأنواع وهي ما يتعلق بالرقى والتمائم.

إلا أن الملاحظ في هذا الباب أن الشيخ رحمه الله لم يجزم بكونه شركًا، فلم يقل: باب من الشرك ما يتعلق بالرقى والتمائم، أو من الشرك الرقى والتمائم، وذلك لأن الرقى والتمائم منها ما هو جائز ومنها ما هو محرم ومنها ما هو مختلف فيه كما يأتي، وهذا من فقه الشيخ رحمه الله أنه لم يُطلق هذا الحكم على تلك الرقى والتمائم لاختلاف الحكم فيه.

فمقصود الشيخ من هذا الباب إذن _ باب ما جاء في الرقى والتمائم _ أني سأورد لك شيئًا من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ، والتي فيها حكم تلك الرقى والتمائم.

وبالإضافة إلى هذه الأحاديث التي أوردها الشيخ رحمه الله في هذا الباب، نجد كذلك أنه أورد أثارًا عن السلف في حكم تلك الرقى والتمائم.

قال الشارح رحمه الله عند قول الإمام: **باب ما جاء في الرقى والتمائم**، قال: **" أي من النهي عما لا يجوز من ذلك، وذكر ما ورد عن السلف في ذلك، ولم يجزم بكونهما من الشرك؛ لأن فيهما تفصيلا.**

(والرقى) جمع رقية، وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع.

(والتمائم) جمع تميمة، خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين في زعمهم، ويتلمحون من اسمها أنه يتم لهم مقصودهم فأبطلها الشرع."

فقوله رحمه الله: **"باب ما جاء في الرقى"**

الرقى: كما قال الشارح **" جمع رقية، وهي العَوَذَة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع، "**

فالرقية: هي ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء أو ممكن أن نقول: هي التي يُرقى بها صاحب الآفة، فهي إذن دعاء وتوسل إلى الله تبارك تعالى.

والرقية معروفة وكان أهل الجاهلية يرقون بعضهم بعضًا، وكانوا يستعملونها كثيرًا، فهي أدعية وألفاظ تقال أو تُتلى ثم يُنفث فيها.

وأما التمائم، فعرفها الشيخ أنها: **"جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين في زعمهم، ويتلمحون من اسمها أنه يتم لهم مقصودهم فأبطلها الشرع".**

هذا التعريف في الحقيقة من الشارح هو تعريف لبعض أنواع التمائم، وقد نقله من ابن الأثير رحمه الله في كتابة النهاية في غريب الحديث و الأثر كما تقدم معنا في الدرس السابق، وإلا فإن التميمة التي أرادها الشيخ رحمه الله في هذا الباب أعم من ذلك، فهو يريد التمائم الجائزة، ويريد كذلك التمائم الممنوعة، و كذلك التمائم المُختَلَف فيها.

التميمة تعريفها: أنها كل ما عُلق لدفع ضر أو جلب نفع فإذا كانت الرقية بكلام الله تبارك وتعالى، أو بأسماء الله وصفاته، أو بأدعية النبي ﷺ، مع تعليق الشفاء بالله تبارك وتعالى واعتقاد أن النفع والضَّر إنما هو بيد الله تبارك وتعالى، فهذه الرقية جائزة ومشروعة، وهناك نوع ممنوع من الرقية وهي ما إذا كانت بخلاف المشروع كأن تكون بأسماء الشياطين، أو تكون بأسماء الجن أو تكون بالأدعية المبتدعة فإن هذه ليست من الشرع.

ويدل على هذا التفصيل، قول عوف رضي الله عنه: **" كنا نَرقي في الجاهلية، فقال النبي ﷺ " اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا".**

ونص أهل العلم على أن الرقية تجوز بثلاثة شروط:

- **الشرط الأول:** أن تكون بالقرآن، أو بأسماء الله عز وجل وصفاته، أو تكون بأدعية النبي صلى الله عليه وسلم.

- **والثانية:** أن تكون بالكلام العربي المعلوم المعنى.

- **والثالثة:** أن لا يَعتقد أنها تنفع بنفسها، بل الله عز وجل هو الذي ينفع بالرقى، وإنما هذه الرقى أسباب يتوصل بها إلى العلاج.

و أما التمائم التي تعلق فإنها أنواع وليست نوعًا واحدًا ولا تختص بصورة معينة بل تشمل أمورًا كثيرة، مثل تعليق رأس العجل على البيوت، أو تعليق رأس الدب أو أن يعلق حدوة فرس أو يجعل خرزات أو مسابح خشبية، أو سلسلة على شكل عين صغيرة، أو كف يوضع فيها العين، أو نحو ذلك، فإن هذه كلها تمائم. وكذلك إذا عُلِّق على الأطفال و علق على الدواب وعلى السيارات الموجودة اليوم، فإن هذه كلها تمائم، وسيأتي إن شاء الله حكمها بالتفصيل.

وقول الشارح رحمه الله ناقلًا عن ابن الأثير في تعريف التمائم: **"جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها"**

المقصود من ذلك أنه في الغالب والعادة أنها كانت تعلق على الأولاد، قال: **"يتقون بها العين في زعمهم"** وهذا غالب من يضع التمائم أنه يضعها من أجل اتقاء العين، ومنهم من يزعم أنه يضعها من أجل الزينة و نحو ذلك، فإن هذا كذلك نوع محرم على ما يأتي تفصيله في حكم تلك التمائم.

قال: **"ويتلمحون من اسمها أنه يتم لهم مقصودهم"**

وقوله: **(يتلمحون)**: يعني أنهم يأملون من اسمها أن يتم لهم مقصودهم، فسموها تميمة لأنه يتم بها دفع العين وجلب الخير لهم .. قال رحمه الله: **" فأبطلها الشرع"** على ما يأتي إن شاء الله.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى **" في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقيّن في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت"**

قال الشارح رحمه الله **" في بعض أسفاره" قال الحافظ- يعني الحافظ ابن حجر- :((لم أقف على تعيينه)) قال: "فأرسل رسولا" قال: هو زيد بن حارثة كما رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، و الرسول هو من يُبعث برسالة، فالنبي ﷺ أرسل زيد بن حارثة رضي الله عنه برسالة إلى الناس في بعض أسفاره."**

قال: **" أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت"**

قال الشارح: **" يبقيّن بالياء المثناة والقاف المفتوحتين، ويحتمل أن يكون بضم الياء وكسر القاف. و "قلادة" فاعل على الأول، ومفعول على الثاني، وهي ما يعلق في رقبة البعير وغيره، من وتر ونحوه، والبعير يقع على الذكر والأنثى، وجمعه أبعرة وأباعر وبعران. والوتر بفتحتين واحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره، وقلدوه الدواب، اعتقادا منهم أنه يدفع عن الدابة العين، ويدفع عنهم المكاره، فنهاهم النبي ﷺ وأخبرهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا." في قوله عليه الصلاة والسلام: " أن لا يبقين"،**

أشار الشارح رحمه الله أنها تحتمل أمرين: إما أن تفتح الياء و القاف فتكون (أن لا يَبقَيَن) و الاحتمال الآخر: هو أن يكون بضم الياء وكسر القاف: (أن لا يُبقِيَن)، ويكون قلادة على ذلك فاعل على الأول، يعني إذا قلت: (أن لا يَبقَيَن في رقبة بعير قلادةٌ) فتكون قلادة فاعل إذا قلت بالفتح ، أما على الضم إذا قلت: (أن لا يُبقِيَن)، تكون قلادة هنا مفعول فتكون: **(أن لا يُبقِيَن في رقبة بعير قلادةً من وتر)** أي أن المرسل الذي أرسله النبي ﷺ لا يبقي قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت.

ثم قال الشارح رحمه الله: **" وهي ما يعلق في رقبة البعير وغيره من وتر ونحوه والبعير يقع على الذكر والأنثى وجمعه أبعرة وأباعر وبعران.**

والوتر بفتحتين: واحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوه الدواب اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدابة العين ويدفع عنهم المكاره"

فكان هذا الوتر الذي يوضع في الأقواس كان إذا اخلولق - يعني إذا بلي - وأصبح قديما ولا يحتاج إليه فإنهم يأخذونه ويجعلونه على رقاب الإبل وذلك لأجل دفع العين عن تلك الدواب، أو يكون من أجل دفع المكاره عنها.

قال **" فنهاهم النبي ﷺ وأخبرهم أنها لا ترد من أمر الله شيئاً"**

فتعلق القلوب بهذه الأوتار التي توضع على الإبل هذه لا تفيدها شيئا ولا تدفع عنها العين ولا تدفع عنها المكاره مطلقاً.

وتقدم معنا أن من جعل سببا لم يجعله الله تعالى سببا لا شرعاً ولا قدرا فإنه يعتبر شركا بالله تبارك وتعالى.

وقول النبي صلي الله عليه وسلم **:" في رقبة بعير"** هذا للتمثيل لأنه كان في الغالب أنه تلك الأوتار توضع على الإبل، فَلَو وضعت هذه الأوتار على غير الإبل كأن توضع في البيوت مثلا، أو توضع على السيارات أو نحو ذلك، فإن الحكم واحد.

وفِي قول النبي صلى الله عليه وسلم **:" في رقبة بعير قلادةٌ من وتر أو قلادةٌ الا قطعت "**

قال الشارح: **شك الراوي هل قال شيخه: "قلادة من وتر"، أو قال: "قلادة" وأطلق ولم يقيد. وروي عن مالك أنه سئل عن القلادة فقال: ما سمعت بكراهتها إلا في الوتر. ولأبي داود: "ولا قلادة" بغير شك، فتكون أو بمعنى الواو. قال البغوي: تأول مالك أمره -عليه الصلاة والسلام- بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا. ووجه الدلالة من الحديث أن الأوتار والتمائم في الحكم شيء واحد، ويؤيده قوله: " من تعلق تميمة فلا أتم الله له"**

في هذا الحديث الذي ذكره الشارح رحمه الله، فيه أن قول النبي ﷺ **" قلادة من وتر أو قلادة "** أن هذا شك من الراوي وأن أبي دَاوُدَ رحمه الله قد روى هذا الحديث بلا شك، وقال **" ولا قلادة "** فيكون قوله **" قلادة من وتر ولا قلادةٌ إلا قطعت "** فيكون الحكم شاملاً لما كان من الوتر أو لما كان لغيره من القلائد، فكل قلادة كانت من وتر أو غيرها فإنها تكون ممنوعة.

وقول مالك رحمه الله بناءً على الرواية التي جاءته وهي قوله عليه الصلاة والسلام : **" قلادة من وتر "** فكان يرى أنه لا تكون إلا في ما كان من الوتر.

قال **" قال البغوي: " تأوَّل مالك أمره عليه الصلاة والسلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات "** قال **" فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا ."**

ومن هذا ما قاله أبو عبيد رحمه الله **" كانوا يقلدون الإبل أوتارا لألا أن تصيبها العين، فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها إعلاما لهم بأن الأوتار لا ترد شيئا. "**

الصفة الغالبة عند العرب في السابق أنهم كانوا يقلدون هذه الإبل في أعناقها تلك الأوتار لأجل دفع العين، أما إن كان وضع تلك القلائد على الإبل من أجل القيادة لها كأن تقاد أو من أجل الزينة فإن هذا جائز لابأس به، وإنما الممنوع ما كان فيه وضع لتلك القلائد أو الأوتار من أجل دفع العين أو من أجل جلب الخير ونحو ذلك.

أما ما يمنع عنه من الزينة فأن توضع حدوة الفرس أو الخرزات أو المسابح الخشبية أو السلاسل التي تكون شكل عيون أو نحو ذلك، أو الكف الذي يوضع عليه العين فإن هذه من عادات أهل الجاهلية ووضعها محرم حتى ولو كان من أجل الزينة، لأن الأصل في وضعها هو أنها لأجل أن تدفع العين.

وأما هذه القلائد التي توضع على الإبل فإن بعض الناس يضعها ليس من أجل العين ولا يعتقد هذا، ولذلك أجازه أهل العلم.

ومن هذه التمائم المعاصرة المشهورة: ما يسمي بسوار ابن سينا وهو سوار نحاسي يوضع على اليد من أجل جذب الروماتيزم من الجسم أو الكهرباء أو نحو ذلك، فإن هذا مما اختلف فيه العلماء المعاصرون، ورجَّح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله المنع منه، ومن فتاواه رحمه الله في هذا أنه قال رحمه الله [[**وأفيدكم أني درست موضوعها كثيرا - يعني هذه الأسورة النحاسية - وعرضت ذلك على جماعةٍ كثيرة من أساتذة الجامعة ومدرسيها، وتبادلنا جميعا وجهات النظر في حكمها فاختلف الرأي، فمنهم من رأى جوازها لما اشتملت عليه من الخصائص المضادة لمرض الروماتيزم، ومنهم من رأى تركها لأن تعليقها يشبه ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتيادهم تعليق الودع والتمائم والحلقات من الصفر وغير ذلك من التعليقات التي يتعاطونها ويعتقدون أنها علاج لكثير من الأمراض وأنها من أسباب سلامةِ المعلق عليه من العين، ومن ذلك ما ورد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "من تعلق تميمةً فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعةً فلا ودع الله له " وفِي رواية " من تعلق تميمة فقد أشرك "** - ثم أورد الشيخ بعض الأحاديث وقال بعدها - **" فهذه الأحاديث وأشباهها يؤخذ منها أنه لا ينبغي أن يعلق شيئاً من التمائم والودع أو الحلقات أو الأوتار أو أشباه ذلك من الحروز كالعظام والخرز ونحو ذلك لدفع البلاء أو رفعه ، والذي أراه في هذه المسألة هو ترك الأسورة المذكورة وعدم استعمالها سدّا لذريعة الشرك حسما لمادة الفتنة بها والميل إليها وتعلق النفوس بها ورغبةٍ في توجيه المسلم بقلبه إلى الله سبحانه ثقة به واعتمادا عليه واكتفاءً بالأسباب المشروعة المعلومة إباحتها بلا شك.**

وفيما أباح الله ويسر لعباده غنية عما حرم عليهم وعما اشتبه أمره وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :"من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه " وقال ﷺ "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"

ولا ريب أن تعليق الأسورة المذكورة يشبه ما تفعله الجاهلية في سابق الزمان فهو إما من الأمور المحرمة الشركية أو من وسائلها، وأقل ما يقال فيه إنه من المشتبهات، فالأولى بالمسلم والأحوط أن يترفع بنفسه عن ذلك وأن يكتفي بالعلاج الواضح الإباحة البعيد عن الشبهة.

هذا ما ظهر لي ولجماعة من المشايخ والمدرسين]] انتهى كلامه رحمه الله.

ثم قال الشارح: **" ووجه الدلالة من الحديث أن الاوتار والتمائم في الحكم شيء واحد، ويؤيده قوله " من تعلق تميمة فلا أتمّ الله له " "**

وهو يريد بذلك أن يُبين أن هذه الاوتار تعتبر نوعا من أنواع التمائم المنهي عنها.

ثمّ قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: **وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الرقى والتمائم والتولة شرك " رواه أحمد وأبو داود**

قال الشارح: **" ولفظه عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود، أن " عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك". فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقي سكنت، فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقي كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما ". ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي.**

والمراد بالرقى المنهي عنها ما كان من جنس رقى الجاهلية، والتمائم ما يعلق على الحيوانات، من خرز ونحوه، ويأتي التفصيل فيهما. والتولة ممنوعة مطلقا إجماعا، قال الحافظ: التولة بكسر التاء وفتح الواو، شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما كان من الشرك لما يراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى. وقال علي رضي الله عنه: " إن كثيرا من هذه الرقى والتمائم شرك فاجتنبوها ". رواه وكيع، والإمام أحمد -رحمه الله- تقدمت ترجمته.
وأبو داود هو الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث ابن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني صاحب الإمام أحمد، صنف السنن والمراسيل وغيرها. ولد سنة 202 هـ، وتوفي في شوال بالبصرة سنة 275هـ. " رحمه الله.

فالشارح رحمه الله أورد سبب إيراد هذا الحديث من ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا الحديث روته زينب زوجته رضي الله عنها.

وكان ممّا يقول أعني النبي صلى الله عليه وسلّم **:" إنّ الرقى والتمائم والتِّوَلَةَ شرك "**

والرقى هنا جمع رقية ولفظها عام إلاّ إنّه أراد به الخصوص، فهي رقى ممنوعة - أراد بالرقى هنا الرقى الممنوعة التي فيها مخالفات شرعية - وإنّما قلنا بأنّها من قبيل اللفظ العام الذي يراد به الخاص لأنّ من الرقى ما يكون جائزا مشروعا كالرقية بالفاتحة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلّم عنها - عن هذه السورة سورة الفاتحة – " وما يدريك أنّها رقية " ولغير ذلك من النصوص فالرقى أذن تنقسم إلى قسمين :

1/ <u>رقى شرعية:</u> و هذه جائزة وهي التي سبق أن ذكرنا أنّها تكون من كلام الله أو تكون بأسماء الله وصفاته وتكون من أدعية النبي صلى الله عليه وسلّم ونحو ذلك.

2/ وإمّا أن تكون من <u>الرقى الممنوعة</u> وهي التي يكون فيها شرك وهي المقصودة هنا في قول النبي صلى الله عليه وسلّم **" إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك "**

ولذلك قال الشارح **" والمراد بالرقى المنهي عنها ما كان من جنس رقى الجاهلية. "**

وأمّا والتمائم فقد تقدّم التعريف بها قريبا.

والتِّوَلَة هو نوع وضرب من السحر تفعله المرأة من أجل أن يتحبب إليها زوجها، وحكمها أنّها شرك كما قال النبي صلى الله عليه وسلّم.

و التولة إن فعلها الرجل من أجل أن يتحبب إلى زوجته أو تتحبب إليه زوجته كذلك هي نوع من التولة، ولكن لمّا كان الغالب على النساء أنهنّ يصنعنّ هذا عُرِّفت التولة بأنّها من صنيع المرأة، وإلاّ فإنّ الرجل لو فعلها فإنّها تكون من قبيل السحر الذي هو شرك بالله تبارك وتعالى.

قال الحافظ **" التولة بكسر التاء وفتح الواو شيء كانت المرأة تجلب به محبّة زوجها، وهو ضرب من السحر. وإنّما كان من الشرك لما يراد به من دفع المضارّ وجلب المنافع من غير الله تعالى."**

وهذا هو حقيقة ما يفعله هؤلاء من أجل هذا التعليق.

ثمّ في قول عليّ رضي الله عنه الذي نقله الشيخ **" إنّ كثيرا من هذه الرقى والتمائم شرك فاجتنبوها "**

ومن أجل هذا - كما تقدّم معنا - أنّ المصنّف الإمام محند بن عبد الوهاب رحمه الله لم يجزم بأيّ حكم من أحكام الرقى والتمائم عند ذكره للباب، وإنّما قال **باب ما جاء في الرقى والتمائم** كما قدمنا.

ولو رجعنا إلى لفظ الحديث **" عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود، أن " عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك."**

وهل المقصود بذلك الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر؟

هذا فيه تفصيل :

- إن اتّخذ هذا الذي يضعه من أجل أنّه سبب؛ فإنّه تقدّم أنّه يعتبر شركا أصغر.
- وإن اعتقد دفع الضر إنّما هو من هذه التمائم ونحوها فإنّه يكون من قبيل الشرك الأكبر.

وأمّا التولة فإنّه لمّا كان سحرا فإنّه يعتبر شركا أكبر على ما يأتي من تفصيل الحكم في **باب ما جاء في السحر وباب بيان شيء من أنواع السحر** بإذن الله.

ثمّ في قولها **" لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنت "**

هنا تُبين سبب وضعها لهذا الخيط، وهي أن العين كانت تقذف.

وفيه وجهان (تُقْذَف) و (تَقْذِف)، وقيل في تفسيرها: أي أن عيني كانت ترمِض أو ترمِصُ أو تدمع. فكان وسخ العين يخرج منها أو كان الدمع يخرج معها وكان فيه وجع.

قال **" وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقي سكنت، فقال عبد الله** – يعني زوجها؛ ابن مسعود -: **إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقى كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي "**

هنا بين لها أن هذا الفعل إنما هو من الشيطان، فهو الذي كان ينخسها حتى إذا خرج منها ما يخرج من العين؛ الدمع أو الرّمص أو نحو ذلك، فإذا رقاها اليهودي فإن الشيطان يكفّ عنها حتى يلبس على هذه المرأة دينها. فهي لما رأت أن الشفاء يحصل من رقية هذا اليهودي فإنها ظنت أن هذه الرقية رقية مشروعة، إلا أن ابن مسعود رضي الله عنه بين لها أن هذا إنما هو من الشيطان.

وهذا فيه فائدة مهمة للغاية حقيقة، وهي الردّ على من يستعمل التجارب في الرقى فيقول بان هذه الرقية قد كررتها كذا مرة ونفعت بإذن الله، فهذا فيه إذن أن التجربة غير معتبرة في الشرع في هذا الباب.

ثم دلّها على الرقية الشرعية، وقال **" نما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما ."**

وقوله **" أذهب البأس "** البأس هو الشدة والمرض، وقوله **" شفاء لا يغادر سقما"** أي لا يترك سقما خلفه، فهو شفاء يكون محلّ السقم ولا يكون بعد هذا الشفاء أي سقم، وهو المرض.

قال **" والمراد بالرقى المنهي عنها ما كان من جنس رقى الجاهلية، والتمائم ما يعلق على الحيوانات، من خرز ونحوه، ويأتي التفصيل فيهما. والتولة ممنوعة مطلقا إجماعا "**

ثم قال المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **" وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا " من تعلق شيئا وُكِل إليه ". رواه أحمد والترمذي. "**

قال الشارح **" وقال: حسن غريب _ يعني الترمذي_ وأبو داود والنسائي وغيرهما من طرق، والتعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما جميعا، فمن تعلق شيئا وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلق بالله وأنزل حوائجه به والتجأ إليه، وفوض أمره إليه كفاه، ومن تعلق بغيره، أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائم ونحو ذلك، وكله الله إلى ذلك وخذله، وهذا أمر معروف بالنصوص والتجارب: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}**

وأخرج أحمد عن وهب: أوحى الله إلى داود: " يا داود أما وعزتي وعظمتي، لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيده السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلت له من بينهن مخرجا، أما وعزتي وعظمتي، لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني، أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يديه، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك ". وشاهده في الكتاب والسنة.

والأشياء التي يتعلق بها على قسمين:

الأول: ما هو سبب، فهذا ينظر هل أباحه الشرع أو لا؟.

القسم الثاني: ما ليس بسبب، فلا يتعلق به بالكلية، والذي يتعلق به يشترط فيه شرطان:

***أحدهما: أن يتحقق أنه سبب.**

***والثاني: أن يكون مباحا. "**

في هذا الحديث الذي أورده الشيخ رحمه الله **" من تعلق شيئا وُكِل إليه "** بيان لعاقبة من يتعلق قلبه بأي شيء، فمن تعلق قلبه بالله تبارك وتعالى فإنه يوكل إليه وينصره الرب تبارك وتعالى ولا يخذله، وأما من توكل وتعلق قلبه بشيء غير الله عز وجل فإن الله عز وجل يوكله إلى ما تعلق عليه، وشاهده هنا أن من علق تميمة أو تعلق قلبه بها أو أنه تعلق قلبه بالرقى ونحو ذلك فإن الله عز وجل يوكله إليه ولا ينصره ربنا تبارك وتعالى ولا يكون معه.

وقال الشارح **" وهذا أمر معروف بالنصوص والتجارب "**

" معروف بالنصوص" لأن من تعلق شيئا كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام يوكله الله عز وجل على ما توكل عليه.

" وبالتجارب " على أن من تعلق شيئا فإنه جرت سنة الله عز وجل الكونية على أن هذا الرجل الذي تعلق قلبه بغير الله عز وجل يوكله الله تبارك وتعالى إلى ما تعلق عليه.

ثم أورد أثرا عن وهب، وهو من الروايات الإسرائيلية، ومعلوم ان هذه الروايات الإسرائيلية إن كانت من الأمور الموافقة لشرعنا فإنه يجوز روايتها كما قال عليه الصلاة والسلام **" حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج "** وأما إن كانت مخالفة لشرعنا فإنه لا يجوز روايتها.

قال بعد ذلك **" وشاهده في الكتاب والسنة "**

يعني أن ما قاله داوود عليه السلام موجود في كتاب الله وفي سنة النبي عليه الصلاة والسلام من نصرة الله عز وجل لأولياءه وخذلانه لمن لم يعتصم بالله تبارك وتعالى ولم يتوكل عليه.

قال **" والأشياء التي يتعلق بها على قسمين: الأول: ما هو سبب، فهذا ينظر هل أباحه الشرع أو لا؟."**

يعني كل ما يتعلق بالإنسان إما أن يكون بسبب، فهذا ننظر هل هو سبب شرعي؟ هل شرعه الله عز وجل؟ أو لم يشرعه.

قال **" القسم الثاني: ما ليس بسبب، فلا يتعلق به بالكلية، والذي يتعلق به يشترط فيه شرطان:**

***أحدهما: أن يتحقق أنه سبب.**

***والثاني: أن يكون مباحا. "**

وهناك شرط ثالث ذكره أهل العلم وتقدمت الإشارة إليه، وهو أنه لا يعتمد عليه بكليّته، بل يكون اعتماده على الله تبارك وتعالى، وهذا إنما يأتي به من أجل انه سبب.

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **" التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه "**

في هذا الجزء يبين لنا الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تعليقه سبب عدم ذكره الشرك في هذا الباب، فلم يقل: باب من الشرك ما جاء أو باب من الشرك الرقى والتمائم كما تقدم معنا.

قال الشارح رحمه الله عند قول الشيخ " **التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين** "

قال " **وكذا قال الخلخالي وغيره: التمائم جمع تميمة، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان، من خرزات وعظام لدفع العين، وهذا منهي عنه؛ لأنه لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.** "

وقوله " **يعلق بأعناق الصبيان** " تقدم معنا أن هذا على الغالب، فلو علق على الرجل أو علق على العضد أو علق على غير ذلك فغنه يأخذ نفس الحكم.

قال " **لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه** "

قال الشارح " **لأن النهي عام** "

هنا الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ذكر أن ابن مسعود رضي اله عنه يرى أن المعلق إذا كان من القرآن فإنه منهي عنه، وهذا حصل فيه نزاع بين السلف لكن الشيخ ذكر رأي ابن مسعود رضي الله عنه.

قال " **لأن النهي عام، وأما تخصيصه بغير تمائم القرآن فتخصيص بغير مخصص، وقد اختلف السلف في تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته، فروي عن بعضهم تجويز ذلك، منهم عبد الله بن عمرو وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك.**

وقال بعضهم: لا يجوز ذلك، وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعقبة وأحمد في رواية اختارها الأكثر؛ لهذا الحديث وما في معناه وصححه الشارح لوجوه:
(الأول) عموم النهي ولا مخصص للعموم.
(والثاني) أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة وغيرها من الحالات القذرة.
(والثالث) سد الذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك، ولو لم يكن إلا هذه العلة وحدها لكفى بها حجة في المنع، سدا لذرائع الشرك.
(والرابع) أنه ﷺ قد كان يرقى ورقي، فلو كان تعليق تمائم القرآن جائزا لأمر به. وليس في كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله ﷺ ما يدل على إجازة تعليق شيء من القرآن، ولا ثبت عن أحد من الصحابة المقتدى بهم تجويزه ولا فعله مع توفر الدواعي إليه، وما ذلك إلا لأنه ينافي التوكل والإخلاص، ولعل عبد الله بن عمرو يعلقه في الألواح، لا أنه تميمة. "

رجح الشارح هنا المنع من تعليق تلك التمائم التي هي من القرآن تبعا للشارح وهو الشيخ عبد الرحمن ابن حسن رحمهم الله في كتابه فتح المجيد. وعلل ذلك لأن النهي عام. يعني الأحاديث التي وردت في النهي عن التمائم إنما هي نهي عام.

وتخصيص النهي بأنها تكون بغير القرآن قال " **تخصيصٌ بغير مُخصِّص** " يعني لا دليل على هذا التخصيص. وقد اختلف السلف في تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته، فروي عن بعضهم تجويز ذلك؛ منهم عبد الله بن عمرو، وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك:

يعني الأحاديث التي ورد فيها النهي عن التمائم أو الوصف التي فيها شرك فيها فإنهم يقصدون بها التمائم التي يكون فيها شرك.

ومن قال بعدم الجواز وهم ابن مسعود وابن عباس وعقبة واحمد في رواية اختارها الأكثر، لهذا الحديث وما في معناه.

قال **" وصححه الشارح ".**

أما ما جاء عن عبد الله بن عمرو، والذي أشار الشيخ رحمه الله إلى أنه أجازه، فلعل كما أشار الشارح في نهاية التعليق أنه كان يعلق الألواح ولا يجعلها تمائم. وإنما كان يعلق الألواح على رقابهم من أجل أن يحفظوا كلام الله عز وجل؛ فهو يكتب آيات من القرآن على هذه الألواح ويعلقها على أولاده، لا أنه يريد أن تكون تمائم.

ثم ذكر الشارح سبب المنع من تعليق التمائم التي هي من القرآن ألا وهو عموم النهي ولا مخصص للعموم، والاحاديث الواردة في المنع من تعليق التمائم تشمل التمائم التي هي من القرآن والتمائم التي لا تكون من القرآن.

والثاني ما يتعلق بالإمتهان فإن المعلق إذا علق تلك الآيات و الأحاديث و الادعية النبوية و نحوها فإنها تكون ممتهنة، تدخل بها في قضاء الحاجات و لا يسلم من أن يدخلها قاذورات لاسيما إذا كان طفلا صغيرا أو نحو ذلك .

و الثالث سد للذرائع، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك. ولو لم يكن إلا هذه العلة وحدها لكفى بها حجة في المنع سدا لذرائع الشرك.

و الشيخ رحمه الله عقد أبوابا متعلقة بسد الذرائع يأتي معنا ذكرها و هو باب مهم في أبواب العقائد، فإنه يُسد كل ذريعة يتوصل بها إلى الشرك بالله تبارك و تعالى.

والرابع هو أن النبي ﷺ لم يعلق هذه التمائم التي تكون من القرآن و لو كانت جائزة لعلقها النبي ﷺ و أمر بها، لكنه كان يرقى و رقي عليه الصلاة والسلام.

ثم ذكر أن الصحابة رضي الله عنهم الذين نقتدي بهم لم يفعلوا هذا الأمر، فدل هذا الأمر على أنه لو كان جائزا لفعله أصحاب النبي ﷺ.

ثم ذكر الجواب عن فعل عبد الله بن عمرو كما تقدم معنا وهو أنه لعله كان يعلق هذه الألواح التي تكون في رقاب الأولاد من أجل أنهم يحفظوا القرآن لا لأنه اعتقد أنها تميمة.

فتلخص من كل ما سبق أن التمائم على نوعين:

1- التمائم يكون فيها شرك بالله عز و جل؛ يكتب فيها آيات شركية، أو يكتب فيها القرآن منكصا أو أنه يكتب أسماء الشياطين وتعلق على الأولاد، أو يستغاث فيها بغير الله تبارك وتعالى فإن هذا شرك بالاجماع لا يجوز تعليقها.

2- وأما إذا كان من القرآن ويعلق على الاولاد، فإن من السلف من أجازها ومنهم من منعها. و أكثر العلماء على المنع فيها لهذه الأمور الاربعة التي ذكرها الشارح رحمه الله تعالى.

وكذلك من الأمور التي نص عليها أهل العلم في سبب المنع من هذا، هو أن بعض الناس تتعلق قلوبهم بهذه التمائم، لذلك الشيخ رحمه الله أورد قول النبي ﷺ "من تعلق شيئا وكل إليه"

والذي يجب هو أن تتعلق القلوب بالله تبارك و تعالى لا أن تتعلق بمثل هذه الأمور.

لكن أنبه إلى أن تعليق هذه التمائم التي هي من القرآن الكريم أو من الادعية الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ لا تصل الى درجة الشرك. ومن قال من أهل العلم بالمنع منها فإنهم إما أن يقولوا بالتحريم أو أنهم يقولوا بالكراهة لكنهم لا يقولون أن تعليقها يعتبر شركا بالله تبارك و تعالى.

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **"والرقى هي التي تسمى العزائم وخص منها الدليل ما خلى من الشرك رخص فيه رسول الله عليه الصلاة و السلام من العين والحمى. "**

قال **"والرقى هي التي تسمى العزائم"**

قال الشارح **" واحدتها تسمى عزيمة و هي الرقية، و عزم الراقي أي قرأ العزائم. أو العزائم آيات من القرآن تقرأ على ذوي العاهات، وقيل أنواع، منها ما ينفث به على المريض و ما يجعل في ماء و يسقاه المريض ومنها هذه العزائم التي تكتب في صحن ونحوه. "**

فالأصل في الرقى إن كانت من كتاب الله عز وجل ومن الادعية الصحيحة من سنة النبي ﷺ فإن هذه جائزة، وهي التي تسمى عند العوام من الناس العزيمة، وتقرأ هذه الرقى من الآيات والنصوص الشرعية على المريض و ذوي العاهات.

قال **" وقيل أنواع "**

وقيل فيها هي أنواع: منها ما ينفث به على المريض وما يجعل في ماء، ويسقاه المريض و منها هذه العزائم التي تكتب في صحن و نحوه.

أما كتابة الآيات في صحن و نحوه فإن هذا منع منه بعض أهل العلم ولم يجيزوه، و منهم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ قال رحمه الله لما سئل عن ذلك قال **" أنه يجب أن نعلم أن كتاب الله عز وجل أعز وأجل من أن يمتهن إلى هذا الحد. كيف تطيب نفس مؤمن أن يجعل كتاب الله عز و جل وأعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي أن يجعلها في إناء يشرب فيه و يمتهن ويرمى في البيت و يلعب به الصبيان. هذا العمل لا شك أنه حرام و أنه يجب على من عنده شيء من هذه الأواني أن يطمس هذه الآيات التي فيها بأن يذهب بها الى الصانع فيطمسها، فإن لم يتمكن من ذلك، فالواجب عليه أن يحفر لها في مكان طاهر و يدفنها. وأما أن يبقيها مبتذلة ممتهنة يشرب بها الصبيان ويلعبون بها فإن الاستشفاء بالقرآن على هذا الوجه لم يرد عن السلف الصالح رضي الله عنهم."**

ثم قول الامام محمد بن عبد الوهاب **" وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة "**

قال الشارح **" يشير إلى أن الرقى الموصوفة بكونها شركا هي التي يستعان فيها بغير الله، من دعاء غير الله، والاستغاثة والاستعاذة به، كالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والجن ونحو ذلك،**

وأما الرقى بالقرآن وأسماء الله وصفاته وما أثر عن النبي ﷺ فهذا حسن جائز، أو مستحب كما تقدم، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك: " كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: "اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا".

قال الخطابي: وقد رقى ورقي، وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله فهي مباحة أو مأمور بها، وإنما جاء المنع فيما كان بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفرا، أو قولا يدخله الشرك

.

قال شيخ الإسلام: كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلا عن أن يدعو به، ولو عرف معناه، وإنما يرخص لمن لا يحسنها، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارا، فليس من دين الإسلام.

قال السيوطي: أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أن تكون من كلام الله وبأسمائه وصفاته،

وباللسان العربي وما يعرف معناه من غيره،

وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى. "

فما ذكره الإمام رحمه الله من أن دليل خص الرقى من العين و الحمة، هذا جاء في بعض الأحاديث عن النبي ﷺ. وإلا فإن النبي عليه الصلاة و السلام رخص في العين و الحمة و كذلك رخص في غيرها، فيجوز الرقية من العين الذي هو الحسد أو إصابة العائن للإنسان و كذلك من الحمة التي هي السّموم كما تقدّم معنا، و من غيرها من الأمراض، فإن القرآن شفاء.

و أشار الشارح إلى تقسيم الرقى إلى قسمين: قسم ممنوع و قسم مشروع وهو:

المشروع الذي يكون من كلام الله عز و جل أو أسمائه وصفاته وما أوثِر عن النبي صلى الله عليه و سلم فهذا إما أن يكون حسنا جائزا أو يكون مستحبا،

ثم ذكر حديث عوف بن مالك و قول النبي صلى الله عليه و سلم : **"اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا".**

ثم ذكر قول الخطّابي في جواز الرقية والنبي صلى الله عليه و سلم رقى غيره و رقاه غيره، وممن رقاه صلى الله عليه و سلم جبريل و عائشة رضي الله عنها.

قال **" وإنما جاء المنع فيما كان بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفرا أو قولا يدخله الشرك،"**

لذلك نصوا على أنه من كلام العرب حتى يُفهم معناه.

وأما إذا كان من غير كلام العرب و كانت هناك ضرورة و حاجة و كان معناه صحيحا فإنه يجوز عند الحاجة، ولذلك قال شيخ الإسلام : "كل اسم مجهول فليس لأحد ان يرقى به، فضلا عن أن يدعو به و لو عُرف معناه "

و مثل ذلك أسماء الشياطين.

قال: **" وإنما يرخص لمن لا يحسنها "**

يعني لمن لا يحسن القراءة باللسان العربي، فأما جعْل الألفاظ الأعجمية شعارا فليس من دين الإسلام يعني لا يُجعَل هذه الألفاظ الأعجمية من أجل الرقى دائما و تكون شعارا، و إنما هذا يكون عند الحاجة.

ثم ذكر الشروط التي تقدم ذكرها و نقل عن السيوطي إجماع العلماء على جواز هذه الرقى عند توفر ثلاثة شروط

1* أن تكون من كلام الله و أسمائه و صفاته

2* و الشرط الثاني أن تكون باللسان العربي و ما يعرف معناه من غيره، أي من غير اللسان العربي.

3* وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، وهذا شرط مهم، بل لابد أن يكون بتقدير الله تعالى.

قال **" والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته "**

وهذا تقدّم تفسيره.

قال **" وروى الإمام أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: " يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا بريء منه "**

في قول النبي صلى الله عليه و سلم **" يا رويفع لعل الحياة ستطول بك "**

قال الشارح **" فيه علم من أعلام نبوته ﷺ؛ فإن رويفعا طالت حياته إلى سنة 56 هـ. "**

قال **" فأخبر الناس"**

قال **" فيه دليل وجوب إخبار الناس بما أمروا به ونهوا عنه، مما يجب فعله أو تركه، وليس مختصاً برويفع، بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس وجب إعلامهم به. فإن الله قد أخذ العهد على العلماء، فإن اشترك هو وغيره في علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية. "**

هذا فيه حكم إعلام الناس بالأمور الشرعية، و أعظم الأمور الشرعية التي ينبغي على العبد الاهتمام بها هي أمر التوحيد.

قال **" أن من عقد لِحيته "**

قال **" بكسر اللام لا غير، والجمع لحى بالكسر والضم، ويفسر على وجهين:**

(أحدهما) ما كانوا يفعلونه في الحرب، يعقدون لحاهم، وذلك من زي الأعاجم يفتلونها ويعقدونها تكبرا وعجبا.

(والثاني) معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد، وذلك من فعل أهل التأنيث.

قال ابن العراقي: والأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة، كما في رواية محمد بن الربيع: "أن من عقد لحيته في الصلاة"، ويشبه هذا ما يفعله كثير من أهل الفسق والكبر، من فتل أطراف الشوارب وإبقائها مخالفة لما ثبت عنه ﷺ في الصحيحين وغيرهما أنه قال: " أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى"

قال **" أو تقلد وترا"**

قال **" أي جعله قلادة في عنقه أو عنق دابته، وهذا الشاهد للترجمة، وفيه مع ما تقدم أنه شرك لما كانوا يقصدونه بتعليقه على الدواب وغيرها. وفي رواية محمد بن الربيع: " أو تقلد وترا يريد تميمة ". وكل دليل يصلح في الأوتار يصلح أن يكون دليلا في التمائم وبالعكس. ".**

يريد من ذلك أن قوله عليه الصلاة و السلام **" أو تقلد وترا "** أنه يدخل في باب التمائم، و هو الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله هنا في هذا الشرح، فالشاهد من إيراد هذا الحديث هو هذا الجزء منه **" أو تقلد وترا ".**

قال **" أو استنجى برجيع دابة أو عظم "**

قال الشارح: **" الرجيع العذرة والروث، سمي رجيعا لأنه يرجع من حالته الأولى بعد أن كان طعاما أو علفا، أي أزال النجو به أو بعظم. "**

و النجو: هو دبُر الإنسان، ومنه سمي الاستنجاء استنجاءً لأنه يكون فيه تنظيف لهذا المكان.

قال **" وفي صحيح مسلم: " لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام؛ فإنها زاد إخوانكم من الجن ". والاستنجاء بها كبيرة، وظاهر المذهب لا يجزئ، وفي الحديث "إنهما لا يطهران."**

قوله **" الاستنجاء بهما كبيرة "**

لأن النبي عليه الصلاة كما في نهاية الحديث تبرأ منه.

قال **" وظاهر المذهب لا يجزئ "**

يعني لا يجزئ هذا الاستنجاء إذا كان بالرجيع الذي هو الروث أو كان بالعظم، بل لابد من الاستنجاء إما بالحجارة و إما بالماء.

قال **" وفي الحديث: إنهما لا يطهران "**

و اختار شيخ الإسلام ابن تيمية و جماعة من أهل العلم أنه يجزئ الاستنجاء بالعظم و الاستنجاء بالروث و إن كان محرما، لأنه لم ينهى عنهما لكونهما لا ينقيان بل لإفسادهما.

وأما الحديث الذي ذكره الشارح أنهما لا يطهّران فهذا أعلّه بعض أهل العلم و لم يصححوه.

قال " **فإن محمدا بريء منه** "

قال " **وعيد شديد، ويدل على أنه من الكبائر تبرؤه ﷺ ممن فعل هذه الأمور الأربعة وإجراء أحاديث الوعيد على ظاهرها أبلغ في الزجر، ولا يجوز صرفها عن ظاهرها بالتأويل."**

قوله عليه الصلاة و السلام " **فإنه محمدا بريء منه** "

البراءة في الأحاديث النبوية دليل على أن هذا الفعل الذي حذر منه النبي صلى الله عليه و سلم أنه يكون من الكبائر.

و بعض أهل العلم يعرف الكبيرة بأنها: ما حذر منها النبي صلى الله عليه و سلم باللعن او بالتبرئ أو بالغضب أو نحو ذلك، فتكون هذه من قبيل الكبائر.

قال " **وعن سعيد بن جبير قال: " من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة "**

قال الشارح رحمه الله " **أي كان له مثل ثواب من أعتق رقبة لأنه مستعبد للشيطان، فإذا قطعها أعتقه من أسر الشيطان، ففيه فضل قطع التمائم وأنها شرك، ومثل هذا الأثر لا يقال بالرأي، وقال الشارح: له حكم الرفع، وهو مرسل تابعي، وألحق ابن العربي بالصحابة ما يجيء عن التابعي مما لا مجال للاجتهاد فيه، فنص على أنه في حكم المرفوع، وذكر أنه مذهب مالك والأكثر على خلافه. "**

فالذي يقطع التميمة من إنسان فإنه يكون كعتق الرقبة، وذلك لأنه مستعبده الشيطان بسبب هذه التميمة أو الوتر ويكون قد نجاه من ذلك، وهذا عند القدرة والاستطاعة.

وأما عند عدم القدرة أو الاستطاعة في الإنكار باليد فإن الواجب هو الإنكار باللسان.

قال " **وله عن إبراهيم: " كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن"**

قال الشارح " ولوكيع " " **أي ولوكيع بن الجراح عن إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو ابن ربيعة بن ذهل النخعي الكوفي الثقة الفقيه، مفتي أهل الكوفة، من كبار الفقهاء، روى عن الأسود وعبد الرحمن ابني يزيد ومسروق وعلقمة وغيرهم. وعن عائشة ولم يثبت سماعه منها، وعنه الأعمش وحماد وخلق، مات سنة 96 هـ، وله 50 سنة.**

ومراده -رحمه الله- أصحاب عبد الله بن مسعود: كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث ابن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خثيم وسويد بن غفلة وغيرهم من سادات التابعين.

وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم، وفي زمانهم كانوا يطلقون الكراهة على المحرم. وصححه الشارح؛ لأن ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه، وما كان من القرآن فإنه يتعين النهي عنه أيضا لما تقدم."

فقول ابراهيم النخعي رحمه الله " **كانوا يكرهون** " أي كانوا يكرهون - كبار أصحاب بن مسعود - التمائم كلها من القرآن و غير القرآن وهذا ما تقدم ذكر الخلاف فيه.

وهذا الباب حقيقة ينبغي على طلاب العلم أن يفهموه وأن يعلموه الناس، لاسيما الذين ينتشر عندهم تلك التمائم وينتشر عندهم تلك الرقى الشركية و تلك الرقى البدعية.

وينبغي أن يعلقوا قلوب الناس بالله تبارك وتعالى، ولاسيما الحقيقة ما يجعل على السيارات حاليا من الكف الذي يوضع أو العين أو نحو ذلك فإن هذه كلها من التمائم والخرزات وكلها ممنوع منها.

يقول الشيخ الألباني رحمه الله عن تلك التمائم، قال **" ولا تزال هذه الضلالة أي التمائم فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها على المرآة، وبعضهم يعلق نعلا في مقدمة السيارة ة أو مؤخرتها، وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان، كل ذلك لدفع العين كما زعموا، وغير ذلك مما عمّ وطمّ بسبب الجهل بالتوحيد وما ينافيه من الشركيات والوثنيات. "** انتهى كلامه رحمه الله.

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله في كتابه التيسير - لما ذكر الخلاف في تعليق التمائم من الآيات القرآنية أو الأسماء الحسنى -، قال **" هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته، فما ظنك بما حدث بعده من الرقى بأسماء الشياطين وغيرهم وتعليقها، بل والتعلق عليهم والاستعانة بهم والذبح لهم، وسؤالهم كشف الضر وجلب الخير مما هو شرك محض وهو غالب على كثير من الناس إلا من سلم الله.**

فتأمل ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه والتابعون، وما ذكره العلماء بعدهم في هذا الباب و غيره من أبواب الكتاب، ثم انظر الى ما حدث في الخلوف المتأخرة، يتبين لك دين الرسول صلى الله عليه وسلم وغربته الآن في كل شيء فالله المستعان. " اهـ.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يجعله حجة لنا لا حجة علينا.

والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة التاسعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد

حياكم الله أيها الإخوة في هذا الدرس التاسع لشرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بحاشية الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم

قال الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وأراد المصنف رحمه الله من عقد هذا الباب بيان ما عليه كثير من الجهال الذين يتبركون بالأشجار والأحجار ونحوهما، فبيّن في هذا أن هذا التبرك ليس من دين الإسلام وانما هو من دين أهل الجاهلية الذين اتخذوا معبوداتهم من دون الله تبارك وتعالى أنداد لله عز وجل ومن جملة ما كانوا يفعلونه ويوادونه لتلك المعبودات التبرك بها.

و**التبرك** بالشيء: هو طلب البركة بواسطته.

والبركة مأخوذة من أحد أمرين:

إما أن تكون مأخوذة من الثبوت واللزوم؛ يقال برك البعير أي ثبت في مكانه ولزمه.

وإما أن يكون المقصود من ذلك زيادة الخير ونماءه ودوامه وهو على هذا يكون مأخوذا من البِرْكة وهو مجتمع الماء.

وأما تعريف التبرك **في الشرع**: فهو طلب البركة ورجاؤها من الله عز وجل.

وأما **عموما**: فإن التبرك بشيء ما هو طلب حصول الخير بمقاربة ذلك وملابسته.

وهذه البركة إما أن تكون في ذات أو تكون في قول أو تكون في فعل أو تكون في زمن أو في مكان، لكن لابد من ورود الشرع به.

فمن بركة الذات: بركة ذات النبي ﷺ وبركة المؤمن.

وأما بركة الأمكنة فمثل بركة البيت الحرام وبركة المدينة وبركة بيت المقدس كما قال الله عز وجل { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ}.

وأما بركة الأزمنة فمثل بركة شهر رمضان.

وأما الأفعال والأقوال فمثل قوله عز وجل { فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ}

والتبرك أيها الإخوة، عبادة مشروعة جاءت في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي صلي الله عليه وسلم لكن لا تتحقق إلا بما ثبت في الشرع جوازه، فإن البركة بيد الله عز وجل لا تطلب إلا منه سبحانه وتعالى، فهو الذي يملك البركة فيمنحها من يشاء ويمنعها عن من يشاء، فلا يملكها أحد غيره لا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل فضلا عمن يدعى فيه الولاية، فضلا عن الأحجار والأشجار ونحوها.

وعلى هذا، فمن طلب البركة من غير الله عز وجل فقد وقع في الشرك.

والتبرك ينقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: التبرك المشروع
- والقسم الثاني: التبرك الممنوع

• أما القسم الأول فهو التبرك المشروع وهو ما ورد في الشرع جوازه، كالتبرك بأسماء الله تبارك وتعالى والتبرك بكلماته والتبرك بآثار النبي ﷺ وقد ذكرنا بعض الأمثلة التي تدل علي وجود البركة في بعض الأفعال أو في بعض الأقوال أو في بعض الأماكن والأزمنة ونحوها.

• وأما القسم الثاني فهو التبرك الممنوع وهو الذي لم يرد في كتاب الله عز وجل ولم يرد في سنة النبي ﷺ ما يدل على جوازه، وهو على نوعين: إما أن يكون شركاً، وإما ان يكون بدعةً.

* فالنوع الأول من التبرك الممنوع هو التبرك الشركي وهو ما كان فيه طلب البركة من غير الله عز وجل أو أن يعتقد المتبرك أن المُتبرَّك به غيرُ الله عز وجل يعطي الخير ويعطي النماء ويزيده فوق الأسباب العادية، كأن يقول مثلاً: يا علي بارك في زوجي، أو يا حسين بارك لي في أولادي ونحو ذلك، فإن هذا شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

* وأما النوع الثاني هو التبرك البدعي: النوع الثاني من أنواع التبرك الممنوع هو التبرك البدعي وهو طلب البركة من الله عز وجل لكن بواسطة شيءٍ لم يرد به الشرع كطلب البركة من الله تعالى بواسطة مثلا أستار الكعبة او طلب البركة من الله عز وجل بواسطة استلام الحجرة النبوية أو التمسح بالأولياء والصالحين أو نحو ذلك، فإن هذا تبرك بدعي أطلق عليه أهل العلم بأنه شرك أصغر ولا يخرج عن دائرة الإسلام، لأنه جعل سببا لم يجعله الله عز وجل سببا، وهو بخلاف النوع الأول قبله وهو الذي كان فيه شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام لأنه زعم أن هناك مصدرا للبركة غير الله تبارك وتعالى.

وهنا قد يقول قائل: إذا كان الله عز وجل ذكر بركة الأزمنة، بعض الأزمنة و بعض الأمكنة وبعض الناس ونحو ذلك؛ فهل يجوز التبرك بهؤلاء أولا يجوز؟

نقول بأن البركة على قسمين: بركة لازمة وبركة متعدية.

- فأما **البركة اللازمة** وهي التي تكون غير متعدية كبركة بعض الأماكن؛ مثل بركة بيت الله الحرام ومثل بركة بيت المقدس ونحو ذلك، فإنه لا يجوز التمسح والتبرك المباشر بأخذ ترابها ونحو ذلك، لأن هذه البركة بركة مكان لازمة لا تنتقل بالذات.

- وأما القسم الثاني وهي **البركة المتعدية** وهي التي وردت للنبي صلى الله عليه، و سلم فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبركون بشعر النبي صلى الله عليه و سلم و يتبركون بنخامة و بركة جسده، فإن هذا يجوز التبرك به سواء كان في حياته صلى الله عليه و سلم أو بعد مماته.

لكن ما جاء في بعض هذه الأزمنة من وجود بعض الآثار عن النبي صلى الله عليه و سلم مثل ما يُدّعى بأنه شعر النبي عليه الصلاة و السلام أو نعله أو ثوبه ونحو ذلك، فإن هذا لا يثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم، و لا يجوز نسبته إليه و بالتالي لا يجوز التبرك بأمثال هذه التي تنتشر في بعض البلدان.

ومن الأدلة التي تدل على أن الصحابة رضوان الله عنهم كانوا يتبركون بآثار النبي صلى الله عليه و سلم ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها."

وكذلك ما جاء عن أبي جُحَيفةَ رضي الله عنه أنه قال: " خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين و بين يديه عَنَزَة قال: وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك."

كما كان الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم يتبركون بنُخامته عليه الصلاة و السلام.

فإن هذا النوع من التبرك خاص بالنبي صلى الله عليه و سلم، لا يجوز فعله للصحابة ولا يجوز فعله لأحد ممن بعدهم ممن يدعى فيه الولاية أو العلم و نحو ذلك، و دل على هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يفعلوه مع غير النبي صلى الله عليه وآله سلم، فقد كانوا يتبركون به عليه الصلاة و السلم ولا يفعلونه مع أبي بكر ولا يفعلونه مع عمر ولا غيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم، ولو كان التبرك جائزا لفعلوه مع هؤلاء الذين هم سادات الأمة بعد النبي صلى الله عليه و سلم.

ولهذا لا يجوز قياس الصالحين على النبي صلى الله عليه وسلم في جواز التبرك بالذوات و الآثار، فإن إجماع الصحابة دلّ على نقيض ذلك، حيث أجمعوا على ترك التبرك بالذوات والآثار مع غير النبي صلى الله عليه و سلم مع وجود مقتضياته حيث أن الله عز و جل اختص نبيه صلى الله عليه و سلم بجعل البركة في ذاته وآثاره تكريما و تشريفا له عليه الصلاة و السلام على الناس جميعا.

وكذلك فإن القول بمنع التبرك بالصالحين هو من باب سد ذريعة الشرك لأن جواز التبرك بآثار الصالحين يُفضي إلى الغلو فيهم و عبادتهم من دون الله تبارك و تعالى، كما هو مشاهد عند عبّاد القبور؛ قال الشاطبي رحمه الله: (**ثبت في الصحاح عن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبركون بأشياء من النبي صلى الله عليه و سلم، وبعد موته صلى الله عليه و سلم لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي صلى الله عليه و سلم بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهو كان خليفته و لم يُفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه وهو كان في الأمة بعده، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة. ثم لم يثبت لواحد منهم عن طريق صحيح معروف أن متبركا تبرك به على أحدِ تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال و الأقوال والسِيَر التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء كلها.**) انتهى كلامه رحمه الله.

وإذا كان هذا الشأنُ في الصحابة فكذلك في التابعين، فإنه لم يُنقل عن التابعين أنهم تبركوا بأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم؛ يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : **(و كذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم مع النبي صلى الله عليه و سلم و لم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض، و لا يفعله التابعون مع الصحابة مع علو قدرهم، فدل على أن هذا لا يُفعل إلا مع النبي صلى الله عليه و سلم. مثل التبرك بوَضوئه و فضلاته و شعره و شرب فضل شرابه و طعامه.**

و في الجملة فهذه الأشياء فتنة للمُعظَّمِ و للمعظِّم لما يُخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة و ربما يترقى إلى نوع من الشرك) . انتهى كلامه -رحمه الله-

ومن أمثلة التبرك البدعي الممنوع تقَصُّد الأماكن التي جاءها النبي صلى الله عليه و سلم مما لا يقصدها بذاتها، فإنه لا يُشرع أداء عبادة فيها مثل التبرك بغار حراء أو التبرك بغار ثور أو نحو ذلك، فإن أداء العبادة فيها والتبرك بها هو من قبيل التبرك البدعي الذي لم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم فِعله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : **(فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها و لم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات و بعضه أشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو قناة جارية أو جبلا أو مغارة أو سواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها أو ليتنسّك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يُشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا و لا نوعا)** انتهى كلامه -رحمه الله-

والنبي صلى الله عليه و سلم عندما ذهب و فتح مكة فإنه لم يتعمد الذهاب إلى غار حراء أو إلى غار ثور و نحو ذلك، بل إن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا هذا بعد النبي صلى الله عليه و سلم كما لم يفعلوه في زمنه، فدل أن تَتَبُّع تلك الآثار ليس من الشريعة الإسلامية في شيء و أنه يجب الحذر من الغلو في تلك الأماكن التي لم يثبت في الشرع مزية لها فضلا عن أداء العبادة عندها.

و إننا نجد الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب التوحيد قد اهتم غاية الاهتمام بذكر هذا الباب في أوائل كتابه، كتاب التوحيد، فقال:

باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

قال الشارح رحمه الله **" أي وما يشبههما كبقعة ومغارة وزاوية وقبر ومشهد وموطئ وأثر ونحو ذلك. وقوله "من" اسم شرط والجواب محذوف تقديره (فقد أشرك بالله)، ويحتمل أن " من " موصولة فيكون معناها: باب بيان حكم من تبرك بالأشجار والأحجار ونحوها وما يترتب عليه من الوعيد.**

وحكمه أنه مشرك الشرك الأكبر لكونه تعلق على غير الله في حصول البركة من غيره، وإن كان الله جعل فيه بركة.

والتبرك طلب البركة ورجاؤها واعتقادها. أوعائدة وأمل بركة تعود إليه من جهتها، من جلب نفع أو دفع ضر. وتبرك به: تيمن وفاز منه بالبركة، واستبرك به: تفاءل بالبركة، والبركة: النماء والزيادة."

أما تعريف البركة في اللغة وفي الشرع فقد تقدم وأشار إليه الشارح في آخر هذا الجزء من شرحه، فالبركة هي النماء والزيادة، وذكرنا أن البركة من معانيها كذلك الثبوت واللزوم. وذلك يقال برك البعير " يعني ثبت في مكانه ولزمه".

وأما التبرك فهو طلب البركة ورجاؤها واعتقادها.

والمصنف رحمه الله ضرب مثلا بالشجر والحجر وقال **" ونحوهما "**.

وبين الشارح أن من قبيل التبرك الممنوع هو التبرك بالبقعة أو المغارة أو الزاوية أو القبر أو المشهد أو الموطئ أو الأثر ونحو ذلك، فإن كل ذلك؛ التبرك به حكمه واحد وهو أنه تبرك ممنوع، وأما الحكم التفصيلي فقد تقدم أنه إما أن يكون تبركا شركيا وهو الخارج عن ملة الإسلام وهو إذا ادعى أن هذا الأمر أو هذا القبر أو هذه الشجرة أو هذا الحجر هو منبع تلك البركة، أو إذا قصد دعاءها من دون الله عز وجل وصرف العبادة لها، فإنه كذلك يعتبر شركا الشرك الأكبر المخرج من الملة وهو الذي ذكره المصنف هنا، الشارح رحمه الله ذكر أنه من قبيل الشرك الأكبر وهو يريد هذا.

وأما إن كان المقصود من هذا التبرك هو أنها سبب لحصول البركة بالتمسح بها، وأن التبرك من عند الله عز وجل ولكن هذا الأمر وهو أستار الكعبة مثلا والحجرة النبوية سبب لحصول البركة، فإنه والحالة هذه يكون تبركا بدعيا وهو شرك أصغر.

كما بين الشارح أن **"من"** هنا في هذه الترجمة **" من تبرك بشجرة.. إلخ "** أنها تحتمل إما أن تكون اسم شرط ويكون الجواب تقديره " فقد أشرك بالله " " من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما فقد أشرك بالله ". وإما أن تكون موصولة فيكون معناها " باب بيان حكم الذي يتبرك بشجر أو حجر ونحوهما " ومحصل الاحتمالين واحد، ولعل الأولى والأقرب للصواب هو المعنى الأول، وهو أن " من " تكون شرطية لأنه أبلغ في الدلالة.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى " وقول الله تعالى **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20)}**الآيات.

قال الشارح **" أي هل نفعت أو ضرّت، يعني أنتم تعلمون أن ذلك ليس إليها فلم تعبدونها وتجعلونها شركاء لله وهذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان الجاهلية من أهل الحجاز. ولهذا نص عليها بأعيانها، وإلا ففي الحجاز أوثان غيرها. لكن خص هذه الثلاثة بالذكر لأنها أكبر أصنام العرب إذ ذاك فصارت الفتنة بها أشد. فأما اللاّت فقرئ بالتخفيف والتشديد، فعلى الأولى قالوا هي صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف، وعلى الثانية قال ابن عباس رجل كان يلت السويق للحاج .فمات فعكفوا على قبره، ولامنافاة بين عبادتهم الصخر أو قبره.**

وأما العزى فكانت شجرة ثمر عليها بناء وأستار بنخلة شامية المسماة بالمضيق بين مكة والطائف كانت قريش تعظمها كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ...الخ، ولما فتح رسول الله صل الله عليه وسلم مكة بعث إليها خالد فقطع الشجرة وهدم البيت. ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ارجع فإنك لم تصنع شيئا. فلما رجع وجد امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على وجهها فقتلها. فقال صل الله عليه وسلم : تلك العزى.

وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة. قال الشيخ: ((كانت لأهل المدينة، ومن قال: إنها لغطفان؛ فلأنها كانت تعبدها، وهي في جهتها)) اهـ. وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج. فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها يوم الفتح".

ذكر الشارح تفسير قول الله عز وجل **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ }** يعني هل نفعت أو ضرت، ومعنى هذا أنكم تعلمون أن ذلك ليس إليها فلم تعبدونها وتجعلونها شركاء لله، وهذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان الجاهلية من أهل الحجاز، ولهذا نص عليها بأعيانها وإلا ففي الحجاز أوثان غيرها.

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة وجد حولها ٣٦٠ صنما. فذكر الشارح رحمه الله أن هذه أشهر الأصنام التي كانت تعبدها العرب، وإلا فهناك أصنام غيرها ولهذا ذكرت لأن الفتنة بها أعظم وأشد.

* فأمّا **اللّات** فقرأ بالتخفيف والتشديد يعني بتخفيف التاء أو تشديدها، فإذا قرأت بالتخفيف **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ }** فيكون المعنى هي صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف، فيكون المقصود باللات على هذه القراءة هو بيت.

وعلى القراءة الثانية وهي شدُّ التاء **{ أفرأيتم اللاتّ }** فقال ابن عباس: **" رجل كان يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره "** وهنا يكون المقصود به رجل.

وبين الشارح أنه لا منافاة بين الأمرين؛ فإنهم عبدوا هذه الصخرة أو عبدوا هذا القبر وأيًّا ما كان فإن فيها صرفا للعبادة لغير الله تبارك وتعالى.

قال شيخ الاسلام رحمه الله **" ولا منافاة بين القولين والقراءتين، فإنه كان رجل يلُتُّ السويق على حجرٍ وعكفوا على قبره وسموه بهذا الاسم، وخففوه وقصدوا أن يقولوا هو الإله كما كانوا يسمون الأصنام ألهة، فاجتمعت في هذا الاسم هذا وهذا. "** اهـ.

ومعني هذا الإشارة إلى الخلاف الواقع في أصل التسمية باللات، فإن من أهل العلم من قال بأنه مأخوذ من الإله، وهو ربنا تبارك وتعالى، وهو من أنواع الإلحاد؛ اشتقاق أسماء للأصنام من أسماء الله تبارك وتعالى. فسموا اللات من الإله وكذلك سمَّوْا العُزَّى من العزيز، ومناة سموها من اسم الله عز وجل المنان.

* **"وأما العزى فكانت شجرة سمر عليها بناء وأستار بنخلة الشامية المسماة بالمضيق بين مكة والطائف، كانت قريش تعظمها، كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى إلخ. "**

وهو يشير بذلك إلى قصة أبي سفيان قبل إسلامه في غزوة أحد لما **" إنَّ لنا العزى ولا عزى لكم " فقال النبي ﷺ " ألا تجيبوه ؟ " فقالوا: ما نقول ؟ قال " قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم".**

وذكر الشارح أن النبي ﷺ لما فتح مكة بعث إليها خالد أبن الوليد فقطع الشجرة وهدم البيت ثم قال له النبي ﷺ **" ارجع فإنك لم تصنع شيئا "**

يعني بعد أن هدم البيت وقطع الشجرة قال له **" إنك لم تصنع شيئا "**، يعني أن هناك أمرا أعظم منه لابد أن تصنعه، فلما رجع وجد امرأة عريانة ناشرة شعرها _ وهي جنيّة أو شيطان _ وكانت تفتن الناس في عبادتهم وتخاطبهم، قال **" تحفن التراب على وجهها "** فقتلها. فقال النبي ﷺ **" تلك العزى ".**

* **" وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة. قال الشيخ: ((كانت لأهل المدينة، ومن قال: إنها لغطفان؛ فلأنها كانت تعبدها، وهي في جهتها)) اهـ. "**

وقوله **" قال الشيخ "** يقصد بذلك كما تقدم معنا مرارا شيخ الإسلام ابن تيمية، فمناة هي من معبودات أهل المدينة قبل الإسلام.

قال **" وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها، ويهلون منها للحج، فبعث النبي ﷺ عليا فهدمها يوم الفتح."**

وهذه الأصنام لم تكن حول الكعبة، وإنما كانت حول مكة.

فالعزى كانت ببطن نخلةٍ من ناحية عرفات.

واللات كانت في الطائف.

ومناة كانت حذو قُدَيْد.

وأما الكعبة فإن هبل هو أشهر الأصنام الموجودة عند الكعبة، ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد **" اعلوا هبل، اعلوا هبل."** فقال النبي ﷺ **" ألا تجيبوه ؟ "** قالوا: ما نقول؟ قال **" قولوا: الله أعلى وأجلّ "**

وكان إساف ونائلة من أشهر أصنام الجاهلية وكانا على الصفا والمروة.

وكان حول الكعبة كما تقدم معنا ثلاثمائة وستون صنماً، وهذه الأسماء الثلاثة مؤنثة اللات والعزى ومناة.

وأما عن مناسبة هذه الآية أو الآيات لهذا الباب وهو المتعلق بالتبرك، فذكر الشارح رحمه الله هذا وقال **" ومناسبة الآية للترجمة أن عبادة المشركين لها إنما كانت بالتفات القلوب رغبة إليها في حصول ما يرجونه ببركتها، من نفع أو دفع ضر، فصارت أوثانا تعبد من دون الله، فالتبرك بقبور الصالحين كاللات، وبالأشجار والأحجار كالعزى ومناة، من جنس فعل أولئك المشركين مع تلك الأوثان،**

فمن فعل مثل ذلك فقد ضاهى عباد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك، مع أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك"

فبين الشارح رحمه الله مناسبة إيراد المصنف رحمه الله لقول الله عز وجل **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20)}** للتبرك، وهو أن المشركين كان من جملة أفعالهم التي يفعلونها لتلك الأوثان هي التبرك بها.

وأراد الشيخ مجد بن عبد الوهاب رحمه الله بيان أن كل من تبرك بشجر أو حجر أو من تبرك بالقبور والأضرحة ونحوها فإنه فاعل مثل أفعال أهل الجاهلية الذين ذمهم الله تبارك وتعالى.

فإن كان الذي يتبرك بتلك المعبودات؛ بالأضرحة والقبور ونحوها أراد تحصيل البركة المباشرة منهم بحيث يزعم أنهم مصدر لهذه البركة، أو يدعوهم من دون الله عز وجل ويعبدهم من دون الله تبارك وتعالى تحصيلا للبركة، فإن هذا شرك أكبر؛ وهذا واضحٌ في مناسبة الآية لهذا الأمر.

وأما إن كان التبرك وهو التبرك البدعي؛ الشرك الأصغر من أجل اعتقاد أن هذه سبب لحصول البركة وأن البركة من عند الله عز وجل، فإن السلف كما تقدم معنا يستدلون بما ورد في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

فقوله **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ }** وأراد الشيخ بيان أن هؤلاء المشركين كانوا يتبركون بها فإن هذا كذلك ينطبق على من فعل مثل ذلك الفعل وهو التبرك بالقبور والأضرحة أو التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها

وقول الشارح رحمه الله في المقارنة بين المشركين في هذا الزمان والمشركين المتقدمين، قال **" مع أن الواقع من هؤلاء المشركين** – يعني المعاصرين- **مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك "** -يعني المتقدمين –

وذلك لأن الشرك، شرك المشركين الذين هم في زماننا فاق ذلك الشرك لاعتقادهم أنّ التصرف يكون من قبل هؤلاء الموتى ومن قبل أصحاب القبور، وأنّ لهؤلاء منزلة وسرّ يستطيعون فيه أن يتحكموا في العالم، مع كذلك عبادتهم إيّاهم في السرّاء والضرّاء، فإنّ المشركين كانوا يعبدون تلك المعبودات لكن في السرّاء وأما عند الضرّاء فإنّهم يخلصون الدعاء لله عز وجل.

وكذلك المشركون في ذلك الزمان كانوا يعبدون الأنبياء و الصالحين والملائكة أويعبدون ما لا يكون له اختيار مثل الأحجار والأشجار ونحوها، وأمّا عبّاد القبور الموجودون اليوم فهم يلتجؤون لعبادة من عُلِم فسقه و لمن عُلِم فجوره وبعده عن شريعة الإسلام.

وقال المصنّف رحمه الله الإمام محمد بن عبد الوهاب : **"الآيات"**

قال الشيخ سليمان رحمه الله " **هكذا ثبت في خط المصنّف (الآيات) يعني إلى قوله تعالى " ولقد جاءهم من ربهم الهدى".**

قال الشيخ الشارح عبد الرحمن قال تعالى **{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى}**

" أي كيف تجعلون هذه الإناث أندادا لله وتسمّونها آلهة، وذلك لأنّهم اشتقّوا اسم اللات من الإله والعزّى من العزيز ومناة من المنّان تعالى الله عن قولهم علوّا كبيرا. وقيل: أتجعلون لكم ما تحبون وهم الذكور، وتجعلون لله الإناث؟ وهذا من قولهم: الملائكة بنات الله: {تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى} أي جور وباطل {إِنْ هِيَ} يعني ألوهية هذه الأوثان: {إِلاَّ أَسْمَاءٌ} أي مجرد تسمية: {سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ} من تلقاء أنفسكم: {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} أي من حجة وبرهان، وتسمية الحجة سلطانا لما فيها من السلطة على القلوب والعقول، بالمصير لقبول المدلول: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ} أي ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم: {وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ} فنهاية برهانهم مبني على أمرين: فساد العلم، وفساد الإرادة. وكل فساد في الوجود من الشرك فما دونه دائر على فساد العلم وفساد الإرادة أو هما جميعا، كما أنه لا استقامة إلا لمن عنده علم صحيح وإرادة صحيحة.: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} أرسل إليهم الرسل بالحق المنير، والحجة القاطعة بإبطال عبادتها، وفي هذه الآيات من الدلائل القطعية على بطلان عبادة هذه الطواغيت وأشباهها مما لا مزيد عليها. "

هذه الآيات - تتمة الآيات - التي شرحها الشيخ فيها برهان على بطلان تلك المعبودات وكذلك بطلان العبادة المؤداة إليها، ومنها التبرك بها **{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى}** فإنّ هذه الأسماء هي أسماء إناث وهم كما هو معلوم يكرهون الإناث ولا يحبونها و مع ذلك ينسبون الملائكة إلى الله عز وجل وينسبون هذه الأوثان اليه جل وعلا.

{تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى} يعني قسمة جائرة وقسمة باطلة، **{إِنْ هِيَ}** هذه العبادة التي تؤدونها إلى هذه الأوثان **{إِلاَّ أَسْمَاءٌ}** يعني مجرّد تسمية. **{سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ}** من تلقاء أنفسكم، وهنا فيه ابتداء الغاية في تسمية من هؤلاء، وأنّها ليست من عند الله تبارك وتعالى، وأنّ الله عز وجل لم يأمرهم بذلك، قال **{مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}** أي من حجّة و برهان و تسمية الحجّة سلطانا لما فيها من السلطة على القلوب والعقول بالمصير لقبول المدلول ، **{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ}** أي ليس لهم السند إلاّ حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، **{وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ}** فنهاية برهانهم مبنيّ على أمرين:

*فساد العلم

*وفساد الإرادة.

فأما فساد العلم فمن قوله **{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ}**، فهم ليس عندهم علم وبذلك فسد ما عندهم من علم

{وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ} هذا فيه فساد الإرادة، وكل فساد في الوجود من الشرك فما دونه دائر على فساد العلم وفساد الإرادة أو هما جميعا، كما أنّه لا استقامة إلاّ لمن عنده علم صحيح وإرادة صحيحة .

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} أرسل إليهم الرسل بالحق المنير، والحجة القاطعة بإبطال عبادتها وأنّ العبادة حق خالص لله عز وجل لا يجوز صرفه لأيّ كان لا لملك مقرّب ولا نبي مرسل، ثمّ أشار الشيخ رحمه الله إلى دلائل عظيمة في هذه الآيات دلّت على بطلان عبادة كلّ ما سوى الله عز وجل،

قال **" وفي هذه الآيات من الدلائل القطعية على بطلان عبادة هذه الطواغيت وأشباهها مما لا مزيد عليها. "**

فمن هذه الدلائل التي أشار اليها الشيخ أنّ هذه الأسماء أسماء مؤنثة دالة على اللّين والرخاوة وما كان كذلك فليس بإله.

ومنها أنكم قاسمتم الله بزعمكم فجعلتم له هذه الأسماء المؤنثة شركاء، ودعوتم له الأولاد، ثم جعلتموهن بنات واختصصتم بالذكور، فجعلتم له المكروه الناقص ولكم المحبوب الكامل { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

ومنها أنها **" أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم"**، يعني ابتدعتموها، ومنها أنها **"مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ"**؛ يعني حجة وبرهان، ومنها أنكم لم تستندوا في تسميتها على علم ويقين، وإنما استندتم في ذلك إلى الظن والهوى الذين هم أصلا الهلاك في الدنيا والآخرة، ومنها **" وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ"** أي بإبطال عبادتها.

وما كان كذلك فهو عين المحال البيّن البطلان، وكل واحد من هذه الأدلة كاف شاف في بطلان عباداتها."

هذا كلام الشيخ سليمان ابن عبد الله رحمه الله في كتابه التيسير.

وبهذا يتبين لنا أن هذه الآيات من أدل الدلائل في كتاب الله عز وجل على بطلان عبادة ما سوى الله عز وجل، ومن ذلك التبرك بها.

وقال الشيخ سليمان رحمه الله في بيان مناسبة هذه الآية للترجمة، قال **" هو بيّنٌ بحمد الله - لأنه إن كان التبرك بالشجر والقبور والأحجار من الأكبر** – يعني من الشرك الأكبر- **فواضح، وإن كان من الأصغر** – يعني من الشرك الأصغر- **فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر."**

ثم أورد الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه – قال: **" خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط.**

فمررنا بسدرة؛ فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، إنها السنن. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: { اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } لتركبن سنن من كان قبلكم" رواه الترمذي وصححه.

قال الشارح رحمه الله - عند قول أبي واقد الليثي: **" خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر"**

" أي قريب عهدنا بالكفر؛ لأنه ممن أسلم يوم الفتح، يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريبا، فلذلك خفي عليهم هذا الشرك; ولهذا اعتذروا مما صدر منهم. قال المصنف: ((فيه أن غيرهم لا يجهله ذلك، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة)) . "

فقول أبي واقد الليثي رضي الله عنه **" ونحن حدثاء عهد بكفر"** هو تبرير لما حصل منهم بعد ذلك ولما يأتي من قولهم **" اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط "**، فخفي عليهم هذا الحكم وقالوا هذا القول.

وقوله **" قال المصنف "** يعني الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **" فيه أن غيرهم** - يعني غير هؤلاء الذين هم حدثاء عهد بكفر وممن نشأ في الاسلام -، قال: **فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة. "**

وفيه كذلك دليل على آفة الجهل وأن الإنسان قد يقع في الشرك بسبب جهله.

قال **" وللمشركين سدرة يعكفون عندها "**

قال الشارح **" أي يلبثون ويقيمون عندها ويعظمونها. والعكوف هو البقاء واللبث والإقامة على الشيء في المكان، عبادة وتعظيما وتبركا؛ وإنما عكفوا عندها لما كانوا يأملونه فيها من البركة، كما يعكف عباد القبور اليوم عندها ويجاورون، وتدفع الصدقات والنذور لتلك القبور.**

وفي حديث عمرو بن عوف قال: كان يناط بها السلاح إلى ظل هو أدنى منها إلخ. فيجمع بينهما بأن عبادتها هي العكوف عندها رجاء لبركتها."

فهؤلاء المشركون كانوا يعكفون عند تلك السدرة.

والاعتكاف: هو الإقامة على شيء في مكان ولزوم ذلك المكان، ومنها قوله ،ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون .

وكانوا هؤلاء المشركين يعكفون عند تلك السدرة تبركا بها، ومن أجل ذلك أورد الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا الحديث في هذا الباب المتعلق بالتبرك، فهم كانوا يعلقون تلك السيوف كما يأتي على تلك السدرة من أجل تحصيل البركة منها.

وتحصيل البركة منها يكون بنصرهم على أعدائهم، فيظنون أن تعليق السيوف على تلك السدرة سبب للنصر، لأن هذه السيوف والأسلحة التي كانت على تلك السدرة قد حصل لها البركة. ولذلك عظموا تلك السدرة وتوجهوا اليها بالعبادة ومثل الشارح رحمه الله بمثال معاصر عند عباد القبور الذين يرابطون ويجاورن عندها من اجل تحصيل البركة منها ولذلك قال : **"وينوطون بها أسلحتهم"**، قال الشارح **" أي يعقلونها عليها لتنالهم بركتها، فعبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك، وبهذه الثلاثة العكوف والتعظيم والتبرك عبدت الأوثان من دون الله، ولفظ ابن إسحاق وغيره: "وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة، يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها ويذبحون لها "**.

فقوله **" ينوطون "** أي يعلقون عليها أسلحتهم من أجل تحصيل البركة. والبركة التي تحصل بها على زعمهم أنها تكون أمضى للسيف وأقوى وأشد.

قال: **" يقال لها: ذات أنواط "**

قال الشارح **" جمع نوط وهو مصدر، سمي به المنوط، وإنما سميت بذلك لكثرة ما يناط بها من السلاح. وفي رواية: " فتنادينا من جانبي الطريق، ونحن نسير إلى حنين يا رسول الله اجعل لنا " إلخ "**

ثم قال **" فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط "**

قال الشارح: **" سألوه أن يجعل لهم شجرة مثلها يتبركون بها، ويعلقون عليها أسلحتهم، ويعكفون عندها، ظنا منهم أن هذا أمر محبوب عند الله، وأنه ﷺ لو جعل لهم مثل ذلك لجاز اتخاذها لحصول البركة، فطلبوه من النبي ﷺ، وإلا فهم أجل قدرا من أن يقصدوا مخالفة النبي على الله عليه وسلم. "**

فقول الصحابة **" يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط "** كان مقصدهم من ذلك تعليق السيوف على تلك السدرة من أجل تحصيل البركة منها، وتقدم أن سبب هذا القول هو كونهم حدثاء عهد بكفر، فهم أرادوا التبرك وتحصيلها لهذه الأسلحة التي عندهم ظنا منهم أن هذا أمر يحبه الله تبارك وتعالى، وأن النبي ﷺ لو جعل لهم مثل ذلك لجاز اتخاذها لحصول البركة.

وهنا أمر مهم وهو أن الصحابة رضي الله عنهم الذين سألوا ذلك وهم حديث عهد بكفر متقرر في نفوسهم أن مبنى الشريعة على التوقيف، فعرضوا ما أرادوا على النبي ﷺ، فهذه عبادة لا تتأتى إلا بالإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ. ولذلك أرادوا من النبي ﷺ أن يأذن لهم في ذلك ولم يتخذوا هذه السدرة ابتداءً حتى سألوا النبي ﷺ ذلك، فنهاهم النبي ﷺ عنها.

قال **" وإلا فهم أجل قدرا من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ "**

لأنهم لم يفعلوا ذلك ابتداء وإنما طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام ذلك حتى إنه لما نهاهم عنه انتهوا.

فقال رسول الله ﷺ **" الله أكبر إنها السنن "**

" أي الله أجل وأعظم، صيغة تعجب، وإن كان إجلالا لله وتنزيها له كما لا يليق بجلاله وعظمته، ومما لا يليق بجلاله وعظمته أن يتخذ شجرة يطلب منها البركة.

"إنها السنن" يعني سلكتم كما سلك الذين من قبلكم السنن المذمومة، والسُنَن بضم السين الطرق، والمراد تقليد من تقدمهم من أهل الشرك، وفي رواية: "سبحان الله" والمراد تعظيمه تعالى، وتنزيهه أن يشرك معه أحد في عبادته.

وكان النبي ﷺ يستعمل التسبيح والتكبير في حال التعجب، تعظيما لله وتنزيها له سبحانه إذا سمع من أحد ما لا يليق به سبحانه مما فيه هضم للربوبية وتنقص في الألوهية، وهكذا ينبغي لكل مسلم أن يسبح ويكبر إذا سمع ما لا ينبغي أن يقال في الدين. "

ففي هذا الحديث نزه النبي ﷺ ربه بهذه الصيغة التي كان فيها تعجب من ذلك القول، **" الله اكبر انها السنن "** وفي رواية **" سبحان الله "**. والمقصود باللفظين واحد لأن المراد تعظيم الله عز وجل وتنزيهه عن الشرك والتقرب به إليه، فهو تعجب مضمن للإجلال والتنزيه لله تبارك وتعالى عما لا يليق بجلاله. ومن أعظم الأمور التي لا تليق بجلاله بل أعظمها على الإطلاق هو الشرك بالله تبارك وتعالى واتخاذ الاشجار والأحجار من أجل التبرك بها.

ثم قال **" إنها السنن"**

يعني سلكتم كما سلك الذين من قبلكم السنن المذمومة، والسنن بضم السين الطرق، والمقصود من ذلك: أن ما سألتم عنه انما هو موجود لدى من تقدمكم.

والمراد كما قال الشارح تقليد من تقدمهم من أهل الشرك.

قال **" وفي رواية: "سبحان الله" والمراد تعظيمه تعالى، وتنزيهه أن يشرك معه أحد في عبادته. وكان النبي ﷺ يستعمل التسبيح والتكبر في حال التعجب، تعظيما لله وتنزيها له سبحانه إذا سمع من أحد ما لا يليق به سبحانه، مما فيه هضم للربوبية، وتنقص في الألوهية "**

وهذا مما يشرع للعبد إذا سمع شيئا فيه انتقاص في حق الله عز وجل أن يسبح الله تبارك وتعالى؛ بمعنى أن ينزهه وكذلك يقول الله أكبر وهذا كذلك فيه اجلال لله عز وجل وتنزيه له عما لا يليق بجلاله.

ومحل التعجب واضح وهو أنهم كيف يقولون هذا القول وهم قد آمنوا بأنه لا اله الا الله وأنه هو المستحق للعبادة، فكيف تصرف عبادة لغير الله جل وعلا.

ثم قال ﷺ **" قلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة "**.

قال الشارح **" أي اجعل لنا مثالا نعبده كما لهم آلهة، ولم يكن ذلك شكا منهم في وحدانية الله تعالى، وإنما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب به إلى الله.**

وشبه ﷺ مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل، بجامع أن كلاًّ طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد. فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة، فدل على أن التبرك بالأشجار والأحجار شرك أكبر، لتسويته ﷺ بين مقالتهم ومقالة بني إسرائيل.

وحلفه ﷺ على ذلك وإن لم يستحلف مزيد تحذير وكمال شفقة، وتأكيدا لهذا الخبر وتعظيما له، فإن التبرك بالأشجار والأحجار يجعلها آلهة وإن لم يسموها آلهة، فما يفعله من يعتقد فيها من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها هو الشرك الأكبر وإن سمى عمله ما شاء من الأسماء.

فأهل هذه الأزمنة يسمون شركهم توسلا وتشفعا وهو من أعظم الشرك."

فتبين بهذا أن النبي ﷺ قاس ما قاله الصحابة رضي الله عنهم على ما قاله بنوا اسرائيل لموسى حين قالوا " اجعل لنا إلها كما لهم آلهة " فأنتم طلبتم ذات أنواط كما أن لهؤلاء المشركين ذات أنواط. فالجامع بين الأمرين كما قال الشيخ " **أن كلا طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد."**

ثم أكد المصنف أن تغيير الاسماء لا يغير الحقيقة، فأيُّ ما عبادةٍ أُديت لغير الله عز وجل وصُرفت لغير الله تبارك وتعالى فإنها تكون شركا ولو سماها توسلا، ولو سماها شفاعة أو نحو ذلك من الاسماء.

وقول الشارح رحمه الله " **فدل على ان التبرك بالأشجار والأحجار شرك أكبر لتسويته ﷺ بين مقالتهم ومقاله بني إسرائيل "**

وهذا بناء على أن التبرك كما تقدم معنا ينقسم الى قسمين؛ فمنه ما يكون شرك أكبر ومنه ما يكون شرك أصغر. فالشرك الأكبر هو الذي أراده الشيخ هنا - ابن قاسم رحمه الله - في شرحه، فإذا اعتقد العبد أن هناك مصدرا للبركة أو أن هذه البركة تطلب وتدعى من دون الله تبارك وتعالى فإنه يعد من قبيل الشرك الأكبر، وأما إن اعتقد بأنها سبب فإن هذا لا يصل الى الشرك الاكبر وإنما هو من قبيل الشرك الأصغر.

ولينتبه المسلم الى أمر مهم وهو أنه إذا كان هذا الأمر في الصحابة الذين هم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهم حديثو عهد بكفر فما بالك في هذا الزمان الذي قل فيه العلم وفشى الجهل في كثير من البلدان وخفيت سنة النبي ﷺ وخفي توحيده على كثير منهم.

ثم قال " قال إنكم قوم تجهلون"

قال الشارح: " **يعني عظمة الله : {إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ} أي هالك وباطل مضمحل وزائل ما كانوا يعملونه من عبادة الأصنام، ولم يكفروا بطلبهم لأنهم حدثاء عهد بالإسلام، ولأنهم لم يفعلوا.**

وإسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، أبو الأسباط الاثني عشر، كان في القرن التاسع عشر قبل المسيح، وغالب بني إسرائيل هم اليهود، ومعنى إسرائيل عبد الله، وكذا كل اسم فيه إيل."

فقوله **{ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}** يعني تجهلون عظمة الله، وعقوبة هؤلاء هو قوله **{ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** يعني هالك وباطل مضمحل وزائل ما كانوا يعملونه من عبادة الأصنام.

ثم بيّن عذر أصحاب النبي ﷺ وعدم إطلاق الكفر عليهم، قال " **ولم يكفروا بطلبهم لأنهم حدثاء عهد بالإسلام، ولأنهم لم يفعلوا."**

فمن أجل هذين الأمرين لم يقع الكفر عليهم؛ وهو الجهل ولأنهم لم يفعلوا وإنما عرضوا.

ثم بين أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وقال **" ومعنى إسرائيل عبد الله، وكذا كل اسم فيه إيل."** وهذا مروي عن بعض السلف.

ثم قال النبي ﷺ **" لتركبن سنن من كان قبلكم "**

قال الشارح **" بضم السين، أي لتتبعن أنتم أيها الأمة طرق اليهود والنصارى ومناهجهم وأفعالهم، ويجوز فتح السين على الإفراد، أي طريقهم، وقد وقع كما أخبر ﷺ فركبوا طرق من كان قبلهم. وفي الصحيحين: " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة " الحديث، وفي رواية: " لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع ". وهو خبر معناه الذم "**

فقوله صلى الله عليه وسلم **" لتتبعن سنن من كان قبلكم"** هذا فيه أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بذلك في غير ما حديث، ومنها قوله ﷺ **" لا تقوم الساعة حتى تُعبد الآت والعزى "**

ومن سنن من تقدم أمةَ النبي ﷺ هو عبادة غير الله تبارك وتعالى كما حصل من اليهود وكما حصل من النصارى وغيرهم، فإن أمة النبي عليه الصلاة والسلام لا بد أن يتبع طائفة منها أولئك القوم ويركب سننهم كما في الأحاديث التي أوردها الشيخ **" لتتبعن سنن من كان قبلكم "** وهو خبر معناه الذمّ.

ثم ذكر الشارح رحمه الله عدة فوائد من حديث أبي واقد الليثي؛ فمنها قوله **" وفيه علم من أعلام النبوة."** وأُخذ هذا من قوله عليه الصلاة والسلام **" لتركبن سنن من كان قبلكم "**

قال **" وأن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة "**

وهذا مصداق الأحاديث الواردة عن النبي عليه الصلاة والسلام والتي فيها أن في هذه الأمة من يعبد غير الله عز وجل وأنه سوف تعبد اللات والعزى.

قال **" وفيه الخوف منه"**

أي فيه الخوف من الشرك. وأخذت هذه الفائدة من وجهين:

* الوجه الأول: أن هذا الأمر إذا كان قد وقع من أصحاب النبي ﷺ والذين هم حدثاء عهد بكفر فما بالك بمن هم بعدهم.

* والثاني: وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر بوقوع الشرك في هذه الأمة وعلى الإنسان أن يخاف منه.

قال **" وأن الإنسان قد يستحسن شيئا يظنه يقربه إلى الله وهو أبعد ما يبعده. "**

وهذا كما تقدم معنا في ظن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أن هذا الأمر مما يحبه الله عز وجل، وأن النبي عليه الصلاة والسلام إذا استأذنوه لذلك فإنه يأذن لهم. وعلاج هذا هو العلم.

قال " **وفيه النهي عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه، إلا ما دل الدليل على أنه من شرعنا** "

وهذا واضح في الحديث الذي ذكر النبي ﷺ قياس قول الصحابة بقول بني إسرائيل.

قال " **وأن ما ذم الله به اليهود والنصارى أنه لنا، فإنما قاله لنا لنحذره** "

وهذا واضح في أن الذمّ لما فعله اليهود والنصارى وحكايته لنا فيه وجوب الحذر مما كانوا يفعلونه.

قال " **فلا يجوز التبرك بالصالحين** "

وهذه من أهم المسائل في هذا الباب، وذلك لكثرة من هلك في ذلك.

قال " **فلا يجوز التبرك بالصالحين؛ لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه مع غير النبي ﷺ لا أبي بكر ولا غيره، ولا فعله التابعون مع قاداتهم في العلم والدين، وللنبي ﷺ في حال حياته خصائص كثيرة، لا يصلح أن يشاركه فيها غيره، فلا يجوز أن يقاس عليه أحد من الأئمة لعدم المقاربة فضلا عن المساواة له ﷺ في الفضل والبركة، وعدم تحقق الصلاح فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، ولو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، ولأنه لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه، ولا يتبرك بالكعبة ولا غيرها، سدا لذريعة الشرك، بل تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبره ﷺ لما كان موجودا، فكرهه مالك وغيره لأنه بدعة، وذكر أنه لما رأى عطاء فعله لم يأخذ عنه العلم.** "

وهذا تقدم معنا في بدء هذا الدرس وهو أن التبرك، تبرك الصحابة رضي الله عنهم بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما هو تبرك مشروع، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أقر أصحابه على ذلك. وأما غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة ومن التابعين ومن بعدهم من الأولياء وغيرهم فإنه لا يجوز التبرك بهم ولا يمكن أن يقاس على ذلك لما قدمنا من الفروق.

ومن ذلك إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك التبرك بالذوات والآثار مع غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ونبّه شرّاح كتاب التوحيد على مسألة مهمة كذلك وهي ما يفعل عند القبور والأضرحة وأنه لا نسبة بين قول الصحابة رضي الله عنهم " اجعل لنا ذات أنواط " وبين ما يفعل عند تلك القبور، ومن ذلك قول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله " **فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بما حدث من عبد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقبيلها وتقبيل أعتابها وجدرانها والتمسح بها والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها، وأي نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركاً** " انتهى كلامه.

ونقل عن أبي بكر الطرطوشي رحمه الله – وهو من أئمة المالكية – قال " **فانظروا رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها.**" انتهى كلامه.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة العاشرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أما بعد:

حياكم الله أيها الاخوة في هذا اللقاء العاشر والذي نتناول فيه كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بحاشيته للشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله.

واليوم معنا باب مهم متعلق بعبادة مهمه من أجل العبادات المالية وهي عبادة الذبح. فقال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

باب ما جاء في الذبح لغير الله

والذبح في اللغة: هو الشق و وكل ما يشق فقد ذُبح.

والذبيحة هي الشاة المذبوحة، وهي اسم لما يذبح من الحيوان، ويطلق عليها النسك وهي التي يتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى وتسمي النَّسيكة. وأطلق بعض أهل العلم على الذبح كذلك النحر، والذبح والنحر عند بعض أهل العلم بمعنى واحد، وبعض أهل العلم يخصص النحر بالإبل دون غيرها.

• وأما في الشرع فإن **الذبح**: هو إرهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص، وهذا الذبح مشروع ويكون على ثلاثة أوجه:

•الأول وهو **الذبح التعبدي**، وهو ما يطلق عليه النسك، ويقع عبادة لله تبارك وتعالى، حيث إن الذابح يتقرب بهذا الذبح إلى الله جل وعلا.

•الثاني الوجه الثاني هو **أن يقع بقصد إكرام الضيف أو وليمة العرس ونحو ذلك**، فهذا إما ان يكون مأموراً به علي وجه الوجوب أو علي وجه الاستحباب.

• وأما الثالث فهو **أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو التوسيع على العيال أو الاتجار به أو نحو ذلك**، فهذا قسم من أقسام المباح.

والذبح التعبدي هو أفضل العبادات المالية لأنه يجتمع فيه أمران:

- الأمر الاول فيه أنه طاعة لله تبارك وتعالى

- والثاني أنه بذل ماله وطابت به نفسه، والبذل مشترك في جنس المال لكن زاد الذبح على غيره من حيث إن الحيوانات محبوبة لأربابها، ويوجد بذبحها ألمٌ في النفوس لشدة محبتها، فإذا بذله لله تبارك وتعالى وسمحت نفسه بإذاقة الحيوانات الموت صار من أفضل من مطلق العبادات المالية.

فالذبح عبادة عظيمة من أعظم العبادات وكذلك هي شعيرة من أفضل شعائر الدين وقد قرن الله تبارك وتعالى بين الصلاة التي هي ركن من أركان الاسلام وبين النسك كما يأتي معنا في قوله تبارك وتعالى

{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي } وكان الذبح موجودا في الأمم السابقة وهو عندهم كذلك يعتبر عبادة كما قال الله عز وجل { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } .

وبهذا يتبين أن الذبح عبادة، وإذا كان عبادة فإنه لا يجوز صرفها لغير الله جل وعلا، فمن صرف هذه العبادة لغير الله تبارك وتعالى فإنه يكون مشركا.

وينقسم الذبح إلي قسمين:

- القسم الاول هو ذبح العبادة أو القربة
- والقسم الثاني هو الذبح المباح.

أما القسم الأول فهو ذبح العبادة والقربة فإنه يكون على ثلاثة أنواع:

- إما أن يكون **ذبح نسك**: وهو الذي يتقرب به إلى الله تبارك وتعالى تعظيما لله جل وعلا وطاعة له، وهذه قد يكون لها سبب وقد لا يكون لها سبب، وأما ما كان لها سبب فمثل الهدي والاضحية والنذر والعقيقة ونحو ذلك

وقد لا يكون له سبب معين إلا مجرد التقرب الى الله تبارك وتعالى والطاعة له، وهذا إما أن يكون واجبا وإما أن يكون مستحبا وقد يكون سنةً مؤكدة كذلك.

•القسم الثاني وهو **الذبح الشركي** وهو ما يذبح لغير الله تبارك وتعالى تقربا إلى هذا المذبوح له، كأن يذكر غير اسم الله تبارك وتعالى على الذبيحة، كمن يذكر اسم الملائكة أو يذكر اسم الجن أو يذكر أسماء الأنبياء أو الصالحين، كأن يقول باسم المسيح أو باسم علي أو باسم زينب او نحو ذلك، فإن هذا شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

•وأما القسم الثالث فهو **الذبح البدعي** وهو أن يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله تبارك وتعالى، او يذبح عند القبور وإن كان الذابح قصده التقرب الى الله تبارك وتعالى وذبح باسمه تبارك وتعالى، فإن ذبحه يكون ذبحا بدعيا، وهو وسيلة من وسائل الشرك بالله جل وعلا. وهذا النوع وهو الذبح البدعي عقد له المصنف رحمه الله الباب الذي يأتي بعد هذا والذي سندرسه بإذن الله

[فتلخص من هذا أن الذبح عبادة وأنه يجب إفراد الله عز وجل بهذه العبادة فلا يذبح إلا لله تبارك وتعالى، فإذا صرف هذه العبادة لغير الله فإنه يكون ذبحا شركيا

أما اذا ذبح لله عز وجل لكنه ذبح عند أصحاب القبور وقصده التقرب الى الله جل وعلا فإن هذا يعتبر ذبحا بدعيا وهو وسيلة من وسائل الشرك بالله جل وعلا]

• وأما القسم الثاني فهو الذبح المباح وهو الذي يتمتع به باللحم والتوسيع على الاهل والعيال أو أن يتجر به، فان هذا يعتبر من قبيل الذبح المباح والذي اباحه الله عز وجل للناس.

والمصنف رحمه الله في هذا الباب الذي معنا وهو باب ما جاء في الذبح لغير الله أراد بالقسم الاول وهو الذبح لغير الله تبارك وتعالى وبيان أن حكمه هو الشرك بالله جل وعلا، لأنها عبادة فصرفها لغير الله كما تقدم معنا يعتبر شركاً به.

فقول المصنف " **باب ما جاء في الذبح لغير الله** "

يقصد بذلك باب ما جاء في الذبح لغير الله من الوعيد وبيان أنه من قبيل الشرك به.

والمصنف رحمه الله ذكر بعض النصوص التي تدل على أن الذبح عبادة لله جل وعلا ومن ثم صرفها لغير الله تبارك وتعالى يعتبر شركا به.

- ولهذا قال الشارح " **أي من الوعيد على ذلك، وبيان أنه شرك أكبر ناقل عن الملة؛ لأنه عبادة من أجل العبادات، وقربة من أفضل القربات المالية، فصرفه لغير الله شرك، كمن يذبح لقبر أو شجرة أو حجر أو ملك أو نبي أو جني أو لطلعة سلطان أو للزيران أو غير ذلك"**

فهنا مقصود الباب إذن هو بيان ما جاء في النصوص الشرعية من الوعيد العظيم لمن ذبح لغير الله عز وجل، وبيان أن الذبح عبادة وصرفها لغير الله شرك به جل وعلا.

وبيَّن المصنف رحمه الله هذا فقال " **لأنه عبادة من أجل العبادات وقربة من أفضل القربات المالية** " فإن القربات فإما أن تكون قربات بدنية: كالصلاة والصوم ونحو ذلك، وإما أن تكون قربات مالية كالزكاة والذبح لله جل وعلا.

قال " فصرفه لغير الله شرك " ومثَّل على ذلك بقوله " **كمن يذبح لقبر أو شجرة أو حجر أو ملك أو نبي أو جني أو لطلعة سلطان أو للزيران أو غير ذلك."**

فهذا التمثيل من الشارح رحمه الله فيه بيان أن كل ما ذبح له من أجل التعظيم فإنه يعتبر شرك به جل وعلا، وسواء كان هذا الذبح باسم ذلك الجني او باسم ذلك الملك او باسم صاحب القبر كان يقال: باسم فلان، فإن هذا شرك، وقد يذكر المشرك اسم الله عز وجل عند هذه الذبيحة فيقول: باسم الله، لكنه يقصد بذلك تعظيم المذبوح له والتقرب اليه فإنه والحالة هذه يعتبر كذلك شرك اكبر مخرجا عن دائرة الاسلام.

وقول الشارح: **" أو لطلعة سلطان "**

والمقصود بذلك قدوم سلطان فان السلطان كان اذا قدم على الناس فانهم يذبحون له، فما حكم هذه الذبيحة ؟

هذه الذبيحة لها صورتان:

* الصورة الاولى: أن تذبح له عند قدومه تعظيما له وتقربا إليه، هذا بلا شك يعتبر شرك أكبر وهو الذي أراده الشارح رحمه الله هنا، وحكم هذه الذبائح أنه يحرم أكلها.

ولا يختلف الحكم إذا سمى الله عليها، فلو قال بسم الله لكنه أراد التقرب لهذا المعظم لهذا السلطان فإنه لا يخرج الحكم عن كونه شرك به تبارك وتعالى، ومن علامات ذلك ان تذبح هذه الذبائح في الشوارع عند قدوم هذا السلطان ولا تأكل كما بينه الشيخ بن عثيمين رحمه الله.

* واما الصورة الثانية فهي ان تذبح الذبائح عند قدومه اكراما له وضيافا لقدومه ثم تطبخ هذه الذبائح وتؤكل، فان هذا لا بأس بها وهو من باب الاكرام، وليس من باب الشرك.

وقال الشارح كذلك **" أو للزيران "**

ولعل المقصود بالزيران هي الجن فإن الذبح للجن يعتبر شركا أكبر به تبارك وتعالى.

قال " **وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ} الآية "**

" أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين، الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغيره: {إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي} أي ذبحي، والناسك المخلص لله {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} أي ما أحيا عليه وما أموت عليه، من الإيمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصا لوجهه: {لا شَرِيكَ لَهُ} في شيء من ذلك، ولا في غيره من أنواع العبادة، فالصلاة أجل العبادات البدنية، والنسك أجل العبادات المالية، فمن صلى لغير الله فقد أشرك، ومن ذبح لغير الله فقد أشرك، ومطابقة الآية للترجمة أن الله تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك، كما تعبدهم أن يتقربوا إليه بالصلاة، وإذا تقربوا إلى غيره بالذبح فقد جعلوا له شريكا في عبادته، وهو ظاهر في قوله: {لا شَرِيكَ لَهُ} نفى أن يكون لله شريك في هذه العبادات. وقوله: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} أي من هذه الأمة؛ لأن إسلام كل نبي متقدم على قومه، فدلت هذه الآية أن أقوال العبد وأفعاله الظاهرة والباطنة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، ومن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك، والقرآن كله يدل على ذلك"

فهذا الجزء من الشرح لهذه الآية الكريمة فيه بيان أن النسك عبادة من جملة العبادات وصرفها هذه العبادة لغير الله عز وجل يعتبر شركا.

فقوله **" قل "** يعني يا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المشركين **{إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**

وقوله **{وَنُسُكِي}** أي ذبحي. والناسك هو المخلص لله

{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} أي ما أحيا عليه وما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح، وقيل معنى محياي ومماتي أي حياتي وموتي، والمقصود التصرف في وتدبير اموري حيا وميتا فانه لا يكون الا لله جل وعلا

وتلاحظ في هذه الآية ان الله عز وجل ذكر توحيد العبادة توحيد الألوهية في الصلاة والنسك **{صَلاتِي وَنُسُكِي}** هذا توحيد الالوهية وذكر كذلك توحيد الربوبية محياي ومماتي فانها حق خالص لله عز وجل فان المحيا والممات والاحياء والاماته انما هو حق خالص لله جل وعلى وهي ملك له فهي من معاني توحيد الربوبية وقوله لا شريك له يعني في شيء من ذلك ولا في غيره من انواع العبادات فالصلاة اجل العبادات البدنية والنسك اجل العبادات المالية فمن صلى لغير الله فقد اشرك ومن ذبح لغير الله فقد اشرك وهو يشير هنا الى ان الله عزوجل ذكر اعظم العبادات في هذه الاية وبين انه انما بعث عليه الصلاة والسلام كما بعث الانبياء قبله من اجل اخلاص العبادة لله تبارك وتعالى ودعوة الناس الى ذلك ولذلك قال وبذلك امرت

وقوله **{لا شَرِيكَ لَهُ}** قال **" نفى أن يكون لله شريك في هذه العبادات ." وقوله: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}** قال **أي من هذه الأمة** لان اسلام كل نبي متقدم على قومه وأما مناسبة الآية في الترجمة فهي واضحه وهي ان الله عزوجل تعبد عباده بان يتقربوا اليه بالنسك كما تعبدهم ان يتقربوا اليه بالصلاة واذا تقربوا الى غيره بالذبح فقد جعلوا له شريك في عبادته ثم قال الامام رحمه الله .

وقوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} قال الشارح " **يعني لا لغيره، قال شيخ الإسلام: أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنسك، الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى ما أعده، عكس حال أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة لهم إلى ربهم، ولا ينحرون له خوفا من الفقر. ولهذا جمع بينهما في قوله: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي} 2 والنسك الذبيحة لله ابتغاء وجهه، فالصلاة أجل ما يتقرب به إلى الله، وما يجتمع للعبد في الصلاة من الخشوع والذل والإقبال لا يجتمع له في غيرها، كما يعرفه أهل القلوب الحية، وما يجتمع له عند النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين، وحسن الظن أمر عجيب، فإنه إذا سمحت نفسه بالمال لله مع وقعه في النفس، ثم أذاق الحيوان الموت مع محبته له، صار بذلك أفضل من بذل سائر الأموال، فدل على أنه عبادة من أفضل العبادات، وكان ﷺ كثير الصلاة، كثير النحر، وقد تضمنت الصلاة كثيرا من أنواع العبادة، وكذا النسك تضمن أمورا من العبادة التي لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، ومن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك."**

فهذه الآية كسابقتها اوردها الشيخ من أجل أن يبين ان النحر عبادة وان صرفها لغير الله عزوجل يعتبر شرك وهنا فيه امر من الله عزوجل بالصلاة والنحر وهذه الصلاة وهذا النحر لا يكون الا لله عز وجل ولذلك اختص الله عز وجل بهاتين العبادتين كما اختص بغيرها من انواع العبادات كما يلاحظ في هذه الآية الجمع بين الصلاة وبين النحر كما في الآية السابقة عندما جمع الله عزوجل بين الصلاة والنسك وقوله جل وعلى فصل لربك : فان المقصود في الصلاة هنا الصلاة المعروفه شرعاوالنحر يقصد به كما قال الشارح الذبح اي اجعل نحرك لله تبارك وتعالى كما ان صلاتك له وافادت هذه الآية الكريمة ان النحر من العبادة ولهذا امر الله عزوجل به وقرنه بالصلاة وقوله وانحر هذا مطلق فيدخل فيه كل ما ثبت في الشرح مشروعيته للنحر وهي كما قال الشيخ بن عثيمين ثلاثة اشياء (الاضاحي – الهدايا – العقائق) فهذه الثلاثة يطلب من الانسان ان يفعلها

ثم اورد الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما يدل على الوعيد الشديد لمن ذبح لغير الله تبارك وتعالى فقال **" عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: " لعن الله من ذبح لغير الله ،لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا ،لعن الله من غير منار الأرض ". رواه مسلم .**

قال الشارح رحمه الله عند قوله " **حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات"**

قال **" تطلق الكلمة على الجملة المفيدة كقوله: (كلا إنها كلمة) إشارة إلى قوله: {رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ} ، وعلى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله، وكهذه الأربع، وعلى الخطبة، وعلى القصيدة."**

يعني أن قوله " **بأربع كلمات** " أن الكلمة تطلق على الجمل المفيدة؛ وهذا له شواهد كثيرة في الشرع ذكر الشيخ رحمه الله نماذج منها، ومن أشهرها قول (لا إله إلا الله) فإنها كلمة التوحيد.

فقوله كلمات: هي جمع كلمة

والكلمة في اصطلاح النحويين هي القول المفرد، وأما باعتبار اللغة فهي لكل ما أفاد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أصدق كلمة قالها شاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ ".

وقال شيخ الإسلام " **لا تطلق الكلمة في اللغة العربية إلا على الجملة المفيدة".**

وهنا ذكر أربع كلمات، وكل كلمة جملة مفيدة.

قال عليه الصلاة والسلام " **لعن الله من ذبح لغير الله** "

قال الشارح " **اللعن الطرد والإبعاد عن مظان الرحمة ومواطنها، واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة أو دعي عليه بها، واللعن من الخلق السب والدعاء.**

قال شيخ الإسلام: إن الله يلعن من استحق اللعنة بالقول، كما يصلي على من استحق الصلاة من عباده.

وقال في قوله تعالى: {وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ}من عباده. وقال في قوله تعالى: {وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} ظاهره أن ما ذبح لغير الله، مثل أن يقول هذه ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود، فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح أو نحوه، فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح ونحوه فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو قصد به ذلك أولى، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله، وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا إليه حرم، وإن قال فيه: بسم الله كما يفعله طوائف من منافقي هذه الأمة، الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور، وما يفعل بمكة من الذبح للجن، وذكر المروزي أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه؛ لأنه مما أهل به لغير الله، ووجه مطابقة الحديث للترجمة لعن من ذبح لغير الله، وبدأ بلعنه قبل غيره لغلظ تحريمه."

ففسر الشارح اللعن الذي ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم بأنه الطرد والأبعاد عن مظان الرحمة ومواطنها.

واللعين والملعون: من حقت عليه اللعنة أو دعي عليه بها.

واللعن من الخلق السبّ والدعاء.

ومعنى هذا أن لعن الله عز وجل للإنسان يكون بطرده من رحمته، وأما لعن العبد للعبد الآخر فإنه يكون دعاءً عليه بالطرد من رحمة الله جل وعلا.

ثم فصل الشارح فيما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في حكم الذبح لغير الله تبارك وتعالى باسم الله؛ كأن يسمي الله على الذبيحة وهو يريد أن يتقرب بها إلى غير الله جل وعلا فإن هذا نوع من أنواع الشرك ونوع من أنواع الذبح لغير الله جل وعلا كما تقدم معنا؛ لأن الذبح لغير الله سواء سمى غير اسم الله كأن يسمي المسيح أو أن يسمي علياً أو يسمي غيره من الأولياء والصالحين، أو كان قد سمى الله عز وجل على هذه الذبيحة وقصد التقرب لغير الله عز وجل؛

قال " **وقال _ أي شيخ الإسلام _ في قوله تعالى { وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۚ } ظاهره أن ما ذبح لغير الله، مثل أن يقول هذه ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود، فسواء لفظ به أو لم يلفظ"**

ومقصود هذا أن هذه الذبيحة تكون لمعظّم غير الله تبارك وتعالى، فسواء كان هذا في نيّته أو لفظ به؛ كلاهما سواء وشرك بالله تبارك وتعالى.

قال **" وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح أو نحوه، فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح ونحوه فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو قصد به ذلك أولى، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله"**

وهو يريد هنا أن يبين الفرق بين الذبح الذي هو من أجل اللحم، من أجل إرادة اللحم دون تعظيم المذبوح له والأمر الآخر هو الذبح من أجل معظّم، الذبح من أجل معظم عنده غير الله تبارك وتعالى؛ فإنه أيهما أشد حرمة ؟ أشد حرمة هو ما كان فيه تعظيم لغير الله تبارك وتعالى.

وقوله **" فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله"**

يقصد بذلك هذين النوعين وهو: الأول: أن يذبح تعبدا لذلك المعظّم، والثاني: وهو أن يذبح لأجل اللحم لكن مستعينا لذبحه بغير الله تبارك وتعالى كأن يقول: بسم المسيح. فإن الأول ما ذبح إلا من أجل التقرّب بخلاف الثاني فإنه فقط أراد الاستعانة بغير الله عند ذبحه وإن كان كلاهما شرك بالله جل وعلا الشرك الأكبر المخرج من الملة، لكن الشيخ يريد أن يبين أن ذاك الشرك وهو النوع الأول أعظم من النوع الثاني.

قال **" وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا إليه حرم، وإن قال فيه: بسم الله كما يفعله طوائف** من منافقي هذه الأمة، الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور، وما يفعل بمكة من الذبح للجن "

وهذه أمثلة عاصرها العلماء، وهي موجودة يعني في بعض البلدان الذين يتقربون لغير الله جل وعلا كمن يذبحون للكواكب وكذلك كمن يذبح عند القبور متقصدين التقرب إليهم.

قال **" وذكر المروزي أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه؛ لأنه مما أهل به لغير الله "**

وتقدم التفصيل في هذا؛ فإنه إن ذبح تقربا للسلطان وتعظيما له فإنه هنا لا تؤكل هذه الذبيحة، وعلامة هذا أن لا يؤكل منها وإنما تُرمى.

والثانية، وهو أن يذبح للسلطان إكراماً له لا تعظيما له؛ التعظيم الذي هو تعظيم عبادة، وإنما أراد الإكرام له فإن هذا جائز.

وقد علق الرافعي رحمه الله على كلام المروزي، قال **" هذا إنما يذبحونه استبشارا بقدومه، فهو كنوع العقيقة لولادة المولود "**

ولهذا قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في التيسير **" إن كانوا يذبحونه استبشارا كما ذكر الرافعي فلا يدخل في ذلك، وإن كانوا يذبحونه تقرّبا إليه فهو داخل في الحديث"** _ يعني حديث علي رضي الله عنه " لعن الله من ذبح لغير الله " انتهى كلامه.

ثم بين الشارح وجه مطابقة الحديث للترجمة وهو لعن من ذبح لغير الله، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بلعنه قبل غيره وذلك لغلظ تحريمه.

فإنه كما هو معلوم أن أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم بأن الشرك أعظم الذنوب على الإطلاق.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم " **لعن الله من لعن والديه** "

قال الشارح " فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري أنه قال: " **من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه " فيكون هو السبب في لعن والديه، وجعله النبي صلى الله عليه وسلم سابا لاعنا لأبويه بتسببه إلى ذلك وتوسله إليه وإن لم يقصده، ويوجد من يباشرهما بالسب، وظاهر الخبر أن يتولى الابن لعنهما بنفسه، فلعن من نطق بسبهما، ولما أخبر أنه إذا سب أبا الرجل سب أباه كان كمن تولى ذلك بنفسه، وفيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وهذا الحديث أصل في قطع الذرائع."**

هنا في قول النبي عله الصلاة والسلام" **لعن الله من لعن والديه"** جاء تفسيره في هذا الحديث الذي أورده الشيخ، فهو بمعنى أن يتسبب بسب والديه فيسب أبا الرجل فيسب ذاك أباه ثم يسب أمه فيسب أمه بعد ذلك، وجعله النبي صلى الله عليه وسلم سابًّا لاعنا لأبويه لأنه تسبب بذلك وإن لم يقصد هذا الأمر مباشرة.

وأشار الشارح إلى ما أخذه الفقهاء من هذا الحديث، وهو قاعدة مهمة: أن السبب بمنزلة المباشرة.

ثم اذا كان هذا حال المتسبب فما ظنك بالمباشر الذي يباشر سب والديه، فإنه بلا شك يكون أولى باللعن من هذا.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم " **لعن الله من أوى محدثاً** "

قال الشارح: " **بفتح الهمزة ممدودة وهو الفار المستحق للحد الشرعي فيحول بينه وبين أن يقام عليه، وفي الحديث " من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره "، وفي الحديث " إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع "**

قال ابن الأثير: ((ويروى بكسر الدال وفتحها، فمعنى الكسر: من نصر جانيا وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه. وبالفتح هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والإقرار عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه)) .

قال ابن القيم: ((هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه، فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم)). "

فقوله عليه الصلاة والسلام " **لعن الله من أوى محدثاً** " يروى بكسر الدال وفتحها، فأما إذا قلنا محدِثا بالكسر فيكون معناها من نصر جانياً وأواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه؛ فالمحدِث على هذا هو الفاعل للإحداث ويكون المقصود به من استوجب الحد ونحوه.

ويروى بالفتح **(لعن الله من أوى محدَثاً)** وهي البدعة والفعل المبتدع، والإيواء فيه: الرضى به والإقرار عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد أواه. ومن أظهر معاني الإيواء كذلك النصرة والأعانة.

وعلى كل فإن الحديث على الصحيح يشمل الإحداث بالدين كالابتداع فيه ويشمل كذلك الإحداث بالأمر، فيعني في شؤون الأمة كالجرائم وشبهها، فمن أوى محدثا فهو ملعون.

وكذا من ناصرهم ونستفيد من هذا التحذير من البدع والإحداث في الدين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم" **إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة** " فالممنوع في هذا الحديث هو إيواء أهل البدع والمعاصي ونصرهم بأي نوع من أنواع النصر والإعانة، وكذلك من يمنع إقامة الحد عليهم، ومن يقيم البدع وينصرها فإنه يدخل في ذلك من باب أولى.

ومعنى كلام ابن القيم رحمه الله **" هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم. "**

معنى كلام ابن القيم رحمه الله أن " **الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم. "**

يقصد من ذلك رحمه الله أن إيواء هذا المحدث على حسب حدثه، إن كان حدثه أعظم فإن إيواءه أعظم، ثم قال النبي ﷺ **" لعن الله من غير منار الأرض .**

قال الشارح أي **" علامات حدودها أي قدم أو أخر ليغتصب من أرض جاره، سميت منارا لإنارتها بين الحقين أي حجزها وتمييزها بينهما، فيكون من ظلم الأرض الذي قال فيه -عليه الصلاة والسلام-: " من ظلم شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة " متفق عليه. أو لإنارتها على الطرق، وهي الأعلام التي توضع على السبل، فإذا غيرها ضل السالك. وقال المصنف: ((هي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير; وفيه الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعصية على سبيل العموم)) . اهـ**

فالحديث دليل على جواز لعن أنواع الفساق، كقوله: " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ". وأما لعن الفاسق المعين فقيل: يجوز، اختاره ابن الجوزي. وقيل: لا يجوز اختاره أبو بكر عبد العزيز والشيخ، والشيخ عبد المغيث وصنف في ذلك مصنفا ذكره عنه الشيخ، وأنه المعروف عن أحمد. "

في هذا الكلام مسائل،

الأولى: وهى معنى قوله عليه الصلاة والسلام **" لعن الله من غير منار الأرض":** وفسر الشارح التغيير بأنه التقديم أو التأخير، والغاية من هذا التقديم والتأخير هو غصب أرض الجار.

وسميت منارا لمنارتها بين الحقين أي حجزها وتمييزها بينهما، وهذا من الظلم الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو من كبائر الذنوب.

أو يكون سبب التسمية هو لإنارتها على الطرق؛ وهي الأعلام التي توضع على السبل، فإذا غيرها ضلّ السالك.

فتخلص من هذا أن منارة الارض هي العلامات والإشارات والأعلام التي توضع على حدود الارض ليتبين أملاك الناس عليها.

أو يكون المقصود من ذلك العلامات التي يهتدي بها الناس في المواضع والأماكن التي يسيرون فيها، فإن هذا كله داخل في هذا اللعن من النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر الشيخ ابن باز رحمه الله أنه يلحق بذلك من يرشد الناس إلى الطرق والمياه والبلدان خطأً، فهو داخل في هذا اللعن إن تعمده.

والمسألة الأخرى التي ذكرها الشارح عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قوله **"وفيه الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعصية على سبيل العموم "**

ومعنى هذا أن النص جاء من النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر اللعن المطلق، دون لعن المعين فتقول: لعن الله من لعن والديه ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غير منار الأرض ونحو ذلك.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في معنى هذا: **" فإذا رأيت من آوى محدثا، فلا تقل لعنك الله، بل قل لعن الله من آوى محدثا -على سبيل العموم-، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صار يلعن أناسا من المشركين بقوله " اللهم العن فلانا وفلانا "، نهي عن ذلك بقوله تعالى { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ }.**

فالمعيّن ليس لك أن تلعنه وكم من إنسان صار على وصف يستحق به اللعنة، ثم تاب فتاب الله عليه " انتهى كلامه رحمه الله.

قال الشارح: **" فالحديث دليل على جواز لعن أنواع الفساق، كقوله: " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ".**

وأما لعن الفاسق المعين فقيل: يجوز، اختاره ابن الجوزي. وقيل: لا يجوز اختاره أبو بكر عبد العزيز والشيخ،

والشيخ عبد المغيث وصنف في ذلك مصنفا ذكره عنه الشيخ، وأنه المعروف عن أحمد."

فهذه المسألة وهي لعن الفاسق المعين؛ كأن يلعن شخص بعينه، فهذا فيه خلاف، فقيل يجوز وهذا اختاره ابن الجوزي، وقيل لا يجوز فاختاره أبو بكر عبد العزيز وهو من الحنابلة، والشيخ ويقصد بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال **" وأنه المعروف عن أحمد "**

وعبارة شيخ الإسلام **" والمعروف عن أحمد كراهة لعن المعين كالحجاج وأمثاله، وأن يقول كما قال الله تعالى { أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }. اهـ "**

بمعنى أن اللعن يكون بإطلاق ولا يكون بتعيين.

وأما عبد المغيث الذي ذكره الشارح هنا ونقل هذا عن شيخ الإسلام ابن تيمية فإن عبد المغيث هذا هو **أبو العز عبد المغيث ابن زهير ابن علوي الحربي** وقد توفى سنة **خمس مئة و ثلاثة و ثمانين (583).**

وكان عبد المغيث يمنع من السبّ مطلقا، ولا سيما سب يزيد بن معاوية، وألف في ذلك كتابا رد فيه على ابن الجوزي الذي كان يطعن في يزيد، ورد عليه كذلك ابن الجوزي في كتاب آخر.

وقد أشار شيخ الإسلام رحمه الله ابن تيمية في كتابه المنهاج **"منهاج السنة"** قصة ما حصل بين أبي الفرج بن الجوزي الذي يُجوّز لعن المعيّن وبين عبد المغيث الحربي الذي يمنع ذلك،

قال شيخ الإسلام : **" (و أما أبو الفرج ابن الجوزي فله كتاب في إباحة لعنة يزيد رد فيه على الشيخ عبد المغيث الحربي فإنه كان ينهى عن ذلك) يعني الشيخ عبد المغيث، وقد قيل إن الخليفة الناصر لما بلغه نهي الشيخ عبد المغيث عن ذلك يعني عن لعن يزيد، قصده و سأله عن ذلك، و عرف عبد المغيث أنه الخليفة و لم يُظهر أنه يعلمه فقال له: (يا هذا أنا قصدي كفّ ألسنة الناس عن لعنة خلفاء المسلمين وولاتهم، فإلا فلو فتحنا هذا الباب، لكان خليفة وقتنا أحق باللعن، فإنه يفعل أمورا منكرة أعظم مما فعله يزيد، فإن هذا يفعل كذا و يفعل كذا.. وجعل يعدد مظالم الخليفة حتى قال له: ادعُ لي يا شيخ. وذهب) ".** انتهى ما نقله شيخ الإسلام بن تيمية.

قال الشيخ **" رواه مسلم"**

قال الشارح **" من طرق وفيه قصة، ورواه أحمد كذلك عن أبي الطفيل قال: قلنا لعلي: أخبرنا بشيء أسرّه إليك رسول الله ﷺ. فقال: ما أسرّ إلى شيئا كتمه الناس، ولكن سمعته يقول. فذكره، وفي آخره: " ولعن الله من غير تخوم الأرض " يعني المنار. "**

ثم أورد الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حديثا في هذا الباب وهن**" عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: " دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا قالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا: قرب ولو ذبابا. فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب. قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة "**. رواه أحمد

قال عن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (دخل الجنة رجل في ذبابة و دخل رجل النار في ذباب)

فأما طارق بن شهاب فقد اختُلِف في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو حاتم **" ليس له صحبة و الحديث الذي رواه مرسل"**، و قال أبو داوود **" رأى النبي و لم يسمع منه شيئا ".**

قال الحافظ بن حجر **" إذا ثبت أنه لقي النبي صلى الله عليه و سلم فهو صحابي على الراجح، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عن مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح، وقد أخرج له النسائي عدة أحاديث و ذلك النصيب منه إلى إثبات صحبته."**

قال الشارح **" أي بسبب ذباب "** عند قوله **" دخل رجل الجنة في ذباب، دخل رجل النار في ذباب " " أي بسبب ذباب ومن أجله، ولعل هذين الرجلين من بني إسرائيل، فإن رسول الله ﷺ كثيرا ما يحدث عنهم."**

قالوا - يعني الصحابة – **" و كيف ذلك يا رسول الله "**

قال الشارح **" كأنهم تقالوا هذا العمل، واستغربوه وتعجبوا منه، كيف بلغ الذباب إلى هذه الغاية التي بسببه دخل رجل الجنة ورجل دخل النار، أو احتقروه كيف كان تقريب الذباب سببا لدخول الجنة أو النار، فاستفهموه ليبين لهم ما استغربوه، فبين لهم النبي ﷺ ما صير هذا الأمر الحقير عندهم عظيما، يستحق هذا عليه الجنة، ويستوجب الآخر عليه النار."**

فقال عليه الصلاة و السلام **" مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا "**

قال الشارح **" وإن قلّ تعظيما لصنمهم، والصنم ما كان منحوتا على صورة وعبد من دون الله، ويطلق عليه الوثن كما مر، وكل ما عبد من دون الله يقال له صنم، بل كل ما يشغل عن الله يسمى صنما، ولا يجاوزه أي لا يمر به ولا يتعداه حتى يقرب له شيئا."**

فقوله **"قرّب"** من القُربة، وهو أن يبذل شيئا من أجل هذا المعبود من دون الله تبارك و تعالى، فإن من عاداتهم أنه لا يمر أحد على هذا الصنم حتى يقرّب ويبذل شيئا من ماله لهذا الصنم.

وتقدّم معنا تعريف الصنم وتعريف الوثن كما تقدم معنا.

التعريف على قول من قال **" كل من يشغل عن الله عز و جل يسمى صنما"**

وقوله **" لا يُجاوزه "** أي لا يمر به و لا يتعدّاه حتى يقرّب له شيئا، يعني و إن قلّ.

" قالوا لأحدهما: (قرّب) قال ليس عند شيء أقربه "

قال الشارح **" يعني للصنم، احتج بالعدم فلما عرفوا موافقته بالذبح لغير الله، واعتذر طمعوا فيه، وقنعوا منه بأيسر شيء؛ لأن قصدهم موافقتهم على ما هم عليه من الشرك."**

وظاهر هذا اللفظ **" ليس لي شيء أقرّب"** أنه لو كان عنده شيء لتقرّب إلى هذا الصنم بما عنده، وظاهر هذا كما أراده الشارح أن يبين أن هذا الرجل الذي قرب الذباب ليس مُكرها على هذا الفعل.

" قالوا: (قرِّب و لو ذبابا) فقرب ذبابة "

قال الشارح **" حصل به موافقتهم، وظاهره أنه لو وجد بدنة لقربها."**

وهذا لما تقدم أن ظاهره أنه لم يعتذر إلا بعذر واحد وهوعدم امتلاكه شيئا من أجل أن يقربه لهذا الصنم، قال **" فخلوا سبيله فدخل النار "**

قال الشارح **" بسبب قربانه الذباب للصنم؛ لأنه قصد غير الله بقلبه، وانقاد بعمله فوجبت له النار. ففيه بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار لقوله: {مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ}.**

فإذا كان هذا فيمن- قرب ذبابا، فكيف بمن يستسمن الإبل وغيرها، ليتقرب بنحرها لمن كان يعبده من دون الله، من قبر أو مشهد أو طاغوت وغير ذلك؟

وفيه التحذير من الوقوع في الشرك، وأن الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدري، والحذر من الذنوب وإن كانت صغيرة في الحسبان، كما قال أنس: " إنكم تعملون أعمالا هي أصدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ".

وفيه أنه دخل النار بسبب لم يقصده ابتداء، وإنما فعله تخلصا من شر أهل الصنم، وفيه أنه كان مسلما، وإلا لم يقل دخل النار في ذباب، وفيه أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان."

في هذا الجزء يبين الشارح رحمه الله لماذا كان هذا الرجل مشركا بالله تبارك و تعالى وهو أنه قصد غير الله عز و جل بقلبه وانقاد عمله لما في قلبه فوجبت له النار.

وهذا فيه بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل وأنه يوجب النار لقوله **{ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ }** يعني من يشرك بالله بأي نوع من أنواع الشرك ولو كان شيئا حقيرا.

قال الشيخ سليمان " ألا ترى إلى هذا لمّا قرّب لهذا الصنم أرذل الحيوان و أخسه وهو الذباب كان جزاءه النار لإشراكه في عبادة الله، إذ الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة وهذا مطابق لقوله تعالى **{ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ }** قال الشارح " **فإذا كان هذا فيمن قرّب ذبابا فكيف بمن يستسمن الإبل و غيرها** – ومعنى يستسمن يعني أنه يسمنها و يقربها لغير الله تبارك و تعالى - **ليتقرب بنحرها لما كان يعبده من دون الله من قبر أو مشهد أو طاغوت أو غير ذلك"**

ثم ذكر الشارح عدة فوائد من هذا الجزء " **وفيه التحذير من الوقوع في الشرك، وأن الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدري، والحذر من الذنوب وإن كانت صغيرة في الحسبان، كما قال أنس: " إنكم تعملون أعمالا هي أصدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ". وفيه أنه دخل النار بسبب لم يقصده ابتداء، وإنما فعله تخلصا من شر أهل الصنم "**

علّق الشيخ بن عثيمين على هذه المسألة التي استنبطها الإمام محمد بن عبد الوهاب قال " **هذه المسألة ليست مسلّمة، فإنّ قولهم قرّب ولو ذبابا يقتضي أنّه فعله قاصدا التبرّك، أمّا فعلها تخلّصا من شرّهم فإنّه لا يكفر لعدم قصد التقرّب، ولهذا قال الفقهاء لو أكره على طلاق امرأته فطلّق تبعا لقوله، أي طلّق ناويا الطلاق فإنّ الطلاق يقع، وإن طلّق دفعا للإكراه لم يقع وهذا حق لقوله صلى الله عليه وسلّم " إنّما الأعمال بالنيات "**

وظاهر القصة أنّ الرجل ذبح بنية التقرّب لأنّ الأصل أنّ فعلا بني على طلب أن يكون موافقا لهذا الطلب، ونحن نرى (ولا زال الكلام للشيخ العثيمين) قال **ونحن نرى خلاف ما يرى المؤلف رحمه الله أي أنّه لو فعله بقصد التخلّص ولم ينو التقرّب لهذا الصنم لعموم قوله تعالى { مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا } وهذا الذي فعل ما يوجب الكفر تخلّصا مطمئن قلبه بالإيمان، والصواب أيضا أنّه لا فرق بين القول المكره عليه والفعل وإن كان بعض العلماء يفرّق ويقول : إذا أُكره على القول لم يكفر وإذا أُكره على الفعل كفر. ويستدّل بقصة الذباب، وقصة الذباب فيها نظر من حيث جهتها، وفيها نظر من حيث الدلالة لما سبق أنّ الفعل المبني على طلب يُحال على هذا الطلب، ولو فُرض أنّ الرجل تقرّب للذباب تخلّصا من شرّهم فإنّ لدينا نصّا محكما في الموضوع وهو قوله تعالى { من كفر بالله } (الآية) ولم يقل بالقول فما دام عندنا نص**

قرآنيّ صريح فإنّه لو وردت السنّة الصحيحة على وجه مشتبه فإنّها تُحمل على النّص المحكم " اهـ كلامه رحمه الله.

وهذا الكلام من الشيخ العثيمين رحمه الله كلام متين فيه بيان أنّ الشريعة الإسلامية تعذر المُكرَه على الكفر سواء كان هذا بالقول أو كان هذا بالفعل ، وقول الشارح ناقلا على الإمام محمد بن عبد الوهاب " **وفيه أنّه كان مسلما وإلاّ لم يقل دخل النار في ذباب وهذا الأمر صحيح ، أي أنّه كان مسلما ثمّ كفر بتقريبه للصنم فكان هو السبب في دخوله النّار ، ولو كان كافرا قبل أن يقرِّب الذباب لكان دخوله النار لكفره الأوّل لا بتقريبه الذباب "** وأفاد هذا الشيخ العثيمين رحمه الله.

قال **" وفيه أنّ عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان ، قال عليه الصلاة و السلام " وقالوا للآخر قرِّب، قال ماكنت لأقرّب لأحد شيئا دون الله عز وجل "**

قال الشارح **" أبى عليهم وبادأهم بالإنكار وعظُم عليه أن يقرّب لصنمهم شيئا ونفر من الشرك وصرّح بإخلاص العبادة لله عز وجل. "**

وهذا الإيباء والإنكار من هذا الرجل يحتمَل فيه أمرين:

1/أنّه في شريعة من سبقنا وكانت في تلك الشريعة لا عذر بالإكراه ولهذا لم يأخذ بالرخصة ولم يتخلّص منهم .

2/ والاحتمال الآخر أنّه ترك الرخصة وكانت موجودة في شريعتهم لكنّه أخذ بالعزيمة لقوة إيمانه ويقينه فقتلوه،

وأفاد هذين الاحتمالين الشيخ بن باز رحمه الله، وقال بعد ذلك **" وفي شريعتنا من أُكرِه على الشرك ففعل ما أكره عليه بقصد التخلّص من شرّهم ولم يطمئن قلبه بذلك فلا حرج عليه "** قال الله عز وجل { **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** }

ثمّ قال صلى الله عليه وسلّم **" فضربوا عنقه فدخل الجنّة "**

قال الشارح **" لامتناعه عن التقريب لغير الله إيمانا واحتسابا وإجلالا وتعظيما لله، ففيه بيان فضيلة التوحيد والإخلاص وتفاوت الناس في الإيمان."**

قال المصنف: ((وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر، ودل الحديث على أن الذبح عبادة، وأن صرفه لغير الله شرك، وأن الذابح لغير الله يكون من أهل النار)) .

وهذا هو سبب إيراد المصنف رحمه الله لهذا الحديث في هذا الباب وهو أن هذا قرب ذباباً فدخل النار.

قال " رواه أحمد "

قال الشارح **" وكذا أورده ابن القيم وغيره. ورواه أحمد في كتاب الزهد، وأبو نعيم في الحلية، موقوفا على سليمان بن ميسرة. قال الحافظ: سليمان بن ميسرة الأحمسي عن طارق بن شهاب، وعنه الأعمش وغيره، روى عن طارق وله صحبة، ووثقه النسائي وغيره."**

فقوله الإمام محمد **" رواه أحمد "**

يعني في كتاب الزهد وإلا فإنه ليس في المسند.

وهذا الحديث يرويه سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي، لكنه موقوف على سلمان الفارسي وليس بمرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأما رفعه فهو ضعيف لا يثبت عنه عليه الصلاة والسلام.

وقول الشارح نقلا عن الإمام محمد بن عبد الوهاب " وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر"

ويقصد به الرجل الآخر الذي امتنع عن تقريب هذا الذباب وذلك لوقع الشرك العظيم في قلبه، فإنه يرى أنه يقدم القتل على التقريب ولو كان ذبابا.

وذكر أهل العلم مسألة وهي:

هل الأولى للإنسان أن يصبر إذا أكره على الكفر ويقتل أو يوافق ظاهرا ويتأول ؟

فذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أحوالا عديدة لهذه المسألة:

- بالحالة الأولى: أن يوافق ظاهرا وباطنا؛ وهذا لا يجوز لأنه ردّة

- الحالة الثانية: أن يوافق ظاهرا لا باطنا ولكن يقصد التخلص من الإكراه؛ فهذا جائز.

- الثالثة: ألا يوافق لا ظاهرا ولا باطنا ويقتل؛ وهذا جائز وهو من الصبر.

لكن أيهما أولى ؟ أن يصبر ولو قتل أو أن يوافق ظاهرا ؟

قال رحمه الله **" هذا فيه تفصيل، إذا كان الإكراه لا يترتب عليه ضرر في الدين للعامة، فإن الأولى أن يوافق ظاهرا لا باطنا، لا سيما إذا كان بقاؤه فيه مصلحة للناس؛ مثل صاحب المال أو العلم وما أشبه ذلك، حتى وإن لم يكن في بقاءه مصلحة فإن في بقاءه على الإسلام زيادة عمل وهو خير وقد رخص له أن يكفر ظاهرا عند الإكراه. فالأولى أن يتأول ويوافق ظاهرا لا باطنا.**

أما إذا كان في موافقته وعدم صبره ضرر على الإسلام فإنه يصبر، وقد يجب الصبر لأنه من باب الصبر على الجهاد في سبيل الله وليس من باب إبقاء النفس. ولهذا لما شكى الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ما يجدونه من مضايقة المشركين قص عليهم قصة الرجل فيمن كان قبلنا بأن الإنسان كان يُمشط ما بين لحمه وجلده بأمشاط الحديد ويصبر؛ فكأنه يقول لهم: اصبروا على الأذى. ولو حصل من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت موافقة للمشركين وهم قلة لحصل بذلك ضرر عظيم على الإسلام.

والإمام أحمد رحمه الله في المحنة المشهورة لو وافقهم ظاهرا لحصل بذلك مضرة على الإسلام " انتهى كلامه رحمه الله.

وبهذا نكون قد انتهينا من هذا الباب،

نسأل الله تبارك وتعالى لنا ولكم الإخلاص في القول والعمل.

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الحادية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد :

حياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء والذي نتدارس فيه كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بحاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم. وهو اللقاء الحادي عشر من دروس توحيد الألوهية.

واليوم معنا باب متعلق بالباب السابق، وهذا الباب هو قول المصنف رحمه الله فيه:

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وأما الباب السابق الذي تمت دراسته فهو باب ما جاء في الذبح لغير الله، فذاك الباب هو في الشرك الأكبر المخرج من الملة؛ حيث تقدم معنا أن الذبح عبادة لله عز وجل لا يجوز صرفها لغيره تبارك وتعالى، فمن صرف هذه العبادة لغير الله جل وعلا فقد خرج عن دائرة الإسلام وأشرك بالله عز وجل الشرك الأكبر.

وأما هذا الباب وهو باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله فإن المصنف رحمه الله أراد بيان وسيلة من وسائل الشرك به وهو الذبح لله عز وجل في مكان يذبح فيه لغير الله تبارك وتعالى.

فهو أراد رحمه الله أنه لا يجوز التشبه بأهل المعاصي ولا مشاركتهم في أماكن المعصية؛ ومن تلك الأماكن تعبدهم وذبحهم لغير الله تبارك وتعالى، ولو أراد الإنسان أن يذبح لله عز وجل في هذا المكان فإنه يمنع من ذلك ولا يجوز حتى لا يشاركهم وحتى لا ينسب إليهم، فهو من باب سدِ الذرائع الموصلة إلى الشرك بالله تبارك وتعالى؛ حيث أن عملها في المكان الذي يقع فيه الشرك الأكبر هو طريق موصل إليه أيضا.

وتقدم معنا أنواع الذبح؛ وقلنا بأن الذبح على ثلاثة أنواع:

_ منه ما هو **ذبح** العبادة والنسك وهو ما يتقرب به إلى الله جل وعلا

_ والنوع الثاني هو الذبح الشركي وهو الذبح لغير الله تبارك وتعالى وصرف هذه العبادة لغير الله كمن يذبح للأنبياء أو يذبح للملائكة أو يذبح للجن ونحو ذلك.

_ والنوع الثالث هو الذبح البدعي وهو أن يذبح لمكان يذبح فيه لغير الله تبارك وتعالى، **وهو مقصود هذا الباب.**

وأما الباب السابق فقد تقدم معنا أن المراد به الشرك الأكبر. ومن هذا القبيل أن يذبح عند القبور أن يذبح عند القبور وإن كان يقصد الذبح لله تبارك وتعالى أو أن يسمي الله تبارك وتعالى على هذه الذبيحة فإن هذا كذلك موصل إلى الشرك بالله جل وعلا ولا يجوز فعله.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في علاقة هذا الباب بالباب السابق؛ قال **" ما أحسن إتباع هذا الباب بالذي قبله فالذي قبله من المقاصد وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر وهذا من وسائل الشرك القريبة، فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربا إليها وشركا بالله صار مشعرا من مشاعر الشرك، فإذا ذبح المسلم ذبيحة ولو قصدها لله فقد تشبه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعوا إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشاركة الكفار في شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعادا للمسلم عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم؛ حتى أنه نهى عن الصلاة في أوقات النهي التي يسجد فيها المشركون لغير الله خوفا من التشبه المحذور "** انتهى كلامه رحمه الله.

عند التعليق على هذا الباب قال الشارح الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله، باب لا يذبح لله، قال:

" لا نافية، ويحتمل أنها للنهي، واستظهره الشارح. أي لا يجوز الذبح لله بمكان أعد للذبح لغير الله؛ لأن ذلك فيه مشابهة ومضارعة للمشركين ظاهرة في المكان، وهو منهي عنه، كما في الحديث: " من تشبه بقوم فهو منهم ". ولو قصد الذابح وجه الله؛ لأنه إحياء للمحل الشركي، وتعظيم له، فيكون وسيلة إلى وجود الشرك ورجوعه، وسد الذرائع من أهم ما جاءت به الشريعة، بل لا يجوز بعدا عن الشرك ومواضع الغضب، وكان أهل نجد كغيرهم يذبحون للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم، ويتخذون للذبح لهم مكانا مخصوصا في دورهم، فأزال الله ذلك عنه بدعوة شيخ الإسلام قدس الله روحه."

فقول الإمام **"لا يذبح لله "** يحتمل أن تكون لا نافية ويحتمل أن تكون للنهي

قال **:" واستظهره الشارح "** يقصد الشيخ عبد الرحمن ابن حسن في كتاب فتح المجيد أي لا يجوز الذبح لله في مكان أعدَّ للذبح لغير الله.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله سبب هذا النهي والحكمة منه وهو عدم مشابهة ومضارعة المشركين، وقد نهينا أشد النهي من النبي صلى الله عليه وسلم عن مشاركة المشركين في أعيادهم وشعائرهم وأعيادهم ولباسهم ونحو ذلك..

والمضارعة هي المشابهة والمضاهاة.

ثم ذكر الشارح حال أهل نجد في زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وما يحصل منهم من الذبح لغير الله تبارك وتعالى طلبا لشفاء المرضى ونحو ذلك، ويتخذون للذبح لهم مكانا مخصوصا في دورهم فأزال الله ذلك بدعوته بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

ومحصل كلام أهل العلم حول هذا الأمر وهو سبب النهي عن الذبح لله في هذا المكان الذي يذبح فيه لغير الله عدة أمور تقدم بعضها لكننا نوجزها هنا:

- **أولا أنه يؤدي إلى التشبه بالكفار** وقد نهينا عن ذلك ولو كان الذبح لله تبارك وتعالى.
- **الأمر الثاني أن في ذلك إحياءً للمحل الشركي وتعظيما له** فيكون من أكبر المسائل إلى وجود الشرك ورجوعه
- **الأمر الثالث أنه يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل** لأن من رأى مسلما يذبح في مكان يذبح فيه المشركون ظن أن فعل المشركين جائز لأن صورة الفعلين واحدة.
- **الأمر الرابع أن المشركين سوف يقوون على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم.**

هذه أبرز الأمور التي ذكرها أهل العلم في المنع من الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله.

ثم أورد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى قول الله عز وجل { **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ} الآية.**

قال الشارح رحمه الله **" أي لا تصل في مسجد الضرار، وكان بناه جماعة من المنافقين مضارة لمسجد قباء، وكفرا بالله ورسوله،: {وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ}. وهو أبو عمرو الفاسق، وكان بناؤه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك. فسألوه أن يصلي فيه رجاء بركة صلاته، وذكروا أنهم بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية. فقال: " إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله "، فلما قفل ولم يبق بينه وبين المدينة إلا يوم أو بعضه، نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه وهدمه وحرقه قبل قدومه.**

ومطابقة الآية للترجمة أن هذا المسجد لما أسس على معصية الله والكفر به، صار محل غضب، فنهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم فيه، لوجود العلة المانعة، وهو صلى الله عليه وسلم لا يصلي إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، وهذا قياس صحيح يؤيده الحديث الآتي.

وقوله: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بني على التقوى، وهي طاعة الله ورسوله، وجمعا لكلمة المسلمين، ومعقلا للإسلام وأهله. وكان صلى الله عليه وسلم يزوره، وفي الصحيح: " صلاة في مسجد قباء كعمرة ". وقال بعضهم: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمارى فيه رجلان، فقال صلى الله عليه وسلم: " هو مسجدي هذا " رواه مسلم.

ولا منافاة، فإنه إذا كان مسجد قباء بهذا الوصف قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بهذه الصفة بطريق الأولى.

وقوله: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا}؛ لما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فيه فقال: "ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به ؟ " قالوا: ما نعلم إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا، فقال: " هو ذاك فعليكموه "

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} الذين يتنزهون من القذرات والنجاسات بعد ما يتطهرون من أوضار الشرك وأقذاره."

فتبين من هذا أن قول الله عز وجل **{ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ}** إنما أورده الشيخ رحمه الله في هذا الباب من أجل القياس، قياس الذبح لله عز وجل في مكان يذبح فيه لغير الله بذلك المسجد وهو مسجد الضرار.

والجامع بين هذين أن كلا فيه إرادة غير وجه الله تبارك وتعالى؛ فهذا المسجد أريد به معصية الله عز وجل والكفر به تبارك وتعالى، وكذلك هذا المكان الذي يذبح فيه لغير الله.

فتبين بهذا وجه المناسبة من الآية وهو أنه لما كان مسجد ضرار مما اتخذ للمعاصي ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين، نهى الله رسوله أن يقوم فيه. دل على أن كل مكان يعصى الله فيه أنه لا يقام فيه؛ فهذا المسجد متخذ للصلاة لكنه محل معصية فلا تقام فيه الصلاة، وكذلك لو أراد إنسان أن يذبح في مكان يذبح فيه لغير الله كان حراما لأنه يشبه الصلاة في مسجد الضرار. أفاده الشيخ إبن عثيمين رحمه الله في شرحه على كتاب التوحيد.

وقوله تبارك وتعالى **{ لَا تَقُمْ فِيهِ }** هنا "لا" ناهية؛ نهى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في هذا المسجد أبدا، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام فيه فإنما هو قائم لله تبارك

وتعالى، فمنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة لله في هذا المسجد الذي أقيم لغير وجه الله عز وجل إنما من أجل التفريق والكفر بالله تبارك وتعالى.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله الخلاف في المقصود بالمسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم أيهما؛ هل هو مسجد قباء أم هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

والصحيح في ذلك أن سياق الآية وارد في مسجد قباء، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن ذلك أوضح أنه هو مسجده عليه الصلاة والسلام، وأنه كما ذكر الشارح يكون من باب أولى في دخوله في ذلك الوصف الذي هو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم.

وأوضح المصنف المقصود بقوله تبارك وتعالى **{ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ }** وأن التطهر هو غسل الأدبار من الغائط كما هو فعل أهل قباء، ولذلك امتدح الله عز وجل هؤلاء رضي الله عنهم.

ثم قال **{ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }**: يعني الذين يتنزهون من القذرات والنجاسات. واولى ما تنزهوا عنه هو الشرك وأقذاره..

وإذا كان هذا المسجد وأصحابه متطهرون. فإن مسجد الضرار فيه نجس، نجس النفاق ونجس الكفر بالله تبارك و تعالى .

وقوله **{ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }** أصله المتطهرين، لكن أدغمت التاء بالطاء فأصبحت "المطّهرين ".

إذن؛ قوله تبارك وتعالى **{ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ }** يشمل الطهارة الحسية والطهارة المعنوية من الحدثين؛ الحدث الأكبر والحدث الأصغر بخلاف المنافقين.

وقوله **{ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }** هذا فيه إثبات صفة المحبة لله جل وعلا.

وقول الشارح رحمه الله " **{وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ}. وهو أبو عمرو الفاسق، وكان بناؤه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك " إلخ..**

وقوله " **أبو عمرو الفاسق**" وجاء في كتب السّير أنه أبو عمرو الفاسق وجاء في كتب السير أن النبي ﷺ هو الذي سماه بهذا الاسم فقد كان خزرجيا وذهب إلى هرقل بعد غزوة أُحد وكان ذهابه الى هرقل من أجل استعدائه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعده هرقل ومنّاه وأرسل جماعة من قومه من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه. وأمرهم أن يبنوا له معقلا من أجل ان يقدم عليهم فيه فبنوا له هذا المسجد والذي هدمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحرقه مالك بن الدخشم وغيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

واشتهر أبو عامر هذا بالراهب وكان عنده شيء من دين الحنيفية، وكان يذكر البعث للناس لكن لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم عانده وحسده وخرج الى الروم حتى مات فيها في سنة تسع او في سنة عشر. واسمه عمرو ابو عامر وجاء عندنا هنا في هذا الكتاب قول الشارح " **وهو ابو عمرو الفاسق** " وعند الحافظ بن حجر رحمه الله وغيره انه ابو عامر واما اسمه فهو عمرو وهو والد حنظلة ابن ابي عامر المشهور بغسيل الملائكة؛ لما خرج في غزوة احد وكان جنبا فمات فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه غسيل الملائكة.

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله " **عن ثابت ابن الضحاك: عن ثابت بن الضحاك قال: " نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا ،قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف**

بنذرك ؛فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك آدم " ، رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما

قال رضي الله عنه **" نذر رجلا ان ينحر ابلا ببوانة "**

قال الشارح **" هضبة من وراء ينبع، قريبة من ساحل البحر، والرجل يحتمل أنه كردم ابن سفيان والد ميمونة، كما صرح به أبو داود وغيره في الرواية الآتية."**

ويقصد ما رواه أبو داوود رحمه الله عن ميمونة بنت كردم قالت **" خرجت مع أبي في حجه فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت الناس يقولون رسول الله صلى لله عليه وسلم فجعلت أبده بصري، فدنا إليه أبي وهو على ناقة " الحديث وفيه قال والدها " يا رسول الله إني نذرت إن ولد لي ولد ذكر أن أنحر على رأس بوانة في عقبة من الثنايا عدة من الغنم " قال: لا أعلم، إلا أنها قالت خمسين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل بها من الأوثان شيء"؟ قال: لا. قال: "فأوف بما نذرت لله". الحديث**

فقال النبي صلى الله عليه وسلم **" هل كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد ؟ " قالوا: لا.**

قال الشارح: **الوثن يتناول كل معبود من دون الله من صورة أو قبر، وفي رواية أو نصب، وفي رواية أو طاغية، قال المصنف: وفيه المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد ولو بعد زواله، وهو الشاهد من الحديث للترجمة؛ لأن في بعض الروايات بيان أنه سأله في حجة الوداع بعد زوال الأوثان من تلك الجهات، فكل موضع أسس للمعصية لا يجوز للذبح فيه ولا الصلاة."**

فتبين من هذا وجه مناسبة إيراد المصنف رحمه الله لهذا الحديث في هذا الباب وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؛ فنفى ذلك أصحابه رضي الله عنهم كما يأتي معنا إن شاء الله، فدل هذا على المنع من الذبح لله عز وجل في مكان يذبح فيه لغير الله؛ فهو صريح الدلالة على الترجمة.

ثم عرف الوثن وقد تقدم التفريق بين الوثن والصنم.

وقد اختلف أهل العلم في حكم النذر فقال بعض أهل العلم:

أنه مكروه لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى عنه قال أنه **" لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل "** ولأنه إلزامٌ لنفس الانسان بما جعله الله عز وجل في حل منه، وفي ذلك زيادة تكليف على نفسه ولأن الغالب أن الذي ينذر يندم وتجده يسأل يريد الخلاص مما نذر لثقله ومشقته عليه، ولا سيما ما يفعله بعض العامة إذا مرض أو تأخر له العلاج او تأخر له حاجة يريدها تجده ينذر كأنه يقول إن الله لا ينعم علي بجلب خير أو دفع الضرر إلا بهذا النذر. أفاده الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

وعلى كل فإن الحديث فيه حماية النبي صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد وفيه أن على العبد الابتعاد عن أماكن الجاهلية وألاَّ يخصها بعادة.

ومن أهم هذه الفوائد: ما نقله الشارح عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، قال **" وفيه المنع منه -** يعني من الايفاء بهذا النذر**- إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد ولو بعد زواله "** لما تقدم معنا في تعليل النهي وأنه قد يكون فيه احياء للمحل الشركي وتعظيم له.

قال : " فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا "

قال الشارح رحمه الله **" قال شيخ الإسلام: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع، فالعيد يجمع أمورا: منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقا،**

قال المصنف: ((وفيه استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك، والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد من أعياد الجاهلية ولو بعد زواله)) .

قال الشارح: وفيه سد الذريعة، وترك مشابهة المشركين، والمنع مما هو وسيلة إلى ذلك، فإن قيل: لم جعل محل اللات بالطائف مسجدا؟ قيل: لو ترك هذا المحل بهذه البلدة خشي أن يفتتن به، فيرجع إلى جعله وثنا، فجعله مسجدا والحالة هذه ينسي ما كان يفعل فيه، ويذهب به أثر الشرك، فاختص هذا المحل لهذه العلة، وهي قوة المعارض والله أعلم. "

ففي هذا تعريف العيد لما قال النبي صلى الله عليه وسلم **" هل كان فيها عيد من أعيادهم "**

وعرفه شيخ الاسلام بأنه اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد؛ وذلك إما بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع، فالعيد يجمع أمورا منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة يعني أنه يتكرر و يعود بعد زواله وبعد ذهابه يعود يوم آخر مثله .

قال **" ومنها اجتماع فيه ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقا "** يعني أنه إما ان يكون باجتماع او بعبادات وطقوس تؤدى في ذلك او تكون بأزمنة معتادة للناس كالأسبوع والشهر والسنة ونحو ذلك.

وذكر المصنف الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن من فوائد هذا الحديث قال **" استفسار المفتي اذا احتاج الى ذلك "** والنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يذكر له الحكم استفسر عن هذا المكان ويلاحظ أن السائل واحد لكنه لما كان محظورا من جملة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اجابوا النبي صلى الله عليه وسلم بما علموه.

ومن الفوائد كذلك **المنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد من اعياد الجاهلية ولو بعد زواله** وهذا هو محل الشاهد كما تقدم معنا.

قال الشارح _يقصد الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد _ **" وفيه سد الذريعة وترك مشابهة المشركين والمنع مما هو وسيلة إلى ذلك "** وهذا واضح وقد تقدم في سبب المنع.

ثم ذكر الشارح رحمه الله استشكالا وهو لم جعل محل اللات بالطائف مسجدا؛ يعني لما كان هذا الصنم قد أزيل جعل مكانه مسجدا؛ **" قيل: لو ترك هذا المحل بهذه البلدة خشي أن يفتتن به، فيرجع إلى جعله وثنا، فجعله مسجدا والحالة هذه ينسي ما كان يفعل فيه، ويذهب به أثر الشرك، فاختص هذا المحل لهذه العلة، وهي قوة المعارض والله أعلم."**

فهو يريد بهذا أن يبين ان هذا المسجد الذي جعل مكان هذا الصنم وهو اللات خاص بهذا الموضع ولا يشرك فيها غيره من أجل أن ينسى هذا الأمر ويقام توحيد الله عز وجل وإقامة الصلاة لله تبارك وتعالى في هذا المحل.

وما نقله الشارح هنا إنما هو عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه الآخر **عيون الموحدين**

ثم قال المصنف **" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك. "**

قال الشارح **" دل على أن الوصف سبب الحكم، فيكون سبب الأمر بالوفاء خلو المكان عن هذين الوصفين، فلو كان في ذلك المكان الذي نذر أن ينحر فيه وثن أو عيد لمنعه ولم يستفصل في نيته، فدل على أنه لا عبرة هنا بالنية، فلما خلا من الموانع أمره أن يوفي بنذره، وذلك في حجة الوداع.**

وروى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا، لمكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية، قال: "لصنم"؟ قالت: لا. قال: "لوثن" قالت: لا. قال: "أوفي بنذرك".

وله عن ميمونة، بنت كردم " قالت: خرجت مع أبي، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أبده بصري، فدنا إليه أي فأخذ يقدمه، فأقر له ووقف، فقال: يا رسول الله إني نذرت إن ولد لي ولد ذكر أن أنحر على رأس بوانة في عقبة من الثنايا عدة من الغنم؟ قال: لا أعلم، إلا أنها قالت خمسين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل بها من الأوثان شيء"؟ قال: لا. قال: "فأوف بما نذرت لله". قال: فجمعها فجعل يذبحها فانفلتت منه شاة فطلبها وهو يقول: اللهم أوف بنذري، فذبحها ". ويحتمل أن يكون نذر إبلا وغنما. ويحتمل أن يكون ذلك قضيتين. "

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم دله على الوفاء بهذا النذر الذي نذره بعد أن سأله هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبَد وهل كان فيها عيد من أعيادهم، فلما خلا هذا الأمر عن هذين المحذورين العظيمين، أجاز له النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحر و أن يوفي بنذره.

وكذلك في الرواية التي أوردها الشيخ رحمه الله وتقدم نقلها،

وعلى كلٍ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد <u>سأله عن أمرين عظيمين</u>:

* الأول: عن **الشرك**

* والثاني: عن **وسائله**.

فأما الشرك، فهو قوله: **" هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية "**

و الثاني عن وسيلة من وسائل الشرك: **"هل كان فيها عيد من أعيادهم"**

وهذان هما اللذان أرادهما الشارح في قوله **" فيكون سبب الأمر بالوفاء خلو المكان عن هذين الوصفين"**

ثم بيّن الشارح أنه لا اعتبار للنية في حال كون ذلك المكان فيه وثن من أوثان الجاهلية، أو كان فيها عيد من أعيادهم. لكن لما خلا عن هذين المحظورين، أجاز له النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء في هذا النذر.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"(فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله)"**

قال الشارح **" دل على أن أماكن الشرك والمعاصي لا يجوز أن تقصد للعبادة فيها وأن هذا نذر معصية لو وجد في المكان مانع، وما كان من نذر المعصية لا يجوز الوفاء به بإجماع العلماء،"**

وهل فيه كفارة يمين؟ على قولين:

- أحدهما: تجب لحديث عائشة " لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين". رواه أحمد وأهل السنن، واحتج به أحمد، لكن قال الترمذي وأبو داود وغيرهما: لا يصح.

قال الشيخ: ظاهر مذهب أحمد لزوم الكفارة، وكذلك مذهب أكثر السلف، وهو قول أبي حنيفة وغيره.

- والثاني: لا كفارة عليه؛ لحديث الباب، وحديث عائشة الآتي، وهو مذهب مالك والشافعي، وحكى الوزير أنه مذهب الثلاثة، واختاره شيخ الإسلام."

فقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا وفاء لنذر في معصية الله)** صريح الدلالة على أن العبد لو نذر أن يعصي الله تبارك وتعالى، فإنه لا يجوز له مطلقًا أن يأتي بهذا النذر لأن النذر قربة، ولا يجوز أن يتقرب إلى الله تبارك وتعالى بمعصيته، فليست المعصية من قبيل القُرَبْ.

لكن اختلف أهل العلم كما نقل الشارح في مسألة هل تجب الكفارة أو لا تجب، وهي مسألة حصل فيها خلاف قديم: فالقول الأول: أن الكفارة واجبة، والقول الثاني: أنه لا كفارة في ذلك.

و رجح الشيخ ابن العثيمين رحمه الله القول الأول، وأنه يجب على من نذر أن يعصي الله تبارك وتعالى أن يكفر عن يمينه، واحتج كذلك بالقياس، فلو أن الإنسان أقسم ليفعلَنّ محرمًا وقال: والله لأفعلن هذا الشيء وهو محرم، فلا يفعله، ويكفر كفارة يمين مع أنه أقسم على فعل محرم، والنذر شبيه بالقسم، وعلى هذا، فكفارته كفارة يمين والله أعلم.

قال عليه الصلاة والسلام: **"(ولا فيما لا يملك ابن آدم)"**

قال الشارح: **" كأن يقول: إن شفى الله مريضي فلله علي أن أُعتق عبد فلان، ونحو ذلك، فإن التزم في ذمته شيئا كعتق رقبة وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإن شُفي مريضه صح نذره، وثبت ذلك في ذمته."**

والمقصود من هذا، أن الإنسان إذا نذر أمرًا فيما لا يملكه كأن يقول: (إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق عبد فلان) فإن هذا الأمر لا يملكه، لكن لو قال: (إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق رقبة)، وهو في هذه الحال لا يملكها لكنها لا تتعين.. لم يعين أنها رقبة فلان أو غيره، فإنه والحالة هذه، يجب عليه أن يوفي بهذا النذر.

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

باب من الشرك النذر لغير الله

ويطلق **النذر** في **اللغة** على **الإلزام والإيجاب**، يُقال: نذر إذا ألزم وأوجب،

ويطلق على النذر: **النحب** وهو المقصود بقول الله عز وجل: {فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ} (الأحزاب 23) فإن النحب هنا هو النذر.

وعُرّف النذر في **الشرع** بأنه: **إلزام المكلَّف نفسه شيئا غير واجب.**

والمصنف رحمه الله في هذا الباب الذي عقده أراد أن يبين أن النذر عبادة، و أن هذه العبادة لا يجوز صرفها لغير الله جل وعلا، فمن صرف هذا النذر لغير الله تبارك وتعالى فقد أشرك، وهو مقصود الباب.

قال الشارح رحمه الله " **لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره لله، فإذا صرفه لغير الله كان شركا في هذه العبادة، كالذبح لغير الله. والنذر مصدر نذر ينذر، أي أوجب على نفسه شيئا لم يكن واجبا عليه شرعا، تعظيما للمنذور له، وكل الأبواب التي ذكرها المصنف تدل على أن من أشرك مع الله غيره في القصد والطلب فقد ناقض كلمة الإخلاص."**

فأكد الشارح رحمه الله على أن النذر عبادة، وقد تقرر أن العبادة صرفها لغير الله عز وجل يعتبر شركا. فمن نذر لقبر، أو نذر لولي، أو نذر لشجر أو صنم أو وثن أو غير ذلك، فإنه يكون أشرك بالله تبارك وتعالى، وهذا يدل على أنه معظِّم للمنذور له.

والمؤمن إن نذر لله تبارك وتعالى فإنه معظم له جل وعلا. فمن نذر الشرك بالله تبارك وتعالى، فإنه لا يجوز أن يوفي بهذا النذر.

وقد تقدم قريبا ذكر الخلاف بين أهل العلم في حكم نذر المعصية؛ إذا نذر العبد أن يعصي الله تبارك وتعالى، فإنه لا يجوز له الوفاء بهذا النذر.

ولكن هل عليه كفارة أو لا ؟ تقدم ذكر الخلاف فيها.

وأما إذا كان النذر من أجل الشرك بالله تبارك وتعالى كأن ينذر لصنم أو قبر أو نحو ذلك، فإنه **لا يجوز له الوفاء بهذا النذر.**

وهذا مثله مثل الحلف بغير الله تبارك وتعالى، وهو شرك، فيستغفر الله تبارك وتعالى، وليس في هذا وفاء: لا في الحلف بغير الله، ولا في النذر الذي يكون لغير الله تبارك وتعالى، بل ولا كفارة عليهما.

فمن نذر أن يشرك بالله تبارك وتعالى، فإنه لا يجوز له أن يوفي بهذا النذر، وليس عليه كفارة، وكذلك من حلف بغير الله، لا يجوز له أن يوفي بما حلف به، وليس عليه كفارة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " **وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم أو لقبورهم أو للمقيمين عند قبورهم فهو نذر شرك ومعصية لله تعالى سواءٌ كان النذر نفقة أو ذهباً أو غير ذلك، وهو شبيه لمن ينذر للكنائس والرهبان وبيوت الأصنام، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال " من نذر أن يطيع الله فليُطِعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصِه "**

وقد اتفق العلماء على أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به بل عليه كفارة يمين في أحد قولي العلماء، وهذا إذا كان النذر لله.

وأما إذا كان النذر لغير الله فهو كمن يحلف بغير الله؛ وهذا شرك، فيستغفر الله منه وليس في هذا وفاءٌ ولا كفّارة، ومن تصدّق بالنقود على أهل الفقر والدَّيْن فأجره على ربِّ العالمين " اهـ كلامه رحمه الله.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله " **وقول الله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} "**

قال الشارح **"مدح الله الذين يتعبدون له بما أوجبوه على أنفسهم من الطاعات، وهو سبحانه لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقربا إليه فقد أشرك."**

في هذه الآية وهي قوله تبارك وتعالى **{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}** مدح الله عز وجل الموفين بالنذر، وكذلك أمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة؛ **وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة** فإن **العبادة**: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. والنذر من ضمن ذلك.

فظهر بهذا وجه استشهاد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بهذه الآية في هذا الباب وهي قوله **{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}** وهو أن النذر عبادة؛ فصرفها لغير الله عز وجل يعتبر شركا.

وقد جاءت هذه الآية في سياق المدح للأبرار.

ثم قال الإمام رحمه الله **" وقوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} "**

قال **" يخبر تعالى أن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين به إليه أنه يعلمه، ويجازينا عليه، فدل ذلك على أنه عبادة، فالنذور من عباد القبور ليشفعوا لهم شرك؛ لأنه عبادة لهم، فإنه معلوم بالضرورة أن من صرف شيئا من العبادة لغير الله فقد أشرك.**

وقال صنع الله الحلبي: ((والنذر لغير الله إشراك مع الله، كالذبح لغير الله))

وقال الفقهاء: خمسة لغير الله شرك: الركوع والسجود والنذر والذبح واليمين.

والحاصل أن النذر لغير الله فجور، فمن أين تحصل لهم الأجور.

وقال شيخ الإسلام: وما نذره لغير الله كالأصنام والشمس والقمر ونحو ذلك، بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات، لا وفاء عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء، فإن كلاهما شرك، والشرك ليس له حرمة، بل عليه أن يستغفر الله ويقول ما أمر به النبي ﷺ " من حلف وقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله " متفق عليه. "

فهذه الآية كسابقتها فيها بيان أن النذر عبادة من العبادات، وكونها عبادة يوجب أن تكون لله تبارك وتعالى وأن صرفها لغير الله جل وعلا يعتبر من الشرك الأكبر.

فلا فرق إذن بين النذر وبين سائر العبادات، فكل عبادة أُدّيت لغير الله تبارك وتعالى فإنها شرك به جلّ وعلا.

وقوله **" وقال الفقهاء: خمسة لغير الله شرك: الركوع والسجود والنذر والذبح واليمين "** ليس المقصود من ذلك الحصر كما هو واضح وإنما بيان أن هذه العبادات العظيمة صرفها لغير الله جل وعلا شرك، ولعل من ذكر هذا من الفقهاء إنما أراد التمثيل على ذلك بما هو مشهور من العبادات.

ثم قال **" والحاصل أن النذر لغير الله فجور، فمن أين تحصل لهم الأجور."**

وإذا علمت هذا فإن هذه النذور الواقعة من عبّاد القبور وأشباههم لمن يعتقدون فيه نفعاً أو ضرّا فيتقرب إليه بالنذر ليقضي حاجته أو يشفع له؛ كل ذلك شرك في العبادة.

وهو شبيه بما ذكره الله عز وجل عن المشركين في قوله **{ وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِله فَهُوَ يَصِلُ لِشُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }**

" وجاء في تفسير هذه الآية: جعلوا لله جزءًا من الحرث ولشركائهم ولأوثانهم جزءا؛ فما ذهبت به الريح مما سموا لله إلى جزء اوثانهم تركوه، وقالوا الله غنيّ عن هذا. وما ذهبت به الريح من جزء أوثانهم إلى جزء الله أخذوه .

وعبّاد القبور يجعلون جزءًا من أموالهم للنذر والصدقة، وللأموات والطواغيت جزءا كذلك، وقد نص غير واحد من العلماء على أن النذر لغير الله شرك. " وهذا كلام الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في كتابه التيسير.

ثم قال الامام رحمه الله **" في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من نذر أن يطيع الله ،فليطعه ومن نذر أن يعص الله فلا يعصِه. "**

قوله **" في الصحيح"** يعنى صحيح البخاري، **" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من نذر أن يطيع الله فليطعه "**

قال الشارح **" أي يجب عليه الوفاء بذلك النذر الذي نذره خالصا لله، فصار عبادة،**

وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كأن يقول: إن شفى الله مريضي فعلي أن أتصدق بكذا، وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله، حيا كان أو ميتا، فإن كان حيا لزمه الوفاء به، وإن كان ميتا يفعل عنه، لوجوبه في ذمته، إلا أبا حنيفة فقال: لا يلزمه إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع، والحديث حجة عليه، والأمر بالوفاء به دال على أنه عبادة،

وقد علمنا من الآيتين والحديث أن النذر عبادة، فصرفه لغير الله شرك أكبر، ومنه الذين ينذرون الزيوت والشموع والأطياب للقبور، والمراد نذر الطاعة، لا نذر المجازات الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: " إنه لا يأتي بخير ".

فهذا الحديث، قوله عليه الصلاة والسلام **"من نذر أن يطيع الله فليطعه "** بيانٌ واضح في كون أن النذر عبادة؛ وأنه يجب للإنسان إن نذر أن يطيع الله عز وجل فإنه يجب عليه الوفاء به.

وقول الشارح في آخر حديثه هنا **" والمراد نذر الطاعة، لا نذر المجازات الذي قال فيه ﷺ: " إنه لا يأتي بخير ".**

هذا فيه إشارة إلى أن <u>**النذر منقسم الى قسمين**</u> كما قسمه أهل العلم:

- <u>**فالنوع الأول**</u>: هو **المعلق على حصول نفع**؛ وهو **نذر المُجَازَات** الذى ذكره الشارح هنا، كأن يقول إن شفى الله مريضي فعليّ نذر كذا وكذا، أو إن نجّاني الله عز وجل من الأمر الفلاني المخوف فعليَّ لله نذر كذا وكذا ونحو من ذلك. فإن هذا نذرٌ معلق، وهذا هو المقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم **" إنه لا يأتى بخير "**

- <u>**وأما النذر الثاني**</u> فإنه **النذر الذي لا يعلق على نفع للناذر**، كأن يتقرب إلى الله تقربا خالص من نذر كذا، من أنواع الطاعة.

فإن هذا النذر هو نذر محمود بخلاف النذر الأول الذى فيه نذر مجازات؛ فإن هذا النذر كرهه من كرهه من أهل العلم كما تقدم معنا، وهو الذى ذمه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله **" إنه لا يأتي بخير ".**

وقال صلى الله عليه وسلم **" ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه "**

قال الشارح **" أي لا يوفي به؛ لأنه نذر معصية، زاد الطحاوي " ليكفر عن يمينه ". وقال ابن القطان: ((عندي شك في هذه الزيادة، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية)).**

وقال الحافظ: ((اتفقوا على تحريم النذر في المعصية، واختلفوا هل ينعقد موجبا للكفارة أولا؟)) وتقدم.

ولمسلم عن عقبة مرفوعا: " كفارة النذر إن لم يسم كفارة يمين ".

وقد يستدل بحديث الباب على صحة النذر في المباح، كما هو مذهب أحمد وغيره، ويؤيده حديث المرأة التي قالت: " نذرت أن أضرب على رأسك بالدف. فقال: أوفي بنذرك ". رواه أحمد وغيره.

وأما نذر اللِّجاج والغضب وهو تعليقه بشرط يقصد المنع منه، أو الحمل عليه، أو التصديق أو التكذيب، فيخير بين فعله وكفارة يمين.

وقال الشيخ: موجب الحلف بنذر اللجاج والغضب عند الحنث، هو التخيير بين التكفير وبين فعل المنذور، وأكثر أهل العلم على أنه يجزئه كفارة يمين، وهو قول فقهاء الحديث.
وإن نذر مكروها كالطلاق استحب أن يكفِّر ولا يفعله."

ففي هذا الجزء من شرح الشيخ رحمه الله بيان لأقسام النذر وأن النذر ليس على نوع واحد وإنما هو أنواع متعددة:

- **فالنوع الأول**: ما يجب الوفاء به وهو **نذر الطاعة**؛ كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث " **من نذر أن يطيع الله فليطعه** ".
- **والنوع الثاني**: ما يحرم الوفاء به **وهو نذر المعصية**؛ في هذا الحديث أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام " **ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه** ".
  وهل عليه كفارة أم ليس عليه كفارة ؟ إختلف اهل العلم في هذا كما تقدم.
- **والنوع الثالث**: هو **النذر المباح**، وهو ما يجري مجرى اليمين؛ كأن يقول: لله عليَّ نذرٌ أن ألبس هذا الثوب. فإنه له أن يلبس هذا الثوب وله أن لا يلبسه، فإذا لم يلبس هذا الثوب فإنه يكفِّر كفارة اليمين.
- **النوع الرابع**: **نذر اللِّجاج والغضب**، وسمي بهذا الاسم لأن اللّجاج والغضب يحملان عليه غالبا. لكن ليس بلازم أن يكون هناك لجاج وغضب؛ فقد يقصد بهذا النذر الحثّ أو المنع أو التصديق أو التكذيب كما قال الشارح " **وهو تعليقه بشرط يقصد المنع منه، أو الحمل عليه، أو التصديق أو التكذيب** " فهنا كذلك يخيَّر بين فعله وبين كفارة اليمين.

ثم ذكر قول شيخ الإسلام بأن " **موجب الحلف بنذر اللجاج والغضب عند الحنث، هو التخيير بين التكفير وبين فعل المنذور**" ؛ ومثال هذا: إذا قال حصل كذا يوم كذا وكذا.. فقال الآخر بأنه لم يحصل.. فقال هذا: بل حصل ولله عليّ نذر أنه إن لم يحصل في هذا اليوم فإن عليّ كذا وكذا. فإنّ الناذر هنا مخيّر بين فعل النذر وبين كفارة اليمين.

- وأما **النوع الخامس** من أنواع النذر: فهو **النذر المكروه**: كأن ينذر أن يطلّق زوجته أو بأن يأكل ثوما أو يأكل بصلا؛ المستحب له هنا أن يكفر عن يمينه ولا يفعل ذلك المكروه.
  والشاهد عندنا هنا في هذا الحديث هو أن النذر هنا عبادة من العبادات وصرفها لغير الله عز وجل يعتبر شركا مخرجا من الملّة.

وقبل أن أختم يحسن أن نفرق بين نذر المعصية والنذر لغير الله تبارك وتعالى.
فمن هذه الفروق بين نذر المعصية والنذر لغير الله:
- **أولا**: أن **نذر المعصية قصد به الله تعالى** وإن كان المنذور معصية، بخلاف **المنذور لغير الله** فإن ما **قصد به غير الله من الجنّ والقبور** ونحوها؛ فاختلف المقصد عند الناذر.
- **الفرق الثاني**: أن **نذر المعصية ينعقد** لكن لا يجوز الوفاء به وعليه كفارة يمين على قول طائفة من أهل العلم بخلاف **النذر لغير الله** تبارك وتعالى؛ فإنه **لا ينعقد أصلا ولا تجب فيه كفارة**.
- **الثالث**: أن حكم **نذر المعصية محرم** يأثم عليه فاعله، وأما **النذر لغير الله** فهو **داخل في الشرك الأكبر**.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما قلنا، وأن يكون حجّة لنا لا حجّةً علينا.

والله أعلم
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الثانية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا له إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء الثاني عشر والذى نتدارس فيه توحيد الألوهية في كتاب الأمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله "كتاب التوحيد" بحاشيته للشيخ عبد الرحمان ابن قاسم رحمه الله.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وهذا الباب كالأبواب السابقة، أراد المصنف رحمه الله أن يبين أنواعا من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وقد تقدم معنا مرارا أن كل عبادة تصرف لغير الله تبارك وتعالى فإنها تعتبر شركا.

والاستعاذة عبادة خالصة لله عز وجل لا يجوز صرفها لغيره، ولما كان صرف هذه العبادة لغير الله عز و جل يعتبر شركا أكبر مخرجا من الملة عقد المصنف رحمه الله هذا الباب وصرّح بالحكم في كونه من الشرك.

و"من" هنا للتبعيض فهي "من" التبعيضية، فمن جملة الشرك بالله عز و جل أن يستعيذ العبد بغير الله جل و علا.

فالاستعاذة المشروعة هي **الاستعاذة بالله** تبارك و تعالى **و الاستعاذة بأسمائه الحسنى و صفاته العلا وكلماته التامة.**

قال شيخ السلام رحمه الله **" الاستعاذة لا تكون إلا بالله في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك و أعوذ بكلمات الله التامات وأعوذ برضاك من سخطك و نحو ذلك وهذا أمر متقرر عند العلماء "** .انتهى كلامه رحمه الله.

و**الاستعاذة** نوع من الدعاء و الطلب .

قال الشارح رحمه الله :" **الاستعاذة الإلتجاء والإعتصام والتحرز، وحقيقتها الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، فالعياذ لدفع الشر، وأما اللياذ فطلب الخير. قال الشاعر:**

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به فيما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

فالعائذ بالله قد هرب إليه، واعتصم واستجار به، ولجأ إليه، والتزم بجنابه مما يخافه.
وهذا تمثيل، وإلا فما يقوم بالقلب من ذلك أمر لا تحيط به العبارة، وقد أمر الله عباده بها في مواضع من كتابه، وتواترت بها السنة عن المعصوم ﷺ، وهي عبادة من أجل العبادات، فصرفها لغير الله شرك أكبر، وإن استعاذ بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه فجائز، وسيأتي جواز: أعوذ بالله ثم بك.
وإن قال: أعوذ بالله وبك ولو فيما يقدر عليه كان مشركا شركا أصغر؛ لأن الواو تفيد أن ما بعدها

مساو لما قبلها، عكس ثم، فإنها إنما تفيد التعقيب، وإن كان فيما لا يقدر عليه كان مشركا الشرك الأكبر، ولو قال أعوذ بالله ثم بك."

وعرف الشارح رحمه الله **الاستعاذة** بأنها الالتجاء والاعتصام و التحرز؛ وهذا تعريف للاستعاذة في اللغة، **وعند أهل اللغة أن كلمة الاستعاذة مأخوذة إما من**:

- **أولا:** مأخوذ من الستر؛ ومنه قولهم للبيت الذي في أصل شجرة عوَّذ لأنه عاذ بالشجرة واستتر بأصلها. وكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه، هذا المعنى الأول للاستعاذة.

- **وقيل** كما ذكر المصنف هنا أنه مأخوذ من **المجاورة و الالتصاق** ومنه قولهم للّحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه "عوذ" لأنه استمسك به و اعتصم.

وفي المثل يقال: أطيب اللحم عوذه؛ وهو ما إلتصق منه بالعظم ،وكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به و لزمه.

يقول ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر هذين القولين قال: **" والقولان حق و الاستعاذة تنتظمهما جميعا لأن المستعيذ مستتر بمعاذه ممسك به."** انتهى كلامه رحمه الله.

ثم بين الشارح رحمه الله **الاستعاذة** وهي: **الهرب من شيء تخافه الى من يعصمك منه** ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا لأنه يلتجأ اليه .

قال **" فالعياذ لدفع الشر و أما اللّياذ فطلب الخير"**

فقول العبد أعوذ بالله هو التجاء بالله تبارك و تعالى واعتصام به من الشر، و أما اللياذ فلطلب الخير.

ثم أورد الشيخ رحمه الله بيتين فيهما ما يدل على التفريق بين الاستعاذة واللياذة

قال:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به فيما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

ثم قال **" فالعائذ بالله قد هرب إليه واعتصم واستجار به ولجأ اليه والتزم بجنابه مما يخافه."**

قوله **" فالعائذ بالله قد هرب إليه و اعتصم و استجار به و لجأ اليه و التزم بجنابه مما يخافه"** وذلك لأن الله عز وجل بيده كل شيء وهو المنفرد تبارك وتعالى بالحكم فإذا أراد الله عز و جل بعبده سوءًا لم يعذه منه إلا هو جل وعلا فهو الذي يريد به ما يسوؤه و هو الذي يريد دفعه عنه،

فصار سبحانه و تعالى مستعاذا به منه بإعتبار إرادتين كما قال ابن القيم رحمه الله **" قال تعالى { وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ} فهو الذي يمسُّك بالضر وهو الذي يكشفه لا إله إلا هو فالمهرب منه إليه و الفرار منه إليه والملجأ منه إليه. كما أن الاستعاذة منه فإنه لا رب غيره ولا مدبر للعبد سواه فهو الذي يحركه ويقلبه و يصرفه كيف يشاء."** انتهى كلامه رحمه الله.

قال **" وهذا تمثيل و إلا فما يقوم بالقلب من ذلك أمر لا تحيط به العبارة. "**

ويقصد رحمه الله حاجة العبد إلى ربه جل وعلا في كل شيء ولا سيما عند الأمور المخوفة فإن العبد يلتجأ الى ربه عز و جل ويستعيذ به.

قال **" و قد أمر الله عباده بها في مواضع من كتابه وتواترت بها السنة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم وهي عبادة من أجل العبادات فصرفها لغير الله شرك أكبر "**

و يقصد رحمه الله الأدلة التي جاءت في كتاب الله وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم حاثّة على الاستعاذة به جل وعلا من نحو قوله عز و جل **{ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ }** وقال عز وجل **{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }** وقال **{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ }** وقال **{ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ}.**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم **" قولوا اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيى والممات."**

وقال صلى الله عليه وسلم **" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "** وقال **" أعوذ برضاك من سخطك "** ونحو ذلك مما ورد في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله **" وهي عبادة من أجل العبادات فصرفها لغير الله شرك أكبر "**

وهذا قد تقدم بيانه في كون الاستعاذة مأموراً بها وقد جعلها الله عز و جل من حقوقه الخاصة التي لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل.

لكن الشارح رحمه الله ذكر سورة جائزة في الاستعاذة بالمخلوق وقال **"وإن استعاذ بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه فجائز"**

يعني إذا استعاذ يعني التجأ بمخلوق و شرط هذا المخلوق أن يكون حيا حاضرا وأن يكون قادرا على دفع الشر الذي يأتي إلى العبد فإن هذا جائز، وهذه الشروط هي شروط الاستعاذة بالمخلوق فـ:

- **الشرط الأول:** أن يكون حيّا

- **والشرط الثاني:** أن يكون حاضرا

- **والشرط الثالث:** أن يكون قادرا على دفع الشر.

فإن هذه الشروط إذا اجتمعت فإن الاستعاذة بالمخلوق جائزة.

وقوله " **الحي الحاضر" و " فيما يقدر عليه"** يرج منه الميّت والغائب ومن لا قدرة له في دفع الشر ويمكن أن نقول بأن الاستعاذة باعتبار المستعاذ به تنقسم إلى ثلاثة أنواع. - هذا الباب أيها الإخوه تفهمه عندما تفهم هذه الأنواع الثلاثة في تقسيم الاستعاذة باعتبار المستعاذ به- :

- **فالأول:** **الاستعاذة بالله عز وجل، أو الاستعاذة بصفة من صفاته جل وعلا، أو الاستعاذة باسم من أسمائه جل وعلا**، **فإن هذا جائز**، وقد تقدم ذكر شيء من النصوص، منها قوله صلى الله عليه وسلم: **(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)**، وقوله: **(أعوذ برضاك من سخطك)**، وقوله عليه الصلاة والسلام حين نزل قوله تعالى: **{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ} (الأنعام 65)**، قال ﷺ: **(أعوذ بوجهك)**، فإن الاستعاذة بصفاته جل وعلا هي في الحقيقة استعاذة به تبارك وتعالى.

- **النوع الثاني:** هو **الاستعاذة بالأموات** وأصحاب القبور ونحوه، فإن الاستعاذة بهؤلاء والاستعاذة بالجن، و الاستعاذة بالأحياء غير القادرين على العوذ شرك بالله جل وعلا، وهو الذي من أجله

عقد المصنف رحمه الله هذا الباب، وبيَّن أنه **شرك أكبر** مخرج عن دائرة الإسلام. كما قال في مقدَّم هذا الباب، ونقل قول الله جل وعلا، **(وقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} (الجن 6))** قال القرطبي رحمه الله: (ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك)

- وأما **النوع الثالث:** فهو **الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه، إذا كان المخلوق حيًا، وكان هذا المخلوق قادرًا، وهو موجود،** فإن الاستعاذة به صرح الشيخ عبد الرحمن بن قاسم هنا بجوازه، وهي مسألة قد وقع فيها خلاف عند أهل العلم:

  - فالقول الأول: هو **عدم الجواز**، لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق مطلقا، لأن الاستعاذة عبادة، ولا يجوز صرفها لغير الله تبارك وتعالى

  - وأما القول الثاني: فهو **جواز ذلك بالشروط السابقة**: (1) أن يكون حيا، و (2) أن يكون قادرا، و (3) أن يكون موجودا

واستدلوا بعدة أدلة منها قول النبي ﷺ لما ذكر الفتن، قال: **(من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا، فليعذ به)** وجاء عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأوتي بها النبي صلى الله عليه وسلم، فعاذت بأم سلمة.

قال أصحاب هذ القول: هذه الأحاديث وغيرها تدل على جواز الاستعاذة بالمخلوق إذا كان قادرًا على ذلك، و إذا كان حيًا و موجودًا، وأما ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فإنه لا يجوز أن يُطلب من المخلوق، فيكون من قبيل الشرك بالله عز وجل. وهذا القول هو الراجح، وهو الذي ذكره الشارح هنا.

ويمكن أن يحمل قول المانعين من الاستعاذة مطلقا على أنهم يريدون تعلق القلب به، و إظهار الاضطرار إليه، والاعتصام به، وتفويض الأمر إليه، و تعليق النجاة به، فإنه والحالة هذه لا شك أنها عبادة لا تكون إلا لله عز وجل.

يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله–: **"أما الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه فهي جائزة، وهذا مقتضى الأحاديث الواردة، و هذا مقتضى النظر. فإذا اعترضني قطاع طريق فعذت بإنسان يستطيع أن يخلصني منهم، فلا شيء فيه، لكن تعليق القلب بالمخلوق، لا شك أنه من الشرك، فإذا علقت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين وجعلته ملجئا، فهذا شرك، لأن هذا لا يكون إلا لله تعالى"** أ.ه.

فنلخص من هذا أن الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه وكان حيا موجودا أنه لا بأس به، وهو جائز

ثم قال الشارح: **" وسيأتي جواز: أعوذ بالله ثم بك. وإن قال: أعوذ بالله وبك ولو فيما يقدر عليه كان مشركا شركا أصغر؛ لأن الواو تفيد أن ما بعدها مساو لما قبلها، عكس ثم، فإنها إنما تفيد التعقيب، وإن كان فيما لا يقدر عليه كان مشركا الشرك الأكبر، ولو قال أعوذ بالله ثم بك."**

وملخص هذا: أن **الاستعاذة بالله تبارك وتعالى تكون على ثلاث درجات:**

- الدرجة الأولى وهي الدرجة الكاملة: أن يستعيذ بالله وحدة فيقول: "أعوذ بالله"

- وأما الدرجة الثانية: فهي أن يأتي بــ: (ثم)، فيقول: "أعوذ بالله ثم بك"، فإن هذه الدرجة جائزة

- وأما الدرجة الثالثة: فهي أن يأتي بــ: (الواو)، وهي المساواة؛ أن يساوي بين الله عز وجل وبين غيره، كأن يقول: "أعوذ بالله و بك"، فما حكم هذا القول؟ ذكر الشارح رحمه الله له حالتان: الحالة الأولى أن يكون من قبيل الشرك الأصغر، و الحالة الثانية أن يكون من قبيل الشرك الأكبر

فيكون شركا أصغر إذا قال: "أعوذ بالله وبك" فيما يقدر عليه العبد فيكون من قبيل الشرك اللفظي، و أما إذا كان هذا العبد لا يقدر عليه، كأن يكون ميتًا أو يكون هذا غير موجود، أو لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، فإنه والحالة هذه يكون من قبيل الشرك الأكبر و لو قال "أعوذ بالله ثم بك".

يعني لو قال: " أعوذ بالله ثم بك" أو قال: "أعوذ بالله وبك"، فالحكم واحد إن كان في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله جل وعلا

ثم أورد الشيخ رحمه الله قول الله تبارك وتعالى: **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} (الجن 6)**

قال الشارح رحمه الله: **" أخبر عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقا وهو الطغيان. وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا نزل واديا أو مكانا موحشا وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم خوفا منهم، زادوهم رهقا، أي خوفا وإرهابا وذعرا. فذمهم الله بهذه الآية**

وأخبر أنهم يزيدونهم رهقا نقيض قصدهم، وعلم النبي ﷺ المسلمين أن يقول أحدهم إذا نزل منزلا "أعوذ بكلمات الله التامات من شر كل ما خلق". ووجه الاستدلال بالآية: أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم ذكروا أشياء من الشرك، كانوا يعتقدونها في الجاهلية، من جملتها الاستعاذة بغير الله. قال المصنف رحمه الله: ((فيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك)) ."

فهذه الآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله في مقدم هذا الباب دالة على أن الاستعاذة لا تكون إلا بالله جل وعلا، وأن الاستعاذة بالجن ونحوهم شرك به تبارك وتعالى.

وبين الشارح أن وجه الاستدلال بالآية أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم ذكروا أشياء من الشرك، وكان من جملتها هذا الاعتقاد و هو: **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}**، وهذه الاستعاذة كما ذكر الشارح رحمه الله أنهم كانوا إذا جاءوا إلى وادٍ أو إلى مكان موحش

مخوف قالوا: "نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه" و يقصدون بـــ: (سيد هذا الوادي): هم رؤساء الجن و(سفهاء القوم): هم بقية الجن

وقوله جل وعلا: **{فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}:** له معنيان عند أهل العلم:

- إما أن يكون المقصود من ذلك أن الجن زادوا الإنس رهقا وبعدا عن الله تبارك وتعالى وحصل لهم بسبب ذلك الخوف والإرهاب والذعر.. عاملهم الله عز وجل بنقيض قصدهم.

- و القول الثاني: هو أن الإنس هم الذين زادوا الجن رهقًا يعني زادوهم عتوًا و تكبرًا وتعاليا.

وقال بعض أهل العلم أن كلا الأمرين وارد وكلا القولين صحيح؛ فإن الإنس زادوا الجن ما ذكر من التكبر والعتو ونحو ذلك، وكذلك الجن زادوا الإنس الخوف والذعر والبعد عن الله تبارك وتعالى.

" والتعبير بقوله { رَهَقًا } هو أشد من مجرد الذعر والخوف؛ فكأنهم مع ذعرهم وخوفهم أرهقهم وأضعفهم شيء، فصار الذعر والرهق يصل إلى الأبدان. " أفاده الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

ثم؛ من تمام نصح النبي صلى الله عليه وسلم أنه علم المسلمين دعاءً يقولونه إذا نزلوا منزلاً **" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "** وهو الحديث الذي أورده الشيخ رحمه الله في هذا الباب.

" فعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق،لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك ". رواه مسلم "

فقوله **" من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "؛**

قال الشارح **" أي أعتصم بكلمات الله الكاملات، التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر، أو الشافية الكافية، أو الكلمات هنا القرآن. من شر ما خلق، أي من شر كل مخلوق قام به الشر، لا من شر كل ما خلق الله. فإن الجنة والملائكة والأنبياء لا شر فيهم، وما موصولة وليس المراد بها العموم الإطلاقي، بل التقييدي الوصفي،**

والشر اسم جامع للسوء والفساد والظلم وجميع الرذائل والخطايا، ويقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه.

وقد شرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، والأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى.

وهذا الحديث مما استدل به أهل السنة على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، ونهوا عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها، خشية أن يكون فيها شرك.

ومن ذبح لغير الله أو استعاذ بالله، أو تقرب إليه بما يحب فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة. "

هنا في هذا الحديث الذي ذكره النبي ﷺ مرشدًا إيّانا إن نزلنا منزلا جديدا أن نقول **" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "** وسواء كان هذا النزول نزول إقامة دائمة أو كانت إقامة طارئة فإن العبد يقول هذا الكلام،

فقوله **" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "** قال الشارح **" أي أعتصم بكلمات الله "** والتامات بمعنى الكاملات، **" التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر"** فكلام الله عز وجل كلام كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه ولا يلحقه عيب.

وذر رحمه الله كلاما آخر في معنى التامات وهي الشافية الكافية ؛ أي: أعوذ بكلمات الله الشافية الكافية.

وقد يقصد بـ الكلمات هنا القرآن وقد يقصد به عموم كلامه تبارك وتعالى، فيكون المراد الكلمات الكونية والكلمات الشرعية.

وكانت كلمات الله عز وجل تامّات لأمرين؛ وذلك للصدق في الأخبار والعدل في الأحكام، كما قال عز وجل **{ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ}** فكلماته عز وجل صادقة، وكذلك هو عادل عز وجل فيما يقول.

وقوله **" من شر ما خلق أي من شر كل مخلوق قام به الشر، لا من شر كل ما خلق الله. فإن الجنة والملائكة والأنبياء لا شر فيهم "** فكل ذي شر نستعيذ بالله عز وجل به في هذه الكلمات؛ عندما تقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ يعني: من شر كل مخلوق قام به الشر.

فعلّل الشارح رحمه الله هذا بأن الجنة والملائكة والأنبياء لا شرّ فيهم.

ولهذا ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن مخلوقات الله عز وجل تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

* **القسم الأول:** شرٌّ محضٌ كالنار وإبليس باعتبار ذاتيهما، أما باعتبار الحكمة من خلقهما فإنّ في خلقهما الخير الكثير كالخوف من النار، وإن الخوف من النار يوجب على العبد أن يبتعد عن الأعمال التي تؤدي إليها وأن يعمل بمرضاة الله جل وعلا وأن يحذر من الشيطان الذي يؤدي به إلى النار.

* **القسم الثاني:** **هو ما كان فيه خير محض** مثل الجنة ومثل الملائكة ومثل الرسل.

وأما الثالث

* **القسم الثالث:** **فما كان فيه شر وخير** وهذا في عامة المخلوقات، وأنت إنما تستعيذ من شر ما فيه شر.

وقول الشارح رحمه الله **" وما موصولة "** يقصد في قوله **" ماخلق "**

قال **" وما موصولة وليس المراد بها العموم الإطلاقي، بل التقييدي الوصفي،"** يعني يكون المقصود من ذلك: من شر الذي خلق.

ولا يمكن أن تكون " ما " هنا مصدرية فلا يكون المقصود من هذه الكلمة: من شر خلقك.

ثم قال الشارح في تعريف الشر **" والشر اسم جامع للسوء والفساد والظلم وجميع الرذائل والخطايا، ويقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه."** فجميع هذه الأمور تستعيذ بالله عز وجل وتلتجئ إليه منها جميعا.

قال " **وقد شرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن** " وهذا بديل شرعي عما كان يفعله أهل الجاهلية عندما كانوا يستعيذون بالجن كما تقدم معنا.

ثم قال الشارح " **والأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى.**" ويقصد بالأذى عمومه، فكل ما يكون فيه شر فإنك تستعيذ بالله عز وجل منه في هذه الكلمات مما يكون فيه الشر سواء كان إنسيا أو كان جنيا او كان هامّة أو دابّة أو ريحا أو صاعقة.. أي نوع كان فإنك تستعيذ بالله عز وجل منه.

ثم قال الشارح " **وهذا الحديث مما استدل به أهل السنة على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، ونهوا عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها، خشية أن يكون فيها شرك.** "

وهذا الوجه في الاستدلال من الحديث هو كون كلمات الله تبارك وتعالى مما يستعاذ به، ومن المعلوم أن الاستعاذة بغير الله عز وجل من المخلوقات يعتبر شركا، فلو كان كلام الله عز وجل مخلوقا لكانت الاستعاذة بهذا المخلوق شركا؛ فدلّ هذا على أن الاستعاذة بكلام الله عز وجل مما أرشد إليه النبي عليه الصلاة والسلام لا يعد شركاً بل إنه مشروع.

ومن المعلوم أن كلمات الله عز وجل من صفاته، وصفاته جل وعلا غير مخلوقة، ومثل هذا كما تقدم قد ورد عن النبي ﷺ عدة ألفاظ فيها الاستعاذة بصفات الله جل وعلا، ومثال هذا " **أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر** " فهذا استعاذة بعزّة الله تبارك وتعالى، والعزة من صفاته جل وعلا وليست مخلوقة.

ثم قال عليه الصلاة والسلام في فضل من قال هذه الكلمة " **لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك** "

قال الشارح " **قال القرطبي: ((هذا خبر صحيح، علمنا صدقه دليلا وتجربة منذ سمعته عملت به فلم يضرني شيء، إلى أن تركته فلدغتني عقرب ليلة، فتفكرت فإذا بي نسيته)) . قال المصنف: ((فيه فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره)).** "

وقول القرطبي رحمه الله " **علمنا صدقه دليلا وتجربة** " دليلا: لأن النبي ﷺ قاله وتجربةً: لأنه حكى قصة وقعت معه، وهو يصدق النبي ﷺ كما نحن نصدقه لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، فلو قال النبي عليه الصلاة والسلام قولا ولم نجربه فإنه يجب علينا الإيمان بما قال ولو لم يحصل لنا تجربة.

وفي ختام هذا الباب يحسن التنبيه على أمر كنا قد أشرنا إليه في بدء هذا الباب وهو أن الاستعاذة نوع من الدعاء والطلب، وقد يقول قائل: **ما الفرق بين الدعاء والاستعاذة ؟**

نقول بأن الدعاء أعم من الاستعاذة فإن الدعاء يشتمل على الاستعاذة وعلى غيرها، وأما الاستعاذة فهي داخلة في الدعاء والطلب ولا العكس.

ثم أورد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما يتعلق بالاستغاثة؛ قال رحمه الله:

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وعقد المصنف رحمه الله هذا الباب من أجل أن يبين أن الاستغاثة بغير الله تبارك وتعالى على ما يأتي تفصيله تعتبر من الشرك به جل وعلا، وكذلك إذا دعا غير الله عز وجل فإنه يعتبر من الشرك؛ والمقصود بالشرك هنا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وهو يريد رحمه الله أن يبين أن الاستغاثة حقّ خالص لله جل وعلا وأن الدعاء حق خالص لله جل وعلا.

أما الاستغاثة فيأتي تفصيل الحكم فيها وأن من أنواع الاستغاثة بالمخلوق ما يكون جائزا بشروط كما في الباب السابق مما يتعلق بالاستعاذة بالمخلوق.

والاستغاثة نوع من أنواع الدعاء، والدعاء أعم من الاستغاثة. قد يقول قائل: إذن لماذا عطف بـ أو الدعاء على الاستغاثة ؟

نقول: هذا من قبيل عطف العام على الخاص.

قال الشارح رحمه الله " **الاستغاثة طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالإستنصار طلب النصرة، والاستعانة طلب العون، والغياث هو المغيث، وأكثر ما يقال غياث المستغيثين، أي مدرك عباده في الشدائد إذا دعوه، ومجيبهم ومخلصهم.**
والفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، وأما الدعاء فهو أعم منها؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فعطف الدعاء كل الاستغاثة من عطف العام على الخاص، فبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة، والمراد بيان تحريم الاستغاثة بغير الله، أو دعاء غيره من الأموات والغائبين، وأنه من الشرك الأكبر."

فبين الشارح معنى الاستغاثة، وذكر الفرق بين الاستغاثة والدعاء، فأصل الغوث، الإغاثة والنصرة تكون عند الشدة، ويقال: استغثته طلبت الغوث منه. ويقال: الغيث وهو المطر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله " **الاستغاثة طلب الغوث، وهو لإزالة الشدة** " انتهى كلامه رحمه الله.

ومن هذا يتبين لنا كما بين الشارح الفرق بين الاستغاثة والدعاء، لأن الاستغاثة تكون عند الكروب وتكون عند الشدة. وأما الدعاء فإنه يكون عند الشدة ويكون عند عدمها، ولذلك قال " **فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة** " فمن حصلت له شدة يجب عليه أن يلتجأ إلى الله جل وعلا ومن أراد ان يدعو فإنه يدب عليه أن يدعو الله جل وعلا. ولا يجوز صرف هذه العبادة لغير الله جل وعلا.

والدعاء ينقسم إلى قسمين:

* دعاء عبادة

* ودعاء مسألة.

فأما دعاء العبادة فمثل الصلاة ومثل التكبير والتحميد والتسبيح ونحو ذلك كما قال عز وجل **{ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }**

وأما دعاء المسألة: فضابطها هو الطلب من الله تبارك وتعالى وسؤاله من خيري الدنيا والآخرة؛ ومثاله قوله تبارك وتعالى **{ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ }**

ومن عظيم منزلة الدعاء أنه عبادة، وأطلق رسول الله ﷺ ذلك ، فقال عليه الصلاة والسلام " **إن الدعاء هو العبادة** " وقال الله جل وعلا **{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي }** ولم يقل يستكبرون عن دعائي، بل ال عن عبادتي، فدل هذا على أن الدعاء عبادة.

ثم استدل المصنف رحمه الله بقوله عز وجل **{ وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ... }**

قال الشارح " **نهى الله نبيه ﷺ أن يدعو أحدا من سائر المخلوقين العاجزين عن إيصال النفع ودفع الضر، وأنه لا يجوز إلا ممن يملكه وهو الله وحده، وهذا النهي خرج مخرج الخصوص، والمراد به العموم، فهو عام لجميع الأمة.: {فَإِنْ فَعَلْتَ} أي دعوت أحدا من دون الله: {فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ} أي من المشركين.**
ولها نظائر، يخاطب تعالى نبيه ﷺ بذلك وهو مبرأ منه، لكنه أبلغ في الزجر والتحذير عن دعاء غير الله عز وجل، وفي الحديث: " الدعاء مخ العبادة ". وفي لفظ: " هو العبادة ". صححه الترمذي وغيره، وأتى فيه النبي ﷺ بضمير الفصل، والخبر المعرف بالألف واللام؛ ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء، أو إنما هي الدعاء نفسه، ثم الدعاء نوعان:
*** (دعاء مسألة) وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر، فالمعبود لا بد أن يكون مالكا لذلك، ولذلك أنكر الله على من عبد من لا يملك ضرا ولا نفعا.**
*** (والنوع الثاني) دعاء عبادة بأي نوع من أنواع العبادة، وهو ما لم يكن فيه صيغة سؤال وطلب، وهما متلازمان . "**

فهذه الآية التي أوردها الشيخ نهي من الله عز وجل لنبيه ﷺ والمقصود منه عموم الناس؛ نهاهم الله عز وجل عن دعاء غير الله عز وجل ممن حقيقته أنه لا ينفع ولا يضر، لأن النفع والضر إنما هو بيد الله تبارك وتعالى.

" ووصف الله عز وجل من صرف هذا الدعاء لغيره جل وعلا بالظلم وهو الشرك، وبين الشارح ان هذا الخطاب الذي يخرج مخرج الخصوص ويراد به العموم قد ورد في كتاب الله عز وجلّ؛ يخاطب الله عز وجل نبيه ﷺ بذلك وهو مبرأ منه وذلك لكونه أبلغ في الزجر والتحذير عن دعاء غير الله عز وجل.

وهذا الخطاب؛ وهو قوله { وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ } هذا الخطاب لا يقتضي أن يكون ممكنا من النبي ﷺ؛ فلا يقال إنه من الممكن أن يفعله النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا مثل قوله جل وعلا { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } فالخطاب له ولجميع الرسل ولا يمكن أن يقع منه باعتبار حاله لا باعتبار كونه إنسانا وبشرا. وتكون الحكمة من النهي هو أن يكون غيره متأسيا به عليه الصلاة والسلام، فإذا كان النهي موجها إلى من لا يمكن منه باعتبار حاله فهو إلى من يمكن منه من باب أولى وهم بقية الناس " انتهى كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

ثم أورد الشارح حديث النبي عليه الصلاة والسلام " **الدعاء هو العبادة** " وهو اللفظ الصحيح، وفي الرواية الأخرى " **الدعاء مخ العبادة** " وهو حديث ضعيف

قال " **وأتى فيه النبي ﷺ بضمير الفصل، والخبر المعرف بالألف واللام؛ ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء، أو إنما هي الدعاء نفسه** " وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام " **الحج عرفة** "،ثم بين ان الدعاء نوعان كما تقدم معنا دعاء مسألة ودعاء عبادة:

- **فدعاء المسألة** ما يكون فيه طلب الخير او دفع الشر فالمعبود لابد ان يكون مالك لذلك ولذلك انكر الله على من عبد من لا يملك ضرا ولا نفعا

- والنوع الثاني هو **دعاء العبادة** بأي نوع من انواع العبادة وهو ما لم يكن فيه صيغة سؤال وطلب، وذلك لأنه اذا كان فيه صيغة سؤال وطلب فانه يكون من قبيل دعاء المسألة ،

وقوله رحمه الله **" وهما متلازمان "** يريد بذلك ان كل دعاء عبادة كل دعاء مسألة

فمن عبد الله تبارك و تعالى يلزمه اذا اراد ان يدعوا وان يطلب من خيري الدنيا والاخرة الا يطلب الله جل وعلا ،

وكذلك نقول كل دعاء مسألة فانه متضمن لدعاء العبادة فمن دعا الله وطلبه و سأله من خيري الدنيا والاخرة فان هذا مضمن لدعاء العبادة فهو داخل فيه ،

ثم اورد الشيخ قول الله عز وجل **{ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ} الآية**

قال الشارح : **" أي إن أصابك بفقر أو مرض أو غير ذلك من أنواع الضر فلا يكشف ذلك إلا الله وحده، فإنه المتفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع دون كل ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده لا شريك له، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع، ولا يملك ذلك ولا شيئا منه إلا هو سبحانه، فهو المستحق للعبادة وحده دون من لا ينفع ولا يضر.: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} الآية ونحوها. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: " واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك "**

فهذه الاية وهي قوله**(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ)** تدل على ان الضر بيد الله عز وجل وان الكشف كذلك بيد الله جل وعلا فمن كانت هذه حاله فهو اولى بالعبادة دون ما سواه من المخلوقات الذين لا يملكون حتى النفع والضر فلا يملكون كشفه من باب اولى؛ عندما يقع العبد في ضر فان هذه المعبودات جميعا لا تملك كشفها لان الذي يملكها هو الله جل وعلا

قوله **(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ)** تتمة الآية **{ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** وفي هذه الآية في قوله جل وعلا ولا يضرك ما المقصد بالضرر هنا ؟ المقصود هو ان هذه المعبودة جميعا التي تعبد من دون الله عز وجل لا تملك شيء ومن جملتها ان يحصل لك ضرر وقال بعض اهل العلم اي لا يدفع عندك الضر وقال بعضهم لو تركت عبادته لا يضرك شيئا.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (وهو الظاهر من اللفظ)

ثم اورد الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقول الله عز وجل :: **{فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ}** الآية

قال الشارح **" أي اطلبوا الرزق عند الله وارغبوا إليه فيه عنده وحده لا شريك له دون ما سواه؛ لأنه المالك له، وغيره لا يملك شيئا من ذلك، وتقديم الظرف يفيد الاختصاص، " واعبدوه" أي أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له.**

وهذا من باب عطف العام على الخاص، فإن ابتغاء الرزق عند الله من العبادة التي أمر بها "واشكروا له" على ما أنعم به عليكم "إليه ترجعون" أي يوم القيامة فيجازي كلا بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، قال المصنف: ((وفيه أن طلب الرزق لا يبتغى إلا من الله كما أن الجنة لا تطلب إلا منه)) ."

فقوله جل وعلا فابتغوا عند الله المقصود بالابتغاء هو الطلب يعني اطلبوا الرزق عند الله وارغبوا اليه فيه عنده وحده لا شريك له دون ما سواه لأنه المالك له غيره لا يملك شيئا، فمن اراد الرزق فعليه بالمالك والمالك هو الله جل وعلا ،

ثم بين فائدة تقديم الظرف وانه يفيد الاختصاص فقال فابتغوا عند الله الرزق ولم يقل فابتغوا الرزق عند الله ليفيد الاختصاص لله جل وعلا وان الرزق لا يبتغى الا منه جل وعلا

وقوله واعبدوه اي اخلصوا العبادة وحده لا شريك له هذا من باب عطف العام على الخاص فان ابتغاء الرزق عند الله من العبادة التي امر بها أو يريد ان يبين ان الابتغاء ابتغاء الرزق عبادة وان داخلة في قوله واعبدوه لكنه عطف العبادة على قوله " **فابتغوا عند الله** " ليبين اختصاص الله عز وجل بالرزق و دعاءه جل وعلا وعبادته .

وفي هذه الآية ذكر فيها دعاء العبادة و دعاء المسألة :

فأما دعاء العبادة فهي قوله تبارك وتعالى { **وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ** }

وأما دعاء المسألة فهي قوله تبارك وتعالى { **فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ** }

وعلى كل فان هذا الدعاء - دعاء العبادة ودعاء المسألة - كلهما من خصائص رب تبارك وتعالى التي لا تطلب الا منه تبارك وتعالى.

وقد جاءت هذه الاية بعد قول الله تبارك وتعالى { **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** } فمقدم الاية فيها بيان ان هذه المعبودات التي تعبدونها من دون الله جل وعلا لا تملك لكم رزقا اذن الرزق عند من ؟ قال فابتغوا عند الله الرزق فهو المالك لهذا الرزق وهو المالك لكل شيء جل وعلا.

ثم قال المصنف رحمه الله " **وقوله: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} الآيتين ."**

قال الشارح " **حكم سبحانه أنه لا أضل ممن يدعو من دون الله أيّ مدعو كان، من وثن أو ولي أو غير ذلك، وأن ذلك المدعو لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة، فصارت دعوته له هي الغاية في الضلال والخسار: {وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}فالداعي لمن هو غافل عنه لا أضل منه {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً}يتبرؤون منهم، كما قال الله عنهم: {تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ}. {وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} أي جاحدين لها، فلا أضل ممن لا يحصل له إلا نقيض قصده، يتبرأ منه معبوده، ويجحد عبادته له، وأثبت تعالى أن دعاء غير الله عبادة له وأنه في غاية الضلال، وأكثر ما يستعمل في السؤال والطلب. وذكر المصنف فيها خمسة أمور:**

-أنه لا أضل ممن دعا غير الله،

-وأنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه،

-وأن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له،

- وأن تلك الدعوة عبادة للمدعو، وكفر المدعو بتلك العبادة،

- وأن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس."

و قوله جل وعلا { **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ** } ويقصد بالدعاء هنا هو دعاء العبادة و دعاء المسألة و الاستفهام هنا في قوله و من أضل هو استفهام انكار حيث إن فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا ممن عبد غير الله عز وجل ودعاه حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على

تحصيل كل بغية و مرام ويدعون من دونه من لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم مادام في الدنيا و الى أن تقوم القيامة. كما قال الله عز و جل له دعوة الحق" **{ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ }**

فكل مدعو يدعى من دون الله تبارك و تعالى هذه صفته أنه لا يستجيب للداعي إلى يوم القيامة. فالاستفهام هنا هو بمعنى النفي فهم عن دعائهم غافلون وهذا في الدنيا. وأما في الآخرة فكما قال الله عز وجل **{ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً }** ويتبرؤون منهم كما قال الله عز وجل **{ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ }** ثم قال **{ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ }** أي جاحدين لها فلا أضل ممن لا يحصل له إلا نقيض قصده يتبرأ منه معبوده و يجحد عبادته له.

ومحل الشاهد هو في قول الشارح " **وأثبت تعالى أن دعاء غير الله عبادة له و أنه في غاية الضلال وأكثر ما يستعمل في السؤال و الطلب** "

ثم ذكر المصنف وهو الامام محمد بن عبد الوهاب فيها خمسة أمور : **أنه لا أضل ممن دعا غير الله وأنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه** و هذا أبلغ في الزجر كونك تدعو إنسانا هو غافل عن دعائك و لا يعرف عنه شيئا هذا من أضل ما يكون **وأن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له** وهذا في قوله **{ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً }** فما المقصود بـ **{ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً }** ؟ هل كان العابدون للمعبودين أعداء أو كان المعبودون للعابدين أعداء؟

الجواب أنه يشمل الامرين، فالعابدون يكونون أعداء للمعبودين وكذلك المعبودون يكونون أعداء للعابدين وأشار الشيخ ابن عثيمين رحمه الله إلى أن هذا من بلاغة القران.

قال " **وأن تلك الدعوة عبادة للمدعو و كفر المدعو بتلك العبادة وأن هذه الامور هي سبب كونه أضل الناس** " إذا كان الامر كذلك فإنه لا يجوز صرف العبادة التي هي الدعاء هنا لغير الله فلا يجوز أن يدعى غير الله تبارك و تعالى ممن هذه حاله.

ثم قال المصنف " **وقوله: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} الآية** "

قال الشارح " **يحتج تعالى على المشركين في اتخاذهم الشفعاء من دونه بما قد علموه من إجابة المضطرين، وكشف السوء النازل بهم من عنده، وجعلهم خلفاء أحياء بعد أمواتهم.**
}أإله مع الله} أي أإله سوى الله يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟ أي أنتم تعلمون وتعترفون أنه لا يفعل ذلك سوى الله، فإذا كانت آلهتكم لا تجيبكم في حال الاضطرار، فلا يصلح أن تجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر ويكشف السوء {قليلا ما تذكرون} وتعتبرون نعم الله وأياديه عندكم، فلذلك أشركتم به غيره. ومن تأمل هذه الآيات ونظائرها تبين له أن الله احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة عليه. "

فهذه الآية **{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}** هذه فيها حجة على المشركين عندما اتخذوا الشفعاء من دون الله تبارك وتعالى وهم يعلمون أن إجابة المضطرين وكشف السوء النازل بهم إنما هو من عند الله تبارك و تعالى، وليس من قبل تلك المعبودات لأنه عند الشدة وعند الكرب يلتجؤون و يخلصون الدعاء الى الله جل و علا كما أخبر الله عز و جل عنهم في آيات عديدة.

فإذا كان هذه حال المعبودات إذ إنكم لا تلتجؤون إليها عند الشدة و الكرب فإن هذا يدل على أن العبادة لا تكون إلا لله عز و جل وأن الدعاء لا يكون إلا من حقوق الله تبارك و تعالى و التي يكون صرفها لغيره تبارك وتعالى شركا أكبر مخرجا عن الملة.

وقد ذكر الله عز و جل في هذه الآية التي أوردها الشيخ رحمه الله عدة آيات و براهين تدل على استحقاق الله تبارك وتعالى لعبادته فمن ذلك:

- **أولا** إجابة المضطر

- **وثانيا** كشف السوء

- **وثالثا** أنه جعلهم خلفاء الارض

والكفار معترفون بهذه البراهين ولذلك خاطبهم الله عز و جل بلازم إقرارهم **{ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ }** فقوله **{ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ }** هذا استفهام انكاري؛ أمن يفعل هذه الاشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم، والمعنى أنكم تعلمون و تعترفون أنه لا يفعل ذلك سوى الله جل و علا، فإذا كانت آلهتكم لا تجيبكم في حال الاضطرار فلا يصلح أن تجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر و يكشف السوء، وهذا في القرآن كثير يبين الله عز وجل ضعف المعبودات و يبين عدم ملكها وعدم إيتائها الناس للرزق و عدم كشفها للضر للناس وهذا يبين كذلك أن هذا الأمر حق خالص لله جل و علا .

{ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } ومعنى قليلا ما تذكرون يعني قليلا ما تعتبرون نعم الله و أياديه عندكم فلذلك أشركتم به غيره.

ثم بين الشارح رحمه الله أن من تأمل هذه الآيات و نظائرها تبين له أن الله احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة عليه، ما أقر به المشركون هو توحيد الربوبية على ما جحدوه هو توحيد الألوهية فالله عز وجل يحتج عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية على استحقاقه لتوحيد الألوهية وقصر العبادة عليه.

ثم قال الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله " **وروى الطبراني بإسناده: " أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل" "**

و هذا الحديث رواه عبادة ابن الصامت رضي الله عنه أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين.

قال الشارح " **هو عبد الله ابن أبي ابن سلول رأس المنافقين "**

" فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق "

قال الشارح " **أي يرفع عنا أذيته فإنه قد آذى الله و رسوله "**

" فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز و جل "

قال الشارح " **وهذا نص منه صلى الله عليه وسلم أنه لا يستغاث به حماية لجناب التوحيد و سدا لذرائع الشرك وتحذيرا من وسائله. وإذا كان هذا مع سيد الخلق فمن دونه بطريق الأولى. "**

قال شيخ الاسلام " **والاستغاثة بمعنى أن يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم، فإن الصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء و يستسقون به كما في الصحيح و غيره، وأما بالمعنى الذي نفاها فهي مما يجب نفيها "**

قال " وقد يكون في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة لها معنى صحيح ولكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله و رسوله. وهذا يُرَدُ عليه فهمه كما روى الطبراني أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله " فهذا إنما أراد به صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني وهو أن يُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله.

و ذكر قول أبي يزيد البسطاني: " استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق "

وقول أبي عبد الله القرشي " كاستغاثة المسجون بالمسجون " ودعاء موسى و بك المستغاث. "

قال " ولما كان هذا المعنى هو المفهوم عند الاطلاق وكان مختصا بالله صح إطلاق نفيه عما سوى الله. " انتهى.

وقد تبين بما ذكر من الآيات و الأحاديث أن دعاء الميت و الغائب و الحاضر في ما لا يقدر عليه إلا الله و الاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواعه.

فهذا الحديث فيه حماية النبي صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد فإن هذا المعنى المذكور وهو الاستغاثة ودرء شر هذا المنافق عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعما يتفوه به في حق الله تبارك و تعالى و في حق النبي صلى الله عليه وسلم كان النبي عليه الصلاة والسلام قادرا على أن يكف أذاه لكنه عليه الصلاة و السلام أراد أن يبين لهم أن هذه الاستغاثة لا تكون إلا بالله تبارك و تعالى، وهو يريد عليه الصلاة والسلام المعنى الآخر وهو الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله.

لذلك بين الشارح أن هناك معنى لا إشكال فيه و هو مراد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم لما قالوا قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذا المعنى لا إشكال فيه.

والمعنى الآخر هو الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يلفت انتباه الناس إليه وهو أن يطلب من غير الله عز و جل ما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى وذلك هذا كان فيه حماية لجناب التوحيد.

وقد يقال كذلك كما نبه أهل العلم إلى أن هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم فيه حسن الأدب مع الله جل و علا في اللفظ فيكون من باب التأدب في اللفظ وليس من باب الممنوع في المعنى، لأن نفي الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم ليس على إطلاقه بل تجوز فيما يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى كل فسواء قيل بالأول أو قيل بالثاني فإن النبي عليه الصلاة والسلام أراد حماية جناب التوحيد وأراد سد كل وسيلة توصل إلى الشرك بالله تبارك و تعالى. كذلك يقال فيه التأدب في الألفاظ مع الله عز و جل وأن التخلص من هذا المنافق لا يكون إلا بالله جل وعلا.

وأشار الشارح رحمه الله في آخر شرحه إلى أن ما ذكر من الآيات و الاحاديث في أن دعاء الميت والغائب و الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواعه.

في هذا الكلام دلالة على أن **" كل استغاثة بغير الله عز و جل من ميت او غائب او حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله أنه يكون من قبيل الشرك "** فيه بيان أن من الاستغاثة ما يكون جائزا.

ولهذا نقول أن **<u>الاستغاثة تنقسم الى قسمين:</u>**

1- الاستغاثة الممنوعة

2- والاستغاثة الجائزة.

فأما **الاستغاثة الممنوعة** فهي الاستغاثة بالصالحين من الأموات سواءً كانوا أنبياء أو ممن يعتقد فيهم الولاية وممن يعتقد فيهم أن له التصرف في الكون أو أن له النفع والضر ونحو ذلك. وهذا النوع **شرك أكبر مخرج من ملة الاسلام** وهو شرك أهل الجاهلية الذين أنكر الله عز و جل سماعهم له فكيف ترجى إغاثتهم، قال الله عز وجل **{ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ }.**

ومن هذا القبيل الاستغاثة بالأحياء سواء كانوا حاضرين أو غائبين فيما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى مما هو من خصائص الله جل وعلا، فإذا استغاث بهؤلاء الاحياء فيما هو من خصائص الله تبارك وتعالى فإنه كذلك يعتبر من الشرك الأكبر.

وأما **الاستغاثة الجائزة** فهي الاستغاثة التي تجوز بالمخلوقين، وهذا النوع من الاستغاثة يشترط فيه **ثلاثة شروط:**

الشرط الأول: ان يكون ذلك فيما يقدر عليه المخلوق وليس هو من خصائص الله تبارك وتعالى.

الشرط الثاني: أن يكون المستغاث به حيا، إذ لا يجوز الاستغاثة بالأموات ولو كانوا من الأنبياء والصالحين.

الشرط الثالث: أن يكون المستغاث به حاضرا قادرا على الاغاثة؛ فلا يستغاث بالغائب والعاجز ونحوهما.

فاذا توافرت هذه الشروط وهي أن يكون هذا المخلوق حيا وان يكون قادرا وأن يكون حاضرا يجوز الاستغاثة حينئذ، وهذا كما قال الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام **{ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ }** فموسى عليه السلام حي و حاضر و قادر. لما كان حيا حاضرا قادرا استغاثه هذا الرجل الذي من شيعته وأغاثه موسى عليه السلام، فكان هذا دليلا على أن هذه الاستغاثة من قبيل الاستغاثة الجائزة .

وهنا تنبيه أخير وهو أن الحديث الذي أورده الشيخ رحمه الله في آخر هذا الباب و هو حديث عبادة عند الطبراني أنه حديث ضعيف عند طائفة من أهل العلم.

والشيخ رحمه الله أورده للاعتضاد لا للاعتماد.

أسأل الله تبارك و تعالى لنا و لكم التوفيق و السداد.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين.

المحاضرة الثالثة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء الثالث عشر والذى نتناول فيه كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بحاشية الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله، ولازلنا في الأبواب المتعلقة بالشرك بالله تبارك وتعالى والتحذير منها والتنفير منها وبيانها.

ومن جملة هذه الأبواب الباب الذي معنا اليوم، وهو:

باب قول الله تعالى {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا } الآية.

وهذا الباب متعلق بالتنفير من الشرك أشد التنفير، وبيان حال المدعوين من دون الله تبارك وتعالى وعدم استحقاقهم للعبادة.

وذكر المصنف رحمه الله عددا من النصوص التي فيها دلالة على أن كل معبود غير الله تبارك وتعالى فإنه لا يستحق شيئا من العبادة.

وذلك أن تلك المعبودات التي عبدت من دون الله عز وجل لا تملك شيئا ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ولا نحو ذلك من معاني الربوبية التي اختص بها ربنا عز وجل .

فالباب معقود لإبطال الشرك بالله تبارك وتعالى، وبيان بعض من صفات المدعوين من دون الله عز وجل، كما أراد المصنف رحمه الله من هذا الباب بالإضافة إلى ما سبق، أراد بيان براهين التوحيد وأدلته وأن المستحق للعبادة إنما هو ربنا جل وعلا.

قال الشيخ السعدي رحمه الله **" هذا شروع في براهين التوحيد وأدلته، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره "** انتهى كلامه رحمه الله.

وهنا قال الشارح رحمه الله " **أراد المصنف -رحمه الله- بهذه الترجمة الرد على كل مشرك كائنا من كان، وبيان حال المدعوين من دون الله، أنهم لا ينفعون ولا يضرون، سواء في ذلك الأنبياء والصالحون وغيرهم،**

وقوله: "أيشركون" استفهام إنكار وتوبيخ، وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله من لا يخلق شيئا، وليس فيه ما يستحق به العبادة؛ فإنه إذا كان معبودهم لا يخلق شيئا بطلت عبادتهم له، وتقرر أن الخالق سبحانه هو المستحق للعبادة وحده،

وقوله: "وهم يخلقون" أي ومن أشركوه مع الله في عبادته مخلوق، والمخلوق لا يستحق أن يكون شريكاً للخالق في العبادة التي خلقهم لها،

وأخبر أنهم مع ذلك "لا يستطيعون لهم نصرا" أي لمن سألهم النصرة "ولا أنفسهم ينصرون" وهاتان الصفتان أبلغ مما قبلهما، أي فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه، ولا نصر نفسه؟ وذلك برهان ظاهر قاطع ببطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، فإنه إذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه فلأن لا ينصر غيره من باب الأولى، بل من هذه حاله فهو في غاية العجز، فكيف يكون إلها معبودا؟

فبطل تعلق المشركين بهذه البراهين، وهي كونهم لا يخلقون بل يخلقون، عبيد لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون معبودا، ولا قدرة لهم على نفع عابدهم، ولا على نفع أنفسهم، وخاب سعيهم، وظهر أنهم أخسر الناس صفقة ."

في هذا الجزء من الشرح بين الشارح رحمه الله مقصود الترجمة وهى الرد على كل مشرك كائنا من كان وبيان حال المدعوين من دون الله وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، وسواء كان ذلك الانبياء والصالحون وغيرهم.

ثم قال " **وقوله: "أيشركون" استفهام إنكار وتوبيخ، وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله من لا يخلق شيئا"** إذن هو استفهام استنكار وتوبيخ، والمقصود بقوله أيشركون أي يشركونه بالله، فهنا ينكر الله عز وجل على المشركين صرفهم العبادة لغير الله عز وجل ممن لا يخلق شيئا ولا يستطيع النصر لنفسه ولا يستطيع أن ينصر غيره.

قال " **وليس فيه ما يستحق به العبادة** " ويقصد بذلك أن المستحق للعبادة هو من يخلق، والمستحق بالعبادة هو من ينصر، والمستحق للعبادة من بيده النفع والضر، والمستحق للعبادة هو من يملك الإحياء والإماتة ونحو ذلك.

وكل هذه المعاني ممتنعة عن تلك المعبودات التي عبدت من دون الله عز وجل، وسواء كانت هذه المعبودات ملائكة أو كانت أنبياء أو كانوا صالحين، أو كانوا قبورا أو كانوا أصناما ونحو ذلك.

فإن هذه المعبودات جميعها ليس لها من معاني الربوبية شيء.

قال " **وليس فيه ما يستحق به العبادة، فإنه إذا كان معبودهم لا يخلق شيئا بطلت عباداتهم له** "

وتقرر أنه الخالق هو المستحق له العبادة وحده، ثم تأمل في قول الله عز وجل **{ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا }**.فإن شيئا هنا نكرة جاءت في سياق النفي، فتفيد العموم، فهؤلاء المدعوين من دون الله تبارك وتعالى لا يخلقون شيئا ولو كان صغيرا.

قال وقوله **{ وَهُمْ يُخْلَقُونَ }** أي ومن أشركوه مع الله في عبادته مخلوق والمخلوق لا يستحق اي يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وهذا يبين ان الرب المعبود لا يمكن أن يكون مخلوقا بل هو الخالق.

وأخبر أنهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصرا اي لمن سألهم النصرة ولا أنفسهم ينصرون وهاتان الصفتان ابلغ مما قبلهما، أي فيكف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه وذلك برهان

قاطع ببطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، فإنه إذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه فلأن لا ينصر غيره من باب أولى، بل من هذه حاله فهو في غاية العجز، فكيف يكون إلها معبودا؟

فبطل تعلق المشركين بهذه البراهين، وهي كونهم لا يَخْلُقون بل يُخلَقون، عبيد لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون معبودا، ولا قدرة لهم على نفع عابدهم، ولا على نفع أنفسهم، وخاب سعيهم، وظهر أنهم أخسر الناس صفقة.

وهذا كذلك من الشيخ بيان بأن تلك المعبودات لا تستحق العبادة لأنها لا تنصر عابديها بل إنها لا تنصر نفسها وهذه حال العاجز، فإذا كانت هذه حالهم فإنهم لا يستحقون ان تصرف اليهم اي نوع من أنواع العبادة.

ويدخل في هذا كما تقدم جميع الانبياء والملائكة والصالحين وغيرهم، فإنهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئا ولا يستطيعون لمن عبدهم نصرا ولا ينصرون أنفسهم وإذا كان كذلك بطلت دعوتهم من دون الله عز وجل.

وفي هذا المقام يذكر بعض أهل العلم قصة صحابي اسمه غاوي بن عبد العزى أو غاوي بن ظالم وكان سادنا بصنم قومه، فبينما هو عند صنمه إذ اقبل ثعلبان إشتدا حتى طلعا على هذا الصنم فبالا عليه فتفكر في شأن هذا الصنم وكيف أنه لم يستطع أن ينصر نفسه ولا أن يدفع عنه الاذى فقال بيتا مشهورا قال فيه:

رب يبول الثعلبان برأسه قد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم إنه كسره و حذر قومه وأسلم ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم. وجاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم سماه راشد بن عبد الله على نقيض ذلك الاسم الذي كان عليه في الجاهلية وهو غاوي بن ظالم.

ولو تأملت في قول الله تبارك وتعالى **{ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً }** ولم يقل الله عز وجل: ولا ينصرونهم؛ لأنه إذا قال لا ينصرونهم فقد يقول قائل: لكنهم يستطيعون نصرهم، لكن لما قال لا يستطيعون لهم نصرا كان أبلغ لظهور عجزهم.

اذن تبين لنا ان هذه الآية دلت على بطلان المعبودات من دون الله تبارك وتعالى من أربعة وجوه:

- **الوجه الأول:** أنها لا تَخلُق، ومن لا يخلق لا يستحق أن يعبد.

- **الثاني:** أنهم مخلوقون من العدم، فهم مفتقرون إلى غيرهم أبدا ودواما.

- **الثالث:** أنهم لا يستطيعون نصر الداعين لهم.

- **الرابع:** أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم.

ثم قال الشيخ رحمه الله **" وقوله: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} الآية،"**

قال الشارح " **أول الآية قوله: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ}. يخبر سبحانه أن الملك له وحده، والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره، فهو المستحق للعبادة وحده، ولهذا قال: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}. وهو القشرة على النواة نكرة في سياق النفي، ومع دخول "من" عليه من أبلغ النفي، فمن كانت هذه صفته لا يجوز أن يرغب إليه في دفع ضر، أو جلب نفع،**

وأخبر أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، أي يجحدونه ويتنصلون منه، ويتبرءون ممن فعله معهم،

ثم قال: "ولا ينبئك" أي يخبرك بعواقب الأمور، ومآلها وما تصير إليه "مثل خبير" بها، يعني نفسه تبارك تعالى، فإنه سبحانه أخبر بالواقع لا محالة، عن حال المدعوين من الملائكة والأنبياء وغيرهم، بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك وسماع الدعاء، والقدرة على الاستجابة، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته."

فهذه الآية كالآية السابقة، بين الله تبارك وتعالى فيها ضعف تلك المعبودات وأنها لا تملك حتى الشيء الحقير، وهم كذلك لا يسمعون دعاءكم وما تنادونهم به ولو سمعوا لم يستجيبوا لكم؛ مما يدل على انتفاء القدرة على الاستجابة للداعي الذي يدعوها منن دون الله عز وجلّ.

ثم نتيجة هذا الدعاء وهذه العبادة هو الخسران يوم القيامة، وتبرُّأ العابدين من معبوداتهم وتبرّأ تلك المعبودات من عابديهم **{ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ }.**

وهذه الآية التي أوردها الشيخ رحمه الله جاءت في سياق إثبات أن المستحق للعبادة هو الله عز وجل. وذلك أن الله عز وجل ذكر ربوبيته على خلقه أجمعين، وذكر خلقه للسموات والأرض، وذكر تصرفه في هذا الكون كله. قال الله عز وجل **{ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }**

فالمالك هو الله عز وجل وحده. وجميع الملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره، إذن الذي يستحق العبادة هو من ملك ذلك كله، ولهذا قال **{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ }** والقطمير هي القشرة على النواة.

وفي نواة التمر ثلاث أشياء ذكرها الله عز وجل في القرآن:

*** الأولى: القطمير:** وهي التي معنا في هذه الآية؛ وهي اللفافة الرقيقة التي تكون على تلك النواة.

*** والثانية: الفتيل** وهي سلك يكون في الشق الذي في النواة..

*** والثالثة: النقير** وهي النقرة التي تكون على ظهر النواة..

والشاهد من هذا أن هؤلاء الذين عبدوا من دون الله عز وجل لا يملكون هذا الشيء الحقير وهو القطمير. فالمالك الحقيقي هو الله عز وجل وحده لا شريك له.

قال " **وهو القشرة على النواة نكرة في سياق النفي** " وإذا كان الله عز وجل قد نفى عنهم ملك هذا الشيء وهو القطمير فلأن لا يملكوا السموات والأرض ولا يملكوا شيئا أكبر من ذلك من باب أولى.

قال الله عز وجل{ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ** } وقال عز وجل { **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ** } فمن كان هذا حاله فكيف يدعى من دون الله؟

وقد نفى الله عز وجل عنهم سماع الدعاء بقوله { **إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ** } يعني أن الآلهة التي تدعونها لا يسمعون دعاءكم لأنهم اموات أو أنهم ملائكة مشغولون بأحوالهم مسخرون لما خلقوا له او جماد.

فلعل مشركا يعترض على ذلك ويقول:هذا في الأصنام، أما الملائكة والأنبياء والصالحون فيسمعون ويستجيبون.

والجواب أن الله عز وجل نفى ذلك بقوله { **وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ** } أي لا يقدرون على ما تطلبون منهم، ولم يخص الله عز وجل الأصنام بل عمّ جميع من يدعى من دونه. ومن المعلوم ان المشركين كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين كما ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه، فلم يرخص في دعاء احد منهم لا استقلالا ولا وساطة بالشفاعة.

وقوله { **وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** }

قال الشارح " **يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه سبحانه أخبر بالواقع لا محالة، عن حال المدعوين من الملائكة والأنبياء وغيرهم، بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو** "

وماهي هذه الأسباب التي ذكرها الله تعالى في كتابه ؟ قال " **وهي:**

- الملك **- وسماع الدعاء** **- والقدرة على الاستجابة**

فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته. "

ثم، إذا بطلت دعوته فإن العبادة تكون لله عز وجل، لأن الملك التام الكامل لله عز وجل، والذي يسمع الدعاء والذي يسمع النجوى هو الله عز وجل، وهو الذي يقدر على الاستجابة لا غيره من تلك المعبودات.

وقد ذكر أهل العلم فرقاً بين العليم والخبير؛ فاسم الله عز وجل " **العليم** "**: الذي يعلم بظواهر الأمور.** وأما " **الخبير** " **فهو الذي يعلم بواطنها.**

وقوله تبارك وتعالى { **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** } هو مثل قول الله عز وجل { **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** } وهذا نص صريح على أن من دعا غير الله عز وجل فقد أشرك بشرطه.

وأن المدعوين يكفرون بهم يوم القيامة ويتبرؤون منهم.

ثم أورد الشيخ رحمه الله حديثا عن النبي ﷺ؛ قال

" وفي الصحيح عن أنس قال: " شجّ النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ } "

قال الشارح رحمه الله عند قول أنس **"شجّ النبي ﷺ يوم أحد "**

" جبل معروف شرقي المدينة، كانت عنده الوقعة المشهورة، فأضيفت إليه، والشج الجرح في الرأس والوجه خاصة، وهو أن يضربه بشيء فيشق جلده، والحديث في الصحيحين، علقه البخاري عن حميد عن ثابت عن أنس، ووصله أحمد والترمذي والنسائي عن حميد عن أنس، ووصله مسلم عن ثابت عن أنس، وقد أخرج ابن إسحق في المغازي عن أنس، قال: " كسرت رباعية النبي ﷺ وشج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فنزلت هذه الآية" وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد أن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قميئة جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ وازدرده، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " لن تمسك النار."

وهذا الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لمّا شُجّ وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام قال " **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟** " فيه دلالة ظاهرة على ما أراد المصنف رحمه الله من كون النبي ﷺ بشر لا يملك النفع والضر وإنما هو نبي مرسل من عند الله تبارك وتعالى ليس له من الأمر شيء.

ويدل على هذا؛ كونه بشراً أنه شجّ في تلك الغزوة، وهي غزوة أُحد.

وبين الشارح أن الحديث قد علقه البخاري في صحيحه وأن مسلماً أخرجه في صحيحه.

قال **" وكسرت رباعيته "**

" الرباعية بفتح الراء وتخفيف الباء كل سن بعد ثنية، وللإنسان أربع رباعيات، قال الحافظ: كسرت فذهب منها فلقة، ولم تقلع من أصلها، وذكر ابن هشام أيضا أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى، وجرح شفته السفلى، وجزم به غيره، وقال عليه السلام: " اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا " فما حال عليه الحول حتى مات كافرا إلى النار.
وروى الطبراني من حديث أبي أمامة قال: " رمى عبد الله بن قميئة رسول الله ﷺ يوم أحد، فشج وجهه، وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال له: "مالك أقماك الله " فسلط عليه تيس الجبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة ". وفي الحديث إثبات وقوع الابتلاء والأسقام بالأنبياء لينالوا جزيل الثواب، ولتعرف الأمم من أصابهم، فيتأسوا بهم، وليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون، فلا يفتتن بهم، ويغلى فيهم، فيعبدون من دون الله. "

" فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "

قال الشارح **" أي كيف يحصل لهم الظفر والفوز والسعادة، مع فعلهم هذا بنبيهم، زاد مسلم: " كسروا رباعيته، وأدموا وجهه."**

" فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ } "

قال الشارح **" أي ليس لك من الحكم في عبادي شيء، وإنما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم، وليس لك إلا ما أمرتك به فيهم، وليس ذلك بهوان بالنبي ﷺ على الله، فإنه أكرم خلق الله عليه، وأفضلهم على الإطلاق، ولكن ليتبين نزول قدره ﷺ عن مقام الربوبية، فإنما هو عبد الله ورسوله."**

وهذا هو مقصود المصنف رحمه الله من إيراد هذا الحديث كما نقدم، فإن النبي ﷺ بشر ليس له من الأمر شيء، وإنما عواقب الأمور بيد الله تبارك وتعالى.

وقوله ﷺ **" كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "** الاستفهام هنا يراد به الاستبعاد، أي: بعيد أن يفلح قوم شجّوا نبيهم ﷺ.

وقوله **" كيف يفلح "** المقصود بالفلاح الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

فنزل قول الله عز وجل للنبي ﷺ **{ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}** وهذا الخطاب هو للنبي ﷺ. وكلمة **شيء** نكرة جاءت في سياق النفي فتعُمّ. والمراد بالأمر: الشأن، أي شأن الخلق، فإن شأن الخلق إنما هو لخالقهم جلّ وعلا، حتى النبي ﷺ ليس له فيهم شيء.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله **" ففي الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد شجّ وجهه و كسرت رباعيته ومع ذلك ما عذره الله سبحانه في كلمة واحدة "كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم" فإذا كان الأمر كذلك فما بالك بمن سواه فليس لهم من الأمر شيء كالأصنام والاوثان و الانبياء فالأمر كله لله سبحانه و تعالى كما أنه الخالق وحده ،فالحمد لله أنه لم يجعل أمرنا إلى أحد سواه لأن المخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره "**.انتهى كلامه رحمه الله.

فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما عليه تبليغ رسالات ربه تبارك وتعالى وليس له من أمر الخلق شيء. فإن أراد الله عز وجل أن يهلكهم أو يعذبهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصرّوا فإن هذا لله عز وجل وليس للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم.

ومؤدى قول النبي صلى الله عليه وسلم ونزول الآية عليه مؤداه أن المالك للخلق كلهم و المتصرف فيهم بما يشاء هو ربنا تبارك وتعالى، حتى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه ليس له من الأمر شيء.

قال **" وفيه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- " أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} "**

وفي رواية: " يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} "

وقوله وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما - الحديث في صحيح البخاري- ، **قال أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر "اللهم اِلعن فلانا و**

فلانا " وهذا القنوت يقنته النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن يقول سمع الله لمن حمده، قال " **فأخبره الله عز و جل أنه ليس له من الأمر شيء إلا ما أمر به "**

" ومعنى "سمع الله لمن حمده" استجاب دعاء الحامدين له وقبله، فاستجب يا ربنا، ولك الحمد على ذلك، والحمد ضد الذم، ويكون على محاسن المحمود مع المحبة له، وفرق بينه وبين المدح بأن الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبارا مجردا عن حب وإرادة، وهو المدح، أو يكون مقرونا بحبه وإرادته فهو الحمد. "

وهذا فيه بيان الحمد فإن حمد الله تبارك وتعالى يقتضي الثناء عليه مع محبته، وهذا القنوت هو على صفوان ابن أمية وسهيل ابن عمر و الحارث ابن هشام كما جاء في الرواية الاخرى وذلك بعدما شج رأس النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم أحد.

وأصل اللعن هو الطرد و الإبعاد من الله عز و جل وأما اللعن من الخلق فإن المقصود به هو السب.

قال **" وفي رواية: " يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام "**

قال الشارح **" إنما دعا عليهم لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد، هم وأبو سفيان بن حرب، وأشد الناس عداوة له ﷺ وهم السبب في غالب ما جرى عليه، ومع ذلك ما استجيب له ﷺ فيهم. "**

قال **" فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} "**

قال الشارح **")أو يتوب عليهم أو يعذبهم) فتاب عليهم فأسلموا، وحسن إسلامهم، والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم دعا في الصلاة، وهو أشرف الخلق، وخلفه الصحابة يؤمنون على دعائه، وهم صفوة الخلق بعد الرسل، ومع ذلك أنزل الله هذه الآية، فلا يبقى في قلب أحد شيء من التعلق بغير الله عز وجل، فإن في هذا كله أكبر دلالة على أنه ﷺ لا يملك ولا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، فبطل ما يعتقده فيه المشركون أنه ينفع دعاؤه بعد موته ﷺ أو دعاء أحد من سائر الأنبياء والصالحين بهذه البراهين.**

قال المصنف: ((وفيه القنوت في النوازل وتسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم، ولعن المعين في القنوت)) اهـ.

وفيه إثبات التسميع والتحميد للإمام، ومحل القنوت بعده، وآكديته في الفجر، وإن كان قد ورد في غيره فهذا الحديث أصح. "

والشاهد من هذا هو كما تقدم في الحديث السابق وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء وإنما مالك الملك والمتصرف فيه و في خلقه إنما هو الله عز وجل. والنبي صلى الله عليه وسلم لا يملك من ذلك شيئا ولا يقدر إلا على ما أقدره الله عز وجل عليه.

وبهذا أراد المصنف رحمه الله أراد أن يبين كذلك بطلان ما يعتقده المشركون في الأنبياء وفي الصالحين وفي غيرهم فإن الكل ليس له من الأمر شيء.

ومما يدل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وبيّن له الله عز و جل أنه ليس له هذا الأمر وهدى الله عز و جل هؤلاء القوم وصاروا من أولياء الله عز وجل الذابين عن دينه بعد أن كانوا من أعداء الله القائمين ضده والله سبحانه عز وجل يمن على من يشاء من عباده.

ومن فوائد هذا أن هذه العداوة قد تنقلب ولاية لأن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى يصرفها كيف يشاء جل وعلا.

قال المصنف رحمه الله " **وفيه القنوت في النوازل وتسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم، ولعن المعين في القنوت** "

و يقصد بالنوازل هي النوازل التي تكون على المسلمين فإنه ينبغي أن يدعى لهم حتى تنكشف تلك الكربة.

وأما لعن المعيّن فقد قال الشيخ رحمه الله ابن عثيمين أن هذا فيه نظر لأن النبي صلى الله عليه وسلم نُهي عن ذلك.

قال المصنف " **وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ل: " قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} فقال: يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا"**

قال الشارح رحمه الله - **قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}**

قال الشارح " **عشيرة الرجل هم بنو أبيه الأدنون، أو قبيلته؛ لأنهم أحق الناس ببره وإحسانه الديني والدنيوي، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}. وهذه نذارة خاصة، وإلا فقد أمره الله أيضا بالنذارة العامة، كما قال (أن أنذر الناس) وقد بلغهم ما أمر به ﷺ.
وفي الصحيح من رواية ابن عباس: " صعد النبي ﷺ على الصفا، وهو الجبل المعروف أسفل جبل أبي قبيس، فقال: يا صباحاه حتى اجتمع عليه ما بين أخشبي مكة، ولمسلم: فهتف يا صباحاه فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وفي رواية: إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو، فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف يا صباحاه."**

قال - **فقال يا معشر قريش أو كلمة نحوها** –

قال الشارح " **المعشر الجماعة الذين أمرهم واحد، ويتناول الأنبياء والإنس والجن، جمعه معاشر، والكلمة بالنصب عطف على ما قبلها، وهو شك من الراوي، هل قال: يا معشر قريش، أو قال ما يقارب ذلك، خاطب العامة أولا."**

قال " **اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا** "

قال " **وفي رواية: " أنقذوا أنفسكم من النار ". وعند الطبراني عن أبي أمامة: " اشتروا أنفسكم من النار، واسعوا في فكاكم " أي خلصوها بتوحيد الله، والإيمان به وبرسوله، واتباعي فيما جئتكم به،**

مما أنزل الله علي من توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وترك ما كنتم تعبدونه من دون الله من الأوثان والأصنام، فإن ذلك هو الذي ينجيكم من عذاب الله، لا الاعتماد على الأحساب والأنساب، فإن ذلك غير نافع لكم، وفي صحيح البخاري: " يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا" .

وإنما الله –سبحانه- هو المتصرف في خلقه بما شاء، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير."

.قال **" يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا. "**

قال **" عباس وصفية وفاطمة بالرفع، ويجوز النصب، وقال النووي: النصب أفصح، و (ابن) و (عمة) و (بنت) بالنصب لا غير، أخبر ﷺ أنه لا يغني عنهم من الله شيئا، فأنذر الأقربين نذارة خاصة، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئا، وبلغهم وأعذر إليهم، فأنذر قريشا ببطونها، وقبائل العرب في مواسمها، وأنذر عمه وعمته وهم أقرب الناس إليه، وإنما أفردهم لشدة قرابتهم، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئا، وأن مجرد قربهم منه غير نافع لهم، ولا منج من عذاب الله إذا لم يؤمنوا به، ويقبلوا ما جاءهم به من التوحيد وسائر شرائع الإسلام، وترك الشرك، ثم خص بالنذارة من هي بضعة منه، وقال: " سليني من مالي ما شئت "؛ لأن هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ، وأما ما كان من أمر الله فلا قدرة لأحد عليه، فإذا كان لا ينفع ابنته وعمه وعمته وقرابته فغيرهم بطريق الأولى والأحرى، وبين أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح، وفيه أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما النجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يجوز أن يطلب إلا من الله تعالى.**

قال المصنف: ((فإذا صرح ﷺ -وهو سيد المرسلين- أنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، من الالتجاء إلى غير الله، وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله، تبين له التوحيد وغربة الدين)). "

هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه دلالته كدلالة ما سبق فإنه يدل على أن النبي صلى الله عليه و سلم لا يملك شيئا و في هذا بيان و رد على من يزعم أنه يدعو النبي صلى الله عليه و سلم أو يطلب أو يصرف له شيئا من أنواع العبادة وهو عليه الصلاة والسلام بريء من ذلك، فهو لا يغني عن أقاربه شيئا من الله عز وجل فكيف بمن كان بعيدا عنهم، فهو يخاطب العباس ويخاطب صفية عمته ويخاطب ابنته بضعة منه عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم بأنه لا يملك لهم من الله شيئا.

وفي هذا أعظم دلالة على أن العبادة لا يستحقها الا المالك وهو ربنا تبارك وتعالى الذي بيده كل شيء.

وقوله عليه الصلاة والسلام " اشتروا أنفسكم " المقصود من ذلك الإنقاذ لها، فإن المشتري نفسه كأنه أنقذها من هلاك، والمشتري راغب، والمقصود من ذلك أنهم يتقربون إلى الله تبارك وتعالى بما ينجيهم من عذاب النار ويتقربون إلى الله جل وعلا بما يدخلهم إلى الجنة.

وقوله " اشتروا أنفسكم " هو حض من النبي صلى الله عليه وسلم للناس على هذا الأمر، وقوله " لا أغني عنكم من الله شيئا "

وقوله " شيئا " هنا نكرة جاءت في سياق النفي فتعم، أي لا أدفع أو لا أنفع، والمقصود أنه عليه الصلاة و السلام يقول: لا أنفعكم بدفع شيء عنكم دون الله، ولا أمنعكم من شيء أراده الله لكم لأن الامر بيد الله عز وجل، ولهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال **{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا }**

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله **" فهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأقاربه الأقربين؛ عمه وعمته وابنته فما بالك من هم أبعد، فعدم إغنائه عنهم شيئا من باب أولى. فهؤلاء الذين يتعلقون بالرسول صلى الله عليه وسلم ويلوذون به ويستجيرون به الموجودون في هذا الزمان وقبلهم قد غرهم الشيطان واجتالهم عن طريق الحق لأنهم تعلقوا بما ليس بمتعلق، إذ الذي ينفع بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم هو الإيمان به واتباعه.**

أما دعوته والتعلق به ورجاءه في ما يأمل ويخشى مما يخاف منه فهذا شرك بالله وهو مما يبعد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن النجاة من عذاب الله " انتهى كلامه رحمه الله.

فتلخص من هذا الباب ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو قريب إلى ربه جل وعلا ليس له من الأمر شيء، فإنه كذلك يكون كل معبود عبد من دون الله فإنه لا يملك شيئا.

وجماع ذلك الآية التي أوردها الشيخ رحمه الله في مقدم هذا الباب:

{أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ}

فإن هذا الأمر وهو معاني الربوبية لا يستطيعها إلا ربنا تبارك وتعالى فهو تبارك وتعالى خالق الخلق وهو مالكهم تبارك وتعالى وأما المعبود المخلوق فانه لا يستحق شيء من العبادة مطلقا.

نقف عند هذا.

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الرابعة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد:

حياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء الرابع عشر والذي نتناول فيه مقرر توحيد الألوهية بدراسة كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بحاشية الشيخ عبد الرحمان ابن قاسم رحمه تعالى، واليوم معنا

باب قول الله تعالى { حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }

وهذا الباب له ارتباط وتعلق بالباب السابق؛ فالباب السابق الذي تناولناه هو **باب قول الله تعالى {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ}**، وتحدثنا في الباب السابق عن مراد الشيخ رحمه الله من عقد ذلك الباب وهو أنه يريد أن يبين أن تلك المعبودات التي عبدت من دون الله عز وجل فإنها لا تستحق العبادة لضعفها وعدم ملكها ولعدم خلقها، بل هي التي تُخلق، وأنها لا تنصر، ولا يمكن لعبد أن ينتصر بهذه المعبودات من دون الله بل إنها نفسها لا تستطيع أن تنصر أنفسها فكيف تنصر غيرها ؟

فلما بان هذا الأمر في ذلك الباب عقد المصنف رحمه الله هذا الباب ليبين عظمة الرب تبارك الله وتعالى وانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأن كل أحد عبد من دونه تبارك وتعالى فإنه مربوب مخلوق حتى الملائكة الذين هم عباد الرحمان والذين ذكر الله عز وجل وذكر النبي ﷺ شيئا من صفاتهم التي تدل على عظم خلقهم فإنهم يعبدون الرب تبارك وتعالى وحده لا شريك له ويخشونه ويخافونه، فإذا كان هذا هو حال الملائكة الذين عبدوا من دون الله تبارك وتعالى فكيف بأحوال من هم دونهم، فمقصود الباب إذن هو الرد على عباد القبور والأصنام والملائكة وغيرها وذلك ببيان حال الملائكة مع الرب عز وجل؛ فإذا كانت الملائكة تخاف الله عز وجل وتخاف عذابه إن خالفت أمره فكيف تستحق أن تعبد من دون الله عز وجل ؟

كما أنه من وجه آخر فإن هذا الباب فيه بيان عظمة الرب تبارك وتعالى؛ ففي الآية قوله عز وجل { حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ }

قال الشارح **" أي أزيل الفزع عن قلوب الملائكة، من الغشية التي تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل بالوحي إلى جبريل، يأمره الله عز وجل فتسمع الملائكة كلامه كجر سلسلة الحديد على الصفوان، فتنفزع عند ذلك تعظيماً لله وهيبة له.**

قال ابن عطية: ((في الكلام حذف يدل عليه الظاهر، كأنه قال: ولا هم شفعاء كما تزعمون أنتم، بل هم عبدة مسلمون لله أبدا منقادون)) ."

فمعنى قوله عز وجل **{ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ }** أي أزيل الفزع عن قلوب الملائكة؛ أي جاوز الفزع قلوبهم، والمعنى أزيل الفزع عن قلوبهم كما قال الشارح.

قال **" من الغشية التي تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل بالوحي إلى جبريل، يأمره الله عز وجل فتسمع الملائكة كلامه كجري سلسلة الحديد على الصفوان فتنفزع عند ذلك تعظيما لله وهيبة له "**
وهذا الذي أشار إليه الشارح رحمه الله هنا سيأتي مفصلا في الحديث الذي أورده الشيخ رحمه الله، فسبب فزع الملائكة هو تكلم الله عز وجل بالوحي، فعندما يتكلم الله عز وجل بالوحي يحصل للملائكة الغشي والصعق.

فـ **{ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ }** يعني أزيل هذا الأمر عن قلوبهم و هو الفزع؛ **والفزع هو الخوف المفاجئ،** وهذا هو الفرق بين الخوف و الفزع فإن الفزع فيه فجاءة أما الخوف المستمر فلا يسمى فزعا.

وفي قوله تبارك و تعالى **{ عَن قُلُوبِهِمْ }** هذا فيه إثبات القلوب للملائكة، وهذا فيه رد على من يزعم أن الملائكة خيال وأنهم لا حقيقة لهم، وقد وصفت الملائكة بعدة صفات منها أن لهم أوجه و لهم أجنحة ولهم قلوب و نحو ذلك.

{ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }

قال الشارح **" أي قالوا: قال الله الحق، وذلك لأنهم إذا سمعوا كلام الله صعقوا، ثم إذا أفاقوا أخذوا يسألون، فيقولون: {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ}، فيقولون: قال الحق، فهو سبحانه الحق وقوله الحق ودعوته وحده هي الحق: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}، علو القدر وعلو الشرف وعلو القدر وعلو الذات فله العلو الكامل من جميع الوجوه والكبير الذي لا أكبر منه ولا أعظم منه تبارك وتعالى.**

أراد المصنف -رحمه الله- بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عبد من دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله وهذه هيبتهم وخوفهم منه وخشيتهم له، فكيف يدعون من دون الله؟ وإذا كانوا -مع ما هم عليه من جلالة القدر- لا يجوز أن يدعوا من دون الله فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام أولى أن لا يدعى ولا يعبد من دون الله. قال المصنف: ((وفيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب)) اهـ.

وفيها إثبات صفة القول لله تعالى وأنه قال ويقول "

فقول الملائكة **{ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ }** وهذا يكون بعد إفاقتهم و بعد ذهاب الفزع من قلوبهم ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق فعندما يسأل الملائكة بعضهم بعضا ماذا قال ربكم فيجيب الآخرون بأن الله عز وجل قال الحق، والمعنى أن الله عز و جل هو الحق تبارك وتعالى وقوله الحق ودعوته وحده هي الحق ولا يقول و لا يفعل إلا الحق، فالحق هو الصدق في الأخبار والعدل في الأحكام كما قال الله عز وجل **{ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ }** ولا يُفهم من قوله **{ قَالُوا الْحَقَّ }** أنه قد يكون باطلا بل هو بيان للواقع.

فإن قيل: مادام بيانا للواقع ومعروفا عند الملائكة أنه لا يقول إلا الحق فلماذا الاستفهام ؟

أجيب عن هذا: أن هذا من باب الثناء على الله بما قال وأنه سبحانه لا يقول إلا الحق وهذا كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

وقوله **{ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }** ذكر الشارح رحمه الله تفسير اسم الله 'العلي' فهو له تبارك وتعالى علو القدر وعلو الشرف وعلو القهر علو الذات فله العلو الكامل من جميع الوجوه.

- فأما **علو الشرف وعلو القدر وعلو القهر**: فإن هذا لا يُنكره أحد ممن ينتسب إلى الاسلام.
- **وأما علو الذات وأنه تبارك وتعالى بذاته مستوٍ على عرشه** فهذا أنكره كثير من أهل البدع الذين يزعمون بأن الله عز وجل في كل مكان تعالى الله عز وجل عن ذلك علو كبيرا. وإنما الذي عليه أهل السنة و الجماعة هو أن الله عز وجل مستوٍ على عرشه و أنه بائن من خلقه تبارك وتعالى وقد دلّت على ذلك أدلّة كثيرة من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبي ﷺ تُؤكد ثبوت هذه الصفة وهي صفة العلو له جل و علا.

ثم بين معنى اسم الله عز وجل " الكبير" وهو الذي لا أكبر منه ولا أعظم منه تبارك وتعالى.

ثم بين الشارح مناسبة الباب في كتاب التوحيد، قال **" أراد المصنف - يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - في هذه الترجمة بيان حال الملائكة الذي هم أقوى و أعظم من عُبِد من دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله وهذه هيبتهم وخوفهم منه وخشيتهم له فكيف يدعون من دون الله. فإذا كانوا مع ما هم عليه من جلالة القدر لا يجوز أن يدعوا من غير الله فغيرهم مِمن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام أولى أن لا يُدعى ولا يُعبد من دون الله."**

هذه الآية فيها بيان حال الملائكة عند تكلم الرب تبارك وتعالى وهيبتهم له عز و جل وخوفهم منه تبارك وتعالى وخشيتهم فكيف يُدعون من دون الله عز و جل.

فالمنفرد بالعظمة و الجلال والكبرياء هو الرب تبارك وتعالى فيجب أن يكون منفردا كذلك في العبادة وأن يُعتقد أن الملائكة عباد من عباد الله عز و جل مسخرون و مربوبون وليس لهم من الأمر شيء.

وأنت إذا تأملت هذا الباب مع الباب السابق وجدت أن الشيخ رحمه الله من دقة فهمه يريد أن يبين أن كل معبود من دون الله عز وجل هو ضعيف مهما بلغت خلقته فهو محتاج الى الرب عز وجل فهو مربوب مخلوق ليس له من الأمر شيء، لا يخلق ولا يرزق و لا يحيي ولا يميت، وفي الجانب الآخر فإن الذي له معاني الربوبية من الخلق و الإحياء و الإماتة و الرزق و نحو ذلك إنما هو الله عز و جل؛ فليفرد بالعبادة وليكفر بكل ما عبد من دونه جل و علا.

ثم قال الشارح رحمه الله **" قال المصنف -يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب- ((وفيها من الحجة على ابطال الشرك خصوصا من تعلق على الصالحين وهي الآية التي قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب)) "**

ووجه الحجة على إبطال الحجة بالصالحين هو أنه إذا كان هذا الأمر في الملائكة الكرام فما بالك بمن هم دونهم فلا شك أنهم محتاجون إلى ربهم عز وجل خائفون منه متذللون له جل و علا.

قال **" وهي الآية التي قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب." انتهى.**

ويقصد بهذا القطع ما ذكره الله عز و جل من سياق هذه الآية التي قطع الله عز وجل فيها كل حجة للمشركين. فيقول الله عز و جل قبل هذه الآية **{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }.**

فهذه الآيات تقطع عن عروق الشرك بأمور أربعة:

- **الأمر الأول** أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله عز و جل، والذي لا يملك مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض لا ينفع و لا يضر فالله تعالى هو الذي يملكهم ويدبرهم و يتصرف فيهم وحده. وأُخذ هذا فالأمر الأول من قول الله عز وجل **{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ }.**
- **والثاني** هو قوله عز وجل **{ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ}** أي شرك في السماوات و الأرض أي ومالهم شرك مثقال ذرة من السموات والارض. فنفى عنهم الشراكة مطلقا.
- **والثالث** قوله **{ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ }** و الظهير هو المعين؛ فليس لله معين من خلقه بل هو من يعينهم على ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم لكمال غناه عنهم وضرورتهم إلى ربهم فيما قل و كثر من أمور دنياهم و أخراهم، وهذا لكمال غناه عز و جل تبارك و تعالى فلا يكون له ظهير و لا معين.
- **الرابع** قوله عز و جل **{ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ}** فلا يشفع عنده أحد إلا إذا أذن له كما قال تعالى **{مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ}** و أخبر تعالى أن من اتخذ شفيعا من دونه حَرُمَ من شفاعة الشفعاء، قال تعالى **{ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }.**

ولذلك كانت هذه الأمور الأربعة المذكورة في الآية قد قطعت عروق شجرة الشرك من القلب ومعنى ذلك أنه بَطُل كل حجة يعتمد عليها المشركون في قديم الزمان أو في حديثه.

قال **" وفيها إثبات صفة القول لله تعالى وأنه قال و يقول "**

و أُخِذ هذا من قول الملائكة ماذا قال ربكم فيقولون قالوا: الحق. وهذا فيه إثبات صفة الكلام لله تبارك و تعالى على الوجه اللائق به تبارك و تعالى.

ثم أورد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير هذه الآية، قال **" في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَانا لقوله - أو خُضْعانا لقوله - كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك { حتى إذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلي الكبير} فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه فحرفها و بدّد بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يُلقيها على لسان ساحر أو الكاهن. فربما**

أدركه الشهاب قبل أن يلقيها و ربما ألقاها قبل أن يُدركه فيكذب معها مئة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا و كذا

فيصدق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء."

قال **" في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء)"**

قال الشارح **" أي إذا تكلم الله بالأمر الذي شاء كونه، وذلك بوحيه إلى جبريل به، كما صرح به في الحديث الآتي، وكما روى أبو داود وغيره من حديث ابن مسعود: " إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماوات.. إلخ "**

فقوله **" إذا قضى الله الأمر في السموات "** يعني بكلامه ووحيه إلى جبريل عليه السلام، ثم ذكر رواية أخرى عند أبي داود **" إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات "**، وقوله **" في السماء "** في هذه الرواية دليل على صفة العلو لله تبارك وتعالى، ودليل على صفة الكلام له جل وعلا، وهذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة و الجماعة على الجهمية والاشاعرة والكلابية وغيرهم من أهل البدع ممن ألحد بالتعطيل في أسماء الله عز وجل وصفاته.

قال **" ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَانًا لقوله - أو خُضْعَانًا لقوله - "**

قال الشارح **" أي لقول الله تعالى، وذلك أن الله إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أرعدوا وخافوا وفزعوا، هيبة وخضعانا لقوله تبارك وتعالى، مع أنهم عباد مكرمون، أعطاهم الله من القوة والعظمة ما لا يعلمه إلا هو تعالى، ومع ذلك يعتريهم هذا الخوف والاضطراب، فعبادتهم من دون الله باطلة، وإذا كان هذا الحال معهم، فبطلان عبادة غيرهم بطريق الأولى،**

و (خَضَعَانا) بفتحتين، من الخضوع وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه بمعنى خاضعين. "

فإذا تكلم الله عز وجل بالوحي في السماء فإن الملائكة تضرب بأجنحتها خُضْعانا أو خَضَعانا لقوله تبارك وتعالى، وهذا فيه هيبة الملائكة وخوفهم من الرب تبارك وتعالى مع قربهم من الله تبارك وتعالى وكونهم عباد مكرمون أعطاهم الله عز وجل قوة وعظمة ما لا يعلم ذلك الا الله عز وجل ومع ذلك يحصل لهم هذا الأمر، فالشاهد من هذا بيان بطلان عبادتهم من دون الله عز وجل بذكر هذا الحال التي هم عليها، فإذا بطلت عبادتهم فغيرهم من باب أولى، وقد تقدم هذا مرارا.

وقوله **(خَضَعانا)** بفتحتين من الخضوع، فيكون مصدرا، أو يكون **(خُضْعانا)** بضم أوله وسكون ثانيه بمعنى خاضعين؛ فالحال التي هم عليها أنهم خاضعين لقول الله تبارك وتعالى.

وفي هذا دلالة صريحة على إثبات صفة الكلام لله عز وجل وأنه بصوت، فهو دليل لمذهب أهل السنة والجماعة على أن كلام الله عز وجل إنما يكون بصوت، لا كما يزعمه أهل البدع بأن كلام الله عز وجل إنما هو كلام نفسي.

ويدل على هذا قوله ﷺ **" ينفذهم "** أي ان ذلك ينفذ جميع الملائكة أي يسمعونه كلهم.

قال **" كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك "**

قال الشارح - عند كلمة ينفذهم – **" بفتح الياء وسكون النون وضم الفاء والذال، أي كأن صوت الرب المسموع سلسلة على صفوان، وهو الحجر الأملس، ينفذهم ذلك، أي يخلص ذلك القول ويمضي في قلوب الملائكة حتى يفزعوا منه،**

وعند أبي داود وغيره: " إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة كجر السلسلة على الصفاء، فيصعقون فلا يزالون كذلك، حتى يأتيهم جبرائيل "

فهذا الصوت من الله تبارك وتعالى يبلغ من الملائكة كل مبلغ حتى إنهم يفزعون كما تقدم في الآية السابقة.

وقوله **" كأنه سلسلة على صفوان "** أي كأن صوت الرب تبارك وتعالى المسموع سلسلة على صفوان؛ والصفوان هو الحجر الأملس، ومعنى ذلك أن السلسلة إذا وضعت على ذلك الصفوان وجُرت فإن هذا الصوت يكون عظيما جدا، وليس المراد تشبيه صوت الله تعالى بهذا، فإن الله عز وجل

لأن الله عز وجل **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** بل المراد تشبيه ما يحصل لهم من الفزع عندما يسمعون هذه السلسلة على الصفوان.

ونظير هذا ما أخبر عنه النبي ﷺ من تشبيه الرؤية بالرؤية في قوله عليه الصلاة والسلام " إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر؛ ليس بينكم وبينها سحاب " فالتشبيه هنا إنما هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي.

فالملائكة تسمع صوتاً لكنها لا تعيه؛ ويحصل لها عندئذٍ الفزع العظيم؛ وبهذا يتبين أن قوله ﷺ " كأنه سلسلة على صفوان " إنما هو تشبيه السماع بالسماع.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله **" وهذا تشبيه للسماع بالسماع لا للمسموع بالمسموع تعالى الله أن يشبهه في ذاته أو صفاته شيء من خلقه، وتنزّه النبي ﷺ أن يُحمل شيء من كلامه على التشبيه وهو أعلم الخلق بالله عز وجل. "** انتهى كلامه.

ثم قال **{ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}**

قال الشارح **" أي حتى إذا أزيل عنها الخوف والغشي، قالت الملائكة بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال الله الحق، علموا أن الله لا يقول إلا الحق، فهو سبحانه الحق، وقوله الحق،**

(وهو العلي الكبير) الذي لا أعظم منه، ولا أكبر منه تبارك وتعالى."

فقول الملائكة **{ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ }** ثم قولهم قال **{ الْحَقَّ ۖ }** قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله **" يُحتمل أن يكونوا قد علموا ما قال وقالوا: إنه الحق؛ فيكون هذا عائداً إلى الوحي الذي تكلم الله به.**

ويحتمل أنهم قالوا ذلك لعلمهم أن الله سبحانه لا يقول إلا الحق؛ فلذلك قالوا هذا لأن ذلك صفته سبحانه و تعالى. "

قال **" فيسمعها مسترق السمع "**

قال الشارح **" أي يسمع مسترق السمع الكلمة التي قضاها الله، وسمعتها الملائكة وتحدثوا بها، ومسترق السمع هو من الشياطين، فإنهم يركب بعضهم بعضا حتى يصلوا إلى حيث يسمعون تحدث الملائكة بالأمر يقضيه الله.**

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة: " إن الملائكة تنزل في العنان، وهو السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم ".

وسماعهم من الذين في العنان لا ينفي سماعهم من الذين في السماء."

ومعنى ذلك أن الله عز وجل إذا تكلم بالكلام عز وجل والملائكة سمعت ما قال قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الحق، فإن الشياطين يسرقون السمع ويؤدون هذا إلى من بعدهم؛ فإنهم يركب بعضهم بعضا، حتى يصلوا إلى حيث يسمعون تحدث الملائكة بالأمر يقضيه الله عز وجل.

ومسترق السمع كما بين الشارح هم الشياطين؛ وهم الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله **{ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ }**

وقوله: يسترق؛ فيها دليل على أنه يبادر؛ فكأنه يختلسها اختلاسا.

وهؤلاء مسترقو السمع إما أن يأخذوا هذا الكلام من عند العنان؛ وهو السحاب دون السماء، أو من عند السماء، ولذلك ذكر هذه الرواية عن عائشة رضي الله عنها وقال بعدها **" وسماعهم من الذين في العنان لا ينفي سماعهم من الذين في السماء. "**

وذهب بعض أهل العلم إلى أن ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها أنهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين في السماء الدنيا وإنما يسمعون كلام الملائكة الذين في السحاب؛ وذكر هذا الشيخ سليمان ابن عبد الله في شرحه على كتاب التوحيد.

قال **" ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه "**

قال الشارح **" أي وصف ركوب الشياطين بعضهم فوق بعض بما يأتي، وسفيان هو ابن عيينة بن أبي عمران ميمون، الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ حجة، من كبار الأئمة، روى عن عبد الملك بن عمير والسبيعي وخلق، وعنه الأعمش وشعبة وجماعة، مات سنة 198 هـ، وله 91 "**

والمقصود من ذلك أن سفيان ابن عيينة رحمه الله بيّن كيف يسترق هؤلاء السمع وكيف يكون بعضهم فوق بعض بأن وضع كفّه.

قال **" فحرفها وبدد بين أصابعه "**

قال الشارح **" حرفها، بحاء مهملة وراء مشددة: ميلها، و (بدد) أي فرق وباعد بين أصابعه من غير مماسة بعضها لبعض، ولا لصوق بعضها لبعض. "**

والمعنى أن الجن يتراكبون واحداً فوق الآخر إلى ان يصلوا إلى السماء أو السحاب فيقعدون لكل واحد مقعد خاص كما قال عز وجل **{ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا }**

قال **" فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن "**

قال الشارح **" أي يسمع المسترق وهو الشيطان الفوقاني الكلمة التي سمعت من السماء، فيلقيها إلى الشيطان الذي تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، ثم الآخر إلى من تحته، وهكذا حتى يلقيها آخرهم على لسان الساحر، أو على لسان الكاهن، وحينئذ يقع الرجم. "**

والمقصود بالرجم هو الكلام بالظنّ عن الغيب.

قال **" فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه "**

قال الشارح **" أي الشهاب، وهو النجم الذي يرمى به، أي ربما أدرك الشهاب المسترق لتلك الكلمة التي سمعت من السماء، قبل إلقائها فأحرقه، وربما ألقى الكلمة قبل أن يدركه، لما لله في ذلك من الحكمة، وإلا فلا يفوته سبحانه شيء،**

والحديث يدل على أنه كان يرمى قبل البعثة، كما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن ابن عباس: " كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه، فرمي بنجم عظيم فاستنار، قال: "ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ " قالوا: كنا نقول: لعله يولد عظيم أو يموت عظيم، قال: " فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماءً، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، ويخطف الجن السمع فيُرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يزيدون فيه ويقرفون وينقصون "

والمعنى من هذا أن هؤلاء الشياطين عندما يسترقون هذه الكلمة فإن الشهاب قد يحصلهم قبل أن يلقوا هذه الكلمة إلى الساحر أو الكاهن وقد يقول هذه الكلمة للكاهن والساحر قبل أن يدركه ذلك الشهاب.

وذكر الشارح رحمه الله أن لله عز وجل الحكمة في ذلك، وإلا فإنه لا يفوته شيء جل وعلا، والله عز وجل قادر على أن يحرق هذا الشيطان قبل أن يصل الخبر إلى الكاهن أو الساحر.

قال **" فيكذب معها مائة كذبة "**

قال الشارح **" بفتح فسكون، أي يكذب الساحر أو الكاهن مع تلك الكلمة التي ألقاها إليه وليه من الشياطين مائة كذبة، ويزيد وينقص، أو يكذب الشيطان مع الكلمة التي استرقها مائة كذبة، ويخبر بالجميع وليه من الإنس فما جاؤوا به على وجهه فهو صدق، وما خلط فيه فهو كذب، ومع هذا يفتتن الإنس بذلك، ويقبلون ما جاؤوا به مع كثرة الكذب. "**

فهنا حقّ خُلِط بباطل، فالحق؛ الذي أخذوه من السماء واستمعوا إليه من الملائكة هذا حق لا مرية فيه، ولكنهم يكذبون معه مائة كذبة، فهم يزيدون وينقصون.

ويحتمل أن يكون الذي يكذب هو الشيطان، ويحتمل أن يكون الذي يكذب هو الساحر أو الكاهن.

ووجه الافتتان من الإنس بهذا الكلام الذي جاء به الشياطين وألقاه عليهم السحرة والكهان هو وجود نوع ن الحق في هذا الكلام، ولكنهم يغفلون عن الكذب الذي معه، وليس هو كذب قليل وإنما هو كذب كثير.

ويأتي في با بالكهان ما يتعلق بما ذكره أهل العلم من كون السحرة والكهان قد يصدقون أحيانا فيما يقولون، وأن من أسباب ذلك هو هذا الحق الذي جاءوا به وخلطوا معه هذا الكم الكبير من الكذب.

قال " **فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟** "

قال الشارح " **احتجاج من أهل الباطل لباطله، قال الشارح: ((وهكذا في نسخة بخط المصنف، كما في صحيح البخاري سواء)) .** "

والمقصد من قوله " **أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟** " هو بيان لما تقدم من كون الساحر او الكاهن قد يصدق أحيانا ويفتتن الناس به، فيقول الناس " **أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟** " والمقصد أن هذا الساحر والكاهن قد قال لنا شيئا قد رأينا وقوعه.

وقوله " **قال الشارح** " يقصد الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه فتح المجيد؛ **((وهكذا في نسخة بخط المصنف، كما في صحيح البخاري سواء))**

وهنا تنبيه؛ وقعت نسخة عند الشيخ عبد الرحمن ابن حسن وهي أن اطلع على كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عند نقله لهذا الحديث؛ وهو قوله " **أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟** " كما هو موجود بين أيديكم. لكن الشيخ سليمان ابن عبد الله رحمه الله في كتابه التيسير ذكر أن المصنف قال عند نقله " **أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا** " " **وبيض المصنف هذا الموضع** " يعني ترك قوله " كذا وكذا " ولعل الاختلاف بين الشيخ عبد الرحمن ابن حسن وبين الشيخ سليمان ابن عبد الله بسبب اختلاف نسختيهما في ذلك، فالشيخ عبد الرحمن ابن حسن اطلع على نسخة فيها تتمة هذا الحديث كما في البخاري وكما بين أيديكم، والشيخ سليمان بن عبد الله اطلع على نسخة أخرى فيها أن الشيخ نقل حديث " **أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا**"

قال " **فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء** "

قال الشارح " **الباء سببية، أي يصدق الساحر أو الكاهن أولياؤه من الإنس، بسبب تلك الكلمة، ويروج معها مائة كذبة. وفي الصحيح عن عائشة: " قلت: يا رسول الله إن الكهان كانوا يتحدثون بالشيء فنجده حقا، قال: تلك الكلمة الحق يخطفها الجني، فيقذفها في أذن وليه، ويزيد فيها مائة كذبة ".**

قال المصنف: ((وفيه قبول النفوس للباطل، يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة)) اهـ.

وفيه أن الشيء إذا كان فيه نوع من الحق، فلا يدل على أنه حق كله، فكثيرا ما يلبس أهل الضلال الحق بالباطل، ليكون أقبل لباطلهم، وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها إثبات علو الله على

خلقه، على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه لم يزل متكلما إذا شاء يسمعه الملائكة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة. "

فقوله " فيُصَدَّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء " وبين الشارح معنى ذلك كما تقدم معنا، وهو ان الناس يصدقون هذا الكاهن أو الساحر بسبب تلك الكلمة التي هي حق ولا ينظرون إلى الباطل الذي معه.

وتأمل في كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي نقله الشارح؛ قال **((وفيه قبول النفوس للباطل، يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة))**

وذكر الشيخ عدة فوائد من ذلك، منها **" أن الشيء إذا كان فيه نوع من الحق، فلا يدل على أنه حق كله، فكثيرا ما يلبس أهل الضلال الحق بالباطل، ليكون أقبل لباطلهم "** وذلك لأن الباطل إذا جاء تاما في بطلانه فإن هذا الكل يعرفه، وأما إذا كان فيه نوع حقٍّ فإن هذا هو التلبيس الذي يلبّسه أهل الضلال على أهل الحق.

ثم ذكر ما تقدم معنا وهو إثبات صفة العلو لله تبارك وتعالى وصفة الكلام لله جل وعلا وأنه بصوت حيث سمعته الملائكة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

ثم أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى حديثا بمعنى هذا الحديث، قال **" وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة، أو قال: رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبرئيل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟ فيقول جبرائيل: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل فينتهي جبرئيل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل ""**

فهذا الحديث الذي ذكره الشيخ رحمه الله وهو حديث النواس بن سمعان قال **" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي"**

قال الشارح **" هذا في جميع الأمور التي يقضيها الرب تبارك وتعالى، كما يدل عليه حديث أبي هريرة،**

والإرادة صفة من صفات الله عز وجل وهي نوعان: إرادة شرعية دينية، مستلزمة لمحبة الله ورضاه. وإرادة قدرية كونية عامة شاملة، وهو سبحانه يريد الخير ويأمر به، وينهى عن الشر ولا يأمر به، وإن كان مريدا له، فكل الأشياء كائنة بمشيئته وقدرته وخلقه، وفيه النص على أن الله يتكلم بالوحي متى شاء، قال المصنف: ((وفيه إثبات الصفات خلافا للأشعرية)) ".

فبين الشارح هنا أن الكلام الذي يتكلم الله عز وجل به إنما هو في جميع الأمور التي يقضيها الرب تبارك وتعالى لعموم اللفظ.

وبين أن قوله **" إذا أراد "** أن فيه إثبات صفة الإرادة لله عز وجل، وبين أن <u>الإرادة منقسمة إلى قسمين:</u>

- **إرادة شرعية دينية.**
- **وإرادة كونية قدرية.**

فأما **الإرادة الشرعية الدينية** فيقصد بها إرادة الرب تبارك وتعالى، فإن الله عز وجل أراد من العباد أن يؤدوا العبادات؛ كما قال عز وجل **{ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ }** فهنا أراد الله عز وجل من الناس أن يؤدوا هذه الصلاة؛ فهي إرادة شرعية.

وهذه الإرادة الشرعية مستلزمة لمحبة الله عز وجل ورضاه، بمعنى أن الله عز وجل لا يريد شيئا شرعا إلا وهو يحبه ويرضاه تبارك وتعالى.

وأما من حيث الوقوع فإن هذه الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع. كيف ذلك ؟

إذا قال الله عز وجل **{ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ }** هناك من الناس من يؤدي الصلاة، وهناك من الناس من لا يؤدي الصلاة ولذلك كانت الإرادة الشرعية مستلزمة للمحبة لكنها لا تقتضي الوقوع لأنها قد تقع وقد لا تقع.

بخلاف **الإرادة الكونية القدرية** فإن هذه الإرادة؛ وهي النوع الثاني؛ الإرادة الكونية القدرية، فإنها لا بد أن تقع؛ الإرادة الكونية لا بد أن تقع، لكن: هل تستلزم المحبة ؟

لا، لا تستلزم المحبة، ومثال ذلك وقوع الزلازل؛ فإنها من قبيل الإرادة الكونية القدرية، وحصول الكفر من الكافر هي من قبيل الإرادة الكونية القدرية، وكذلك سائر المعاصي فإنها داخلة في هذه الإرادة الكونية.

وتجتمع الإرادة الشرعية مع الإرادة القدرية في نحو طاعة المطيع؛ إذا صلى المصلي فإنه هنا توجهت الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؛ اجتمعتا فيه؛ فعندما صلى قد أراد الله عز وجل منه كوناً أن يأتي بهذه الصلاة، وقد أمر الله عز وجل بهذه الصلاة فكانت إرادة شرعية وإرادة كونية.

وبين أن **كل الأشياء كائنة بمشيئته عز وجل وقدرته وخلقه.**

قال " **وفيه النص على أن الله يتكلم بالوحي متى شاء، قال المصنف: ((وفيه إثبات الصفات خلافا للأشعرية)) ."** يعني من نحو إثبات صفة العلو وإثبات صفة الكلام لله جل وعلا، فإن الأشاعرة ينفون ذلك ويزعمون بأن الله عز وجل ليس مستويا على عرشه، ويزعمون كذلك بأن اله عز وجل لا يتكلم على الحقيقة وإنما كلامه كلام نفسي وليس بحرف وصوت؛ على خلاف قول أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة والجماعة يثبتون علوّ الله عز وجل على خلقه ويثبتون أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت.

قال بعد ذلك " **أخذت السماوات منه رجفة** "

" (السماوات) مفعول مقدم، والفاعل رجفة، أي أصاب السماوات من كلام الله رجفة، وأصل الرجفة الحركة والاضطراب، أي تحركت واضطربت، وهو صريح في أنها تسمع كلام الله تعالى، كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: " إذا قضى الله أمرا تكلم تبارك وتعالى، رجفت السماوات والأرض والجبال، وخرت الملائكة سجدا "."

فهذا فيه أن عند كلام الله عز وجل بالوحي فإن السماوات تخاف، وترتجف خوفا وفرقا منه جل وعلا.

قال " **أو قال: رعدة شديدة** "

قال " **شك من الراوي هل قال النبي ﷺ رجفة، أو قال: رعدة شديدة، وهما متقاربان أو متحدان في المعنى، أي رجفة واضطراب خوفا من الله، وهذا من شدة حرص السلف على ألفاظ الحديث، وإن كانت تجوز روايته بالمعنى بشروطها المعروفة.** "

ثم تأمل كيف كانت هذه السماوات قد خافت وفرقت من الله عز وجل ورجفت أو رعدت رعدة شديدة خوفا منه وفرقا منه جل وعلا. وهذا كحال الملائكة الذين يسمعون كلام الله عز وجل فيصعقوا كما تقدم معنا.

وفي هذا دلالة بينة على عظم الرب تبارك وتعالى وعلى جلاله عز وجل.

قال " **فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا** "

قال الشارح " **هذا ظاهر في أن السماوات لها معرفة وإحساس، تخاف من الله بما جعل فيها من الإحساس والمعرفة بمن خلقها، وقد أخبر الله أن هذه المخلوقات العظيمة تسبحه وتقدسه، كقوله: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}.**

وثبت سماع تسبيح الطعام وهو يؤكل، والحصى والجذع، وهذه المخلوقات تسبح الله وتخشاه حقيقة، ولا يقال بلسان الحال. "

ومعنى هذا قطع الطريق على أهل المجاز، الذين يقولون بأن هذا الحديث ونحوه إنما هو مجاز، فأراد الشيخ رحمه الله أن يبين أن هذا الأمر على حقيقته، وأن هذه الأمور التي رويت عن النبي ﷺ يجب علينا التسليم بها والأخذ بها. وهي من الأمور التي لا يدركها العقل، فالواجب على العقل هو التسليم والإذعان والإيمان.

وضرب الشيخ مثلا لذلك بتسبيح السماوات والأرض ومن فيهن وأنه ما من شيء إلا يسبح بحمده ولكننا لا نفقه هذا التسبيح.

قال " **فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا** "

" **أي يقع منهم الأمران الصعوق، - وهو هنا الغشي- ويقع منهم السجود، والله أعلم أيهما قبل الآخر،**

وفيه إثبات عظمة الله تعالى، وعلو ذاته وقدرته وقهره، فإذا كانت السماوات على عظمتها وسعتها وما فيها من السكان ترجف ويصعق من فيها، هيبة لله وخوفا منه، فالالتجاء إلى غيره، والتعلق عليه من أبطل الباطل وأمحل المحال؛ إذ هو سبحانه بيده أزمة الأمور، وكل من سواه مخلوق مربوب لا يملك نفعا ولا ضرا، وفي الحديث: " أن الأمة لو اجتمعوا أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك " "

ففي هذا الموضع يشير الشارح رحمه الله إلى وجه إيراد الشيخ رحمه الله لهذه الرواية في هذا الباب؛ وهو هيبة السماوات وسكانها وخوفهم من الله عز وجل، فإذا كان هذا الأمر في تلك المخلوقات العظيمة فإن التعلق بكل مخلوق دونهم لا يجوز وهو شرك بالله تبارك وتعالى؛ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يملك نصرا ولا يملك خلق ولا غير ذلك من المعاني التي لا تكون إلا لله جل وعلا.

وقد ذكر الله عز وجل في عدد من الآيات حال الملائكة؛ منها قوله تبارك وتعالى – لها وللأرض – **{ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }** وكذلك قوله **{ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا }** إلى غير ذلك من النصوص..

قال " **فيكون أول من يرفع رأسه جبريل** "

قال الشارح " **بفتح "أول" خبر "يكون"، مقدم على اسمها، ويجوز العكس،**

وإنما كان أول من يرفع رأسه جبرائيل؛ لأنه سفير الله وبين رسله وأمينه على وحيه.

واسم جبرائيل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وإسرافيل عبد الرحمن، وكل شيء يرجع إلى إيل فهو معبد لله، قاله علي بن الحسين وغيره.

وفيه فضيلة جبرائيل، وقد وصفه الله بقوله: (إنه لقول) أي تبليغ: {رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}. ورآه رسول الله ﷺ في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق،

فإذا كان هذا عظم أحد المخلوقات فخالقها أعظم وأجل وأكبر، بل السماوات والأرض ومن فيهن في كف الرحمن جل وعلا كخردلة في يد أحدنا، فكيف يسوى به غيره في العبادة؟ "

وهنا يذكر الشارح سبب كون جبريل عليه السلام هو أول من يرفع رأسه مع انه قد صعق مع الملائكة، وذكر سبب ذلك وهو أنه سفير الله عز وجل بينه وبين رسله.

قال " **فيكلمه الله من وحيه بما أراد** "

قال الشارح " **فيه التصريح بأن الله يوحي إلى جبريل بما أراده من أمره كما تقدم.** "

وقوله " **بما أراد** " يعني بما شاء؛ لأن الله عز وجل يتكلم بمشيئته.

قال " **ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير** "

قال الشارح " **فيه إثبات علو الله تعالى وتقدس، وأنه قال ويقول، خلافا للجهمية.** "

وهذا تقدم مرارا والمصنف رحمه الله قد نبه على ذلك والشارح كذلك نبّه على هذا مرارا، وذلك لشدة المخالفة في هذا الباب.

قال " **فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل** "

" **أي يقولون: قال الحق، وهو العلي الكبير، تبارك وتعالى.** "

وقد تقدم بيان هذا وأنه يحتمل أنه قال الحق في هذه القضية المعينة أو قال الحق لأن من عادته سبحانه ألا يقول إلا الحق. وقد أفاد هذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

قال " **فينتهي جبرئيل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل** "

قال الشارح " **من السماء والأرض، فالآية المذكورة والأحاديث تقرر أن الملك العظيم الذي تصعق الأملاك من كلامه، خوفا منه ومهابة، ولا يعلمون إلا ما علمهم به، وترجف منه المخلوقات، لا يجوز شرعا ولا عقلا أن يجعل له شريك من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم، وهم بهذه المثابة من هيبته وخشيته.**

وقصد المصنف الرد على المشركين عبدة الأوثان وغيرهم، فإنه إذا كان هذا حال الملائكة عند مجرد سماع كلام الله، مع ما أعطاهم الله من شدة القوة، وعظم الخلقة التي لا يعلمها إلا الله، علم أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، لعجزهم عن النفع والضر، فكيف بمن هو دونهم بمراتب؟

ولكن أهل الشرك لا يفقهون،

ثم هو سبحانه قد أرسل الرسل، وأنزل الكتب، تزجرهم عن ذلك الشرك، وأقام البراهين على بطلانه. "

وهذا الكلام العظيم من الشارح رحمه الله فيه بيان مقصد الشيخ رخمه الله من إيراد هذه النصوص العظيمة في هذا الباب وأن هذه المخلوقات مربوبة ومخلوقة، وأنها محتاجة إلى ربها تبارك وتعالى، وأن المشرك الذي أشرك مع الله عز وجل غيره فإنه يكون غير مقدر له حق قدره جل وعلا.

فكل من عبد غير الله عز وجل من الملائكة والأنبياء والصالحين وأصحاب القبور والأصنام والأحجار والأوثان ونحو ذلك فإنه يعبد من لا يستحق العبادة.

وإذا كان هذا هو حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم ممن عبد من دون الله عز وجل، وشدة خشيتهم من الله عز وجل وهيبتهم له مع ما أعطاهم الله من القوة العظيمة التي لا يعلمها إلا الله؛ ومع هذا فقد نفى عنهم الشفاعة بغير إذنه كما قال جل وعلا **{ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ }** وأخبر انهم لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله؛ فقال **{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا }**

وإذا بطلت دعوتهم مع أنهم أحياء ناطقون مقربون عند الله فدعاء غيرهم من الأموات الذين لا يستطيعون سمعا ولا يملكون ضرا ولا نفعا أولى بالبطلان **{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }** وقال عز وجل **{ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ }**

وعند هذا نقف في شرح هذا الباب.

أسأل الله عز وجل لي ولكم التوفيق والسداد.

والله اعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الخامسة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

حياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء الخامس عشر والذي نتناول فيه مقرر توحيد الألوهية بدراسة كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وبحاشية الشيخ عبد الرحمان ابن قاسم رحمه الله.

والباب الذي معنا اليوم أيها الإخوة هو:

باب الشفاعة

ومسألة الشفاعة من المسائل المهمة التي قُررت في كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ ، وقد كثر المخالفون لأهل السنة والجماعة في هذا الباب وحصل الشرك بطلب الشفاعة من المعبودات من دون الله تبارك وتعالى.

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الباب ما يتعلق بالشفاعة وأن الشفاعة إنما هي لله تبارك وتعالى وأنها إنما تطلب من الله جل وعلا، وأن الشفاعة لها شروط، وأن المعبودات من دون الله تبارك وتعالى لا تملك هذه الشفاعة، وغير ذلك...

وعلى كل فعلى طالب العلم أن يضبط هذا الباب، وأن يدرس النصوص الواردة في الشفاعة وفق عقيدة أهل السنة والجماعة.

<u>والشفاعة في اللغة</u>: ضد الوتر؛ تقول كان: فردا فشفعته. وشفع فلان لفلان: إذا جاء ثانيه ملتمسا مطلبه ومُعينا له. كما تطلق الشفاعة على الطلب وعلى الزيادة.

<u>وأما في الشرع</u>: فعرفت بعدة تعريفات؛ من أشهر هذه التعريفات ما ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بقوله عن الشفاعة قال **" هي التوسط للغير بجلب منفعة او دفع مضرة "**؛ فالمتوسط لغيره إما ان يطلب الخير له والنفع له أو أن يريد دفع المضرة عنه.

وإنما سميت شفاعة وذلك لأنك توسطت له فصرت معه شفعا تشفّعه.

<u>وحقيقة الشفاعة</u> أن الله جلا وعلا هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ وذلك ليكرمه.

قال الشارح رحمه الله في باب الشفاعة " **أي بيان الشفاعة وإيضاحها، وبيان حكمها وحقيقتها، وبيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه، ولما كان المشركون في قديم الدهر وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم بأذيال الشفاعة، كما أخبر الله عنهم، حتى إنه ﷺ لما ألقى الشيطان في تلاوته " وإن شفاعتهن لترتجى " رضي المشركون عنه، وسجدوا معه، ظنوا أنه ﷺ قاله، وأنه وافقهم على دينهم، من دعاء**

الملائكة والأصنام للشفاعة. أراد المصنف -رحمه الله- في هذا الباب إقامة الحجج على أن ذلك هو عين الشرك، وأن الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله أنه يشفع كما يشفع الوزير عند الملك، منفية دنيا وأخرى، وإنما الله الذي يأذن للشافع ابتداء، لا يشفع الشافع ابتداء كما يظنه أعداء الله. والشفاعة: مصدر من الشفع ضد الوتر، وشفع فيه أعانه. وفي النهاية: ((هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم)) اهـ.

وهي نوعان: شفاعة منفية، وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

ومثبتة، وهي التي تطلب من الله، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، ومقيدة بأمرين: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له.

والناس في الشفاعة ثلاث طوائف: طرفان ووسط، فطائفة أنكروها كاليهود والنصارى والخوارج المكفرين بالذنوب، وطائفة أثبتوها وغلوا في إثباتها، حتى جوزوا طلبها من الأولياء والصالحين، وأهل السنة والجماعة أثبتوا الشفاعة الشرعية، كما ذكر الله في كتابه، ولا تطلب إلا من الله، كأن تسأله تعالى أن يشفع فيك نبيك محمدا ﷺ، فإن الشفاعة محض فضل وإحسان."

في هذا الكلام من الشارح رحمه الله عدة مسائل:

- المسألة الأولى: *لماذا أورد الشيخ رحمه الله هذا الباب ؟ وما مقصوده منه ؟*
  - أما لماذا أورد هذا الباب؛ فإن المصنف رحمه الله كما ذكر الشارح، أراد فيه في هذا الباب إقامة الحجج على أن ذلك هو عين الشرك وأن الشفاعة التي يظنها من دعى غير الله أنه يشفع كما يشفع الوزير عند الملك منفية دنيا و أخرى. وإنما الله عز و جل الذي يأذن للشافع ابتداءً؛ لا يشفع الشافع ابتداءً كما يظنه أعداء الله.
  فهذا بيان لماذا أورد الشيخ رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد، وهو أنه أراد أن يبين الشفاعة المثبتة في كتاب الله عز وجل والشفاعة المنفية.
  ومقصوده فيه بيان الشفاعة و إيضاحها و بيان حكمها و حقيقتها و بيان ما أثبته القرآن منها و ما نفاه .
  - وبين الشارح رحمه الله أهمية دراسة هذا الباب وهو باب الشفاعة؛ وذلك لأن المشركين في قديم الدهر وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم بأديان الشفاعة كما أخبر الله عنهم، وقوله كما " أخبر الله تعالى عنهم " وذلك لقول المشركين كما أخبر الله عنهم **{ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ }** و كما في الآيات التي أوردها الشيخ رحمه الله في هذا الباب فإنها مُجلية لذلك.
- المسألة الثانية: هنا وهي *تعريف الشفاعة*.
  tقال الشارح **" والشفاعة: مصدر من الشفع ضد الوتر، وشفع فيه أعانه. وفي النهاية "**
  ويقصد بالنهاية كتاب النهاية في غريب الحديث و الأثر؛ والمؤلف هو ابن الأثير، وهو كتاب متخصص في بيان غريب الحديث النبوي.
  قال **((هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم)) اهـ.** فالشافع سائل لله تبارك و تعالى ويريد نفع المشفوع له و لذلك قال " في التجاوز عن الذنوب و الجرائم."
- المسألة الثالثة: في كلام الشيخ رحمه الله هي في *أنواع الشفاعة*
  فذكر الشارح رحمه الله نوعان للشفاعة: شفاعة مثبتة وشفاعة منفية.
  وتتبين الشفاعة المنفية إن علمنا بالشفاعة المثبتة.

- فالشفاعة المثبتة: قال الشارح فيها رحمه الله **" هي التي تطلب من الله تبارك و تعالى ولا تكون إلا لأهل التوحيد و مقيدة بأمرين:**
إذن الله للشافع أن يشفع
و رضاه عن المشفوع له."
إذن الشفاعة المثبتة متعلقة بوجود الشرطين؛ متى وُجد الشرطان كانت هذه الشفاعة شفاعة مثبتة شرعية:
- **الشرط الأول:** هو إذن الله عز و جل للشافع أن يشفع، فلا يمكن لأي شافع أن يبتدأ بالشفاعة إلا بعد إذن الله تبارك و تعالى.
- **والشرط الثاني:** هو رضاه جل و علا عن المشفوع له، ولا يرضى ربنا تبارك و تعالى عن المشركين؛ فتكون هذه الشفاعة لأهل التوحيد ولذلك قال **" وهي التي تطلب من الله ولا تكون إلا لأهل التوحيد "**

ومن أدلة هذين الشرطين قول الله تبارك و تعالى **{ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه }** فهنا ذكر الله عز و جل شرط الإذن للشافع عندما يريد أن يشفع
و قوله تبارك و تعالى **{ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له }** هذا فيه كذلك الإذن بالشفاعة
وقوله جل و علا **{ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى }** وهذا فيه الشرط الثاني وهو رضا الله جل و علا عن المشفوع له.
وقد جُمع هذا الشرطان في نحو قول الله جل و علا **{ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى }**
فتبين بهذا أن الشفاعة المثبتة هي التي تحقق فيها وجود هذين الشرطين.
- وبعد ذلك يتبين لنا ماهي الشفاعة المنفية وهي الشفاعة الثانية في نوعي الشفاعة التي أوردها الشيخ رحمه الله.

فالشفاعة المنفية هي التي لم تتوافر فيها شروط الشفاعة؛ فلا يكون فيها إذن الله عز وجل ولا يكون فيها رضا الله عز وجل عن المشفوع له؛ ولذلك قال الشارح رحمه الله **" وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله "** فهذه هي الشفاعة المنفية في كتاب الله عز وجل؛ يقصد بالمنفية يعني المنفية في كتاب الله عز و جل التي نفاها الله جل و علا.

- المسألة الرابعة معنا هي *موقف الطوائف أو موقف المخالفين من هذه الشفاعة.*

ذكر الشارح رحمه الله أن للناس في الشفاعة ثلاث طوائف: طرفان ووسط،
- **فطائفة أنكروها** كاليهود و النصارى و الخوارج المكفرين بالذنوب؛ فهذه الطائفة الأولى أنكروا هذه الشفاعة و لم يثبتوها.

أما الخوارج ومعهم كذلك المعتزلة فإنهم أنكروا هذه الشفاعة، **والمقصود بالشفاعة التي أنكروها هي الشفاعة في أهل الكبائر**؛ فإن موقف الخوارج و المعتزلة من أهل الكبائر هو أنهم أخرجوهم عن دائرة الاسلام،
فأما الخوارج فإنهم صرحوا بكفره فقالوا أن مرتكب الكبيرة كافر خارج عن دائرة الاسلام
وأما المعتزلة فإنهم قالوا أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين؛ ويقصدون بالمنزلتين منزلة الإيمان و منزلة الكفر؛ فهو خرج عن دائرة الإيمان لكنه لم يدخل في دائرة الكفر وإنما بقي في منزلة بينهما، و لذلك كان قولهم في أهل الكبائر أنهم في منزلة بين المنزلتين؛ هذا في الاسم في الدنيا و أما في الحكم الأخروي فإن الخوارج والمعتزلة اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة خالد مُخلد في نار جهنم.

- و أما الطائفة الثانية قال الشيخ " **وطائفة أثبتوها وغلوا في إثباتها حتى جوّزوا طلبها من الأولياء و الصالحين** " فهذه الطائفة أثبتت الشفاعة ولكنهم غلوا في إثباتها فصرفوا العبادة لغير الله تبارك و تعالى و دعوا غير الله جل وعلا فطلبوها من الأولياء والصالحين.
و طلب الشفاعة من الأموات شرك أكبر لأن الله عز وجل يقول { **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** }،وللنصوص الواردة في ذكر الشفاعة المثبتة و الأدلة التي دلت عليها فإن فيها إذن الله عز و جل للشافع أن يشفع و رضاه عن المشفوع له. فهذا الأمر في حق الأموات.
- وأما في حق الأحياء فإنه يجوز طلب الشفاعة من الحي كأن يطلب منه الدعاء؛ كأن يطلب منه الدعاء، و قد يجاب الدعاء و قد لا يُجاب؛ و لذلك لما ذكر الشيخ رحمه الله **الطائفة الثالثة وهم أهل السنة والجماعة** قال " **أثبتوا الشفاعة الشرعية** " يعني بوجود الشرطين؛ الإذن و الرضا كما ذكر الله في كتابه، قال " **ولا تُطلب إلا من الله، كأن تسأله تعالى أن يُشفع فيك نبيك محمدا ﷺ كأن تقول اللهم شَفِعْنا بنبيك محمد ﷺ فإن الشفاعة محض فضل وإحسان** "
فتبين من هذا أن المجيئ إلى قبر النبي ﷺ أو إلى قبر أحد من الأولياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم أن هذا يُعتبر شركا أكبر مُخرجا عن دائرة الإسلام، وهو عين ما يفعله المشركون فإنّ المشركين إنما عبدوا هذه المعبودات لكونها واسطة بين الله عز و جل وبين معبوداتهم؛ قال تعالى { **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ** } وقال عز وجل { **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى** }

وتقدم معنا أن مقصود المصنف رحمه الله من عقد هذا الباب هو إقامة الحجج على أن ذلك الفعل هو عين الشرك، و أن الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله عز وجل ليشفع له كما يشفع الوزير عند الملك منتفية دنيا و أخرى و إنما الله هو الذي يأذن للشافع ابتداءً لا يشفع ابتداءً كما يظنه أعداء الله تبارك وتعالى.

والطالب الشفاعة من غير الله تبارك وتعالى هو مسيء الظن بالله جل وعلا، ولذلك قال أهل العلم بأن باتخاذ الشفعاء والانداد من دون الله هضم لحق الربوبية، وتنقّص للعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين كما قال جل وعلا { **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** } فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحّدوه حق توحيده.

ولهذا أخبر الله جل وعلا عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره، وكيف يقدره حق قدره من اتخذ من دونه نِدًّا أو شفيعا يحبه ويخافه ويرجوه، ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه، ويؤثر مرضاته ويحبه، ويذبح له وينذر ؟ هذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم، كما قال تعالى عن قول أهل النار { **تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** } فإنهم ساووا غير الله عز وجل بالله في المحبة والتعظيم والعبادة.

وإنما كان هذا الأمر - وهو اتخاذ الشفعاء - من سوء الظن بالله تبارك وتعالى، لأنه يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو معين، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل من سواه بذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته.

وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع.

واما إن يظن أنه لا يعلم حتى يُعلمه الشفيع، أو لا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم، أو لا يكفي وحده أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع أن يرفع حاجته إليه كما هو حال ملوك الدنيا؛ وهذا أصل شرك الخلق، أو يظن أن الله لا يسمع دعائهم حتى يرفع الشفيع إليه ذلك، أو يظن أن للشفيع عليه حقا؛ فهو يقسم عليه بحقه ويتوسل إليه بذلك الشفيع كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا تُثقلهم مخالفتهم وكل هذا تنقص للربوبية وهضم لحقها.

وذكر معنى هذا ابن القيم رحمه الله.

وهنا أنبه إلى ما ذكره الشارح رحمه الله في قوله بعد " **حتى إنه ﷺ لما ألقى الشيطان في تلاوته " وإن شفاعتهن لترتجى " رضي المشركون عنه، وسجدوا معه، ظنوا أنه ﷺ قاله، وأنه وافقهم على دينهم، من دعاء الملائكة والأصنام للشفاعة."**

ومقصود الشارح رحمه الله بيان الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ أنه لما قرأ على المشركين سورة النجم ألقى الشيطان في ضمن كلام النبي ﷺ قوله [تلك الغرانيق العُلى وان شفاعتهن لترتجى]، ثم ذكر الشارح أن النبي صلى الله ﷺ لما ألقى الشيطان في تلاوته هذه الكلمة رضيَ المشركون عنه وسجدوا معه وظنوا انه ﷺ إنما قاله ووافقهم على دينهم من دعاء الملائكة والأصنام للشفاعة. وهذه القصة ضعَّفها جمع من أهل العلم وألَّف الشيخ الألباني رحمه الله رسالة فيها سماها " **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق** " وبيَّن أن هذه الرواية لم تثبت عن النبي ﷺ وأنها مخالفة لهدي النبي ﷺ، ومخالفة لدعوته. ومن أهل العلم من ذكر أن هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ مرفوعا، لكن جاء في سببه عدة روايات عن السلف ومنهم سعيد بن جبير، وأبو العالية والزهري وغيرهم، وهؤلاء كما هو معلوم لم يدركوا النبي ﷺ. ومن أثبته من أهل العلم قالوا بأن هذا ألقاه الشيطان في مسامع المشركين ولم يلفظ به النبي ﷺ ومن الأدلة التي استدلوا بها قول الله تبارك وتعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** } فهذه فتنة حصلت بهذا النوع من النسخ، فجعل الله عز وجل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم.

والذي يظهر والله أعلم أن هذه القصة غير ثابتة عن النبي ﷺ فلا يجوز الاستدلال بها.

ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب الشيخ الألباني رحمه الله السالف الذكر.

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى " **وقول الله تعالى: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ }** "

قال الشارح رحمه الله تعالى – عند قوله **{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ }**- قال " **الإنذار الإعلام بأسباب المخافة، والتحذير منها، (أنذر) أي خوف يا محمد بالقرآن (الذين يخافون) يخشون (أن يحشروا) أي يجمعوا ويبعثوا إلى ربهم يوم القيامة، وهم المؤمنون المخلصون، أصحاب القلوب الحية الواعية الذين لم يتخذوا لهم من دون الله وليا ولا شفيعا، بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده، ولم يلتفتوا إلى أحد سواه فيما يرون نفعه ويخافون ضره.** "

قوله جل وعلا كما قال في هذا الشرح **{وَأَنْذِرْ}** قال " **الإنذار الإعلام بأسباب المخافة** " فالإنذار هو إعلام متضمن للتخويف، أما إذا كان هذا الخبر مجردا فإنه ليس بإنذار.

وقوله **{وَأَنْذِرْ}** الخطاب للنبي ﷺ.

وقوله **{ به }** أي بالقرآن العظيم؛ وأنذر بهذا القرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم. وإنما ذكرهم الله تبارك وتعالى لأنهم هم الذين ينتفعون بهذا الإنذار.

ثم قال **{ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ }**

قال الشارح " **أي لا قريب لهم، ولا شفيع يشفع فيهم من عذابه إذا أراده بهم. قال الزجاج: كل موضع (ليس) نصب على الحال، كأنه قال: متخلين من ولي وشفيع، والعامل فيه (يخافون).**

وقال ابن كثير: ليس لهم يومئذ: {مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة، ويتركون التعلق على الشفعاء وغيرهم؛ لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملا بدونه."

فسر الشارح رحمه الله { الوليَّ } في هذه الآية بالقريب، وفسره بعض أهل العلم بالناصر؛ يعني ليس ليس لهم من دون الله جل وعلا قريب أو ناصر ولا شفيع.

قال " **ولا شفيع يشفع فيهم من عذابه إذا أراده بهم.** "

والمقصود أن الله عز وجل نفى الشفاعة من دونه تبارك وتعالى؛ والمقصود من دون إذنه. ويفهم من ذلك أن هناك شفاعة ثابتة تكون بإذنه تبارك وتعالى.

فهذه الآية فيها نص على الشفاعة المنفية؛ الله عز وجل نفى الشفاعة عن هؤلاء، وذلك أن حالهم أنهم متخلين عن الأولياء وعن الشفعاء.

وذكر الشارح قول ابن كثير رحمه الله " **ليس لهم يومئذ: {مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة، ويتركون التعلق على الشفعاء وغيرهم؛ لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملا بدونه."**

فتبين من هذه الآية مقصود المصنف رحمه الله من إيرادها وهب أن الله عز وجل نفى عن المؤمنين أن يكون لهم وليّ أو شفيع من دونه تبارك وتعالى كما هو دين المشركين. فمن اتخذ من دون الله شفيعا فليس من المؤمنين ولا تحصل له الشفاعة.

ثم قال الإمام محمد رحمه الله " **وقول الله تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً}** "

قال الشارح " **اللام للملك، أي هي ملك لله تعالى، فليس لمن تطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون ما سواه؛ لأن ذلك عبادة وتأله لا يصلح إلا له تعالى، وقال قبلها: {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ} فأخبر –سبحانه- أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف عقلا وشرعا، فقوله: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه؛ لأنه مالك الملك، فيجب اندراج ملك الشفاعة في ذلك، فإذا كان هو مالكها بطل أن تطلب ممن لا يملكها.**

قال ابن جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلا لتقربنا إلى الله زلفى، قال الله: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

فتعلمون أن من طلبها من غير الله أنه خاسر السعي، وأنها غير حاصلة له؛ لأنه طلبها من غير مالكها، بل طلبُها من غير الله إفك وافتراء، كما قال تعالى: {فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} "

فهنا في هذه الآية؛ في قوله جل وعلا **{قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً}**، في قوله **{قُلْ لِلَّهِ }** اللام هنا كما قال الشارح للملك؛ يعني هي ملك لله تعالى، فليس لمن تطلب منه شيء منها.

ووجه آخر يدل على حصرها بالله تبارك وتعالى؛ هو أن الله جل وعلا قدم الخبر على المبتدأ؛ فقال **{قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ }** وهذا التقديم يفيد الحصر، والمعنى: لله وحده الشفاعة كلها، لا يوجد شيء منها خارج عن إذن الله جل وعلا وإرادته، وأكد هذا جل وعلا بقوله **{ جَمِيعاً}** يعني أن هناك من أنواع الشفاعة لا تخرج عن ملك الله جل وعلا، فالكل تحت ملكه تبارك وتعالى.

قال **" لأن ذلك عبادة وتأله لا يصلح إلا لله تبارك وتعالى، وقال قبلها: {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ} "**

فهنا أبطل الله عز وجل هذه الشفاعة بنفي الملك عنهم، فإنهم لا يملكون أي شيء.

قال **" فأخبر –سبحانه- أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف عقلا وشرعا "**

أما كونه منتف شرعاً فقد تقدمت الأدلة التي تدل على ذلك، وأما عقلا

- فلأن المالك للشفاعة هو الله تبارك وتعالى فلا يجوز طلبها من غيره جل وعلا؛ ولذلك قال **{ۖلَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِۖ }** تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه؛ لأنه مالك الملك فيجب اندراج ملك الشفاعة في ذلك.
- وكذلك لأن هؤلاء الشفعاء لا يملكون شيئا، فانتفت عنهم هذه الشفاعة.

وبين الشارح رحمه الله بالنقل عن ابن جرير الطبري رحمه الله سبب نزول هذه الآية، وأنها لما نزلت قال **" نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلا لتقربنا إلى الله زلفى،فقال الله جل وعلا {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} فتعلمون أن من طلبها من غير الله أنه خاسر السعي وأنها غير حاصلة له، لأنه طلبها من غير مالكها. بل طلبها من غير الله إفك وافتراء كما قال تعالى {فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةًۖبَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} "**

وفي الآية التي أوردها الشيخ رحمه الله وهي الآية التي في سياق الآية التي معنا **{أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ}**، في قوله **{ من دون الله }** يعني من دون إذن الله تبارك وتعالى ومن دون أمره، والحال أنه لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، وأن يكون المشفوع له مرتضى. وهذان الشرطان مفقودان هنا فإن الله سبحانه لم يجعل اتخاذ الشفعاء ودعاءهم من دونه تبارك وتعالى سببا لإذنه ورضاه، بل ذلك سبب لمنعه وغضبه.

وقوله بعد ذلك **{ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ}** المقصود أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم؛ جمادات لا تقدر ولا تعلم، أو أموات كذلك حتى ولا يملكون الشفاعة كما قال **{ قل لله الشفاعة جميعا }**

ثم قال المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى **" وقوله { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ } "**

قال الشارح **" قد تبين مما تقدم من الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله، وفي هذه الآية رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله، من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها، وظنوا أنهم يشفعون عنده بغير إذنه، فأنكر عليهم، وبين عظيم ملكوته وكبريائه، وأن أحدا لا يتمكن أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له، وأن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كقوله: {يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً}**

فبين –تعالى- أنها لا تقع إلا بشرطين: إذن الرب للشافع أن يشفع، ورضاه عن المأذون فيه. وهو سبحانه لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أريد به وجهه، ولقيه العبد به مخلصا غير مشرك. "

فهذه الآية فيها بيان شرط من شروط الشفاعة وهي إذن الله عز وجل للشافع أن يشفع، والمقصود أن الله تبارك وتعالى رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله تبارك وتعالى وظنوا أنهم يشفعون عنده جل وعلا بغير إذنه؛ فأنكر الله تبارك وتعالى عليهم ذلك وبيَّن عظيم ملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام كقوله جل وعلا **{ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ }** وقال **{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ}**.

•• وفي هذه الآية تقرير أن الله عز وجل يأذن لمن يشاء بالشفاعة؛ وهم الأنبياء وغيرهم.

ثم قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله **" وقوله { ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ}"**

قال الشارح **" (كم) تكثيرية (لا تغني) أي لا تجدي ولا تنفع (شفاعتهم شيئا إلا من بعد) إذن الرب تبارك وتعالى لمن شاء أن يشفع له، ورضي قوله وعمله، فصار ممن استحق الشفاعة، وذلك لمن سلم من الشرك قليله وكثيره، وهذه الآية كقوله: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ}. وقوله: {وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}. وإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجى شفاعة هذه الأنداد عند الله؟**

سبحان الله ما أعظم شأنه!."

<u>في هذه الآية أراد المصنف رحمه الله بيان أمرين:</u>

- الامر الأول: هو الشرطان اللذان تقدم ذكرهما؛ وهما إذن الله عز وجل للشافع أن يشفع، ورضاه جل وعلا عن المشفوع له.
- والأمر الثاني الذي أراده الشيخ رحمه الله: ما أشار إليه الشارح في قوله " **وإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجى شفاعة هذه الأنداد عند الله ؟** " فإذا كان هذا الشأن في الملائكة فإن من دونهم أولى بأن يقال له ذلك؛ فلا يشفعون إلا بعد إذن الله تبارك وتعالى ورضاه عن المشفوع له.

وقوله " **(كم) تكثيرية ولا تغني أي لا تجدي ولا تنفع** " والغنى هو جلب النفع ودفع الضرر.

ومن عظيم فوائد هذه الآية التي ذكرها بعض أهل العلم هو أن هذه الآية فيها رد على من عبد الملائكة أو الصالحين لشفاعة أو غيرها، لأنهم إذا كانوا لا يشفعون إلا بإذن الله ابتداءً، فلأيّ معنىً يُدعون ويعبدون ؟ وأيضاً فإن الله لا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله؛ فهو الموحد لا المشرك كما قال تعالى **{يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}**

والله عز وجل لا يرتضي إلا التوحيد كما قال **{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** وقال النبي ﷺ " **أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه."**

ثم قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله " وقوله **{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ }"**

وتتمة الآية هي قول الله جل وعلا **{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ }**

قال الشارح رحمه الله " أي **{قُلْ} يا محمد لهؤلاء المشركين: {ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} أنهم آلهة من دون الله، ليكشفوا الضر الذي نزل بكم، ثم وصفهم بقوله: {لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ} من خير وشر، ونفع وضر.**

{وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ} لا يملكون شيئا استقلالا، ولا على سبيل الشركة. {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} عوين يعينه بشيء.

{وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} في الشفاعة، قاله تعالى تكذيبا لهم حيث قالوا: {هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ }.

قال ابن القيم وغيره في هذه الآية: أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها، فقد قطع الله بها جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون، على أي وجه كان،

فإن المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من أربع:

- **إمّا أن يكون مالكا لما يريده،**
- **أو شريكا للمالك،**
- **أو معينا وظهيرا،**

- **أو شفيعا،**

فنفى –سبحانه- المراتب الأربع نفيا مرتبا، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه،

ولم يجعل –سبحانه- الاستغاثة بالميت أو غيره سببا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، لا ما يمنع الإذن، فالمشرك قد أتى بأعظم حائل بينه وبين حصول الشفاعة، فهو كمن استعان في حاجة بما يمنع حصولها. "

فهذه الآية التي أوردها الشيخ رحمه الله قال عنها ابن القيم رحمه الله بأنها قطعت عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها.

وجميع الأسباب والشبهات التي يتعلق بها المشركون قد قطعتها هذه الآية؛ فإنه إنما يتعلق بمن أشرك به لأحد خصال أربع:

- إما أن يكون مالكًا لما يريد.
- أو شريكا للمالك.
- أو معينا وظهيرا.
- أو شفيعا.

فنفى الله عز وجل جميع ذلك نفيا مرتبا؛

- فقوله تبارك وتعالى **{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ}** فهنا نفى الله عز وجل عن هؤلاء المدعوين من دون الله الملك مطلقا؛ فهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض، فإذن؛ نفى الله عز وجل عنهم الملك.
- فقد يقول قائل بأنهم قد يكونوا شركاء للمالك؛ فنفى الله عز وجل عنهم ذلك فقال **{ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ }**؛ وهذا فيه نفي الشركة؛ فليس لهم شرك في الملك وإنما هو ملك تام لله جل وعلا.
- وقد يقول قائل بعد ذلك بأنه قد يكون ظهيرا ومعاونا؛ فنفى الله عز وجل ذلك وقال **{ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ}**؛ يعني من معاون ومظاهر.
- ثم قد يقول بأنه ليس له شيء من ذلك لكنه له الشفاعة؛ فنفى الله عز وجل ذلك وقال **{ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ}.**

ولذلك صح أن يقال أن هذه الآية قد قطعت عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها، ويجب على العبد أن يوحد الله تبارك وتعالى الذي له ملك السموات والأرض، والذي ليس له في ملكه شريك، والذي ليس له معاون وظهير، والذي لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له؛ فالمالك للشفاعة هو الله تبارك وتعالى.

فالشاهد من إيراد هذه الآية هو بيان أن الشفاعة لله تبارك وتعالى، وأن هذه الشفاعة ملك له جل وعلا، وأنها لا تكون إلا لمن أذن له.

وقوله في مقدم هذه الآية **{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ}** هذا أمر تعجيز، والمراد بيان أنهم لا يملكون شيئا فلا يدعون لا لشفاعة ولا لغيرها.

ثم أورد المصنف رحمه الله كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح هذه الآية، وهو كلام عظيم جليل القدر **" قال ابو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى}. فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولا، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع.**

وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: " من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه " فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه رحمه الله ."

قوله **" قال ابو العباس "** يعني شيخ الاسلام ابن تيمية، والشارح ذكر ترجمة موجزة لشيخ الاسلام رحمه الله.

قال **" نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون "**

قال الشارح **" أي نفى في هذه الآية الكريمة عما سواه -تعالى وتقدس- كل ما يتعلق به المشركون من الاعتقاد في غير الله، من الملك والشركة والمعاونة والشفاعة، فإن هذه الأمور الأربعة هي التي يتعلق بها المشركون. "** وقد تقدم بيان ذلك.

قال " فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله "

قال الشارح **" فنفى الملك بقوله: {لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ} . ونفى القسط بقوله: (ومالهم) أي لمن يدعون من الملائكة وغيرهم (فيهما) أي في السماوات والأرض (من شرك). ونفى العون بقوله: {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ}. أي ما لله ممن يدعونهم عوين،**

فمن ليس بمالك، ولا شريك للمالك، ولا ظهير له، فكيف يدعى من دونه؟

فهو ــسبحانه- الذي يأذن للشافع ابتداء فيشفع،

فبنفي هذه الأمور عن كل مدعو غير الله- وهي التي لا بد أن يكون المدعو مالكا لأحدها حتى يستحق أن يدعى- بطلت دعوة غير الله؛ إذ ليس عند غيره من النفع والضر ما يوجب قصده بشيء من العبادة. "

قال **" ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب "**

قال الشارح **" وهو سبحانه لا يأذن إلا لأهل التوحيد"** وهذا كما تقدم شرط من شروط الشفاعة أن الشفاعة لا تنفع إلا أهل التوحيد.

قال " **كما قال تعالى: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى}** "

قال الشارح " **أي لمن رضي الله عنهم من أهل الإيمان به وحده، وقال ابن عباس: ((إلا لمن قال لا إله إلا الله))** "

والمقصود من هذا أن يقولها خالصا لله تعالى كما جاء في الحديث.

قال " **فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن** "

قال الشارح " **أي التي تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كقول أحدهم "الشفاعة" أو "اشفع لي" منتفية دنيا وأخرى كما أخبر الله به في كتابه، ولو طلبها منه على سبيل الشفاعة إلى الله، فهو فعل المشركين الذين كفّرهم الله به، فإنهم يقولون {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}. قال تعالى مكذبا لدعواهم ومكفرا لهم: {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}** "

فهذه هي الشفاعة المنفية، وهنا ذكر أن هذه الشفاعة التي تُطلب من غير الله تبارك وتعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل من أمثلتها " الشفاعة "، يعني كأن يقول لصاحب القبر " الشفاعة " أو " اشفع لي" ونحو ذلك ..

وهذه " **منتفية دنيا وأخرى كما أخبر الله في كتابه، ولو طلبها منه على سبيل الشفاعة إلى الله فهو فعل المشركين الذين كفّرهم الله به، فإنهم يقولون {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}. قال تعالى مكذبا لدعواهم ومكفرا لهم: {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}** "

قال " **وأخبر النبي ﷺ، أنه يأتي فيسجد لربه و يحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولا، ثم يقال له ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعطى، واشفع تشفع** "

قال الشارح " **هذا قطعة من حديث الشفاعة، المخرج في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس وغيره في أهل الموقف، وهو إخبار منه ﷺ بتحقيق الشفاعة، وأنه لا يشفع إلا من بعد إذن الله تعالى له في الشفاعة، وفي المشفوع فيهم.**"

وهذا الحديث يسمى بحديث الشفاعة " الشفاعة العظمى "، وهو حديث متواتر جاء في الصحيحين وغيرهما، والنبي ﷺ يسجد تحت العرش من أجل طلب الشفاعة من الله تبارك وتعالى، فيحمد الله عز وجل بمحامد عظيمة فيؤذن له بعد ذلك بالشفاعة.

فهذا فيه دليل على شرط الإذن في الشفاعة.

قال " **وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال " من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه** " "

قال الشارح " **هذا الحدث رواه البخاري وغيره، قال: " قلت: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه ". وفي رواية: " خالصا مخلصا من قلبه ".**

والمراد مع قوله: محمد رسول الله، لكن قد يكتفى بها لاقتضائها لها، و (خالصا) احتراز من المنافق و (أسعد) أفعل تفضيل، وقيل أي سعيد الناس، أو المخلص أكثر سعادة بها، فجعل أسعد الناس بشفاعته أكملهم إخلاصا.

ورواه أحمد وابن حبان وصححه وفيه: " وشفاعتي لمن قال لا إله إلا الله مخلصا، يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه "

وفي صحيح مسلم عنه قال: " لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا ".

فهذان الحديثان ونحوهما مما يبين أنها لأهل التوحيد والإخلاص بإذن الله، وكذا في أحاديث الشفاعة كلها، إنما يشفع في أهل التوحيد كما في الكتاب العزيز.

وقال الحافظ: ((المراد بهذه الشفاعة المسؤول عنها بعض أنواع الشفاعة، وهي التي يقول "أمتي أمتي" "فيقال: أخرج من في قلبه وزن كذا من الإيمان."

وأما الشفاعة العظمى في الإراحة من كرب الموقف، فأسعد الناس بها من يسبق إلى الجنة)) اهـ.

وله ﷺ ثلاث شفاعات:

- **الشفاعة الكبرى في أهل الموقف ليقضى بينهم،**
- **وشفاعته في أهل الجنة في دخولها، ولقوم من العصاة الذين يدخلون النار بذنوبهم، ويشفع لمن استوجب النار، ولقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم،**
- **وبعض الكفار في تخفيف عذابهم. "**

هذه القطعة من الشرح في قول أبى هريرة رضى الله عنه " **من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله، قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه** " فمن قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه فإنه أسعد الناس بشفاعة نبينا ﷺ، ولا يوجد هناك من هو أسعد من هذا الرجل الذي نطق بالإخلاص.

وقوله " **خالصا** " قال " **احتراز من المنافق** " والمقصود المنافق النفاق الاعتقادي، النفاق الأكبر، فإنه لا يقول هذه الكلمة خالصا من قلبه.

وبين الشارح رحمه الله أنواع الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ، وذلك لأن **<u>الشفاعة المثبتة منقسمة الى قسمين:</u>**

- شفاعة خاصة
- وشفاعة عامة

- فأما الشفاعة الخاصة فالمقصود بها الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ
- والشفاعة العامة هي التي تكون للأنبياء وتكون للملائكة ولعباد الله الصالحين وللشهداء و للأفراط (الأولاد الصغار الذي ماتوا) ونحو ذلك. فإن هذه الشفاعة تسمى بالشفاعة العامة.

وذكر الشارح رحمه الله أنواع الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ

1- قال " **الشفاعة الكبرى** " وهي أعظم وأفضل أنواع الشفاعات، وتكون لأهل الموقف جميعا؛ المؤمن والكافر، وتكون لأمة النبي ﷺ ولغيرهم، من أجل ان يقضي الله عز وجل بينهم وأن يبتدأ

الله عز وجل بالحساب، فإن هذه شفاعة تسمى بالشفاعة العظمى أو بالشفاعة الكبرى. وهذه لا ينكرها الخوارج والمعتزلة، بل يقرون بها، وإنما ينكرون كما تقدم الشفاعات المتعلقة بأهل الكبائر.

2- قال - من انواع الشفاعات كذلك – " **وشفاعته في أهل الجنة في دخولها** " لأن الناس لا يدخلون الجنة حتى يقرع النبي ﷺ باب الجنة، فيقول خازن الجنة: من، فيقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا افتح لأحد قبلك. فيدخل النبي ﷺ ثم تدخل أمته.

3- قال " **ولقوم من العصاة الذين يدخلون النار بذنوبهم، ويشفع لمن استوجب النار** " يعني من أمر به إلى النار فيشفع فيه النبي ﷺ قبل أن يدخلها.

4- قال " **ولقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم وكذلك بعض الكفار في تخفيف عذابهم** " وقوله " **بعض الكفار** " يقصد به عم النبي ﷺ أبى طالب؛ فإن أبى طالب شفع فيه النبي ﷺ، فهي شفاعة خاصة في أبي طالب وخاصة للنبي ﷺ وليس المقصود من هذه الشفاعة الدخول إلى الجنة، وإنما المقصود من هذه الشفاعة هو في تخفيف النار عنه، ولذلك كانت هذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ وخاصة بأبي طالب كما تقدم.

قال " **فتلك الشفاعة لأهل التوحيد بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله** "

قال الشارح " **فأبطل النبي ﷺ زعمهم الكاذب، وأخبر أن أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد لله وحده، لا الالتجاء إلى الأولياء والصالحين وغيرهم، ودعاؤهم وطلبهم الشفاعة، فلا تنال بذلك، بل هو أصل شرك العالم، ولكن كما قال بعض السلف: من جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليا أو شفيعا أنه يشفع له، وينفعه عند الله، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا يأذن في الشفاعة إلا من رضي قوله وعمله، وهو لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله.** "

وهو يشير هنا رحمه الله إلى شرط من شروط الشفاعة تقدم ذكره وهو رضى الله عز وجل عن المشفوع له، فلابد أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد.

وهنا يشير رحمه الله إلى أن طلب الشفاعة من غير الله تبارك وتعالى والالتجاء إلى الأولياء الصالحين وغيرهم ودعاءهم وطلبهم الشفاعة؛ فإن هذا لا تنال به الشفاعة بل يكون صاحبها مشرك بالله جل وعلا ولا يستحق الشفاعة.

قال " **وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه** "

قال الشارح " **أي بالشفاعة فيمن أذن له أن يشفع فيه، فهذا هو حقيقة أمر الشفاعة، لا كما يظنه المشركون والجهال أن الشفاعة هي كون الشفيع يشفع ابتداء فيمن شاء، فيدخله الجنة، وينجيه من النار، ولهذا يسألونها من الأموات وغيرهم.** "

والشارح هنا رحمه الله يبين ما عليه المشركين في قديم الزمان وحديثه من طلب الشفاعة من غير الله

تبارك وتعالى واعتقادهم أن الشفيع يشفع ابتداءً في من شاء؛ فبإمكانه أن يدخله الجنة وأن ينجيه من النار، ولهذا يسألونها من الأموات وغيرهم.

قال " **وينال المقام المحمود** "

قال الشارح " **أي الذي يحمده فيه الخلائق كلهم، بل وخالقهم، وهو الشفاعة."**

والمقصود بالمقام المحمود على الصحيح من أقوال أهل العلم هو الشفاعة العظمى عندما يسجد النبي ﷺ تحت العرش ويحمد الله عز وجل بمحامد يفتحها عليه يومئذ، فيشفع في الخلائق من أجل أن يبدأ الله عز وجل بالحساب، فهنا وهذا المقام يسمى بالمقام المحمود.

ثم قال " **فالشفاعة التي نفاها القران ما كان فيها شرك "**

قال الشارح " **وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كـ "يا رسول الله اشفع لي ". "**

وهذا مثال من أمثلة طلب الشفاعة من الرسول ﷺ.

ومثله وأعظم منه ما كان فيه طلب الشفاعة من غير النبي صلى الله عليه واله وسلم فإذا كان هذا الأمر منتفيا في حق الملائكة ومنتفيا في حق الأنبياء والمرسلين فأن يكون منتفيا في غيرهم من باب أولى،

قال " **ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع "**

قال الشارح " **كقوله: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ} والآيتين بعدها في الباب، فلما أثبتها في مواضع ونفاها في مواضع علمنا قطعا أنها شفاعتان."**

ويريد رحمه الله بيان أن الشفاعة منقسمة إلى شفاعة مثبتة وإلى شفاعة منفية كما تقدم معنا ذكرهما وذكر الأدلة عليهما.

قال " **وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص "**

قال الشارح " **أي قيدها ﷺ بقوله: " من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه "؛ لئلا يتوهم المشركون أنها نائلتهم، وإنما تنال الموحدين الذين استحقّوا دخول النار بسبب ذنوبهم، فيشفع لهم في الخروج بعد التطهير، كما تواتر: " أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة- مثقال ذرة، مثقال خردلة- من إيمان "**

وهو يشير هنا إلى ما ثبت في الأحاديث الصحيحة التي تقدمت الاشارة إلى بعض منها في أن الله عز وجل يقبل شفاعة الملائكة والأنبياء والمرسلين والصالحين من المؤمنين في إخراج من دخل النار من عباد الله عز وجل الموحدين، فيشفع لهم في الخروج بعد التطهير؛ يعني بعد أن يخرجوا من النار ويطهروا بإلقائهم في نهر يُسمى بنهر الحياة.

وهذه الأحاديث الواردة في الشفاعة في أهل الكبائر من الأحاديث المتواترة التي جاءت عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم.

وهذا فيه فضيلة الموحدين و فضيلة التوحيد، فإن الموحد العاصي الذي يرتكب الكبائر يوم القيامة تحت مشيئة الله عز و جل؛ إن شاء الله عز و جل عذبه و إن شاء عفا عنه، وإن عذبه الله عز وجل فإنه لا يُخلّدُ في النار بل يخرج منها.

وهذه الشفاعة كما تقدم معنا هي التي خالف فيها الخوارج و المعتزلة فنفوا الشفاعة عن أهل الكبائر.

قال **" انتهى كلامه رحمه الله "**

قال الشارح **" أي كلام شيخ الاسلام الذي ساقه المُصنف هنا، فقام مقام الشرح و التفسير في هذا الباب وهو كافٍ وافٍ بتحقيق مع الايجاز "**

وهذا امتداح لكلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنه بين ما يتعلق بالشفاعة وحقيقتها وشروطها والأدلة التي تدل عليها.

نقف عند هذا

والله أعلم

وصلى الله و سلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة السادسة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

حيّاكم الله أيّها الإخوة في هذا اللّقاء السادس عشر والذي نتناول فيه ما يتعلّق في دروس توحيد الألوهية وذلك بدراسة كتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى؛ كتاب التوحيد بحاشية الشيخ عبد الرحمن بن القاسم عليه. واليوم معنا:

باب قول الله تعالى { إنّك لا تهدي من أحببت } الآية.

وتتمّة الآية هي قوله تبارك وتعالى **{ ولكنّ الله يهدي من يشاء }**، وقد عقد المصنِّف رحمه الله هذا الباب لبيان أنّ طلب المغفرة وغيره من الله عزّ وجل وليس للنبيّ صلى الله عليه وسلّم ولا لغيره، وكان النبي ﷺ يسأل الله الهداية كما في قوله **{ اهدنا الصراط المستقيم }** وقوله **" اهدنا فيمن هديت "** وغير ذلك من النصوص، فالهادي والملهم هو الله تبارك وتعالى وحده.

فعقد الشيخ رحمه الله هذا الباب للتحذير من طلب الهداية وغيرها من النبي ﷺ فضلا عمّن هو دونه، وضمّن في هذا الباب الرّد على عبّاد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصّالحين أنهم ينفعون ويضرون ولذلك يسألونهم مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وهداية القلوب وغير ذلك من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية، بل يعتقدون أنّ لهم التصرف بعد الموت؛ وذلك على سبيل الكرامة.

فبيّن المصنِّف رحمه الله بذكر هذا الباب الرّد على هؤلاء وأنّ قولهم باطل ومخالف للتوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلون، وذكر ما يتعلّق بالهداية وخصّه بذلك، و بيّن أنّ النبي ﷺ ليس له من أمر الهداية شيء ويُقصد بالهداية هنا هي هداية التوفيق والإلهام. فإنّ <u>الهداية على نوعين:</u>

1- <u>النوع الأوّل</u> هي **هداية التوفيق وهداية الإلهام** وهي جعل الهدى في القلوب، وهذه لا يقدر عليها إلاّ الله تبارك وتعالى، ونفاها الله عزّ وجل عن نبيّه ﷺ فقال كما في آية الباب **{ إنّك لا تهدي من أحببت }** وخصّ هذه الهداية بنفسه جلّ وعلا فقال **{ ولكنّ الله يهدي من يشاء }**، فالتوفيق للخير والتوفيق للإيمان وجعل الإنسان مهتديا بخلق ذلك في قلبه إنّما هو لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له.

2- وأمّا <u>النوع الثاني</u> من أنواع الهداية فهي **هداية الدلالة والإرشاد**، والمقصود منها نصب الأدلّة وإرسال الرسل و إنزال الكتب وهذه مثبتة للنبي ﷺ كما في قول الله تبارك وتعالى **{ وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم }** فهذه الهداية أثبتها الله عزّ وجل للنبي ﷺ، فالنبي ﷺ هو الذي يدّل النّاس وهو الذي يرشدهم إلى الخير فتبيّن بذلك أنّه لا تعارض بين قوله تبارك وتعالى في نفي الهداية **{ إنّك لا تهدي من أحببت }** وبين إثبات الهداية في الآية الأخرى **{ وإنّك لتهدي إلى**

صراط مستقيم }؛ فإنّ المنفيّ عن النبي ﷺ هي هداية التوفيق والإلهام وخلقها في قلب العبد، وأمّا الآية التي أثبتت الهداية للنبي ﷺ فهي مقصود الرسالة، فإنّ النبي عليه الصلاة والسلام إنّما أُرسل لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق ودلالتهم عليه، فإنّ هذا مثبت للنبي صلى الله عليه و سلم.

والمصنِّف رحمه الله يبيّن هنا النوع الأوّل من أنواع الهداية؛ وهي الهداية المنفية عن النبي ﷺ، ومقصوده رحمه الله كما تقدّم معنا الرّد على عبّاد القبور الذين يعتقدون فيه عليه الصلاة والسلام وفي غيره من الأنبياء والصالحين النّفع والضّر، ومن يعتقد فيهم أنّه يملك هذه الهداية.

قال الشارح رحمه الله تعالى عند هذا الباب قال " **الخطاب للنبي ﷺ، والمنفي هنا هداية التوفيق والإلهام، وهو خلق الهدى في القلب وإيثاره وذلك لله وحده، وهو القادر عليه، كقوله: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ} {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}**

وأما هداية البيان والإرشاد والدلالة فقال الله تعالى {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} فهو المبين عن الله، والدال على دينه وشرعه.
أراد المصنف -رحمه الله- بهذه الترجمة الرد على عباد القبور، الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين النفع والضر، فيسألونهم من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية، فإن سبب هذه الآية موت أبي طالب، وإذا كان ﷺ قد حرص على هدايته عند موته فلم يتيسر له ذلك، ودعا له بعد موته، ونهي عن ذلك، وذكر الله أنه لا يقدر على هداية من أحب هدايته لقرابته ونصرته، تبين أعظم بيان، ووضح أوضح برهان أنه ﷺ لا يملك ضرا ولا نفعا، ولا عطاء ولا منعا، وأنه ﷺ لا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، وأن الأمر كله بيد الله، فبطلت عبادته من دون الله، وإذا بطلت عبادته- وهو أشرف الخلق - فعبادة غيره أولى بالبطلان. "

وهذا واضح وقد تقدم؛ فقد تضمن كلام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله بيان سبب نزول هذه الآية وسوف يوردها الشيخ رحمه الله في مقدم هذا الباب.

فإن سبب نزول هذه الآية هو موت أبي طالب و اقدام النبي ﷺ من أجل انطلاقه بكلمة التوحيد، ولكنه أبى ذلك ومات على الشرك، فكان النبي ﷺ يحب له الهداية لكنها لم تحصل له، ومشيئة الله عزّ وجل نافذة، والهداية التي هي هداية التوفيق وهداية الإلهام إنما هي بيد الله جل وعلا.

كما تضمن كلام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله هنا بيان نوعي الهداية، وقد تقدم ذكرهما؛ ذَكر أن المنفي هنا هو هداية التوفيق والإلهام وقال بأنها هي خلق الهدى في القلب وإيثاره، وذلك لله وحده وهو القادر عليه؛ يعني أن النبي ﷺ لا يقدر على ذلك، وإنما للنبي ﷺ هداية البيان والإرشاد والدلالة وهي النوع الثاني من أنواع الهداية.

كما تضمن كلام الشيخ سبب إيراد المصنف رحمه الله لهذه الترجمة في كتاب التوحيد، وبيان المنزلة الحقة للنبي ﷺ، وأن النبي ﷺ إذا كان لا يملك الهداية وإنما هي بيد الله تبارك وتعالى فيجب أن تُطلب هذه الهداية من الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له، ولا تُطلب منه عليه الصلاة والسلام ولا من هو دونه، فإن هذا يعتبر شركاً أكبر مخرجاً عن ملة الإسلام .

وأين هذا القول من قول البوصيري الذي يقول في حق النبي ﷺ

" فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم "

وهذا مصادم لمقصود بعثة النبي ﷺ بل وبعثة الأنبياء جميعا؛ فإنهم أمروا بإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى، وهنا البوصيري يذكر أن من جود النبي ﷺ الدنيا وضرتها، وزعم أن النبي ﷺ من علومه علم اللوح والقلم، إلى غير ذلك من الأبيات التي فيها غلوّ في حق النبي ﷺ، ولعله يأتي في الأبواب القادمة ما يتعلق بهذه الأبيات وغيرها.

قال الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى **" في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: " لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك "، فأنزل الله عز وجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى}. وأنزل الله في أبي طالب: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} "**

قال الشارح رحمه الله **" في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه "** **أي في الصحيحين عن ابن المسيب بفتح الياء، واسمه سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء، والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، اتفق أهل الحديث أن مراسيله أصح المراسيل. قال ابن المديني: ((لا أعلم في التابعين أوسع علما منه)) . مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين. وأبوه المسيب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان، وكذلك جده حزن صحابي، استشهد باليمامة."**

على هذا سعيد بن المسيب يعد من أجلّة التابعين، ووالده وجده يعتبران من أجلّة أصحاب النبي ﷺ، وقد شهد والده بيعة الرضوان تحت الشجرة.

وقد هاجر المسيب مع أبيه حزن إلى المدينة بعد أن أسلما.

وقد شهد المسيب بن حزن فتوح الشام وعاش إلى خلافة عثمان رضى الله عنه.

قال **" لما حضرت أبا طالب الوفاة "**

قال الشارح **" أي حضرته علاماتها ومقدماتها، وإلا فلو كان قد انتهى إلى المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن."**

والمقصود من هذا أن أبا طالب قد جاءته علامات الموت ولم يعاين الموت، ومعنى معاينة الموت هو رؤيته له.

ودلل على ذلك الشارح فقال **" وإلا فلو كان قد انتهى إلى المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن."**

ومعنى ذلك أنه لو عاين الموت فإن توبته لا تقبل، ويؤكد هذا: المناقشة و المحاورة التي حصلت عنده.

قال **" جاءه رسول الله ﷺ "**

قال الشارح " **حرصا على هدايته وشفقة عليه، لما رأى منه النصح والاجتهاد، فيما يصلح أمره، والذب عنه بماله وحاله وولده، وصنع الصنائع التي لم يصنعها أحد من الأقارب والأباعد معه صلى الله عليه وسلم.**

وفيه جواز- عيادة المشرك إذا رجي إسلامه، وحمل العلم إذا كان فيه مصلحة راجحة. "

فالنبي ﷺ جاء عند أبى طالب عند وفاته مريدا لهدايته مشفقا عليه الصلاة والسلام، وكان أبو طالب يدافع عن النبي ﷺ في حياته.

وقال " **وصنع الصنائع التي لم يصنعها أحد من الأقارب والأباعد معه ﷺ. "**

ولذلك كان من نفع النبي ﷺ لأبي طالب أنه خفف عنه العذاب بشفاعة النبي ﷺ له؛ فكان تحته جمرتان يغلي منهما دماؤه.

وذكر الشارح بعض الفوائد المستنبطة من هذه العبارة وهي منقولة عن الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، **" قال و فيه جواز عيادة المشرك إذا رجي إسلامه، وحمل العلم إذا كان فيه مصلحة راجحة."**

والمقصود من ذلك هو أن الأصل أن العالم هو الذي يؤتى إليه، لكن اذا كانت هناك مصلحة مقتضية أن يذهب العالم لمكان فإنه يذهب من أجل هذا العلم، وهذا هو حمله - حمل العلم- .

قال **" وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل "**

قال الشارح " **ويحتمل أن يكون المسيب حضر مع الإثنين فإنهم كلهم من بني مخزوم، وكانوا إذ ذاك كفارا، فقتل أبو جهل على كفره، وأسلم الآخران، وكانت كنية أبي جهل أبا الحكم فسماه النبي ﷺ أبا جهل، وأخبر أنه فرعون هذه الأمة."**

فعبد الله بن أبي أمية قد أسلم، وأما أبو جهل فبقي على كفره حتى قتل.

وقال " وأسلم الآخران " يقصد بالآخرين: عبد الله ابن أبي أمية و المسيب ابن حزم.

وقوله " وأخبر أنه فرعون هذه الأمة " يقصد بالأمة: أمة الدعوة، لأن الأمة على نوعين: أمة الإجابة وأمة الدعوة.

- **فأما أمة الإجابة:** فهم الذين استجابوا للنبي ﷺ ممن بلغتهم الدعوة.
- **وأما أمة الدعوة:** فهي كل من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وآله سلم وتوجَّه إليه الخطاب، سواءٌ كان آمن بالنبي عليه الصلاة والسلام أو لم يُؤمِن به.

وهذا الحديث الذي هو أن أبا جهل هو فرعون هذه الأمة الحديث متكلم فيه، وضعَّفه بعض أهل العلم لإرساله.

قال **" فقال له: يا عم قل: لا إله إلا الله "**

قال الشارح " **أمره ﷺ بقولها ليحصل له بذلك الفوز والسعادة والظفر، ولعلمه ﷺ بعلم أبي طالب بما دلت عليه، من نفي الشرك بالله، وإخلاص العبادة لله وحده، فإن من قالها عن علم ويقين وقبول فقد برئ من الشرك والمشركين، ودخل في الإسلام؛ لأن العرب يعلمون ما دلت عليه، فلا يقولها إلا من**

ترك الشرك وبرئ منه، وكذلك الحاضرون يعلمون ما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، ولهذا عارضوه بما يأتي،

و (عم) منادي مضاف، يجوز فيه إثبات الياء وحذفها، وإبقاء الكسرة دليل عليها كما هنا، وفيه ثلاث لغات أخر.

فأراد النبي ﷺ له الخير وأراد له الفوز والسعادة والظفر لعلمه ﷺ أن أبا طالب يعرف معنى هذه الكلمة، فإن كلمة لا إله إلا الله تعني وجوب إخلاص العبادة لله تبارك وتعالى والبراءة من الشرك وأهله والدخول في الإسلام.

فالعرب كانت تعرف معنى هذه الكلمات، فإنه لا يقولها بلسانه إلا من ءامن على الحقيقة، وهذا قبل هجرة النبي ﷺ؛ فإنه قبل الهجرة لم يكن هناك منافقون، وإنما كان النفاق بعد هجرة النبي ﷺ.

وعلى كلٍ فالشارح هنا يشير إلى مسألة مهمة، وهي أن هؤلاء المشركين يعلمون معنى لا إله إلا الله لكنهم لم يلتزموا بها، ولذلك لم يكفِ العلم بمعنى هذه الكلمة حتى يكون هناك اعتقاد وانقياد لهذه الكلمة.

وهذا بخلاف ما عليه كثيرٌ ممن ينتسب إلى الإسلام، فإنه يقول: لا إله إلا الله، وهو يشرك بالله تبارك وتعالى، وأما هؤلاء المشركين فإنهم يعلمون؛ ويقصد به الذين كانوا في زمن النبي ﷺ يعلمون معنى هذه الكلمة فلم يلتزموا بها لأنها تبطل جميع معبوداتهم وتقتضي البراءة من جميع المشركين.

وهنا لم يذكر النبي ﷺ شهادة أن محمداً رسول الله وذلك لأن هذه الكلمة - كلمة لا إله إلا الله- إن نطق بها فإنها تستلزم شهادته أن محمدا رسول الله.

قال : **" يا عم؛ قل لا إله إلا الله "**

فيه تلطف من النبي ﷺ بعمه.

قال : **" كلمةً أحاج لك بها عند الله "**

قال الشارح **" (كلمة) بالنصب بدل من لا إله إلا الله، ويجوز الرفع خبر مبتدأ محذوف، و (أحاج) بتشديد الجيم من المحاجة، وهي مفاعلة من الحجة، والجيم مفتوحة على الجزم في جواب الأمر، أي أشهد لك بها عند الله، وبرهانا أعتذر بها لك عنده.**

وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها في تلك الحال معتقدا ما دلت عليه من النفي والإثبات لنفعته، ودخل بها في الإسلام."

فقوله **" كلمةً أحاج لك بها عند الله " " (كلمة) بالنصب بدل من لا إله إلا الله، ويجوز الرفع خبر مبتدأ محذوف"** يعني هي كلمة أحاج لك بها عند الله.

وقوله **" أحاج "** إما أن تكون بضم الجيم، وإما أن تكون بفتحها؛ فعلى الضم أحاجُ فهي صفة للكلمة، وأما على الفتح وهي أحاجَ فهي مجزومة جوابا للأمر؛ والمعنى " إن تقل أحاجَّ "

والمعنى كذلك العام من قول النبي ﷺ هو أني أذكرها حجةً لك عند الله تبارك وتعالى، وشهادةً أشهد لك بها عنده، وبرهانا أعتذر بها لك عنده جل وعلا.

وليس المقصود منها الجدال والمخاصمة بها عند الله تبارك وتعالى.

وذكر المصنف رحمه الله عدة فوائد من هذه اللفظة منها:

- أن فيها دليلاً على أنَّ " **الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها في تلك الحال معتقدا ما دلت عليه من النفي والإثبات لنفعته ودخل بها في الإسلام** "، فالأعمال بالخواتيم؛ فلو قال هذه الكلمة في آخر حياته ولَم يعاين الموت فإن هذه الكلمة تنفعه عند الله تبارك وتعالى.

قال " **فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟** "

قال الشارح " **لما علما من شدة تمسكه بملتهم، مع حياطته النبي ﷺ وخشيا أن تترك تلك الآلهة والأوثان التي يتعلقون بها من دون الله، ذكراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين، وهي تقليد الآباء والكبراء: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}.**

فإن ملة عبد المطلب الشرك وعبادة الأوثان، كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك، وأخرجا الكلام مخرج الاستفهام مبالغة في الإنكار، لعظمة هذه الحجة في قلوب الظالمين، ولذلك اكتفيا بها في المجادلة، مع مبالغته ﷺ وتكريره.
قال المصنف: ((فلأجل عظمتها ووضوحها عندهما اقتصرا عليها، وفيه المسألة الكبيرة: تفسير قوله: "قل: لا إله إلا الله" بخلاف ما عليه من يدعي العلم، وفيه أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: قل: لا إله إلا الله، فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام)) "

فهنا ذكّراه بحجة خبيثة؛ وهي قولهما: أترغب عن ملة عبد المطلب.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه كثيرا أن من أسباب الشرك لدى المشركين هو تمسكهم بما عليه الآباء والأجداد؛ فقد ذكروا أنهم وجدوا آباءهم على أمة وإنهم على آثارهم مقتدون كما في هذه الآية **{إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}**

ثم تأمل كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كِبَر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها. وخطورة الأمر عندهم هو أن أبا طالب لو قال هذه الكلمة - كلمة لا إله إلا الله- فإنها تبطل معبوداتهم من دون الله تبارك وتعالى، ولم تكن لهم حجة على شركهم إلا تمسكهم بما كان عليه آباؤهم، ولهذا كررها صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأرادوا منه المنع من قول تلك .

كما استنبط الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المسألة الكبيرة؛ وهي تفسير كلمة لا إله إلا الله وهذه بخلاف ما عليه من يدعي العلم؛ وذلك أن كلمة لا إله إلا الله تقتضي إبطال تلك المعبودات، وهذا بخلاف ما عليه المتكلمون؛ الذين يعنيهم الشيخ هنا هم المتكلمون الذين يفسرون لا إله إلا الله بلا خالق إلا الله أو لا رازق إلا الله ولا مدبر إلا الله... ونحو ذلك من معاني الربوبية، فإن أبا جهل وغيره من الكفار يعرفون أن معنى لا إله إلا الله هو إبطال تلك المعبودات التي تعبد من دون الله تبارك وتعالى، وإلا فإنهم يقرون ويعترفون بتوحيد الربوبية؛ فيقرون بأن الله هو الخالق وهو الرازق **{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ }** .

فهذه من أجل الفوائد التي ذكرها الإمام المصنف محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، ولذلك **" قال فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام "** لأن أبا جهل يعلم معنى هذه الكلمة لكنه لم يلتزم بها، فإن لا إله إلا الله لها شروط منها العلم، لكن هؤلاء إنما علموا لكنهم لم يعملوا ولم ينقادوا لهذه الكلمة ولم يأتوا بشروطها، ومن أعظم الشروط التي خالفوها هو الإخلاص لله تبارك وتعالى.

قال **" فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا "**

" أي أعاد النبي ﷺ على عمه قوله: "قل: لا إله إلا الله"

وفي رواية: " فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدها عليه "، يعني أنه بالغ ﷺ وكرر، لعله أن يحصل لعمه هذا الفوز العظيم، فأعادا معارضته ﷺ بقولهما: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ لأنهما عرفا أن أبا طالبا لو قالها لبرئ من ملة عبد المطلب، وهي الشرك بالله في الإلهية، فصارا سببا لصدوده عن الحق، وعن هذا الخير العظيم الذي فيه السعادة الأبدية.

قال المصنف: وفيه مضرة أصحاب السوء على الإنسان، فينبغي الحذر من قربهم، والحذر من الاستماع لهم كما قيل:

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وفيه مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر إذا زاد على المشروع، بحيث أن تجعل أقوالهم حجة يرجع إليها عند التنازع. "

فهنا فيه حرص النبي ﷺ على عمه ورغبته في هدايته -هداية الإرشاد- ولذلك كرر عليه النبي ﷺ الأمر بقول لا إله إلا الله، وفي رواية " فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضه عليه ويعيدها عليه " يعني أنه بالغ ﷺ وكرر لعله أن يحصل لعمه هذا الفوز العظيم. ولكن هؤلاء المشركين أرادوا صده عن ذلك.

انظر إلى عاقبة رفقة السوء كيف أوصلوه إلى هذه المرحلة وهي الدخول إلى النار والموت على الكفر بالله تبارك وتعالى !

فإنهما لم يريدا منه إلا الشر والعياذ بالله تبارك وتعالى، فأخذوا يذكرونه بالحمية.

وقول " أترغب عن ملة عبد المطلب؟ " لأنهما عرفا أن أبا طالب لو قالها لبرئَ من ملة عبد المطلب، وهي الشرك بالله في الإلهية، فصارا سببا لصدوده عن الحق وعن هذا الخير العظيم الذي فيه السعادة الأبدية.

واستنبط المصنف رحمه الله منها، و **(قال المصنف):** يقصد به الإمام محمد بن عبد الوهاب **" وفيه مضرة أصحاب السوء على الإنسان، فينبغي الحذر من قربهم، والحذر من الاستماع لهم كما قيل:**

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وفيه مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر" وهنا أخذه من قولهم " أترغب عن ملة عبد المطلب؟ "، فتعظيم الأسلاف والأكابر وما هم عليه من الشرك بالله تبارك وتعالى، فإنه يوصل إلى التمسك بما كانوا عليه كما هو حال أبي طالب هنا والشرك بالله تبارك وتعالى.

قال " **وفيه مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر إذا زاد على المشروع، بحيث أن تجعل أقوالهم حجة يرجع إليها عند التنازع.** "

وقوله " **إذا زاد عن المشروع** "؛ والمقصود من ذلك أن من الأسلاف والأكابر من يستحق التقدير إذا كانوا أهلا لذلك، فإنه لا يضر تعظيمُهم حينئذٍ بل هو خير، فأسلافنا من صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين لا شك أن تعظيمهم وإنزالهم منازلهم خيرٌ لا ضرر فيه، وأما الضرر هو في تعظيم الأسلاف والأكابر الذين خالفوا الشرع أو الذين حاربوا الشرع.

قال " **فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب** "

قال الشارح " **"آخر" منصوب على الظرفية، أي آخر تكليمه إياهم، ويجوز فيه الرفع.**

قال الحافظ: ((الظاهر أن أبا طالب قال: أنا ... كما في المسند، فغيره الراوي بلفظة (هو) استقباحا للفظ المذكور، وهو من التصرفات الحسنة)). "

فقوله" **فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب** " يعني أنه نطق بهذه الكلمة وقال " أنا على ملة عبد المطلب "، ولكن الراوي قال "هو" بدل من كلمة " أنا " استقباحًا لهذه الكلمة، لأنها -هذه الكلمة- إن قال "أنا" فإنه في الظاهر يكون المقصود: أنه هو المتكلم، ولكنه من التصرفات الحسنة أن قال "هو على ملة عبد المطلب"

وعلى كلٍ، لو قال "أنا على ملة عبد المطلب" فإنه ناقل لهذه الكلمة، ومن المعلوم أن ناقل تلك الكلمة لا يكون كافرًا.

قال " **وأبى أن يقول: لا إله إلا الله** "

قال الشارح " **تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب، وذلك لما لله فيه من الحكمة، وليُعلَم أن هذا الدين لا ينال بالنسب، وإنما يُحصَل بالتقوى** "

وهذا واضح، فإن أبا طالب وهو عم النبي ﷺ رفض أن يقول هذه الكلمة، ولله عز وجل الحكمة البالغة في ذلك، " **وليُعلَم أن هذا الدين لا ينال بالنسب، وإنما يُحصَل بالتقوى** ".

" **فقال النبي ﷺ: "لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك"** "

قال الشارح " **اللام للقسم، وفي رواية لهما: " أما والله لأستغفرن لك ". وفيه جواز الحلف من غير استحلاف وكأنه هنا لتأكيد العزم على الاستغفار، تطييبا لنفس أبي طالب، وكانت وفاته بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفيت خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها- بعده بثمانية أيام.**"

فأكد النبي ﷺ هذا الأمر بثلاث مؤكدات، وهي:

* القسم،
* واللام،
* ونون التوكيد الثقيلة.

والاستغفار هو طلب المغفرة .

وكان في نفس النبي ﷺ شيء كما هو في الظاهر، ولذلك قال **"ما لم أُنه عنك"**، فوقع الأمر كما توقع النبي ﷺ على ما يأتي.

قال: **" فأنزل الله عز وجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى} "**

قال الشارح -عند قوله "فأنزل"- **" الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: فأنزل الله، تفيد أنها نزلت في أبي طالب، وقد ثبت أنه ﷺ أتى قبر أمه لما اعتمر، فاستأذن ربه أن يستغفر لها، فنزلت هذه الآية، ولا منافاة، فإنه قد تتعدد أسباب النزول،**

وهذه الآية عامة في حقه ﷺ وحق غيره،

وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وتحريم كل موالاتهم ومحبتهم، بل إذا حرم الاستغفار لهم فمحبتهم وموالاتهم أولى."

فهنا يبين الشارح أن هذه الآية نزلت بسبب هذه القصة، وجاء في قصة أخرى ثابتة أن النبي ﷺ لما ذهب إلى مكة مرّ على قبر أمه فاستأذن ربه أن يستغفر لها فلم يؤذن له، واستأذن ربه تبارك وتعالى أن يزور هذا القبر فأذن له، ونزلت هذه الآية.

وبيّن الشارح أنه لا منافاة، فإنه قد تتعدد أسباب النزول فيكون لها سببان: السبب الأول هو في شأن أبي طالب، والسبب الثاني في شأن أمه.

وهناك قول آخر ذكره بعض أهل العلم وهو: أنه يُحتمل أن يكون نزول هذه الآية قد تأخر إلى ما بعد الهجرة و إن كان سببها قد تقدم، فيكون لنزولها سببان:

- سبب متقدم و هو أمر أبي طالب،

- وسبب متأخر وهو أمر أمه.

ولعل مما يؤيد هذا هو قوله - قول المصنف- **" وأنزل الله في أبي طالب** - أي في أبي طالب خاصة - **{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}"** فدل هذا على أن الآية الأولى: **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ}**، أن سبب الآية قد تقدم قبل الهجرة وهو في شأن أبي طالب، و يكون كذلك بعد الهجرة في شأن أمه، وأن النزول قد تأخر إلى ما بعد الهجرة؛ وتكون هذه الآية في أبي طالب وفي غيره.

وأما في أبي طالب خاصة، فنزل قوله تبارك وتعالى **{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}**. وقد ذكر هذا الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في كتابه [التيسير].

وأشار الشارح لهذا في قوله " **وهذه الآية عامة في حقه ﷺ وحق غيره** " يقصد قوله تبارك وتعالى **{ ما كان للنبي }** الآية.

<u>واستنبط رحمه الله منها:</u>

* تحريم الاستغفار للمشركين.

* وتحريم موالاتهم ومحبتهم، بل إذا حرم الاستغفار لهم فمحبتهم وموالاتهم أولى.

ويقصد **بالمحبة المنفية هنا**: هي المحبة التي تقتضي الموالاة والتي تقتضي النصرة والرضا بما هم عليه من الدين.

وأما محبة العبد لوالده الكافر أو لوالدته الكافرة محبةً طبيعية دون ما سبق؛ فإن هذا جائز.

بل هذه الآية فيها أصرح دليل على ذلك؛ فقوله **{ إنك لا تهدي من أحببت }** هذا فيه إثبات محبة النبي ﷺ لأبي طالب، لكنها بلا شكّ محبة طبيعية سببها القرابة.

وأما الموالاة والنصرة للكفار فإنها محرمة ولا تجوز ولو كانوا من أولي القربى كما قال الله عز وجل **{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ }**؛ وهذه من أوثق عرى الإيمان كما قال النبي ﷺ **" إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله "**

قال **" وأنزل الله في أبي طالب: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} "**

قال الشارح **" أي: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} أي لقرابتك أو أحببت أن يهتدي،: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} فله الحكمة البالغة في إضلال من شاء،: {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} أي بمن قدر له الهدى.**

وأجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب، وهي عامة.

ومن حكمة الرب في عدم هدايته ليبين لعباده أن ذلك إليه سبحانه دون من سواه، فلو كان عند النبي صلى الله عليه وسلم - الذي هو أفضل خلقه- من هداية القلوب، وتفريج الكروب، والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيء لكان أحق الناس بذلك، وأولاهم به عمه الذي كان يحوطه ويحميه إلى أن بلّغ الوحي، وعادى قومه هو وأولاده، وقام بنصرته بالمال والرجال، وأقر أن ما جاء به هو الحق، إلا أنه لم ينقد إليه، ولم يتبرأ من دين المشركين، فظهر بذلك بطلان التعلق عليه صلى الله عليه وسلم - فضلا عن غيره- بشيء من خصائص الرب جل وعلا.

قال المصنف: ((وفيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه)). "

وبهذا يتبين سبب كذلك إيراد الشيخ رحمه الله لهذا الباب في كتاب التوحيد، وقد أعاده الشارح هنا كذلك. فإن النبي ﷺ لا يملك هداية القلوب ولا تفريج الكروب ولا النجاة من العذاب، وإنما ذلك لله تبارك وتعالى. ولو كان هناك شيء من هذا للنبي ﷺ فإن أولى من يحصل ذلك هو عمه أبو طالب الذي كان يعلم أن النبي عليه لصلاة والسلام على حق ويعلم معنى كلمة لا إله إلا الله؛ من أنها تنفي جميع المعبودات من دون الله تبارك وتعالى، وكان حاميا للنبي عليه الصلاة والسلام، لكن ذلك لم يحصل شيء من الهداية ولا من دخول الجنة.

فدل هذا على عدم استحقاق النبي ﷺ لأيّ نوع من أنواع العبادة، بل وعدم استحقاقه لأي نوع من خصائص الرب جل وعلا.

كما ذكر المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من فوائد هذا الباب:

* الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه؛ لأنه قال: هو على ملة عبد المطلب وقال عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟.

كما أن فيه أن عم النبي ﷺ – وهو أبو طالب- قد مات على الكفر كذلك. وذكر الشارح بعض الحكم من ذلك.

من فوائد – أيضا- هذه الآية هو: عدم جواز الدعاء بالمغفرة للكفار، وإنما يدعى لهم بالهداية في حال حياتهم.

وقول الشارح عن أبي طالب **" وأقر أن ما جاء به هو الحق، إلا أنه لم ينقد إليه، ولم يتبرأ من دين المشركين "** دلَّ على هذا الأبيات المشهورة له والتي يخاطب فيها النبي ﷺ بقوله:

والله لـن يصلـوا إليـك بجمعهم   حتى أوسّد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة   وابشر بذاك وقرّ منه عيونا

ودعـوتـني وزعـمت أنـك ناصحٌ   ولـقد صدقتَ وكنتَ ثمّ أمـينا

وعرضـتَ ديـناً قد عَلِمتُ بأنـه   من خـيرِ أديـان البريّةِ دينا

لـولا الملامـةُ أو حـذاري سُبَّةً   لـوجدتـني سمْحًا بِذاكَ مُبينا

وهذا يدل على أنه يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام على حق، لكنه لم ينقد لذلك ولم يخلص لله تبارك وتعالى فكان من جملة المشركين.

نسأل الله تبارك وتعالى لنا ولكم الثبات على الدين وأن يكون ما قلناه حجة لنا لا حجة علينا.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المحاضرة السابعة عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

حياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء السابع عشر والذي نتناول فيه كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بحاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

واليوم معنا باب مهم متعلق بسبب الكفر بالله تبارك وتعالى، قال الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

قال الشارح رحمه الله **" أي باب ما جاء من الدليل والبرهان على أن سبب كفر بني آدم أو سبب أول كفر بني آدم، وتركهم دينهم الذي خلقوا له، ولا صلاح ولا فلاح لهم إلا به هو الغلو في الصالحين من الأنبياء والأولياء وغيرهم بالقول والاعتقاد فيهم،**

وضابط الغلو: تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي خطى الله عنه، ولما ذكر بعض ما يفعله عباد القبور مع الأموات من الشرك، أراد أن يبين السبب في ذلك، ليحذروا الغلو مطلقا لا سيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديما وحديثا، لقرب الشرك بالصالحين من النفوس، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم."

وفي كلام الشارح هنا عدة مسائل:

- المسألة الأولى: العلاقة بين هذا الباب والأبواب السابقة؛ فذكر الشارح رحمه الله أن المصنف لما ذكر بعض ما يفعله عبّاد القبور مع الأموات من الشرك أراد أن يبين السبب في ذلك ليحذروا الغلو مطلقا لا سيما في الصالحين فإنه أصل الشرك قديما وحديثا لقرب الشرك بالصالحين من النفوس، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم.

وسبب إيراد المصنف رحمه الله هذا الباب بعدما سبق من ذكر الشرك بالله تبارك وتعالى مع الأموات بين في هذا الباب سبب الشرك الذي وقع فيه المتقدمون، وهؤلاء المتقدمون إما أن يكونوا أهل كتاب وإما أن يكونوا المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، ويلحق فيهم كل من أشرك بالله عز وجل من المعاصرين الذين اتخذوا هذا المنهج وهو الغلو في الصالحين.

- المسألة الثانية: هو المعنى الإجمالي لهذا الباب؛ قال **" أي باب ما جاء من الدليل والبرهان على أن سبب أول كفر بني آدم وتركهم دينهم الذي خلقوا له ولا صلاح ولا فلاح لهم إلا به هو الغلو في**

الصالحين من الأنبياء والأولياء وغيرهم ." فهنا يبين أن المصنف رحمه الله أراد أن يبين الأدلة التي تدل على سبب كفر بني آدم وهو غلوهم في الصالحين.

وقوله **" وتركهم دينهم "** بالجر " وتركِهم" لأنها معطوفة على كفر، فكان الباب: باب ما جاء في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

قال **" ولا صلاح ولا فلاح لهم إلا به "** يعني بهذا الدين الذي أرسل الله عز وجل به الرسل وأنزل الكتب **" هو الغلو في الصالحين من الأنبياء والأولياء وغيرهم"** هنا ذكر أن المقصود من الصالحين هو عموم لفظه؛ فيدخل فيه الأنبياء ويدخل فيه الأولياء وغيرهم.

▪ والمسألة الثالثة في هذه الفقرة هي قوله **" بالقول والاعتقاد فيهم "** وهذا فيه أن الغلو في الصالحين قد يقع من ناحية الاعتقاد وقد يقع من ناحية القول، ويشمل القول نداء الأموات من دون الله تبارك وتعالى ويشمل الاعتقاد فيهم ما عليه عباد القبور من اعتقاداتهم في الأولياء والأنبياء وغيرهم كما يأتي إن شاء الله.

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنواع الغلو وذكر أن للغلوّ نوعين:

• النوع الأول: وهو الغلو الاعتقادي.

• والنوع الثاني: وهو الغلو العملي.

قال رحمه الله عند قول النبي صلى الله عليه وسلم " إياكم والغلو في الدين " قال **" عام في جميع أنواع الغلو: في الاعتقادات والأعمال "** انتهى كلامه رحمه الله.

• فالغلو الاعتقادي: هو أن يتجاوز العبد حده فيما يتعلق بأبواب الاعتقاد، كغلو الخوارج مثلًا في صاحب الكبيرة وإخراجه عن دائرة الإسلام، والغلو في الأولياء والصالحين ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله تبارك وتعالى وادّعاء العصمة لهم ونحو ذلك.

• وأما الغلو العملي: فهو مجاوزة الحد فيما يتعلق بأبواب العبادات والعمليات، سواء كان ذلك باللسان أو كان بالجوارح، مثال ذلك، مثال هذا الغلو: مثل أن يصوم الدهر كله، أو أن يترك الزواج، ونحو ذلك من الأعمال.

و يجتمعان؛ الغلو الاعتقادي والغلو العملي في هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله تبارك وتعالى فإنهم غَلَوْا في هَذيْن النوعين، حيث جمعوا الغلو الاعتقادي مع الغلو العملي.

▪ المسألة الرابعة في كلام الشيخ: وهو تعريف الغلو وضابطه، قال: **" وضابط الغلو: تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه "**، ففسر الشارح رحمه الله الغلو هو في تعدي ما أمر الله عز وجل به، و أنه هو الذي نهى الله تبارك وتعالى عنه.

وهذا الطغيان وهذا الغلو يكون أحيانًا في مدح الشيء، و أحيانًا يكون في ذمه، ولذلك عرّفه شيخ الإسلام رحمه الله بأن الغلو ((مجاوزة الحد بأن يُزاد في الشيء: في حمده أو ذمه على ما يستحق))، ونحو ذلك.

والشارح هنا معنا نقل عبارة الشيخ عبد الرحمن بن حسن في "فتح المجيد"، وقد أخذها كذلك من الشيخ سليمان ابن عبد الله في كتابه "التيسير"، لكن يتبين هذا الموضع – الموضع الذي ذكره الشارح – بذكر العبارة السابقة، فقوله: " **وضابط الغلو ... إلى آخره** " هناك عبارة قبلها توضح هذا: قال الشيخ سليمان: (الغلو هو مجاوزة الحد في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه) انتهى كلامه.

فتبين بهذا أن تعريف الغلو هو المجاوزة في المدح أو المجاوزة في الذم، و هو مما نهى الله عز وجل عنه على ما يأتي ذكره عند المصنف رحمه الله.

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى " وقول الله عز وجل: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} "

قال الشارح " **في موضعين من كتابه، أي لا تتعدوا ما حد الله لكم، ولا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، وأهل الكتاب هنا هم اليهود والنصارى، والغلو كثير في النصارى؛ فإنهم غلوا في عيسى فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله، واليهود تنقصوه فحطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بَغْي، فالنصارى أفرطوا، واليهود فرّطوا، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب، فهو تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم ما فعلت النصارى مع المسيح واليهود مع العزير. قال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ} ومن تشبه بهم من هذه الأمة وغلا في الدين بإفراط أو تفريط فهو منهم، فكل من دعا نبيا أو وليا من دون الله فقد اتخذه إلها، وضاهى النصارى في شركهم، واليهودَ في تفريطهم.**

وقد نهى الله عن الغلو في كتابه في مواضع، كقوله: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} الآية وغيرها.

والغلو شامل لجميع أمور الدين، فشمل الغلو في محبة الصالحين."

وفي هذا الشرح من الشيخ رحمه الله بيان المعنى الإجمالي، وهو أن الله عز وجل خاطب أهل الكتاب؛ وهم اليهود والنصارى، فنهاهم عن الغلو في الدين، فإن من أظهر ما عليه اليهود والنصارى هو الغلو في الدين، فتجد أن النصارى الغلو فيهم أكثر منه في اليهود، وتجد أنهم مثلا رفعوا المسيح عيسى عليه السلام فوق منزلته التي أنزله الله عز وجل إياها، فجعلوه إلهًا وجعلوه ابن إله تعالى الله عز وجل عن ذلك علوًا كبيرا، كما نجد أن اليهود كذلك غَلَوْا في العُزَيْر فجعلوه ابن الله تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا، وفي مقابل هذا فإن اليهود كذلك غلوا في عيسى عليه السلام حتى إنهم جعلوه ولد بغي - يعني ولد زنى - وحاشاه صلى الله عليه وسلم وهذا غلو كذلك؛ لأنه كما تقدم معنا أن الغلو يشمل المدح كما يشمل الذم، فالنصارى أفرطوا واليهود فرطوا.

وأما أمة الاسلام فإنهم توسطوا بعيسى عليه السلام، فلم يرفعوه فوق منزلته التي أنزله الله عز وجل إيّاها، و لم يذموه ذم اليهود، ولذلك قال تعالى بعد ذلك **{ولا تقولوا على الله إلا الحق}** وهو ما قاله سبحانه وتعالى عن نفسه بأنه إله واحد أحد صمد لم يتخذ صاحبة و لا ولدا.

وإذا نهى الله عز و جل اليهود والنصارى عن الغلو في الدين فإن الخطاب و إن كان لهم فهو كذلك تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ما فعلت النصارى مع المسيح واليهود مع

العُزير، وكل من غلا في النبي صلى الله عليه وسلم أو غلا في ولي من الأولياء من دون الله تبارك وتعالى اتخذه إله فإنه قد يكون قد ضاهى النصارى في شركهم واليهودَ في تفريطهم.

وبين الشارح أن الغلو شامل لجميع أمور الدين؛ فإنه يشمل كذلك الغلو في محبة الصالحين، وتقدم أن الغلو منه ما يكون غلوا في جانب الاعتقادات وهنالك غلو في جانب الاعمال والعبادات.

وقول الشارح هنا " **فالنصارى أفرطوا واليهود فرطوا** " هنا فيه ذكر الافراط والتفريط، فالافراط موجود عند النصارى والتفريط موجود عند اليهود و هذا في شأن المسيح عيسى عليه السلام.

فالافراط هو مجاوزة الحد بالزيادة بالمدح و نحوه، وأما التفريط فهو مجاوزة الحد بالنقصان كالذم.

ثم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله " في الصحيح " عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: { وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً }. قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت "

قال الشارح رحمه الله " **كان هؤلاء أهل دين وفضل وخير، وماتوا في زمن متقارب فأسفوا عليهم، وصاروا يترددون على قبورهم، فأتاهم الشيطان وسول لهم أن يصوروا صورهم؛ ليكون أسهل عليهم من المجيء إلى قبورهم، ولم يكونوا قصدوا عبادتهم، وإنما قصدوا التذكر بهم؛ ليكون أدعى لهم على فعل الخير والتأسي بهم."**

ثم ذكر الشارح أن " **هذا الأثر اختصره المصنف، ولفظ البخاري عنه: " صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد، فأما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت، لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين في قوم نوح ".**

وروى ابن جرير عن موسى عن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صورنا صورهم كان أشوق لنا إلى العبادة، فصوروا صورهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم. "

والمراد أن هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح البخاري يفسر فيه قول الله عز وجل **{ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً }**. وقوله **{ وقالوا }** يعني قال بعضهم لبعض **{ لا تذرُنَّ }** أي لا تترككّ، لا تدعنّ وتترككن؛ وهذا نهي مؤكد بالنون **{ آلهتكم }** أي لا تذروا عبادتها ولا تتركوا عبادتها ولا تمكنوا أحدا من إهانتها ثم قال **{ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً }** هذه بعض آلهتهم لكنها أكبرها وأعظمها في نفوسهم وإلا فإن لهم أصناما يعبدونها غير هذه الأصنام التي سموها بأسماء هؤلاء الرجال، فيكون هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم إذ إنهم **قالوا { وقالوا لا تذرن آلهتكم }** هنا عمموا، ثم بعد ذلك خصصوا أعظمها فقالوا **{ و لاتَذَرُنَّ وَدا ولا سُواعا ولا يغوث و يعوق و نسرا }**

وهذه القصة التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما من كون هؤلاء الرجال الصالحين يعبدون الله تبارك وتعالى ثم لمّا ماتوا عكفوا على أماكنهم من أجل تذكر العبادة ومن أجل عبادة الرب تبارك وتعالى ثم لمّا هلكوا هؤلاء وجاء بعدهم جيل أوحى الشيطان إليهم أنهم كانوا يعبدونهم من دون الله تبارك وتعالى فعبدوهم من دون الله عز وجل قال " وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر. فعبدوهم " وقوله " بهم يُسقون المطر " يعني من أجل التوسل بهم والاستشفاع بهم ودعائهم من دون الله تبارك وتعالى فعبدوهم من دون الله جل و علا.

قال " فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن إنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا و سموها بأسمائهم "

قال الشارح **" أي لما هلك أولئك الصالحون وحزن عليهم قومهم حزنا شديدا وسوس لهم الشيطان وألقى إليهم أن انصبوا إلى مجالسهم حالة التعليم و التذكير أنصابا على صورهم المعلومة عندكم، جمع نُصب والأمر به بالكسر، والمراد بالأنصاب هنا الأصنام المصورة على صور أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم ليتذكروا أفعالهم بها، سموها بأسمائهم حتى لا تنسوهم وكلما ترونها تذكركم إياهم. وقد أخرج الشيطان لهم هذه الحيلة في قالب المحبة؛ لعدم قدرته عليهم إلا بهذه الدرجة، ومقصوده من بعدهم الذين لم يعرفوا ما نصبت له، ليوسوس لهم أنهم كانوا معبودين في أولاكم. "**

وهذا من حيل الشيطان العظيمة التي صرف الناس عن عبادة الله تبارك وتعالى، وقد دخل عليهم بمقصد حسن وهو عبادة الله تبارك وتعالى لكن بأمر جديد وهو جعل أنصاب يجعلونها في الأماكن التي كان يجلس فيها هؤلاء الصالحون، ثم بعد ذلك لما هلك هذا الجيل وجاء جيل آخر عبدت تلك الأصنام من دون الله تبارك وتعالى.

قال **" والمراد بالأنصاب هنا الأصنام المصورة على صور أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم؛ ليتذكروا أفعالهم بها، وسموها بأسمائهم حتى لا تنسوهم "**

قال " ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت "

قال الشارح **" أي فعل أولئك ما أوحاه الشيطان إليهم من تصوير صالحيهم، ولم تعبد تلك الصور، لقرب عهدهم بمعرفة الهالكين وما صوروا لأجله، حتى إذا هلك الذين صوروا الأصنام، ونسي العلم الذي فيه بيان الشرك والتوحيد، أو نسي العلم الذي نصبوا لأجله الأنصاب، وهو تذكر العلم الذي كانوا يأخذونه عنهم، والعبادة التي كانوا يفعلونها؛ ليتأسوا بهم فيها، عبدت تلك الصور، وفي رواية: أنهم قالوا: ما عظم أولنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فهذا هو السبب في عبادة هؤلاء الصالحين، وهذه هي الشبهة التي ألقاها الشيطان على المشركين من الأولين والآخرين. وفي رواية: "ونسخ" أي درست آثاره بذهاب العلماء، حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك، فوقعوا في الشرك ظنا منهم أنه ينفعهم.**

وعبدت تلك الأصنام لما قال لهم إبليس: إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير سلما لعبادتها، ففيه مضرة فقد العلم، ومضرة الغلو فإن كل ما عبد من دون الله من- قبر أو صنم- فالأصل في عبادته الغلو واندراس العلم، والجهل بحقيقة دين المرسلين، فالله المستعان.

قال الكلبي: ((كان لعمرو بن ربيعة رئي من الجن، فأتاه فقال: أجب أبا ثمامة، وادخل بلا ملامة، ثم ائت سيف جدة تجد بها أصناما معدة، ثم أوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب، فأتى جدة فوجد بها ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، وفي الأصنام التي كانت عبدت على عهد نوح وإدريس، ثم إن الطوفان طرحها هناك، فاستثارها عمرو، وحضر الموسم، ودعا إلى عبادتها فأجيب)) اهـ.

وعمرو بن ربيعة وعمرو بن لحي، أول من غير دين إبراهيم، والمعبود في الحقيقة هو الشيطان الذي زين لهم عبادتها، وأمرهم بها كما قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} "

وهنا يبين الشارح أن استجابة هؤلاء؛ الجيل الآخر الذي جاء بعد ذلك الجيل، كان من شأنه أن عبدوا تلك المعبودات من دون الله تبارك وتعالى، فأما الأولون فإنهم لم يعبدوها من دون الله عز وجل، لأنهم ما صوروها إلا من أجل العبادة؛ عبادة الله عز وجل، لكنه نُسيَ العلم، والمقصود ب " نسي العلم " كما قال الشارح رحمه الله: نسي علم التوحيد والتفريق بين الشرك بالله عز وجل والتوحيد، أو نسي العلم الذي نصبوا لأجله الأنصاب؛ وهو تذكر العلم الذي كانوا يأخذونه عنهم والعبادة التي كانوا يفعلونها ليتأسوا بهم فيها، فعبدت تلك الصور من دون الله تبارك وتعالى ونسخ العلم بذهاب العلماء فلم يميزوا بين التوحيد والشرك، فوقعوا في هذا الشرك ظنا منهم أنه ينفعهم.

وأما ما قبل هذا فإن الناس كانوا على التوحيد كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال **" كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد "**

ثم إن هذه التصاوير التي وضعت وإن لم تعبد من دون الله تبارك وتعالى لكنها أصبحت فيما بعد سلما لعبادتها.

وذكر الشارح رحمه الله من فوائد هذا الأثر هو مضرة فقد العلم ومضرة الغلو، وذكر أن كل ما عبد من دون الله عز وجل من قبر أو صنم فالأصل في عبادته هو الغلو واندراس العلم والجهل بحقيقة دين المرسلين؛ لأن المرسلين ما أرسلوا إلا من أجل إخلاص العبادة لله تبارك وتعالى.

ثم ذكر الشارح رحمه الله عن الكلبي - والكلبي ألف كتابا في الأصنام ذكر فيه هذه القصة، وهي أنه كان له رئي من الجن ومعاونون من الجن فأخبروه أنه في جدة هناك على البحر يوجد أصنام قد رماها البحر على الشاطئ فخذها وادع العرب إلى عبادتها، ففعل ذلك ودعا الناس إلى عبادتها من دون الله تبارك وتعالى، فعبدت من دون الله. فكان عمرو بن لُحيّ الخزاعي هو أول من غير دين إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم **" رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيّب السوائب "**

ثم ذكر الشارح أن المعبود على الحقيقة هو الشيطان، لأنه هو الذي زين لهم عبادة تلك المعبودات، وكل ما عُبد من دون الله عز وجل فإن نهايته هو أن الشيطان هو الذي سول للناس هذه العبادة كما قال عز وجل **{۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62)}.**

قال رحمه الله " قال ابن القيم: ((قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم)) "

قال الشارح " **ابن القيم هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، الثقة الحجة الورع الزاهد، المتفنن في سائر العلوم، صاحب التصانيف الرائقة السائرة المقبولة، أخذ عن شيخ الإسلام والمزي وغيرهما، وعد في أكابر السلف، مات -قدس الله روحه- سنة 751 هـ** " قال رحمه الله " **وما ذكره -رحمه الله- هو بمعنى ما ذكره البخاري وابن جرير وغيرهما، إلا أنه ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصوير تماثيلهم، وذلك أعظم الوسائل الموصلة إلى الشرك، بل هو الشرك؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة، فإذا كان على القبور صار عكوفهم- تعظيما ومحبة- عبادة لها، وقد تقدم أن العكوف هو البقاء والإقامة على الشيء في المكان عبادة وتعظيما وتبركا، كما كان المشركون يفعلون ذلك عند أصنامهم، لما يعتقدون فيها من البركة.**

والأمد: الزمان، أي طال عليهم الزمان، ونسوا ما قصده الأولون، فتبين أن مبدأ الشرك هو الغلو فيهم، وأن سبب تلك العبادة ما جرى من الأولين من التعظيم بالعكوف على قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك أوثانا تعبد من دون الله، وهذا أول شرك حدث في الأرض.

قال القرطبي: ((وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها)) اهـ.

أي فعبدوهم وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور، إلى أن دعوا الناس إلى عبادتها، واتخاذها أعيادا ومناسك، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، ثم نقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية، وعادوا أهل التوحيد، ووالوا أهل الشرك والتنديد، وزعموا أنهم أولياء الله: {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}

قال المصنف: وفيه أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب، وفيه معرفة أن أول شرك حدث على وجه الأرض بشبهة محبة الصالحين، ومعرفة أول شيء غير به دين الأنبياء، وقبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها، وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل بأمرين: الأول: محبة الصالحين. والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره. ومنها معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه، ومنها مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح، ومعرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها ومعرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

قال حفيده: ((ومنها مضرة التقليد، وكيف آل بأهله إلى المروق من الإسلام)) . "

في هذا الجزء يشرح المصنف رحمه الله قول الإمام ابن القيم رحمه الله وما نقله عن السلف أن أولئك لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم من دون الله تبارك وتعالى، وفي هذه الرواية ذكر العكوف عند القبور وهذا يبين خطر ذلك الفعل وأنها تصيّرها أوثانا تعبد من دون الله تبارك وتعالى لأنهم إنما اعتكفوا عند تلك القبور تعظيما لأصحابها ومحبة لها ثم أصبحت بعد ذلك عبادة تصرف إليهم العبادة من الدعاء والنذر وغير ذلك كما حصل عند عباد القبور.

وبين معنى العكوف: وهو البقاء والإقامة على الشيء في المكان عبادة وتعظيما وتبركا كما كان المشركون يفعلون ذلك عند أصنامهم، وهذا هو الذي استقاه كذلك عباد القبور في الأزمنة المتتالية وقلدوا أولئك المشركين فعبدوا أولئك من دون الله عز وجل وغلو في شأنهم.

وقال **" نسوا ماقصده الأولون فتبين أن مبدأ الشرك هو الغلو فيهم "** وهذا هو المقصد من إيراد الشيخ رحمه الله كلام ابن القيم وأثر ابن عباس رضي الله عنهما قبله، وهو يبين أن سبب الشرك بالله تبارك وتعالى إنما حدث في الأرض بسبب الغلو في الصالحين.

وذكر الشارح أمرا عجبا عند أولئك المشركين وهو تغير الفطر، فأصبح التوحيد شركا وأصبح الشرك توحيدا؛ فأصبح التوحيد والذي يدعوا إلى إخلاص العبادة لله عز وجل يعتبر عند أولئك المشركين متنقصا لرتب الأولياء ومتنقصا الأنبياء والصالحين، وأصبح الشرك هو التوحيد الذي دعا الله عز وجل الناس إليه، وهذا من تغيير الفطر ومن تغيير الشرائع، فإن الله عز وجل أمر بإخلاص العبادة له وحده تبارك وتعالى ونهى الناس عن أن يغلوا في أحد من الأنبياء ومن الأولياء فإن ذلك يؤدي إلى عبادتهم من دون الله جل وعلا.

ونقل عن المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه قال - يعني في هذه المسائل التي يذكرها بعد الباب - **" أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب "**

ويقصد بالبابين الذين يليانه هو (باب ما جاء من التغليظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده) والباب الذي يليه (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله)

قال كذلك في المسائل " وفيه معرفة أول شرك حدث على وجه الارض بشبهة محبة الصالحين " وهذا واضح في قول ابن عباس رضي الله عنهما وتفسيره لهذه الآية.

قال **" ومعرفة أول شيء غير به دين الأنبياء وقبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل بأمرين:**

الأول: محبة الصالحين.

والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره. "

فمقصوده أن أول شيء غير به دين الأنبياء أنه هو الشرك بالله تبارك وتعالى، وأن سبب ذلك هو الغلو في الصالحين.

قال **" وقبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها "**

لأن النفوس لا تقبل الأمر الجديد المحدث في دين الله عز وجل لأن الشرائع ترد ذلك، وهذا في الفطر السليمة التي جبلت على عبادة الله تبارك وتعالى، فالفطر السليمة لا تقبل تشريعا إلا ممن يملك ذلك؛ وهو الله تبارك وتعالى.

وقال **" وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل "** وهذا المزج بينه المصنف رحمه الله بأمرين:

- بمحبة الصالحين، أو دعوى محبة الصالحين.

- وكذلك، فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيرا فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره، وهذا واضح في القصة التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما.

قال " ومنها معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه "

وهو يريد هنا رحمه الله أن يُبين سبب الشرك بالله عز وجل وأنه من أعظم الأمور خطرا على عبادة الإنسان وعلى عقيدته، وأنه يؤول إلى الشرك به جل وعلا.

قال **" ومنها مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح "** يعني أنه إذا اعتكف عند القبر فإن مضرته كبيرة ولو كان يريد أن يدعو الله عز وجل أو أن يعمل صالحا أو أن يتذكر عبادة هذا المقبور.

قال **" ومعرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها "** فأولئك مثلوا تلك التماثيل ونصبوا تلك الأصنام وعبدوها بعد ذلك، وهنا يُبين أن الحكمة في النهي عن التماثيل حتى لا تعبد من دون الله جل وعلا، ولذلك يجب إزالة هذه التماثيل ولو لم تعبد من دون الله عز وجل.

قال **" ومعرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجه إليها مع الغفلة عنها "**

وهذا كذلك يحتاجها الموحد ويحتاجها الداعية؛ أن يُبين للناس سبب الشرك بالله جل وعلا فيُبين للناس أن الشرك سببه هو الغلو في الصالحين، وما نجده الْيَوْمَ من عبادة الناس أو من عبادة بعض الناس لغير الله عز وجل وصرف العبادة إليهم إنما سببه هو الغلو في هؤلاء الذين عبدوا من دون الله تبارك وتعالى وكانوا من الصالحين.

" قال حفيده ((ومنها مضرة التقليد وكيف آل بأهله إلى المروق من الإسلام))

ويقصد بحفيده: الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في كتابه التيسير لما قال " ومنها - يعني من الفوائد - مضرة التقليد وكيف آل بأهله إلى المروق من الإسلام " فإن الشيخ سليمان بن عبد الله هو حفيد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

قال " وعن عمر رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله "".

قال الشارح **" الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه، أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى -عليه السلام- حتى ادعوا فيه الإلهية، وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، لا تجاوزوا هذا القول، فأبى المشركون إلا مجاوزة أمره، وارتكاب نهيه، وعظموه بما نهاهم عنه، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، وناقضوا أمره أعظم مناقضة، وأظهر لهم الشيطان هذا الشرك في قالب التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبته، والتوحيد والإخلاص في قالب التنقص، حتى جوزوا الاستغاثة به في كل ما يستغاث فيه بالله، ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله، وارتكبوا ما نُهُوا عنه وشاقوا الله ورسوله.**

وفيه أن الألفاظ التي يذكرها بعض الناس في الصلاة والسلام عليه وسلم وغير ذلك مما لا يحبه صلى الله عليه وسلم، ولا يحب إلا ما جاء الأمر به حتى في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وفيما يثني عليه ويمدح به، ومن العجب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته، ومحبته إنما يصدقها تجريد التوحيد الذي بعث من أجله، وتجريد المتابعة، وتقديم محبته على النفس والمال والولد والناس أجمعين، والثناء عليه بما أثنى به عليه ربه، أو أثنى به هو على نفسه، من غير غلو ولا تقصير. "

هذا الحديث الذي ذكره المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مناسبٌ أشد المناسبة للباب، ففيه نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو فيه كغلو النصارى؛ فإن النصارى غلوا في عيسي ابن مريم حتى أوصلوه إلى درجة الإلهية؛ وعبدوه من دون الله تبارك وتعالى، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الفعل منهي عنه وأنه لا يجوز لهم أن يطروه كما أطرى النصارى نبيهم عيسى، وإنما يجب عليهم أن يعتقدوا بأنه عبد الله عز وجل ورسوله؛ عبد لله عز وجل: فلا يعبد ولا يدعى من دون الله عز وجل ولا يستغاث به، ورسوله: يعني لا يكذّب عليه الصلاة والسلام بل يعتقد أن رسالته من عند الله تبارك وتعالى.

وبين الشارح رحمه الله معنى الإطراء وأنه هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو في مدحه.

وضرب الشيخ رحمه الله أمثلة بمن يغلو في النبي صلى الله عليه وسلم في صيغ الصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام- وهذا يكثر عند الصوفية الذين أرادوا الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكتبوا الأشعار واستغاثوا بالنبي عليه الصلاة والسلام ودعوه من دون الله جل وعلا، وزعم بعضهم أنه يعبد الله عز وجل ويعبد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن العجائب التي ذكرها الشيخ وأشار لها سابقا هو أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك في صورة محبته عليه الصلاة والسلام وأنك إذا أردت أن تحب النبي عليه الصلاة السلام فلابد أن تشركه في هذه العبادة، وأظهر لهم أن التوحيد بالله تبارك وتعالى فيه تنقص بالأولياء وفيه تنقص بالنبي صلى الله وآله وسلم.

ومحبة النبي عليه الصلاة والسلام إنما تكون بإتباع شرعه الذي جاء به كما قال الله عز وجل **{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }** فهنا إذا كانت المحبة لله وإذا كانت هذه المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم صادقة فليكن هناك اتباع صادقة وتجريد لهذه المتابعة للنبي عليه الصلاة والسلام، وإلا فإن هذه المحبة تكون دعوى.

وفي هذا إشارة إلى أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون وسطاً؛ لا يكون فيها غلو في النبي عليه الصلاة والسلام.

قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إياكم والغُلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " هلك المتنطعون " قالها ثلاثاً. "

قال الشارح **" أي التشدد في الدين ومجاوزة الحد، بأن يزاد في مدح الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك، فهو الداء العضال الذي هلكت به الأمم الماضية، وهذا الحديث ذكره المصنف -رحمه الله-**

غير معزو، وقد رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع: هلم القط لي حصيات من حصى الخذف، فلما وضعتها في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين ". لفظ ابن ماجه، وإسناده صحيح، وشواهده في الكتاب والسنة. وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار.

وقال شيخ الإسلام: ((هذا الحديث عام في جميع أنواع الغلو في الإعتقادات والأعمال)) "

فهنا في هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما فيه نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو في الإعتقادات وفِي الاعمال؛ قال " إياكم والغُلو " فهذا تحذير من الغلو مطلقا.

وعند ذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام (هلك المتنطعون)

قال الشارح رحمه الله **" أي المتكلفون المتعمقون المتأنقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقاصي حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا أو الغالون في عباداتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة أو الذي يدخل الباطل في قالب الحق لقوة فصاحته.**

وأما الفصاحة التي توضح الحق وترد الباطل وتظهر عظمة العلم والدليل فممدوحة. "

وقوله " هلك المتنطعون " التنطّع مرادف عند بعض أهل العلم للغلو لكنّه يكون في الألفاظ، فنهى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن التنطع في الدّين؛ وهو الذي يغلو في العبادة أو يغلو في الألفاظ إنّ هذا كلّه منهيّ عنه.

قال **" ثمّ استُعمِل في كلّ متعمق قولا وفعلا "**

" قالها ثلاثا "

" أي قال هذه الكلمة ثلاث مرّات مبالغة في الإبلاغ والتعليم، وقد بلّغ البلاغ المبين صلّى الله عليه وسلّم.

ومطابقة هذا الحديث للترجمة أنّ التنطع من الغلو والزيادة لما فيه من الخروج الذي يوصل إلى الشرك بالله عزّ وجل.

وهذا الحديث رواه أحمد أيضا وأبو داود و غيرهما "

وهذا الشرح من الشيخ رحمه الله واضح في مقصود الإمام محمد بن عبد الوهاب رحم الله الجميع.

نقف على هذا

والله أعلم

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الثامنة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا له إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء الثاني عشر والذى نتدارس فيه توحيد الألوهية في كتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ كتاب التوحيد بحاشيته للشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

قال الشارح " **أي باب ذكر ما ورد في النصوص من التغليظ والتهديد، والوعيد الشديد على من يعبد الله عند قبر رجل صالح مع أنه لا يقصد إلا الله، ومع كونه معصية فهو وسيلة وذريعة من أعظم الوسائل والذرائع إلى الشرك، وقد أبدى ﷺ وأعاد، وكرر وغلظ في ذلك، فكيف إذا عبد الرجل الصالح فإنه أحق وأولى بما هو أعظم من هذا التغليظ، والمقصود أنه إذا كانت عبادة الله عند القبور منهيا عنها، ومغلظا فيها، فكيف بعبادة صاحب القبر، فإن ذلك شرك أكبر، وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته، وكلما أدى إلى محرم فهو محرم، فإن الوسائل لها حكم الغايات، فوسائل الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إليه، ولما رأى المصنف -قدس الله روحه- تهافت الناس على عبادة القبور، نوع التحذير من الافتتان بالقبور، وأخرجه في أبواب مختلفة، ليكون أوقع في القلوب، وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب، وأبلغ في التحذير."**

فنجد هنا في كلام الشارح رحمه الله بيان العلاقة بين هذا الباب والأبواب السابقة؛ فالمصنف رحمه الله تعالى مازال يتحدث عن الشرك وهو شرك القبور والافتتان بها، وذكر في الأبواب السابقة تحريم الشرك وأن صاحبه خالد مخلَّد في نار جهنّم.

وفي هذا الباب نجد أن المصنِّف رحمه الله ذكر نوعا من أنواع التحذير من الشرك ودليلا من أدلّته؛ وهو أنه إذا كان الإنسان منهيا عن الصلاة وعن عبادة الله تبارك وتعالى عند قبر رجل صالح كما يأتي معنا إن شاء الله في ذكر الأدلّة فكيف إذا عبده.

وهذا يدلّ على عظيم عناية الرسول صلى الله عليه وسلّم بهذا الجانب ورأفته بأمته صلى الله عليه وعلى آله و صحبه، فإن أول ما حذّر الناس منه هو الشرك بالله تبارك و تعالى وأول ما أمر به هو توحيد الله عز و جل، و من تمام رأفته صلى الله عليه و سلم ومن تمام إقامة حجة الله عز وجل على عباده هو أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر الأمة من وسائل الشرك، ومن وسائل الشرك الموصلة إليه هو ما يتعلّق بهذا الباب الذي سندرسه، فالنبي صلى الله عليه وسلم حذر أشد التحذير من عبادة الله عز وجل عند القبور، فكيف إذا توجه بهذه العبادة لصاحب هذا القبر ؟

والفرق بين الأمرين هو

- أن الأمر الأول: وهو أن العبد أراد بهذه العبادة الله تبارك وتعالى فتوجه بها إلى الله عز وجل، لكنه أتى بهذه العبادة في مكان محظور وهو عند تلك القبور.

- والحالة الثانية: وهي قوله " فكيف إذا عبده " وهو أنّه أدى هذه العبادة لصاحب هذا القبر؛ كأن يدعو صاحب هذا القبر أو يستغيث به ويطوف على قبره ويسجد له و نحو ذلك.

ومن أدى العبادة عند القبر وأراد بها وجه الله تبارك وتعالى فإنه إنما أدى هذه العبادة عند هذا القبر لما يعتقده من أن صاحب هذا القبر من الصالحين أو أن هذا المكان يُعتبر من الأماكن المباركة التي يقبل الله تبارك و تعالى أداء العبادات عندها.

وقول المصنف رحمه الله في هذا الباب " فكيف إذا عبده " يعني: فكيف إذا عبد القبر أو عبد الرجل الصالح.

وأما حكم هذا الفعل؛ وهو أن يتوجه بهذه العبادة لله عز وجل ويخلص بها لله تعالى لكنه أداها عند قبر رجل صالح فإنه في هذه الحال قد أتى بمحرّم، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله تبارك وتعالى، لذلك ذكر الشارح رحمه الله أنّ **" الوسائل لها حكم الغايات، فوسائل الشرك محرمة لأنها تؤدي إليه "** أي تؤدي إلى الشرك بالله تعالى.

ولذلك كان من عقيدة أهل السنة والجماعة أنه يُشرع زيارة القبور، وزيارة القبور مشروعة من أجل الدعاء لأصحابها ومن أجل التفكر في أحوال الآخرة وما يكون للعبد في هذا القبر، وأما الدعاء عند القبور فإنه غير مشروع، وسواءً كان هذا القبر قبر النبي ﷺ أو قبر غيره، وليست هي محلا للإجابة وإنما المشروع كما قلنا إنّما هي الزيارة والسلام على الموتى والدعاء لهم وتذكر الآخرة والموت كما جاء في النصوص، ولم يكن في الصحابة و التابعين والأئمة من يقول إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء و الصالحين، و لم يقل أحد أن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة. وقد أجمع الأئمة من أهل السنة والجماعة على أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ القبور مساجد؛ كما يأتي معنا إن شاء الله.

ومن أعظم المحدثات وأسباب الشرك هو الصلاة عندها واتخاذها مساجد و بناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن ذلك و التغليظ فيه.

وقول المصنف رحمه الله " باب ما جاء في التغليظ "

المقصود به التشديد، ومن صور التشديد التي جاءت في الأحاديث يوردها الشيخ رحمه الله تصريح النبي صلى الله عليه وسلم على أن من فعل ذلك فإنهم شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى، وكذلك لعن النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفعل ذلك، ونحو ما ذكر رحمه الله من النصوص.

ثم أورد المصنف رحمه الله حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيح أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت للنبي صلى الله عليه و سلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة و ما فيها من الصور، فقال **" أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح –أو العبد الصالح- بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله"**

قال الشارح رحمه الله **" الكنيسة- بفتح وكسر النون- متعبد النصارى، وفي رواية: "يقال لها: مارية"، وفيه أن أم سلمة ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ في مرض موته، وهو في الصحيحين، وفيهما أيضا أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ."**

و قوله " وما فيها من الصور"

قال الشارح " **أي وذكرت له ما فيها من تلك الصور، وفي رواية: "وذكرتا له من حسنها وتصاوير فيها."**"

قال " **أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح –أو العبد الصالح- بنوا على قبره مسجدا**"

قال الشارح " **أي موضعا للعبادة، وإن لم يسم مسجدا كالكنائس والمشاهد، و "أولئك" بكسر الكاف، خطاب للمرأة، والرجل الصالح هو القائم بحقوق الله، وحقوق عباده، وفيه التحري في الرواية، وجواز الرواية بالمعنى لمن يحسن ذلك.**"

فقوله " بنوا على قبره مسجدا " يقصد بالمسجد مكان العبادة فيدخل في ذلك الكنائس لأن المسجد هو كل مكان يُتّخذ لعبادة الله تبارك وتعالى كما قال النبي صلى الله عليه و سلم " **وجعلت ليَ الأرض مسجدا وطهورا** "

وقول الشارح و **"أولئك" بكسر الكاف، خطاب للمرأة** " ويصح كذلك كما نبه أهل العلم الفتح؛ فيجوز أن تقول (أولئِكِ) ويجوز أن يُقال (أولئكَ)؛ فالكسر إذا كان الخطاب لأم سلمة و أما الفتح إذا كان الخطاب باعتبار الجنس.

قال " وصوروا فيه تلك الصور، أولئكِ شرار الخلق عند الله "

قال " أولئكِ " قال في الحاشية " **بكسر الكاف أيضا، وتفتح كالماضية، والإشارة إلى ما ذكرت له أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التي في تلك الكنيسة، كما في بعض ألفاظ الحديث، فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، ذكرهم على وجه العيب والذم والإشانة.**"

قال " **شرار بكسر الشين جمع شر كالخيار جمع خير، وإنما سموا بذلك لضلالهم، وسنهم لمن بعدهم الغلو في قبور صالحيهم حتى أفضى بهم ذلك الغلو إلى عبادتها، وهو عام فيمن فعلهم من هذه الأمة، وأي زجر وأي تغليظ وتقريع وتعيير أبلغ من هذا؟**

وهم إنما صوروا صورهم ليتأسوا بهم، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وأنذر، وأبدى وأعاد، أولا بالبناء على القبور، ثم بالتصوير، ثم بكونهم شرار الخلق؛ سدا للذريعة المؤدية إلى الشرك.
وفيه ونحوه دلالة ظاهرة على تحريم بناء المساجد على القبور، وزخرفتها وإسراجها، وعبادة الله عندها، أو تعليق شيء من الصور عليها، لا سيما وقد لعن ﷺ من فعل ذلك كما سيأتي. "

وهذا وجه من أوجه التغليظ الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه عليه الصلاة والسلام ذكر في وصف هؤلاء أنهم شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى.

وإنما سموا شرارا لضلالهم ولسنّهم لمن بعدهم الغلو في قبور صالحيهم حتى أفضى بهم ذلك الغلو إلى عبادتها دون الله عز وجل.

ومقتضى هذا هو تحريم هذا الفعل، وبين الشارح رحمه الله أن هذا عامّ فيمن فعل مثل فعلهم من هذه الأمة فإن من جعل هذه الصور ومن بنى على القبر مسجدا فإن الوصف ملازم له بأنهم شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى.

ونبه الشارح كذلك إلى أن هذا فيه سد للذريعة المؤدية إلى الشرك بالله عز وجل.

ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنهم توجهوا إلى هؤلاء الصالحين بالعبادة وإنما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم تلك القبور، فجعلوا تلك الصور عند تلك القبور وبنوا عليها مسجدا

فاستحقوا أن يكونوا شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى، ولذلك علق الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على هذا بقوله **" فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين؛ فتنة القبور وفتنة التماثيل "؛**

قال الشارح " **هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على الحديث، أدرجه المصنف -رحمهما الله تعالى- غير منسوب؛ لأنه معلوم عند غالب من يقرأ هذا الكتاب، وعني -رحمه الله- أن الذين بنوا هذه الكنيسة جمعوا فيها بين فتنتين، ضل بهما كثير من الخلق، فأما فتنة القبور فلأنهم افتتنوا بقبور الصالحين، وعظموها تعظيما مبتدعا، فآل بهم إلى الشرك.**

وأما فتنة التماثيل- أي الصور- فإنهم لما افتتنوا بقبور الصالحين، وعظموها وبنوا عليها المساجد، وصوروا فيها تلك الصور، آل بهم الأمر إلى أن عبدوها، وهاتان الفتنتان هما سبب عبادة الصالحين، كاللات والعزى وود وغيرها، وهذه العلة هي التي لأجلها نهى النبي ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور، وهي التي أوقعت الكثير من الأمم في ذلك،

والفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام وأشد؛ فإن الشرك بقبر رجل يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدون عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ويلهجون بذكرهم أكثر مما يذكرون الله، وينفقون نفائس الأموال في ذلك، ولأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة.

قال شيخ الإسلام: وإذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بها، فهذا عين المحادة، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما قد علموه بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه، وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها، متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة، وصرحوا بتحريم ذلك، ومن أطلق الكراهة منهم فينبغي أن تحمل كراهته على التحريم، إحسانا للظن بالعلماء، وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ النهي عنه، ولعن فاعله."

فهذا النقل الذي جاء عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ناقلا إياه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه يبين أن هؤلاء الذين بنوا على قبر ذلك الرجل مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أنهم جمعوا بين الفتنتين؛ فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهما من أعظم الفتن التي وقعت في أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، فإن كثيرا من الناس افتتن بالقبور وافتتن بصنع التماثيل.

وإن الافتتان بصاحب القبر ولاسيما إذا كان من الصالحين ولاسيما إذا كان من الأنبياء والمرسلين أعظم من الفتنة بشجر أو بصنم أو بحجر ونحو ذلك، ولهذا لبس أهل الضلال على كثير من العامة بأن محبة الصالحين تقتضي الاعتكاف عند تلك القبور والتوجه بالعبادة إليها أو بالصلاة عندها.

ومن المعلوم كما تقدم معنا أن من أسباب الشرك بالله تبارك وتعالى الغلو في الصالحين، وبسبب الافتتان بالقبور وبسبب الافتتان بالتماثيل عبد الصالحون من دون الله تبارك وتعالى.

ومن تمام نصح النبي صلى الله عليه وسلم أنه حذر أشد التحذير من بناء المساجد على القبور أو صنع التماثيل لها حتى لو لم يؤدِّ العبد العبادة عندها، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في المقبرة.

وقد أجمع المسلمون على تحريم الصلاة عند القبور كما نقل شيخ الإسلام رحمه الله وبأن هذا معلوم بالاضطرار من دين النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ تلك القبور مساجد لأنها من أسباب الشرك بالله تبارك وتعالى؛ فأداء الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها كلها من أسباب الشرك بالله جل وعلا.

وبين رحمه الله أن أهل العلم صرحوا بتحريم البناء على تلك القبور وأن من صرح بالكراهة فإنما يقصد بها كراهة التحريم لا كراهة التنزيه إحسانا للظن بالعلماء أن يخالفوا ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم التحذير منه.

ثم أورد الأمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى حديثا آخر عن عائشة رضي الله عنها؛ قال **" ولهما عنها قالت: " لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال -وهو كذلك-: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا". أخرجاه "**

قال " لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه "

قال الشارح **" نزل بضم النون وكسر الزاي، أي لما نزل به ملك الموت لقبض روحه الشريفة، والملائكة الكرام، وروى بالفتح، أي لما نزل به الموت.**

وفي رواية: نزلت، أي لما حضرت المنية والوفاة.

و"طفق" بفتح الطاء وكسر الفاء وتفتح، أي جعل، "والخميصة" كساء له أعلام."

" فإذا اغتم بها كشفها "

قال **" أي إذا غمته فاحتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه؛ لشدة ما يعالج ﷺ من كرب الموت."**

" فقال -وهو كذلك-: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "

قال الشارح **" أي قال ﷺ في هذه الحالة الحرجة، وهي شدة النزع، لشدة اهتمامه، واعتنائه بمقام التوحيد، وخوفه أن يعظم قبره، كما فعل من مضى : " لعنة الله على اليهود والنصارى"، وفي لفظ: " قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " أي كنائس وبيعا، أي يتعبدون ويسجدون فيها لله، وإن لم يسموها مساجد، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم، وفي لفظ لمسلم: " كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ".**

ومثل ذلك القباب والمشاهد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، فإنما هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم، فأفاد أن هذا من أخوف ما خافه ﷺ على أمته، ولولا أن ضرره عظيم لما ذكره في هذا المقام.

وخص قبور الأنبياء لأن عكوف الناس على قبور أنبيائهم أعظم، واتخاذها مساجد أشد، ولم يكن هذا اللعن في سياق الموت لهذه الطائفتين إلا على سبيل التحذير الشديد؛ لئلا تقع أمته في شيء من فعلهم عند قبره، فلعنهم على تحري الصلاة عندها، وإن كان المصلي لا يصلي إلا لله؛ لأنه ذريعة إلى عبادتها، فكيف إذا عبدها، وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها، واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى، بل تعم من فعل فعلهم. "

وهذا الشرح من الشيخ رحمه الله تعالى واضح وجليّ، وفيه أن النبي ﷺ ما قال هذا القول وفي هذه الحالة وهي في حال مرضه عليه الصلاة والسلام إلا شفقة ورأفة وتحذيرا لأمته ﷺ من أن تشابه أمة اليهود والنصارى الملعونين الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وقد بين الشارح معنى اتخاذها مساجد؛ وهي أنهم يتعبدون ويسجدون فيها لله تبارك وتعالى وإن لم يسموها مساجد.

فتأمل كيف لعن النبي ﷺ من كان يصلي لله تبارك وتعالى لكن في ذلك المكان وهو قبور الأنبياء والصالحين، فكيف إذا توجه لهم بالعبادة ودعاهم من دون الله تبارك وتعالى ؟ !

واتخاذ القبور مساجد يكون على إحدى صور ثلاث – كما قال الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه التمهيد - :

- الصورة الأولى: وهو أن يجعل القبر مكان سجوده فيسجد على القبر؛ فقوله " اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يعني جعلوا القبر مكان سجود، وهذه الصورة في الواقع لم تحصل بانتشار؛ لأن قبور الأنبياء لم تكن مباشرة للناس بحيث يمكنهم الصلاة عليها أو السجود عليها، بل كانوا يعظمون قبور أنبيائهم فلا يصلون عليها مباشرة.
- وأما الصورة الثانية: فهي أن يصلي إلى القبر، ومعنى اتخاذه مسجدا في هذه الحالة: أن يكون أمامه القبر يصلي إليه بحيث يجعله قبلة، فإنه يكون بذلك قد: اتخذ القبر - وما حوله له حكمه– مكانا للتذلّل والخضوع.
  وقد نهى النبي ﷺ أن يُصلى إلى القبر لأجل أن الصلاة إليه وسيلة من وسائل التعظيم، وهذا يوافق الترجمة التي أتى بها الشيخ رحمه الله معنا وهي " باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح " والمفهوم من قوله "عند قبر رجل صالح " هذه الصورة المتقدمة وهي أن يكون القبر أمامه فيجعل القبر بينه وبين القبلة تعظيما للقبر.
- الصورة الثالثة: أن يتخذ القبر مسجدا بأن يجعل القبر في داخل بناء وذلك البناء هو المسجد، فإذا دفن النبي قام أولئك بالبناء عليه فجعلوا حول قبره مسجدا واتخذوا ذلك المكان للتعبد وللصلاة فيه. وهي كذلك مناسبة لقول الشيخ "عند قبر رجل صالح "

قال **" يحذر ما صنعوا "**

قال الشارح " **هذا من كلام عائشة -رضي الله عنها- أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اليهود والنصارى تحذيرا لأمته أن يفعلوا ما فعلت اليهود والنصارى، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم، فإنه من الغلو في الأنبياء، وأعظم وسائل الشرك،**

قال القرطبي: ((وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام)) . "

قال **" ولولا ذلك لأُبرِز قبره "**

قال الشارح " **وفي لفظ: لأبرزوا قبره، أي ولولا تحذير النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعوا، ولعنه من فعل ذلك لأبرز قبره، أي لدفن خارج بيته، أو مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع."**

وهذا يبين أن النبي ﷺ لم يدفن مع أصحابه في البقيع من أجل هذا السبب وهو حماية لقبره صلى الله عليه وسلم من أن يُتخذ مسجدا، فلم يُبرز قبر النبي ﷺ وإنما دفن عليه الصلاة والسلام في حجرة عائشة.
والسبب الثاني؛ ما ذكره الصدّيق رضي الله عنه من أن السنّة في الأنبياء أن يدفنوا حيث ماتوا.

وقولها **" غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدا"** أو **" غير أنه خَشي أن يتخذ مسجدا "** وهذا فيه روايتان؛ خُشِيَ – بالضمّ – و خَشِيَ – بالفتح -.

أما الضم – في رواية الضمّ – خُشِيَ؛ فيكون المقصود أن الصحابة رضي الله عنهم خشوا من هذه الوسيلة التي قد تؤدي إلى عبادة قبره؛ أنهم دفنوا النبي ﷺ في حجرة عائشة ولم يبرزوا قبره.

وعلى رواية الفتح فيكون الذي خشي هو النبي ﷺ.

قال الشيخ ابن عثيمين في الترجيح بين الروايتين " والحقيقة أن الأمر كله حاصل؛ فالرسول ﷺ أخبر أنه ما قبض نبي إلا دُفن حيث قُبض، ولعن اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد خوفًا من اتخاذ قبره مسجدا، والصحابة رضي الله عنهم اتفقوا على أن يدفن ﷺ في بيته بعد تشاورهم لأنهم خشَوْا ذلك. "

قال " **أخرجاه** "

قال الشارح " **أي البخاري ومسلم، ويغنى عنه قوله في أوله: ولهما؛ فلعله سبقة قلم،**

و"خشي" روي بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك ﷺ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة، فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك غلوا وتعظيما، لما تقرر عندهم من مناقضة ذلك لدين الإسلام، بما أبدى وأعاد ﷺ من النهي والتحذير منه ولعن فاعله.

قال القرطبي: " ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا- حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره، خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة، إذا كان مستقبَل المصلي، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره."

قال المصنف: وفيه ما ذكر ﷺ فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه على قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل، والنهي عن التماثيل، وتغليظ الأمر في ذلك، ونهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر، وأنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، ولعنه إياهم على ذلك، وأن مراده بذلك تحذيرنا عن قبره، ومنها العلة في عدم إبراز قبره. "

وهذا الذي نقله الشارح رحمه الله عن القرطبي فيه حرص المسلمين في سد الذرائع ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم في عدم إبراز قبره عليه الصلاة والسلام، فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها وخافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة ولذلك بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا بزاوية مثلثة من ناحية الشمال حتي لا يتمكن أحد من استقبال قبره صلى الله عليه وسلم.

ثم إنه يجب أن يعلم أن المسجد النبوي لم يبنَ على القبر - لم يبن على قبر النبي صلى الله عليه وسلم - فلم يبن في حياته عليه الصلاة والسلام ولَم يدفن النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، وإنما أدخلت حجرة عائشة رضي الله عنها مع بيوت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد بعد انقراض أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبق منهم إلا القليل، فلم يكن إدخال الحجر في المسجد باتفاق من الصحابة رضي الله عنهم وإنما كان هذا بعد سنة أربع وتسعين للهجرة، وقد خالف في هذا سعيد ابن المسيب فلم يرض بهذا العمل.

وذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن " *قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس في المسجد حتى بعد إدخاله، لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد، فليس المسجد مبنياً عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظاً ومحوطاً بثلاثة جدران وجعل الجدار في زاوية منحرفةٍ عن القبلة - أي مثلث - والركن في الزاوية*

الشمالية بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه منحرف، فبهذا كله يزول الإشكال الذي يحتج به أهل القبور علينا ويقولون: هذا منذ عهد التابعين إلى اَلْيَوْمَ والمسلمون قد أقروه ولَم ينكروه.

فنقول إن الإنكار قد وجد حتى في زمن التابعين وليس محل إجماعٍ مع هذه الفروق التي ذكرناها " انتهي كلام الشيخ بن عثيمين رحمه الله.

ثم أورد الشارح رحمه الله فوائد من هذا الحديث؛ وهي المسائل التي ذكرها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في خاتمة هذا الباب، قال " **وفيه ما ذكر ﷺ فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه على قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل، والنهي عن التماثيل، وتغليظ الأمر في ذلك، ونهيه عن فعله عند قبره** – يعني قبر النبي ﷺ وتغليظ الأمر في ذلك - **قبل أن يوجد القبر، وأنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، ولعنه إياهم على ذلك، وأن مراده بذلك تحذيرنا عن قبره، ومنها العلة في عدم إبراز قبره ﷺ.** "

ثم قال " **ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: " سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك** "

قال الشارح رحمه الله - " عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس.." -

قال الشارح " **أي خمس ليال، وقيل خمس سنين، والأول أظهر؛ لكونه لعن أيضا وهو في سياق الموت من فعله.** "

قال " وهو يقول: (إني أبرأ إلي الله أن يكون لي منكم خَلِيل) "

قال الشارح " **نفى أن تكون حاجته وانقطاعه إلى غير الله عز وجل والليل المنقطع إليه، المحبوب غاية الحب، مشتق من الخلة بفتح الخاء وهي تخلل المودة في القلب، كما قال الشاعر :**

قد تخللتِ مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

والخَلّة فوق المحبة، فإن المحبة عامة والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة، وبرئ من الشيء سلم وخلص.

قال القرطبي: ((وإنما كان ذلك؛ لأن قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته، فلا يسع لمخالّة غيره.)) "

قال " فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا "

قال الشارح " **أي فلا أريد مع خلة ربي أحدا، بل حسبي ذلك؛ لئلا تزاحم خلة غيره خلته، وفيه إثبات أنه خليل الله، ولا ينافي عبوديته لله.** "

وهذا فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم خليل الله كما أن ابراهيم الخليل خليل الله، وما يشتهر عند البعض من أن إبراهيم الخليل خليل الله ومحمدٌ حبيب الله فإن هذا غير دقيق وغير صحيح، بل الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم خليل الله كما أن إبراهيم خليل الله. والخلة أعلى درجات المحبة.

قال " ولو كنت متخذا من أمتي خَلِيلاً لاتخذتُ أبا بكر خَلِيلا "

قال الشارح " **فيه إثبات فضيلة الصديق رضي الله عنه؛ إذ لو كان النبي ﷺ على سبيل الفرض والتقدير متخذا خليلا لاتخذ أبا بكر، وفي صحيح مسلم: " ولكن أخي وحبيبي ".**

قال المصنف: فيه الرد على الرافضة والجهمية اللتين هما شر أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة. وفيه التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة، وفيه إشارة إلى خلافته؛ لأن من كانت محبته لشخص أشد، كان أولى بالنيابة عنه من غيره، وقد استخلفه على الصلاة بالناس، وغضب لما قيل له: يصلي بهم عمر، وذلك في مرضه الذي توفي فيه ﷺ.

واسم أبي بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة بالإجماع، ومناقبه مشهورة، مات 13 هـ، وله 63 سنة. "

وقول المصنف " **وفيه الرد على الرافضة والجهمية اللتين هما شر أهل البدع** " وإنما كان فيه ردا على الرافضة وذلك لأن الرافضة تستنقص الخليفة الصديق رضي الله عنه بل وتخرجه من الإسلام وتكفره، وفِي هذا الحديث إثبات فضيلته التي فيها الرد على هؤلاء الرافضة. ومن المعلوم أن الرافضة من أخطر الفرق على أمة الإسلام ولذلك قال الشارح رحمه الله ناقلاً عن المصنف رحمه الله أن هذه الفرقة مع الجهمية هما شر أهل البدع بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقه. وأما الرد على الجهمية فلأن الجهمية أنكرت أن يكون الله عز وجل اتخذ إبراهيم خَلِيلا.

ثم قال المصنف رحمه الله " ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد "

قال الشارح " **)ألا) حرف استفتاح، واتخاذها إما أن يكون سجودا لها تعظيما وعبادة، أو توجها منهم إليها حالة الصلاة، جمعا بين العبادة وتعظيم الأنبياء، وعلى كل تقدير فإنهم يستحقون اللعن بذلك، والحديث أعم من ذلك، فيشمله ويشمل بناء المساجد والقباب عليها. "**

فذكر الشارح رحمه الله حالتين:

* الحالة الأولى : في اتخاذها مساجد، أن يكون سجودا لها تعظيما لها وعبادة، فيتوجهون بالصلاة ونحوها من العبادات ، إلى ذلك القبر .

* وأما الحالة الثانية : ففي قوله " **أو توجها منهم إليها حالة الصلاة، جمعا بين العبادة وتعظيم الأنبياء "** وهو مقصود الباب فإنهم يصلون لله عز وجل، لكنهم متوجهين بها إلى أصحاب القبور.

وعلى كل فإن اللعن يشمل هؤلاء وهؤلاء، ولكن بلا شك أن الفعل الأول الذي يعبد غير الله تبارك وتعالى ويتوجه بالصلاة لصاحب القبر أعظم جرما لأنه من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وأما الأمر الأخر فإنه من وسائل الشرك المنهي عنها.

ثم ذكر الشارح أن الحديث أعم من ذلك، فيشمله ويشمل بناء المساجد والقباب عليها وقد تقدم هذا بحمد الله.

قال " (ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) "

قال الشارح " **يحذر الأمة أن تتخذ القبور مساجد كالذين من قبلهم، وأكد النهي فقال: "فإني أنهاكم عن ذلك" أي عن اتخاذها مساجد، سدا لذريعة الشرك، ففيه النهي عن اتخاذ القبور مساجد من ثلاثة أوجه:**

(الأول): ذم من كان قبلهم على ذلك.

(والثاني): تحذيرهم أن لا يتخذوها.
(والثالث): قوله: "فإني أنهاكم عن ذلك" فبالغ في النهي، نصيحة لأمته عن أعظم ما يحل بهم. "

وبهذا يصدق تبويب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الباب، من القول " باب في ما جاء في التغليظ "، فهذه الأوجه هي من أوجه تغليظ النبي صلى الله عليه وسلم واستهجان هذا الأمر الذي هو مشابهة اليهود والنصارى في هذا الفعل المنكر.

ثم قال المصنف رحمه الله " **فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال ﷺ: " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ".**

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد " ورواه أبو حاتم في صحيحه. "

فهنا المصنف رحمه الله ينقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، قال " فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله."

قال الشارح " **كما في حديث عائشة رضي الله عنها؛ لأن التردد على القبور يوجب التأله لأربابها، ويورث عبادتهم، و (سياق) أصله سواق، قلبت الواو ياء لكسر السين، وسياق وسواق مصدران من ساق يسوق، والمراد سياق الموت، سمي بذلك كأن روحه الشريفة تساق لتخرج من البدن. "**

فقوله " إنه لعن وهو في السياق " يعني قرب موته عليه الصلاة والسلام، من فعل مثل هذا الفعل.

قال " والصلاة عندها من ذلك "

" أي من اتخاذها مساجد، فمن صلى عند القبور فقد اتخذها مساجد، فهو داخل في لعن الرسول صلى الله عليه وسلم ومرتكب نهيه شاء أم أبى.

وفائدة التنصيص على زمن النهي يقتضي بأنه من الأمر المحكم الذي لم ينسخ لكونه صدر في آخر حياته صلى الله عليه وسلم. "

قال " وإن لم يبن مسجد "

" أي إن الصلاة عند القبور وإليها من اتخاذها مساجد الملعون من فعله ولو بدون بناء مساجد "

ثم قال " وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجد "

قال الشارح " **أي معنى قول عائشة رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا، كما اتخذت اليهود والنصارى قبور أنبيائهم مساجد، وعن أبي سعيد مرفوعا: " الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ". أخرجه الخمسة.**

وفي الصحيح أن " عمر رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر، فقال: القبر القبر " فإنه مستقر عندهم ما نهاهم عنه النبي ﷺ من الصلاة عند القبور، وفي هذا وأمثاله إبطال زعم من زعم أن النهي لأجل النجاسة، وهو أبعد شيء عن مقاصد الشارع، بل العلة الخوف على الأمة من نجاسة الشرك، كما هو معلوم من النصوص المستفيضة عن الرسول ﷺ."

وهذا فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن يُتخذ قبره عليه الصلاة والسلام مسجداً يصلى عنده كما فعلت اليهود والنصارى مع قبور أنبيائهم.

وأفادنا الشارح رحمه الله مسألة مهمة وفيها رد على كثير من القبوريين الذين يزعمون بأن النهي عن الصلاة عند المقابر من أجل نجاستها، وهذا غير صحيح بل إن النهي عنها سداً لذريعة الشرك، ويدل على هذا الإبطال أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لأجل النجاسة؛ لأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم فهم في قبورهم طريون صلى الله عليهم وسلم.

ثم قال " فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا "

قال الشارح **" لِما علموا من تشديده صلى الله عليه وسلم في ذلك وتغليظه ولعن من فعله "**

ثم قال " وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجد "

قال الشارح **" لكونه أعد لها، وإن لم يبن فيه مسجد، و (قصد إلى الشيء) توجه إليه. "**

ثم قال " بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً "

قال الشارح **" وإن لم يقصد بذلك، كما إذا عرض لمن أراد أن يصلي، فأوقع الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده، من غير أن يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فإنه يصير بفعل الصلاة فيه مسجدا، فالأول في الأمكنة المعدة للصلاة، وهذا في أي موضع صلى فيه وإن لم يعد لها."**

وهنا في هذا الكلام يبين الشيخ رحمه الله أن إيقاع الصلاة في أي مكان يسمى مسجداً، فكونك تصلي في مكان فإن هذا موضع للسجود فيكون داخلاً في المنهي عنه.

ولذلك نبه الشيخ رحمه الله فيما قرأنا أن الصحابة " لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا " لماذا؟

لأن مسجده صلى الله عليه وسلم مجاور لبيته فكيف يبنون مسجداً أخر بجانبه ؟ هذا مستحيل.

فتعين أن يكون المقصود من ذلك أنه المكان الذي يصلى فيه وإن لم يبنَ ذلك المسجد عنده.

ثم قال " كما قال صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا) "

قال الشارح **" أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر: " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي "، وفيه: " وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا "، فسمى الأرض مسجدا، بمعنى أنه تجوز الصلاة في كل بقعة منها، إلا ما استثنى من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها، كالمقبرة والمكان النجس،**

قال البغوي: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، **فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفا عليهم وتيسيرا، وهذا من خصائصه ﷺ. وقوله: " طهورا" أراد به التيمم، وفيه المبالغة في النهي عن بناء المساجد عند القبور كيف بين لهم أولا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في النزع لم يكتف بما تقدم، بل لعن حالة النزع من فعل ذلك."**

ومقصود الشيخ رحمه الله من إيراد حديث النبي صلى الله عليه وسلم " جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا " هو التأكيد على ما تقدم، وأن الصلاة عند القبر منهي عنها مطلقاً، وأن اللعن يشملها وإن لم يبن مسجداً على ذلك القبر لقوله " جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا "

" وسمى الأرض مسجداً " بمعنى أنه تجوز الصلاة في كل بقعة منها إلا ما استثني من المواضع كالمقبرة والحمام فإنه لا يجوز الصلاة فيها.

قال " ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد ". "

قال الشارح -" إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء "- " **أي ينتفخ في الصور نفخة الفزع وهم أحياء أو مقدماتها، كخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وهذا أيضاً من أبلغ التغليظ؛ فإنه أخبر عمن تقوم عليهم الساعة أنهم هم شرار الخلق، كقوله " ويبقى شرار الناس " وقوله " حتى لا يقال في الأرض الله الله ". وشرار الناس بكسر الشين جمع شر، ضد خيارهم. "**

" والذين يتخذون القبور مساجد "

قال الشارح " **أي وإن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد بالصلاة عندها وإليها وبناء المساجد عليها وتقدم في الأحاديث الصحيحة أن هذا من عمل اليهود والنصارى وأن النبي صلى الله عليه وسلم لعنهم على ذلك تحذيراً للأمة أن يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم فعلهم.**

وهذا المعنى متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم معلوم بالاضطرار من دينه وكل ذلك شفقة منه صلى الله عليه وسلم على الأمة، خوف من أن يقودهم ذلك إلى الشرك بها وأصحابها، وتقدم الإجماع على النهي عن البناء على القبور، والقطع بتحريمه، وفي صحيح مسلم: "نهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه.

قال شيخ الإسلام: لا فرق بين الجديدة والعتيقة، انقلبت تربتها أو لم تنقلب، ولا فرق أن يكون بينه وبين الأرض حائل أولا، لعموم الاسم وعموم العلة، وإن كان موضع قبر أو قبرين؛ لأنه لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ومعلوم أن قبورهم لا تنجس، فمن علق النهي بنجاسة التربة خاصة، فهو بعيد عن مقصود النبي ﷺ، ولا تجوز في مسجد بني في مقبرة سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور، أو كان مكشوفا، وفي صحيح مسلم من حديث أبي مرثد: " لا تصلوا إلى القبور".

وقال ابن القيم: ((وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول مقاصده، جزم جزما لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغة: "لا تفعلوا"، "إني أنهاكم" ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحق بمن عصاه؛ فإن هذا وأمثاله صيانة منه لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك، وغضب لربه أن يعدل به سواه)) اهـ.

وقد وقع بسبب البناء على القبور من المفاسد التي لا يحيط بها على التفصيل إلا الله، ما يغضب لله من أجله من في قلبه رائحة إيمان، ولقد أبدى ﷺ وأعاد، وحذر من ذلك، حتى في النزع سدا لذريعة الشرك قبل وقوعه، وتحذيرا للناس منه، وقد طبق العالم اليوم، وعادت الجاهلية الأولى، بل زادوا عليهم دعاءهم في الشدائد، واعتقاد النفع والضر فيهم من دون الله عز وجل فإنا لله وإنا إليه راجعون."

فتأمّل هنا في هذا الحديث كيف وصف النبي صلى الله عليه وسلّم من يتخذ القبور مساجد أنّه من شرار الناس، وإنّما كانوا شرارا لأنّهم أتوا بوسائل الشرك، ولأنهم مؤدّى هذا العمل هو عبادة غير الله تبارك وتعالى.

وقد تقدّم بذكر الإجماع على النهي عن البناء على القبور والقطع بتحريمه.

ومؤدّى كلام الشارح أنّه يحرم البناء على القبور؛ فلا يجوز بناء مسجد على القبور ولا يجوز كذلك إدخال القبر إلى المسجد، و إن اشترط رجل أن يدفن في مسجد فإنّه لا يصّح هذا العمل ولا يجوز إنفاذ تلك الوصية؛ كذا قرره أهل العلم، فإنه لا يصح في دين الإسلام مسجد وقبر.

أمّا إذا وقع ذلك ووُجد هناك قبر في مسجد وبني القبر على المسجد فإنه لابد من نبش القبر إن كان المسجد سابقا في البناء على القبر؛ يؤخذ هذا القبر -صاحب القبر- ويدفن في مقابر المسلمين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله : **" لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن غيّر إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدا، وإن كان المسجد بني بعد القبر فإمّا أن يزال المسجد وإما أن تزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل فإنه منهي عنه "** إه كلامه رحمه الله.

وإنما نهى النبي ﷺ عن البناء على القبور لما ذكر الشارح رحمه الله من المفاسد العظيمة التي لا يحيط بها على التفصيل إلا الله.

وقد فتن كثير من الناس اليوم بهذه الأبنية التي تبنى على القبور والزعم بأن هذه المساجد التي تبنى على القبور بأن لها فضائل !، وضعوا لها فضائل لا توجد في مسجد النبي ﷺ ولا المسجد الحرام ولا في بيت المقدس !

وخلاصة الباب الذي ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

- فيه أنه يجب على العبد أن يبتعد على الشرك وأن يبتعد عن وسائله، وأن يتمعنّ في الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن عبد الله عند تلك القبور فكيف إذا توّجه إلى تلك القبور بالعبادة والدعاء ونحو ذلك.

وأنبه في خاتمة هذا الباب على ما نبّه به الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى من أنّ ما أورد الشيخ من النصوص التي فيها النهي عن الصلاة عند تلك القبور ولعن اليهود والنصارى من أجل تلك التماثيل التي وضعوها والصلاة عندها، أن هذه الأحاديث وإن كانت واردة في الصلاة لكن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تبويبه قصد قياس غير الصلاة على الصلاة، فمن زعم مثلا أن الصدقة عند هذا القبر أفضل من غيره فهو شبيه بمن اتخذه مسجدا لأنه يرى أنّ لهذه البقعة أو لمن فيها شأنا يَفضُل به على غيره، فالشيخ رحمه الله عمّمّ في الباب و الدليل الذي ذكره خاص ولا منافاة بين ذلك.

فاللهمّ إنّا نعوذ بك من أن نشرك بك ونحن نعلم و نعوذ بك أن نشرك بك ونحن لا نعلم.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبيّا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة التاسعة عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا له إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد:

فحياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء التاسع عشر والذي نتناول فيه مقرر توحيد الألوهية بدراسة كتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بحاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى.

والباب الذي معنا اليوم هو قول المصنف رحمه الله:

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله.

ولا زال المصنف رحمه الله يحذرنا من الغلو في الصالحين، وهنا في هذا الباب يذكر رحمه الله أن من أسباب عبادة غير الله تبارك وتعالى هو الغلو في قبور الصالحين فإنها تصير بذلك أوثانا تعبد من دون الله عز وجل، وأراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة عدة أمور:

- الأمر الاول: **هو التحذير من الغلوّ في قبور الصالحين.**
- الثاني: **أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها.**
- الثالث: **أنها إذا عبدت سميت أوثانا ولو كانت قبور صالحين.**
- الرابع: **التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد.**

والغلو كما تقدم معنا هو مجاوزة الحد في المدح أو الذم، والمقصود بالغلو هنا في هذا الباب هو الغلو في مجاوزة الحد المشروع في التعامل مع القبور ومع أصحابها.

ويكون الغلو في قبور الصالحين بعدة أمور منها:

- البنيان على هذه القبور أو رفعها عن الحد المسموح به، أو تجصيص ذلك القبر أو باتخاذها مساجد كما تقدم معنا، هذا **غلو في صفة تلك القبور.**
- وهناك **غلو في معاملة أصحابها** كان يدعون من دون الله عز وجل أو يطاف بتلك القبور وتدعى من دون الله عز وجل ويطلب منها الشفاعات أو أن يتعمد العبد الصلاة إليها... وكل ذلك منهي عنه وهو إما أن يكون وسيلة من وسائل الشرك الأكبر وإما أن يكون شركا بالله جل وعلا.

وقد تقدم معنا أن السنة في زيارة القبور إنما هي من أجل تذكر الآخرة ومن أجل الدعاء لأصحابها، هذا هو سبب مشروعية زيارة القبور.

وقول المصنف رحمه الله " يُصيّرها أوثانا تعبد من دون الله " أي يؤول الأمر بعد أن يكون فيها غلو أن تكون أوثانا تعبد من دون الله عز وجل.

و**العبادة** كما تقدم معنا هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

قال الشارح رحمه الله تعليقا على هذا الباب " **أي ذكر ما ورد من الدليل والبرهان أن الغلو- وهو مجاوزة الحد- في قبور الأنبياء والصالحين بالبناء عليها، واتخاذ المساجد عليها، والصلاة عندها، والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع الغلو يجعلها أوثانا؛ لأنه يورث التأله والعبادة شيئا فشيئا،**

والوثن يعم الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله، كما عبدت اللات والعزى ومناة وغيرها."

وهذا يبين أن الغلو إما أن يكون في صفة القبور وخروجها عن الهيئة الشرعية، وإما أن يكون في معاملة أصحابها، وقال " **لأنه يورث التأله والعبادة شيئا فشيئا** " وهذا يدل على خطر الغلو.

قال " **والوثن يعم الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله كما عبدت اللات والعزى ومناة وغيرها** " وقد تقدم معنا الفرق بين الوثن وبين الصنم، ومن أهل العلم من قال بأن الوثن هو الصنم، ومنهم من فرق بينهما فقال بأن الصنم ما كان على صورة معينة وأما الوثن فإنه لا يكون على صورة معينة فيشمل الشجر وغيرها.

وهنا قال رحمه الله بأنها يصيرها أوثانا تعبد من دون الله عز وجل، فهذه القبور إذا عبدت من دون الله عز وجل تسمى أوثانا ولو كانت قبور صالحين.

قال رحمه الله " **روى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" "**

قال الشارح رحمه الله - عند قول النبي صلى الله عليه وسلم: " **اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد"** -، قال " **خاف صلى الله عليه وسلم أن يقع في أمته ذلك، كما وقع من اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فرغب إلى ربه أن لا يجعل قبره وثنا يُعبد، وقد استجاب الله دعاءه فصان قبره، وأحاطه بثلاثة جدران، مثلثة لا يستطيع أحد الوصول إليه ولا استقباله.**

قال ابن القيم:

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

فدل الحديث على أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لو عبد لكان وثنا، لكن حماه الله بما حال بينه وبين الناس، فلا يوصل إليه، ودل على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها، وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها، حتى اتُخذت دينا يُضلَّل من أنكر عبادتها. "

فهذا الحديث، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد "، فيه أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لو عُبد لكان وثنًا يعبد من دون الله عز وجل، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء خشية من أن يكون قبره وثنًا يُعبد، ولو كان ذلك لا يقع أصلًا لما دعا النبي صلى الله عليه و آله وسلم بهذا الدعاء، ولأن هذه الفتنة وجدت عند اليهود والنصارى، فعُبدت قبور أنبيائهم وصُورت فيها تلك الصور، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذّر أمته من سلوك طريق اليهود والنصارى ولاسيما في هذا الباب، وهو الباب المتعلق بمعاملة القبور كما تقدم في الباب السابق.

ثم بيّن الشارح رحمه الله أن الله عز وجل قد استجاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران مثلثة لا يستطيع أحد الوصول إليه ولا استقباله.

ثم ذكر قول ابن القيم رحمه الله في نونيته: " **فأجاب رب العالمين دعاءه** " يعني في هذا الباب، وهو: (**اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد**)، "**وأحاطه بثلاثة الجدران**"، فلا يستطيع أحدٌ الوصول إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا رؤيته، "**حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان**"، فلم يستطع أحد أن يتوصل لعبادة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا من الحماية العظيمة من الله عز وجل لقبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر الشيخ من الفوائد أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم " **لو عُبد لكان وثنًا، لكنّ الله حماه بما حال بينه و بين الناس فلا يوصل إليه** ".

وتقدم معنا قول عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام لما لعن اليهود والنصارى بسبب اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، قالت: " **يُحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره صلى الله عليه وسلم، غير أنه خُشِيَ أن يُتخذ مسجدا** ".

و من الفوائد كذلك، قال " **دل على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها** "

والتوابيت: جمع تابوت، وهو ما يوضع فيه الميت من الخشب ونحوه.

قال " **وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها، حتى اتخذت دينا يُضلَّل من أنكر عبادتها** "

<u>ومن الفوائد العظيمة من هذا الحديث هو:</u> المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم ومواضع صلاتهم، والدعاء عندها، فإن ذلك من البدع التي أنكرها السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم، وقد أمر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها

النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة.

ثم قال عليه الصلاة والسلام " اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "

قال الشارح " **أتى صلى الله عليه وسلم بهذه الجملة بعد دعائه ربه أن لا يجعل قبره وثنا يُعبد، تنبيها على سبب لحوق شدة الغضب عليهم ولعنهم، وهو توصلهم بذلك إلى أن تصير أوثانا تعبد، وفيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف، وفيه تحريم البناء على القبور والصلاة عندها، وأنه من الكبائر.**

وكره مالك أن يقول: زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وعلل الكراهة بقوله: " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

قال المصنف: "وفيه أنه لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه ".

فقوله عليه الصلاة والسلام " اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "، جاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام لعن من فعل ذلك، فقال: " **لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**؛ هذا فيه ذكر اللعن، وفي هذه الرواية فيها ذكر الغضب مما يدل على أن هذا الأمر عظيم جرمُه.

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر الشارح، أن سبب هذا الغضب وهذا اللعن هو اتخاذ القبور أوثانًا تعبد من دون الله عز وجل، وذلك بالغلو فيها، وبذلك يظهر وجه إيراد الشيخ رحمه الله لهذا الحديث تحت هذا الباب.

فاتخاذ القبور مساجد، اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، توصلهم أن تُتخذ تلك أوثانًا تُعبد من دون الله عز وجل، فالغضب واللعن هنا هو في اتخاذ تلك القبور مساجد، و تقدم معنا أن هذه من وسائل الشرك بالله تبارك وتعالى، ففي هذا غلو في قبور الصالحين، ويكون من نتيجتها أنها تكون أوثانًا تعبد من دون الله جل وعلا.

و قوله " اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " هذا فيه عدة فوائد أشار لها المصنف، منها تحريم البناء على القبور والصلاة عندها وأنه من الكبائر.

وقوله " **أنه من الكبائر** " لأن فيه ذكر اللعن وذكر الغضب، وقد ذكر أهل العلم أن من وصف الكبائر أن تُسبق بلعنٍ أو غضبٍ من الله جل وعلا.

قال " **وكره مالك أن يقول: زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وعلل الكراهة بقوله: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** "
وقد كره الإمام مالك رحمه الله هذا القول، وهو " زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم " من أجل أن لفظ الزيارة أصبحت من الألفاظ المجملة، فأصبحت تُطلق على الزيارة البدعية التي يقصد أصحابها بأصحاب القبور الدعاء والتضرع ونحو ذلك، ولذلك قال: " **وعلل الكراهة بقوله: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد"** "

ثم قال رحمه الله **" ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى} قال: "كان يلت لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره"، كذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان يلت السويق للحاج" "**

قال " {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى}، قال: "كان يلت لهم السويق " "

قال الشارح **" أي للحاج، والسويق دقيق الحنطة أو الشعير، ولتُّه خلطه وبلُّه بالسمن أو الماء "**

قال" فمات فعكفوا على قبره "

قال الشارح **" وفي رواية: كان اللات رجلا في الجاهلية، وكان له غنم، فكان يسلو من رسلها، ويأخذ من زبيب الطائف والأقِط، فيجعل منه حيسا، فيطعم من يمر من الناس، فلما مات عبدوه وقالوا: هو اللات، رواه سعيد بن منصور والفاكهي.**

والمعنى أن اللات كان رجلا صالحا يطعم الحجاج السويق، فلما مات غلوا فيه وعظموه لأجل عمله الصالح الذي كان يعمله، فعكفوا على قبره حتى عبدوه، وصار قبره وثنا من أوثان المشركين، فقد تقرر أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثنا يعبد، كما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين وَد وسُواع وغيرهما، وكما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين اليوم من الأموات وغيرهم، فإنهم غَلَوا فيهم، وبنوا على قبورهم القباب والمشاهد، وجعلوها ملاذا لقضاء المآرب، وهو الشاهد للترجمة.

والعكوف على الشيء: الإقبال عليه مواظبا والاحتباس فيه، والاستدارة حوله، ومنه الاعتكاف في المساجد "

فقول مجاهد رحمه الله في تفسير هذا الآية **{أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى}** أنه " كان رجلا يلُت لهم السويق وأنه لما مات عكفوا على قبره "، أراد المصنف رحمه الله من ذكر هذا التفسير وتحت هذه الترجمة بيان كيفية معاملة المشركين لهذا الرجل قبل عبادته، فإنهم رأوا صلاحه ورأوا أعماله التي عملها فعظموه وغلوا فيه لأجل ذلك العمل، وعكفوا على قبره حتى عبدوه من دون الله عز وجل، وبذلك صار قبره وثنا من أوثان المشركين، وقد تقدم معنا هذا وبينّا أن سبب عبادة اللّات هو الغُلُوّ فيه، ولهذا قال الشارح **" وهو الشاهد للترجمة ".**

وبالجملة فإن الغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة.

وقد أمرنا الله تعالى بمحبة أوليائه وأنبيائه وإنزالهم منازلهم من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم، ونهانا ربنا عز وجل عن الغلو فيهم؛ فلا نرفعهم فوق منزلتهم ولا نَحُطُّهم منها لما يعلمه الله تعالى في ذلك من الفساد العظيم، فإنه ما وقع الشرك إلا بسبب الغلو فيهم، فإن الشرك بهم غلو فيهم، ولهذا تجد أن العاكفين على تلك القبور معرضين عن طريقة الأنبياء والصالحين ومعرضين عن هديهم مشتغلين بما أمرنا

الله عز وجل بالبعد عنه. قال " وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج " وقد تقدم هذا.

قال **" وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: " لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ". رواه أهل السنن"**

قال الشارح **" اللعن: الطرد والإبعاد ويقع بالقول، "وزائرات " جمع زائرة، وفي رواية "زوارات القبور"، وفيه دلالة صريحة على تحريم زيارة النساء القبور وهو قول أكثر أهل العلم، وقد نهى النبي ﷺ عن زيارة القبور نهيا عاما، ثم أذن فيه بقوله: "فزوروها" وحديث الإذن مخصص بهذا الحديث، فهو من العام المخصوص.**

ولم تدخل النساء في الإذن لأوجه:

(منها) أن قوله: "فزوروها" صيغة تذكير، ولو كان للعموم لكان النساء على عهده صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه يزرنها.

(ومنها) أنه علل الإذن للرجال بأن ذلك يذكر الموت، ويرقق القلب، وتدمع العين، والمرأة يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة لما فيها من الضعف.

والعلة في المنع أنهم كانوا حديثي عهد بكفر، فلما طال مكثهم في الإسلام نسخ لزوال العلة، والعلة في النساء باقية بحالها، وليس في زيارتهن من المصلحة ما يعارض تلك المفسدة؛ لأنه ليس في زيارتهن إلا دعاؤهن للميت، أو اعتبارهن به، وذلك ممكن في بيوتهن، وفي الحديث: " ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت ". وفي الصحيح نهيه النساء عن اتباع الجنائز."

فهذا الحديث فيه نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن مظهر من مظاهر الغلو في تلك القبور وهو نهيه صلى الله عليه وسلم عن إيقاد السُّرُج على القبور وأنها تعد نوعا من أنواع الغلو فيها ووسيلة إلى الشرك به جل وعلا، وكذا الأمر باتخاذ المساجد عليها وقد تقدم هذا وبيّنا أن اتخاذ المساجد على تلك القبور يكون على صور عديدة؛ منها أن يُصلي إلى هذا القبر أو أن يجعل المسجد -البنيان- عليها أو أن يتخذها مسجدا بحيث يصلي عندها.

وأما قول ابن عباس " لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور "، فهذه المسألة مسألة مشهورة وقد اختلف فيها أهل العلم على ثلاثة أقوال:

- القول الأول: وهو **التحريم** مطلقا وأنها من الكبائر لهذا الحديث.
- والقول الثاني: هو **كراهة** زيارة النساء للقبور كراهةً لا تصل إلى التحريم.
- والقول الثالث: أنها **تجوز** زيارة النساء للقبور.

وهناك قول غريب وهو ذكره شيخ الإسلام رحمه الله وقال أنه ليس عليه أحد من الأئمة وهو: من قال باستحباب زيارة النساء للقبور كما يُستحب للرجال.

ورجّح الشارح كما هو واضح عندنا هنا في النهي مطلقا عن زيارة النساء للقبور، وذكر عدة حجج في المنع من زيارتها.

وقد كانت زيارة القبور في الأول ممنوعة، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أجازها وقال " **كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة "**

قال " والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج "

قال الشارح " **أي ولعن رسول الله ﷺ المتخذين على القبور المساجد المبنية، والموقدين عليها السرج وكذا الصلاة عندها، والدعاء ونحو ذلك، وهذا حرام باتفاق العلماء.**

وفي صحيح مسلم: " لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها ".

وإذا كانت المساجد بنيت لذكر الله، وقراءة القرآن والصلاة، كانت القبور بذلك مساجد.

قال ابن القيم: ((اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر)).

ووجه إيراد المصنف هذا الحديث في هذا الباب دون الذي قبله هو أنه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج، وقرن بينهما، فهما قرينان فدل على أنه لأجل نجاسة الشرك؛ إذ ليس لعن المسرجين من أجل نجاسة البقعة، فكذا البناء."

وقد تقدم ذكر هذا فالحمد لله.

فالشاهد من هذا الحديث هو أن الغلو في هذه القبور باتخاذها مساجد وجعل السرج عليها غلو يؤدي إلى عبادتها من دون الله جل وعلا.

ثم بعد هذا، أورد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى باباً آخرَ متعلقاً بهذا الباب وهو:

باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قال الشارح رحمه الله تعالى " **المصطفى المختار، والجناب هو الجانب، والمراد حمايته ﷺ التوحيد عما يقرب منه، أو يخالفه من الشرك وأسبابه؛ إذ هو أعظم الفرائض، بل لا تصح إلا به، وهو الذي جاءت الرسل بالقيام به، والنهي عما ينافيه، ومع حمايته لجنابه اجتهد في سد كل طريق يوصل أمته إلى الشرك، وحذر وأنذر، وأبدى وأعاد، وخص وعم، وقطع الوسائل والذرائع المفضية إليه، فصلّى الله عليه وسلّم كما بلغ البلاغ المبين، وفي الأبواب المتقدمة شيء من حماية المصطفى ﷺ لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف -رحمه الله- هنا حمايته الخاصة. "**

في هذا الكلام الذي ذكره الشارح رحمه الله تعالى فيه أن هذا الباب متعلق بالأبواب السابقة وذلك كما قال الشارح رحمه الله؛ قال **" وفِي الأبواب المتقدمة شيء من حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف - رحمه الله - هنا حمايته الخاصة "**

ويقصد بذلك أن الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث المتقدمة في الأبواب السابقة فيها ما يتعلق بقبره صلى الله عليه وسلم وقبور غيره من الصالحين والأولياء، وفِي هذا الباب يذكر المصنف رحمه الله ما يتعلق بقبر النبي صلى الله عليه وسلم خاصة؛ فهو على هذا يكون من جنس الأبواب السابقة.

ومقصود الباب هو أن النبي صلى الله عليه وسلم سد كل طريق يوصل إلى الشرك به تبارك وتعالى، وأنه عليه الصلاة والسلام حَمى حِمىٰ التوحيد، ولَم يهمله النبي عليه الصلاة والسلام إذ إنه أعظم الواجبات وأعظم الفرائض بل لا تصح عبادة من العبادات إلا بوجود هذا التوحيد، وعلى هذا التوحيد أرسل الله عز وجل الرسل وأنزل الكتب، فكان أول ما أمر به الله عز وجل هو توحيده وأول ما نهي عنه هو الشرك به جل وعلا.

والناظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر يجد أنه عليه الصلاة والسلام قد نهى عن الشرك غاية النهي، وكان يأمر الناس بتوحيده جل وعلا حتى وفاته عليه الصلاة والسلام كما تقدم في الأحاديث السابقة، وهذا من تمام النصح والشفقة بأمته عليه الصلاة والسلام، ولذلك صدر المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هذا الباب بآية تدل على شفقة النبي عليه الصلاة والسلام على هذه الأمة، وأنه عليه الصلاة والسلام من شفقته أنه سد كل طريق يوصل إلى الشرك به جل وعلا وأنه حمى حمي التوحيد.

قال " وقول الله تعالى { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } الآية "

قال الشارح رحمه الله " {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ **يخبر تعالى عباده على سبيل الامتنان أنه بعث فيهم رسولا عظيما، أرسله إليهم من أنفسهم، أي من جنسهم، يرجعون معه إلى نفس واحدة، وبلغتهم ولسانهم، يعرفونه ويتحققون مكانه، ويعلمون صدقه وأمانته ونصيحته وشفقته، وذلك أقرب وأسرع إلى فهم الحجة، وأبعد من اللجاجة، ويقتضي مدحا لنبيه ﷺ وأنه من صميم العرب، كما قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} الآية.**

وقال جعفر للنجاشي: ((إن الله بعث فينا رسولا منا، نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته.)) "

فهذا امتنان من الله عز وجل على أمة العرب - على قول الجمهور- وعلى الناس عموماً - على قولٍ آخر -، يمتنُ عليهم بأنه بعث فيهم رسولاً عظيما أرسله إليهم من أنفسهم؛ أي من جنسهم؛ يرجعون معه إلى نفس واحدة ويرجعون معه إلي أبٍ واحد، قال **" وبلغتهم**

ولسانهم " يعني: يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته ونصيحته وشفقته، وذلك أقرب وأسرع إلى فهم الحجة وأبعد من اللجاجة، وهذا فيه بيان الحكمة من إرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وما ذكره الشارح رحمه الله من أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل بلغة العرب ولسانهم؛ وهذا على القول الأول وهو أن قوله عز وجل قال {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ } يعني المقصود به العرب خاصة. وقد أُستشكل هذا بأن النبي عليه الصلاة والسلام إنما بعث إلى الأمة كلها؛ عربهم وعجمهم.

وأجيب عن هذا أنه خوطب العرب بهذا لأن منة الله عليهم به أعظم من غيرهم، حيث كان منهم؛ وفِي هذا تشريف لهم بلا ريب. والاحتمال الثاني وهو أن الخطاب فيها للأمة جميعاً وقد قال به طائفة من أهل العلم.

قال بعد ذلك " { ... عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } الآية "

قال الشارح " **أي شديد عليه جدا الذي يعنت أمته، وهو لحاق الأذى الذي يضيق به الصدر، ولا يهتدي للمخرج عنه، والذي يشق عليها من كفر وضلال وامتحان، وفي الحديث: " بعثت بالحنيفية السمحة ".**

وفي الصحيح: " إن هذا الدين يسر "، فشريعته كلها سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله عليه.

وقوله: " حريص عليكم " أي راغب ومجتهد على هدايتكم، وحصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم، والحرص شدة طلب الشيء على الاجتهاد فيه، حتى قال: " ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم ".

وقوله: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} أي بليغ الرأفة والشفقة بهم لا بغيرهم، كقوله تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

وقال عليه السلام: " ما بعث الله من نبي إلا كان عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم ".

فاقتضت هذه الأوصاف أن أنذر أمته وحذرهم عن الشرك الذي هو أعظم الذنوب، ولا ريب أن الإنذار عنه زبدة رسالته، وقد بين ﷺ لأمته ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها، ومن ذلك تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها، وهذا وجه الدلالة من الآية. "

إذن، وجه الدلالة من الآية واضح؛ وهو أن النبي صلي الله عليه وسلم رؤوف رحيم بأمته عليه الصلاة والسلام، وبأنه لا يمكن أن يهمل هذا الجانب، ومن رأفته ورحمته بأمته عليه الصلاة والسلام أنه أمرهم بالتوحيد ونهاهم عن الشرك وقد بين لهم كذلك ذرائع الشرك الموصلة إليه، وهذا من تمام نصحه ومن تمام شفقته ورأفته بهم.

قال " **وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ". رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات "**

قال الشارح " لا تجعلوا بيوتكم قبورا " **" أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور؛ لأن النهي عن الصلاة عند القبور قد تقرر عندهم، فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك، وأمر بتحري العبادة فيها، ونهاهم عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومن تشبه بهم من هذه الأمة.**

وفي الصحيحين: " اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا ".

ولمسلم: " لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه ".

وفي هذا ونحوه إبعاد لأمته عن الشرك. "

فقوله " لا تجعلوا بيوتكم قبورا " هذا فيه استحباب صلاة النافلة في البيوت، وفيها أنه لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، فنهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نجعل بيوتنا قبورا بعدم الصلاة فيها بل أمرنا بالصلاة في البيوت من أجل ألا تكون قبورا، لأن القبور هي التي لا يصلى عندها وفيها.

قال " ولا تجعلوا قبري عيدا "

قال الشارح " **نهى ﷺ عن زيارة قبره على وجه مخصوص، واجتماع معهود كالعيد الذي يكون على وجه مخصوص في زمان مخصوص، وذلك يدل على المنع في جميع القبور؛ لأن قبره أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدا، فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان، والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام ويتكرر على وجه معتاد، أو يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، من المعاودة والاعتياد، والمكان الذي يقصد فيه الاجتماع، وانتيابه للعبادة وغيرها، وهو الشاهد للترجمة، نهى أن يتخذ قبره عيدا للصلاة والدعاء وغير ذلك من وسائل الشرك، كما اتخذ المشركون أعيادا زمانية ومكانية، وقد أبطلها الشرع، وعوض عنها عيد الفطر وعيد الأضحى والكعبة والمشاعر."**

فقوله " ولا تجعلوا قبري عيدا " هذا فيه حماية لجناب التوحيد، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام كما تقدم معنا خشي أن يتخذ قبره مسجدا، لئلا يفضي ذلك إلى عبادتها كما فعلت اليهود والنصارى.

وهنا في هذا الحديث ينهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تجعل أمته قبره عيدا، فقال " ولا تجعلوا قبري عيدا " والعيد اسم لما يعاوِد ويتكرر إما في الزمان إما في المكان، فالمكان الذي يجتمع فيه الناس يسمى عيدا، وكذا يطلق العيد على ما يتكرر من الزمان.

والشاهد من هذا هو رأفة النبي ﷺ وحمايته كما ذكر الشارح رحمه الله؛

قال " **هى أن يتخذ قبره عيدا للصلاة والدعاء وغير ذلك من وسائل الشرك، كما اتخذ المشركون أعيادا زمانية ومكانية، وقد أبطلها الشرع، وعوض عنها عيد الفطر وعيد الأضحى والكعبة والمشاعر.** "

فعيد الفطر والأضحى متعلق بالزمان، والكعبة والمشاعر متعلقة بالمكان.

قال **" وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم "**

قال الشارح " **يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدا تنتابونه وترددون إليه لأجل ذلك، ومن اتخاذه عيدا أن تتكرر زيارته على وجه مخصوص، وتبليغه ﷺ حيث صلي عليه من خصائصه.**

وقال الحسن بن الحسن: ((ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء)). وأنكر مالك: زرت قبر النبي ﷺ؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى جعله عيدا. "

وهذا صريح في أن الصلاة على النبي ﷺ تبلغه حيث كان العبد، فلا حاجة إلى أن يأتي العبد ويكرر الزيارة إلى قبر النبي ﷺ.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى **" وعن علي بن الحسين " أنه رأى رجلا يجيئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم " رواه في المختارة "**

وعلي بن الحسين هو كما قال الشارح " **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين** "

قال **" أنه رأى رجلا يجيئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه"**

قال الشارح " **الفرجة بضم الفاء وسكون الراء، وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما، والرجل المبهم صرح باسمه سعيد بن منصور في سننه أنه سهيل بن أبي صالح، قال: " رآني الحسن بن الحسن بن علي عند القبر، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم ". وذكر الحديث.**

وفيه حرص السلف على قطع الوسائل والذرائع، وسد أبوابها المفضية إلى الشرك."

وما ذكره الشارح من أن هذا فيه حرص " **على قطع الوسائل والذرائع، وسد أبوابها المفضية إلى الشرك."** هو في حقيقته اقتداء بالنبي ﷺ الذي سنّ هذا الأمر.

ثم قال " ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تتخذوا قبري عيدا "

قال الشارح " **فيه دليل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها؛ لأن ذلك نوع من اتخاذها عيدا، ويدل أيضا على أن قصد الرجل القبر لأجل السلام إذا لم يكن يريد المسجد من اتخاذه عيدا المنهي عنه.**

قال شيخ الإسلام: ما علمت أحدا رخص فيه؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدا، ويدل أيضا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه؛ لأن ذلك من اتخاذه عيدا وأنه لم يشرع.

وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، وإنما كانوا يأتون إلى مسجده فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه ﷺ في الصلاة أفضل وأكمل، وكانت الحجرة في زمانهم يؤتى إليها من الباب، ومع التمكن لا يدخلون عليه، لا للسلام ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، فلم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره؛ لنهيهم بقوله: " لا تتخذوا قبري عيدا " وغير ذلك، وإنما كان يأتي أحدهم من خارج، إذا قدم من سفر، كما كان ابن عمر يفعله، فيقول: " السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه "، ثم ينصرف ولا يقف للدعاء.

قال شيخ الإسلام: لأنه لم ينقل عن أحد من الصحابة، فصار بدعة، واتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر، وفي هذا الحديث أيضا دليل على منع شد الرحل إلى قبره ﷺ أو غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادا، ومن أعظم أسباب الإشراك بها كما هو الواقع، واتفق الأئمة على المنع من ذلك؛ لما في الصحيحين: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى ".

فدخل في النهي شدها لزيارة القبور والمشاهد، بل هي أولى بالنهي، وإذا نوى بشد الرحل زيارة القبر فقط حرم، وإن نواه والمسجد جاز. "

فقوله عليه الصلاة والسلام " **لا تتخذوا قبري عيدًا** " هو مثل الحديث السابق في الدلالة على هذا الباب، فالنبي ﷺ قد قطع علائق الشرك وكذا قد قطع ما يوصل إليه، فحمى التوحيد عليه الصلاة والسلام.

وذكر الشارح في هذا النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عدة مسائل، من هذه المسائل:

- أن زيارة قبر النبي ﷺ لم تكن معروفة عند أصحابه عليه الصلاة والسلام، ولذا قال " **كانت الحجرة في زمانهم يؤتى إليها من الباب، ومع التمكن لا يدخلون عليه، لا للسلام ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، فلم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره** " وذلك لأنهم يعلمون أن الصلاة والسلام عليه ﷺ في الصلاة أفضل وأكمل، ولهذا

كره الإمام مالك رحمه الله لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم لعدم فعل السلف لذلك.

- والمسألة الثانية هي في شد الرحل إلى زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا منهي عنه كما في هذا الحديث **" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"** و يدخل في هذا شد الرحال لزيارة القبور مطلقاً ولزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، فإذا نوى العبد أن يأتي إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويزور القبر في نيته مع زيارته للمسجد فإن هذا الأمر جائز.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم للسلام لكنه إذا جاء من سفر.

- والمسألة الثالثة هي مسألة الدعاء عند القبر، فإن هذا لم يكن معروفا عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما في الأثر الوارد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه إذا جاء إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام وسلم عليه وعلى صاحبيه، أنه كان إذا سلم ينصرف ولا يقف للدعاء.

قال " ولا بيوتكم قبورا فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم "

قال الشارح " **وفيما رواه منصور عن أبي صالح: "ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء". فإن قيل: إذا سمع سلام المسلم عند قبره حصلت المزية بسلامه.**

قيل: هذا لو حصل الوصول إلى قبره كسائر قبور المسلمين، أما وقد منع الناس من الوصول إليه بثلاثة الجدران فلا تحصل المزية، سواء سلم عليه عند قبره، أو في مسجده إذا دخله، أو في أقصى المشرق أو المغرب، فالكل يبلغه كما وردت به الأحاديث، وليس في شيء منها أنه يسمع صوت المسلم بنفسه، إنما فيها أن ذلك يعرض عليه، ويبلغه ﷺ. "

وفي هذا الكلام من الشارح رحمه الله بيان أن الناس لا يمكنهم أن يروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك إذا دخل العبد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى المساجد الأخرى فإنه يصلي عليه –عليه الصلاة والسلام- فيبلغه هذا السلام، وكذا الصلاة في الصلاة في الفريضة وفي غيرها فإنها كذلك تبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، وكما جاء في بعض الأحاديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال **" إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام "**، وليس المقصد هذا - وهو تبليغه السلام- أنه يسمع صوت المسلم بنفسه، إنما فيها أن ذلك يعرض عليه ويبلغه صلى الله عليه وسلم .

ثم قال المصنف " رواه في المختارة " علق الشارح رحمه الله على ذلك قال " **وقال الشارح حافظ عصره هذا والذي قبله وقال الشارح حافظ عصره: ((هذا والذي قبله جيدان، حسنا الإسنادين)) .**

قال شيخ الإسلام: ((فانظر هذه السنة، كيف مخرجها من أهل المدينة، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أشد)) ."

والمقصود من ذلك بأهل البيت هو زيد العابدين، فإنه روى هذا الحديث عن أبيه الحسين عن جده على ابن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ويقصد بقوله " قال الشارح حافظ عصره " هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه فتح المجيد.

نقف عند هذا، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة العشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

حياكم الله أيها الإخوة في هذا اللقاء العشرون والذي نتناول فيه دروس توحيد الألوهية وذلك بدراسة كتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كتاب التوحيد بحاشية الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم.

والباب الذي معنا اليوم هو:

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

وأراد المصنف رحمه الله تعالى من هذا الباب الرد على من يقول بأن هذه الأمة لا يقع فيها شرك، وهم يريدون أن يتوصلوا بذلك إلى أن الشرك الذي يقع في القبور ليس بشرك والتوجه إلى أصحاب القبور ليس بشرك فما يقام عند تلك القبور من الدعاء والاستغاثة والنذر والذبح وغير ذلك من أنواع العبادات ليس فيها شرك لأن هذه الأمة لا يقع فيها الشرك، فبين المصنف رحمه الله في هذا الباب أن هذه الأمة يقع فيها الشرك.

وقوله " باب ما جاء أن بعض هذه الأمة " يقصد ما جاء في النصوص الشرعية، وهذه هي عادة المصنف رحمه الله كما تقدم معنا وكما يأتي في الأبواب الآتية في كتاب التوحيد؛ فإنه يقول " باب ما جاء... " ويقصد ما جاء من النصوص الشرعية.

وقوله " أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان " ولم يقل الأمة كلها وإنما قال: بعض هذه الأمة، والمقصود بالأمة هنا هي أمة الإجابة؛ لأن الأمة تطلق على أمتان:

- الأمة الأولى هي **أمة الدعوة**؛ وهم الذين بعث فيهم النبي ﷺ وبقي كثير منهم على الكفر.
- وهناك **أمة الإجابة**؛ وهم الذين استجابوا لله عز وجل وللنبي ﷺ.

فكثير ممن استجاب في الظاهر لدعوة النبي ﷺ وكان يقول لا إله إلا الله قد وقع في الشرك ولاسيما شرك القبور الذي فتن به كثير من الناس، ولا شك بأنه لا تزال طائفة من أمة النبي ﷺ على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله عز وجل ويكونون على التوحيد.

قال الشارح رحمه الله **" لما ذكر المصنف رحمه الله تعالى التوحيد وما ينافيه من الشرك أو ينافي كماله أو ما يكون وسيلة إلى ما ينافيه، ذكر أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة بعبادة الأوثان.**

والوثن يطلق على كل من قصد بأي نوع من أنواع العبادة من صنم أو قبر أو مشهد أو غير ذلك لقول الخليل { إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا } مع قوله { قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا }، وقال عليه الصلاة والسلام لعديّ وفي عنقه صليب " ألق عنك هذا الوثن "

وقد تقدم معنا مرارا التفريق بين الصنم والوثن، وذكر بعض أهل العلم أن الصنم يطلق عليه كذلك الوثن كما قرره الشارح هنا، وذكر أن الوثن أعم من الصنم، فيدخل في الوثن الصنم ويدخل فيه القبر ويدخل فيه المشهد وغير ذلك.

ثم قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى **" وقول الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ } "**

قال الشارح " (ألم تر) ألم تنظر (إلى الذين أوتوا) أعطوا (نصيبا) حظا (من الكتاب) اليهود والنصارى (يؤمنون) يصدقون (بالجبت) الشيء الفشل، الذي لا خير فيه من أمور الدين، وقال الجوهري: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر. (والطاغوت) الشيطان، وسيأتي تمام الكلام فيهما.

وقوله: {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً} أي يفضلون الكفار على المسلمين، بجهلهم وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم.

وأخرج أحمد وغيره من غير وجه عن ابن عباس وغيره: " أنه جاء حيي بن الأخطب، وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا: أنتم أهل الكتاب، وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوما، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور، قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا، فأنزل الله هذه الآية ."

قال المصنف : :وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع، هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟ أي فالإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هو موافقة أصحابها مع بغضها، ومعرفة بطلانها، كفعل علماء السوء مع أهل الحق، حرفة يهودية، ووراثة غضبية.

ومطابقة الآية للترجمة أنه إذا كان الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، فهذه الأمة التي أوتيت القرآن لا يستنكر ولا يستبعد أن تعبد الجبت والطاغوت؛ فإن الرسول ﷺ قد أخبر أن هذه الأمة ستفعل مثل ما فعلت الأمم قبلها. "

فهذه الآية فيها خطاب للنبي ﷺ؛ يقول له الله عز وجل { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ** } وهم اليهود والنصارى { يؤمنون بالجبت والطاغوت }، فهم مع كونهم أهل كتاب سماوي إلا أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت.

والجبت جاء تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه السحر وأن الطاغوت هو الشيطان.

وقال ابن عباس عن الجبت أنه الشرك، وجاء عنه أيضا رواية أن الجبت هو الأصنام، وأما الطاغوت فهو كل ما عبد من دون الله عز وجل.

والصحيح أن **الجبت عام لكل صنم أو سحر أو كهانة أو ما أشبه ذلك، والطاغوت هوما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع**؛ فكل ما عبد من دون الله عز وجل وكان راضيا بهذه العبادة فإنه يكون طاغوتا، وأما من لم يرضَ بهذه العبادة فإنه لا يسمى طاغوتا؛ كعيسى عليه السلام حين عبد من دون الله تبارك وتعالى فإنه لا يسمى طاغوتا، وكذلك الملائكة الذين عبدهم المشركون فإنهم لا يسمون طواغيت.

وذكر المصنف رحمه الله تعالى وجه مطابقة الآية للترجمة وهو أنه إذا كان الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت فهذه الأمة التي أوتيت القران لا يستنكر ولا يستبعد أن تعبد الجبت والطاغوت، فإن الرسول ﷺ قد أخبر أن هذه الأمة ستفعل مثل ما فعلت الأمم قبلها، وهذا حق؛ فإن النبي ﷺ أخبرنا بأن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها من اليهود والنصارى وقال عليه الصلاة والسلام **" لتتبعن سنن من كان قبلكم. " قالوا: اليهود والنصارى ؟** قال **" فمن القوم ؟."**

فإذا كان اليهود والنصارى وهم أهل كتاب قد آمنوا بالجبت والطاغوت فإن هذه الأمة التي أخبر النبي ﷺ أنها ستتبع تلك الأمم وهم اليهود والنصارى لا بد أن يقع فيهم هذا الأمر وهو من أظهر الأمور على أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها ولاسيما في أمر الشرك بالله عز وجل.

ويؤكد هذا المعنى الحديث السابق، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال في تتمته " **حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** " ومن المعلوم أن دخول جحر الضب أراد النبي عليه الصلاة والسلام منه التنبيه على ما هو أعلى منه.

وإن المتأمل في واقع كثير من أمة الإجابة اليوم يجد تحقُّق هذا الأمر فيهم، فإنهم اتبعوا سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى وآمنوا بالجبت وآمنوا بالطاغوت؛ آمنوا بالسحر وآمنوا بالأوثان وعبدوا غير الله تبارك وتعالى، وهذا الأمر وقع عند كثير من هؤلاء كما قال المصنف رحمه الله في هذا الباب " أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ".

وقول الشارح رحمه الله " **(يؤمنون) يصدقون (بالجبت) الشيء الفَشِل** "هكذا في الطبعة التي عندنا، والصحيح: الشيء " الفَسِل ".

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الجبت أصلها الجِبس بالسين، وهو الفَسْل. والمقصود بالفسل الرجل والنذل الذي لا مروة له والذى لا خير فيه، فيكون معنى قوله **{ يؤمنون بالجبت }** يعني يؤمنون بالشيء الذي لا ينفعهم ولا يوجد فيه خير لهم. وسيأتي إن شاء الله تفسير الجبت والطاغوت عند ذكر السحر عند المصنف رحمه الله تعالى.

ثم قال **" وقوله {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً }أي يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم. "**

ثم قال **" وأخرج أحمد وغيره من غير وجه عن ابن عباس وغيره: " أنه جاء حيي بن الأخطب، وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا: أنتم أهل الكتاب، وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوما، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور، قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا، فأنزل الله هذه الآية "."**

فسبب نزول هذه الآية هو أن حيي بن الأخطب وكعب بن الأشرف وهما يهوديان جاءا إلى أهل مكة، فقال لهم أهل مكة وسألوهم، قالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد.

فقالوا: وما أنتم وما محمد؟. فقالوا نحن نصل الأرحام وننحر الكوما. ويقصدون بالكوماء هي الناقة السمينة التي عليها الشحم، وسميت كَوماء لأن على سنامها شحم متكوم؛ يعني متكدس، وهذه تكون أطيب اللحم وأغلى الثمن، فهم يريدون أن يصفوا أنفسهم بالكرم، وقالوا: ونسقي الماء على اللبن ونفك العناة ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور قطع أرحامنا. والمقصود بالصنبور هو الأبتر الذي لا عقب له. قالوا: واتبعه سراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا : أنتم خير وأهدى سبيلا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية؛ وهي قوله عز وجل **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا }**.

ثم قال الشارح **" قال المصنف: وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع، هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟**

أي فالإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هو موافقة أصحابها مع بغضها، ومعرفة بطلانها، كفعل علماء السوء مع أهل الحق، حرفة يهودية، ووراثة غضبية. "

هنا يبين الشيخ رحمه الله معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع.

وقوله " **هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟"** قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله [**أما إيمان القلب واعتقاده فهذا لا شك في دخوله في الآية، وأما موافقة أصحابها في العمل مع بغضها ومعرفة بطلانها فهذا يحتاج إلى تفصيل؛**

- فإن كان وافق أصحابها بناء على أنها صحيحة فهذا كفر.

- وإن كان وافق أصحابها ولا يعتقد أنها صحيحة فإنه لا يكفر، لكنه لا شك على خطر عظيم يُخشى أن يؤدي الحال الى الكفر والعياذ بالله. " انتهى كلامه رحمه الله.

ثم قال الإمام رحمه الله " **وقوله: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}. "**

قال الشارح رحمه الله " **يقول الله تعالى لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من أهل الكتاب الطاعنين في دينكم الذي هو توحيد الله، وإفراده بالعبادة دون ما سواه (هل) أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة، مما تظنونه بنا في قولكم: لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا شرا من دينكم، وديننا هو توحيد الله وإفراده بالعبادة، وهم أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المذمومة المفسرة بقوله: (من لعنه الله) وأبعده من رحمته وطرده، (وغضب عليه) غضبا لا يرضى بعده أبدا (وجعل منهم القردة) أصحاب السبت (والخنازير) كفار مائدة عيسى.**

وعن ابن عباس: كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مسخوا قردة، وشيوخهم مسخوا خنازير، وقد " سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله؟ فقال: إن الله لم يهلك قوما فجعل لهم نسلا ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك " رواه مسلم.

قال عند قوله **{ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ } " أي وجعل منهم من عبد الطاغوت، أي أطاع الشيطان فيما سول له، قال شيخ الإسلام: الصواب أنه معطوف على قوله: (من لعنه الله وغضب عليه) فهو فعل ماض، معطوف على ما قبله أي: ومن عبد الطاغوت، ولم يعد لفظ (من) ؛ لأنه جعل هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد، وهم اليهود. وقوله: (أولئك شر مكانا) أي مما تظنون بنا (وأضل عن سواء السبيل) ومطابقة الآية للترجمة أنه إذا كان اليهود ممن عبد الطاغوت، فكذلك يكون في هذه الأمة. "**

فهذه الآية فيها حط و ذم لأهل الكتاب، وهم الذين شر مكانا عند الله تبارك و تعالى وقد لعنهم الله وغضب عليهم وعاقبهم بأن جعل منهم القردة و الخنازير وعبد الطاغوت.

وقوله **{ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ }** المقصود من ذلك: هل أخبركم بشر جزاء عند الله تعالى يوم القيامة مما تظنونه بنا في قولكم لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا شرا من دينكم ؟ فإنهم يزعمون بأنهم أنهم هم الذين على حق والرسول ﷺ ومن معه ليسوا على الحق. وقوله **{ عِندَ اللَّهِ ۚ }** يعني في علمه وجزائه عقوبة أو ثوابا، ومن تلك العقوبات أن الله عز وجل جعل منهم من يعبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سول له.

وقوله **{ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ }** فيها قراءتان: القراءة الأولى هي بفتح الباء وعبد الطاغوت على أنه فعل ماض معطوف على قوله " ولم " صلة الموصول؛ أي ومن عبد الطاغوت ولم يعد (من) على طول الوصل لأن هذا ينطبق على موصوف واحد، فلو أعيدت من لأوهم أنهم جماعة آخرون وهم جماعة

واحدة، فعلى هذه القراءة يكون عبَدَ فعلا ماضيا والفاعل ضميرا مستترا جوازا تقديره "هو" يعود على الضمير في قوله (لعنه).

وأما عن القراءة الأخرى وهي { عَبُدَ } { وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ } بفتح العين وضم الباء؛ فيكون الطاغوت مضافا إليه فهو مجرور بالإضافة.

على كل فإن الإمام رحمه الله استشهد بهذه الآية على أن هؤلاء - أهل الكتاب - قد وقعوا في عبادة الطاغوت، و هذه الأمة أخبر النبي ﷺ أنها ستفعل مثل فعل أولئك - أهل الكتاب - كما صرح بذلك النبي ﷺ، فتكون هذه الآية نظير الآية السابقة في الدلالة على مقصود الباب.

قال **" و قوله: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدا } "**

قال الشارح **" أي قال ذلك أصحاب الكلمة والنفوذ، في زمن أصحاب الكهف (لنتخذن عليهم مسجدا) ليعرفوا فيقصدهم الناس ويتبركون بهم، ذمهم الله بذلك، تحذيرا لنا أن نتخذ القبور أوثانا، وتقدم لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى لاتخاذهم المساجد على قبور أنبيائهم، وأن مراده تحذيرنا أن نفعل فعلهم، فيجرنا ذلك إلى الشرك، ويأتي إخباره بذلك، وهو وجه الاستدلال بالآية. "**

فأصحاب القهر والغلبة هم الذين قالوا هذا القول؛ به **{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ }** وهذا سيق بمساق الذم لأن هذا الفعل لا يمدح فهو مذموم عند الأنبياء كلهم، والشاهد من هذا أنه إذا وقع هذا فيمن قبلنا فإنه حتما سيقع في هذه الأمة لقوله صلى الله عليه و سلم " لتتبعن سنن من كان قبلكم ".

كما أن في هذه الآية أن من أسباب بناء المساجد على القبور هو الغلو في أصحاب القبور كما تقدم معنا، لأن الذين غلبوا على أمرهم بنوا عليهم المساجد لأنهم صاروا عندهم محل الإحترام والإكرام، وقد أفاد هذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

ثم قال الإمام رحمه الله تعالى **" عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه "**

قال الشارح رحمه الله " - لتتبعن سنن من كان قبلكم - **"تتبعن" بضم العين وتشديد النون، أي لتسلكن طرق من كان قبلكم من الأمم، في عبادة الأوثان وغيرها مما ذمهم الله به، وهو الشاهد للترجمة، وبه أيضا تظهر مناسبة الآيات للترجمة."**

فقول النبي ﷺ " **لتتبعن سنن من كان قبلكم** " أشار الشارح رحمه الله إلى أن مقصود الحديث هو متابعة أمة الإجابة لليهود والنصارى في عبادة الأوثان وغيرها مما ذمهم الله عز وجل به، وهو الشاهد للترجمة، وبه أيضا تظهر مناسبة الآيات للترجمة.

وقوله " **لتتبعن سنن من كان قبلكم** " هذا اللفظ عام ويدخل فيه الشرك والبدع والمعاصي. والمقصود من إيراده كما تقدم هو وقوع الشرك في هذه الأمة كما وقع في الأمم السالفة.

و قوله " **سُنن** " المقصود بها الطرق و في رواية بالفتح " **سَنن من كان قبلكم** " والسنن بالفتح مفرد بمعنى الطريق.

وقد أورد الشيخ رحمه الله هذا الحديث بعد الآيات المتقدمة من أجل بيان أن تلك النصوص الواردة في كتاب الله عز وجل المراد بها ما جاء في هذا الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه و سلم في متابعة سنن من كان قبلنا.

قال " حذو القدة بالقدة "

قال رحمه الله " **بنصب "حذو" على المصدر، أي تحذون حذوهم، و "القذة" بضم القاف واحدة القذذ، وهي ريش السهم، مبالغة منه ﷺ في الوصف، أي لتفعلن أفعالهم، ولتتبعن طرائقهم، حتى تشبهوهم وتحاذوهم في كل ما فعلوه، كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى وتساويها، لا تزيد واحدة على الأخرى."**

" حتى لو دخلوا جحر ضر لدخلتموه "

" أي لو تصور دخولهم جحر ضب مع ضيقه لدخلتموه، لشدة سلوككم طريق من قبلكم، و "الجحر" بضم فسكون غار الضب. وفي حديث آخر: " حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان فيكم من يفعل ذلك ".

وهذا كله شدة مبالغة منه ﷺ وبيان أن أمته لا تدع شيئا مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله، لا تترك منه شيئا، وقد أكد هذا الخبر بأنواع من التأكيدات، من ذلك اللام في قوة: والله لتتبعن، ثم بنون التوكيد، ثم بقوله: "حذو القذة بالقذة"، ثم بالغ أشد مبالغة في التشبه بهم، حتى إن اليهود والنصارى لو دخلوا جحر ضب لدخلته هذه الأمة، ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره من السلف: " من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى."

فهذا الحديث كما تقدم معنا سابقا دال على سلوك هذه الأمة طريق من كان قبلنا، ففي هذا الحديث مبالغة منه عليه الصلاة والسلام في ذكر أن هذه الأمة سيقع فيها ما وقع في الأمم السابقة لا سيما في فتنة القبور وفتنة التماثيل، وقد وقع هذا في أمة النبي صلى الله عليه و سلم.

وفي الحديث الذي أشار له الشيخ **" حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان فيكم من يفعل ذلك "** أراد النبي ﷺ أن أمته لاتدع شيئاً مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله لا تترك منه شيئاً.

فقول سفيان الذي نقله الشيخ رحمه الله [من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شبه من النصارى] وذلك لأن اليهود عندهم علم لكنهم ضلوا من جهة العمل، والنصارى عندهم عمل لكنهم ضلوا من جهة العلم، واليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون.

قال " - قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: فمن. أخرجاه ."

قال الشارح " **أي البخاري ومسلم واللفظ له، و "اليهود" بالرفع خبر مبتدأ محذوف، أي أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم؟**

ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني، و "من" استفهام تقرير، أي فمن القوم إلا هم، فبين ﷺ في هذا الحديث ونحوه أن كل ما وقع من أهل الكتاب، مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد أن يقع جميعه في هذه الأمة، وهذا اللفظ وإن كان خبرا، فمعناه النهي عن متابعتهم، وهذا من علامة نبوته ﷺ ومن معجزاته، فقد سلك كثير من أمته مسلك اليهود والنصارى في إقامة سائر شعائرهم في الأديان، وفي عاداتهم من تعظيم القبور، واتخاذها مساجد حتى عبدوها، وإقامة الحدود والتعزيرات على الضعفاء دون الأقوياء، وملابسهم ومراكبهم، والتسليم بالإشارة، واتخاذ الأحبار والرهبان أربابا، والإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإقبال على كتب البدع والضلال، وغير ذلك مما نهى الله عنه. "

فلما سمع الصحابة رضي الله عنهم تلك الأوصاف التي حذرنا النبي ﷺ من سلوكها وطرق أصحابها سألوا النبي ﷺ عنهم؛ هل هم اليهود والنصارى ؟ قال عليه الصلاة والسلام: **" فمن "**، هذا فيه تقرير على أنهم هم المقصودون من النهي عن متابعتهم، والمعنى: فمن القوم إلا هم ؟

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتاباً جليل القدر في مسألة مشابهة اليهود والنصارى وهو كتاب [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] ذكر فيه النصوص الشرعية من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبي ﷺ الدالة على تحريم متابعة اليهود والنصارى ولا سيما في الأمور التعبدية المتعلقة بالشرائع والمتعلقة كذلك بتعظيم القبور والاستنجاد بالمقبور وعبادة غير الله تبارك وتعالى. وقد ضرب الشارح عدة أمثلة مما نهانا النبي ﷺ عن متابعتهم فيها.

والشاهد من هذا كله أن اليهود والنصارى لما وقعوا في عبادة غير الله تبارك وتعالى وأخبرنا النبي ﷺ عن متابعة هذه الأمة لأولئك كان بعض هذه الأمة قد عبد الأوثان تبعا لليهود والنصارى.

ثم قال الإمام **" ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ " :إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا ". ورواه البرقاني في صحيحه. وزاد: " وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى " "**

فقوله " ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها "".

قال الشارح " أي زواها جميعها، يقال: زويت الشيء، جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها، حتى اطلع عليه ﷺ اطلاعه على القريب، بأن طويت له، وجعلت مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره، فأبصر ما تملكه أمته من أقصى مشارق الأرض ومغاربها، وفي رواية أبي داود: " فأريت مشارق الأرض ومغاربها ". قال القرطبي: ((ظاهر اللفظ يقتضي أن الله قوى إدراك بصره، ورفع عنه الموانع المعتادة، فأدرك البعيد من موضعه، كما أدرك بيت المقدس من مكة، وأخذ يخبرهم عنه وهو ينظر إليه)). "

وهذه من الدلالات العظيمة على نبوته ﷺ، المقصود بالرؤية هنا " فرأيت مشارقها ومغاربها " هي الرؤية البصرية، والله عز وجل على كل شيء قدير، وظاهر الحديث على أن الله عز وجل جمع له الأرض فرأى النبي ﷺ مشارقها ومغاربها.

قال " وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها "

قال الشارح " زوي يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل، وأن يكون مبنيا للمفعول. ولأحمد وغيره: " إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها " وقد وقع ما أخبر به ﷺ.

وقال القرطبي: ((هذا الخبر وجد مخبره كما قال ﷺ، وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة، الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند والهند والصغد، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يذكر أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه)) "

قال " وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض "

قال الشارح " **بالنصب على البدلية، قال القرطبي: يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم، وقصورهما وبلادهما، وقد قال: " والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله " وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم الذهب، وبالأبيض عن كسرى؛ لأن الغالب عندهم الجوهر والفضة، وقد وجد ذلك في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر لما فتح بلاده. "**

قال " وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة "

قال الشارح " **هكذا ثبت بأصل المصنف بالباء، وهي رواية في صحيح مسلم وغيره، وفي بعضها بحذفها، قال القرطبي: وكأنها زائدة؛ لأن عامة صفة السنة، والسنة الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط سنة، ويجمع على سنين كقوله: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} أي الجدب المتوالي. "**

قال " ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم "

قال الشارح " أي **لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم من الكفار، فيستأصل معظمهم وجماعتهم، وبيضة كل شيء حوزته،**

وقال الجوهري وغيره: بيضة القوم ساحتهم، سأل الله أن لا يسلط العدو على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم ما داموا بهذه الأوصاف المذكورة، ولو اجتمع عليهم كل من بين أقطار الأرض حتى يقع منهم ما ذكر فقد يسلطون عليهم."

فدعاؤه صلي الله عليه وسلم هنا لأمته أن لا يهلكها بجدب عام لجميعهم وأن لا يسلط عليهم عدوا فيستبيح أرضهم وديارهم من سوى أنفسهم؛ يعني أن يكون البأس بينهم.

قال " وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ".

قال الشارح " **أي إذا حكمت حكما مبرما نافذا أو معلقا فإنه لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد على رده، كما قال ﷺ: " ولا راد لما قضيت "، وفي بعض الروايات قال: " دعوت ربي ثلاثا، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي بسنة عامة، وأجابني، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، وأجابني، وسألته الثالثة أن لا يجعل بأسهم بينهم شديدا ومنعني هذا، وقال: حتى يهلك بعضهم بعضا، ويسبي بعضهم بعضا ".**

وحتى هنا للغاية يعني إذا فعل بعضهم ببعض هكذا سلط عليهم العدو حينئذ، وما داموا مجتمعين على الحق فلا يسلط عليهم، ولكن عند فرقتهم يسلط عليهم عقوبة لهم."

قال " وإني أعطيتك لأُمتك أن لا أُهلكها بسنة عامة ".

قال " **ولفظ أبي داود: " ولا أهلكهم بسنة عامة " أي أعطاه الله سؤاله لأمته أن لا يهلكها بسنة عامة، وهي الجدب الذي يهلك أخضرهم ويابسهم، فأجاب الله دعاءه، وكان في الأمم السابقة عذاب الاستئصال بخلاف هذه الأمة، فإن الله -وله الحمد والمنة- قد دفع عنها ذلك، ببركة دعاء نبيها ﷺ. "**

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله [ومن نعمة الله أن هذه الأمة لن تهلك بسنة عامة أبدا، فكل من يدين بدين رسول الله ﷺ فإنه لن يهلك، وإن هلك قوم في جهة بسنة فإنه لا يهلك الآخرون.

فإذا صار بعضهم يقتل بعضاً ويسبي بعضهم بعضا فإنه يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، وهذا قد وقع؛ فالأمة الإسلامية حين كانت أمة واحدة عونا في الحق ضد الباطل كانت أُمَّةً مهيبة، ولما تفرقت وصار بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً سلط الله عليهم عدواً من سوى أنفسهم، وأعظم من سلط عليهم فيما أعلم: التتار، فقد سلطوا على المسلمين تسليطاً لا نظير له، فيقال أنهم قتلوا في بغداد وحدها أكثر من خمسمائة عالم في يوم واحد، وهذا شيء عظيم، وقتلوا الخليفة، وجعلوا الكتب الإسلامية جسرا على نهر دجلة يطؤونها بأقدامهم ويُفسدونها، وكانوا يأتون إلى الحوامل ويبقرون بطونهن ويخرجون أولادهن؛ يتحركون أمامهم فيقتلونهم وهي حيةٌ تشاهد ثم تموت] انتهى كلامه رحمه الله.

ثم قال الإمام رحمه الله " حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا "

قال الشارح " **(حتى) لإنتهاء الغاية، أي أن أمرها ينتهي حتى يوجد ذلك منهم، فإن الله لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم، ما داموا بضد هذه الأوصاف المذكورة في قوله: " حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا ".**

فأما إذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم كما وقع، فقد سلط بعضهم على بعض، لكثرة اختلافهم وتفرقهم، ولكن بحمد الله لا تزال طائفة منهم باقية على الحق، تقوم بها الحجة على الخلق، منصورة كما سيأتي."

ثم قال الإمام **" ورواه البرقاني في صحيحه وزاد " وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين "".**

قال الشارح " **أي الأمراء والعلماء والعباد الذين يقتدى بهم الناس، وهم يحكمون في الناس بغير عام فيضلونهم ويضلونهم، فهم ضالون عن الحق، مضلون لغيرهم. قال تعالى: {وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}.**
وقال عمر لزياد بن حدير: " يا زياد هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، وحكم الأئمة المضلين ". وقال معاذ: " احذروا زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم."
وقال عبد الله بن المبارك:
وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها
وأتى ﷺ بإنما التي هي للحصر، بيانا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال، فيوقعوهم في الإثم، لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقع، ولم يخف من جدب السنين ولا تسليط العدو.
وروى الدارمي " إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ".
وحذر ﷺ أمته وأنذرهم عن الإحداث في الدين، وابتداع دين لم يشرعه الله ولعن من فعل ذلك، وأخبر الله تبارك وتعالى: أنه أكمل الدين، وأن القول عليه بغير علم رتبة فوق رتبة الشرك، فقال: {وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}.

فكل من أحدث حدثا ليس في كتاب الله، ولا في سنة نبيه ﷺ فهو ملعون، وحدثه مردود، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وقال: " من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا " وقال: " كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ." "

فقوله الأئمة يشمل الإمام - لفظ الإمام - في اللغة من كان على الخير ومن كان على الشر، والمقصود بالأئمة المضلين هنا هم من يتبعهم الناس ويكونون قدوة لهم، ويدخل فيهم أهل البدع الذين كانوا رؤوسًا في بدعهم وأوقعوا أتباعهم في هذه البدع التي كانوا عليها، فكان النبي ﷺ يخاف على أمته من هؤلاء الأئمة المضلين لأن ضررهم ليس عليهم فقط وإنما ضررهم متعدٍّ إلى غيرهم.

قال " وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة "

قال الشارح " **وفي رواية أبي داود: " وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع إلى يوم القيامة ".**

وقد وقع كما أخبر، فإنه لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة دون أخرى."

وهذا الخبر فيه دلالة على صدق النبي صلى الله عليه واله وسلم وأنه لا ينطق عن الهوى.

ثم قال " ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين "

قال الشارح " **الحي واحد الأحياء، وهي القبائل، وفي رواية أبي داود: " حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين ". والمعنى أنهم يكونون معهم، ويرتدون برغبتهم عن الإسلام وأهله، ولحوقهم بأهل الشرك. "**

فقوله عليه الصلاة والسلام " حتى يلحق حي من أمتي " المقصود بالحي هنا الجنس وليس واحد الأحياء، فيكون المعنى التعدد في أمة النبي ﷺ ووقوع هذا الأمر لدى أحياء عدة وهي القبائل.

قال " وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان ".

قال الشارح " **الفئام مهموز: الجماعات الكثيرة.**

ولفظ أبي داود: " حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان " وهو الشاهد للترجمة، وفيه الرد على من أنكر وقوع الشرك وعبادة الأوثان في هذه الأمة مما هو مشاهد، وفي الصحيحين: " لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات دوس على ذي الخلصة " طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية.

وفي صحيح مسلم: " لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ".

وقيل: إن القبر المنسوب إلى ابن عباس في الطائف قبر اللات، فإن قيل: ورد " أن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب " قيل: قد أجيب عنه بأجوبة منها: أن يأسه غير معصوم، ومنها أنه يئس أن تطبق على عبادة الأصنام."

وقوله " حتى تعبد فئام من أمتي " الفئام كما قال الشارح هي الجماعات الكثيرة، والأوثان يشمل الأصنام ويشمل القبور وغيرها.

وتأمل في قول النبي ﷺ " وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان " وقارنه بالباب الذي معنا وهو باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان، يتبين لك أن المصنف رحمه الله أخذ هذه الترجمة من هذا الحديث ومن لفظ هذا الحديث الذى معنا، وهو "حتى تعبد فئام من أمتى الأوثان "

وذكر الشارح عدة أحاديث عن النبي ﷺ فيها التصريح بأن هذه الأمة سيقع فيها الشرك وأنها سوف تعبد الأوثان، ثم إن الشارح رحمه الله أورد إشكالا يورده بعض عباد القبور وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام قد قال " **إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم."** وأجاب الشارح عنه بذكر بعض الأجوبة: وهو أن يأسه غير معصوم، ومنها أنه يئس أن تطبق على عبادة الأصنام.

أما قوله ان يأسه غير معصوم؛ وذلك لأن الشيطان لا يعلم الغيب، فهو أيس من ذلك لكن الله عز وجل لم ييئسه من ذلك، ولذلك توعد بني آدم وقال **{ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا }.**

والجواب الثاني هو قوله أنه يئس أن تطبق على عبادة الأصنام؛ يعني أن تكون جميع الأمة مطبقة على عبادة الأصنام، ولكن الشيطان أيس من ذلك، وهذا أحد الأوجه التي ذكرها الشارح رحمه الله.

وذكر بعض أهل العلم أجوبة أخرى وهي أن الشيطان أيس لما ظهر التوحيد على الكفر في جزيرة العرب، فأيس لما رأى ذلك ولكن الله عز وجل لم ييئسه من أن يعبد في جزيرة العرب.

وقوله عليه الصلاة والسلام كذلك " **أيس أن يعبده المصلون** " إشارة إلى أن أهل الصلاة - الصلاة الشرعية - هم أبعد الناس عن الإشراك به جل وعلا، ومن أقام الصلاة فإن الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومن باب أولى ان تنهاه عن الشرك بالله جل وعلا، فيكون الشيطان بذلك قد يئس أن يعبده من أقام الصلاة على حقيقتها كما أراد الله عز وجل. وقد أفاد هذا الشيخ صالح آل الشيخ فى كتابه التمهيد.

وقال الشيخ ابن عثيمين [أن يأس الشيطان أخبر به النبي ﷺ لما رأى الشيطان الفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا، ولكن الواقع لا يلزم أن يكون موافقا لما ظنه الشيطان بل إن الأمر وقع بخلافه؛ فالنبي ﷺ أخبر عما وقع في نفس الشيطان وأن الناس بعد ان دخلوا في الدين لا يمكن أن يوقع الشيطان فيهم الشرك، فلا يلزم هذا أن يكون الأمر كما ظن الشيطان وكما أخبر النبي ﷺ عنه] انتهى كلامه.

ثم قال ﷺ " **وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي** "

قال الشارح " **وفي رواية "دجالون"، والدجل التمويه، والمراد ممن تقوم لهم شوكة وتبدو لهم شبهة، وأما مطلقا فلا يحصون، قال القاضي عياض: ((عد من تنبأ ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلاله، فوجد هذا العدد فيهم)) . اهـ.**
وقد ظهر مصداق ذلك في زمن رسول الله ﷺ وبعده، ممن كان لهم أصحاب يصدقونهم ويأخذون بطريقهم، كمسيلمة باليمامة، والأسود باليمن، وطليحة في بني أسد، وسجاح في تميم، والمختار بن أبي عبيد في عصر ابن الزبير، والحارث في عصر عبد الملك بن مروان، وفي عصر بني العباس جماعة، وصار لكل منهم شوكة. وأما من ادعاها مطلقة فكثيرون، وغالبهم ينشأ فيهم عن جنون وسوداء، وقد أهلك الله من وقع منهم ذلك، واتضح كذبهم، وآخرهم الدجال الأكبر أعاذنا الله من فتنته."

فقوله " ثلاثون " في هذا الحديث المقصود بهذا الحديث هو العدد، ولكن المراد بهذا العدد هم الذين لهم شوكة ولهم أتباع كمسيلمة والأسود و طليحة وسجاح والمختار بن أبي عبيد والحارث ونحوهم، ومن جملتهم كذلك الدجال الأكبر - المسيح الدجال - فإنه أول ما يظهر فإنه يدعي بأنه نبي، ثم بعد ذلك يدعي بأنه هو الرب.

قال " وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي "

قال الشارح " الخاتم بفتح التاء بمعنى **الطابع، وبكسرها بمعنى فاعل الطبع والختم، أي "هوصلوات الله وسلامه عليه آخر النبيين، لا نبي يوحي الله إليه بعده إلى قيام الساعة، وقال تعالى: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}.**

قال الحسن: الخاتم الذي ختم به، وعيسى إنما ينزل في آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا إلى قبلته، فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة. قال ﷺ: " والذي نفسي بيده لينزلن فيكم عيسى بن مريم حكما مقسطا، فليكسر الصليب، وليقتل الخنزير، وليضع الجزية "."

قال " ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة "

قال الشارح " **قائمة بالعلم والجهاد والذب عن الدين، قال بعض السلف: هم أهل الحديث. ويحتمل أن تكون هذه الطائفة جماعة متعددة من أنواع المسلمين، منهم محدثون وفقهاء ومجاهدون وآمرون**

وناهون، والمراد العاملون بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا يلزم منه أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، ولا في قطر واحد، بل يجوز اجتماعهم في بلد وقطر وجهة، وافتراقهم في بلدان وأقطار وجهات من الأرض.

وفي رواية: " لا تزال هذه الأمة قائمة " أي على أمر الله، ففيه حماية إجماع هذه الأمة عن أن تزل عن أمر الله، ولا تسمى أمته إلا الذين يعتد بإجماعهم، وفيه أن الإجماع حجة. "

وقوله " لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة " يُقصد بهم أهل الحديث وهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وهم أهل السنة وهم أهل الحديث وهم السلفيون، فإن هذه الأسماء هي أسماء أهل السنة والجماعة، وليس لهم لباس يميزهم عن غيرهم وليس لهم هيئات عن غيرهم، وإنما الذي يميزهم هو تمسكهم بكتاب الله عز وجل وبسنة النبي ﷺ وعلى فهم السلف الصالح، لا يحيدون عنه يمنة و لا يسرة مهما تباعدت أوطانهم ومهما اختلفت بلدانهم ومهما اختلفت لغاتهم، فإن عقيدتهم واحدة وهذا من أعظم ما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم.

وسلوك طريقة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ليس العبد فيها مخيرا، بل يجب على العبد أن ينتسب إلى أهل السنة والجماعة انتسابا حقيقيا بأن يتبع كتاب الله عز وجل ويتبع سنة النبي ﷺ، ولا يخرج عنهما.

قال " لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم "

قال الشارح " **كما أخبر الله بذلك في كتابه بنصره لهم، كما في قوله: {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}. وكقوله: {لِيُظْهِرَهُ} أي يعليه وينصره: {عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} أي على سائر الأديان. وغيرهما من الآيات.**

قال المصنف: ((وفيه الآية العظيمة أهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة)). "

وهذا فيه أن الناس لو اجتمعوا على إحداث الضرر بهم وعلى خذلانهم وعلى مخالفتهم فإنهم ثابتون على هذا الحق لا يحيدون عنه، وظهورهم على غيرهم إنما هو ظهور الحجة والبيان كما –كذلك- هو ظهور السيف والسنان.

وقول المصنف " **وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم** " وهذا فيه رد على من يسعى إلى تجميع الناس دون تمحيص في عقائدهم ودون دعوة إلى تصحيح تلك العقائد، وهذا مما لم يأمر الله عز وجل به، وإنما أمرنا الله عز وجل بالاجتماع على دينه، أمرنا بالاجتماع على عقيدة واحدة وعلى كتاب واحد وعلى سنة النبي ﷺ، وأما مجرد التجميع تجميع الأبدان دون تجميع العقائد فإن هذا ليس منهجا نبويا وإنما أحدثه بعض أهل الضلال.

قال " **والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة** " وهذه من فضائل الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

قال " حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى "

قال الشارح " **ونص شيخ الإسلام وغيره على تواتر " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله " أي إلى قيام الساعة، كما روى الحاكم من حديث عقبة ابن عامر: " لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك ".**

ولعل المراد به ما صح عن النبي ﷺ من قبض ما بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة، وكل جملة من هذا الحديث علم من أعلام النبوة; فإن كل ما أخبر به ﷺ مما يقع فيه وقع كما أخبر.

و (تبارك) كمل وتعاظم وتقدس، جاء بناؤه على السعة والمبالغة من باب مجد، والمجد كثرة صفات الجلال والكمال، والسعة والفضل، فدل على كمال بركته وعظمها وسعتها، ولا يقال إلا لله سبحانه وتعالى كما أطلقه على نفسه في قوله: (تبارك الله رب العالمين) وغيرها، فهو سبحانه المتبارك، وما بارك فيه فهو المبارك.

وقوله: (تعالى) أي تعاظم، جاء أيضا على بناء السعة والمبالغة، فهو دال على كمال العلو ونهايته. "

وهذا كما تقدم فيه بشارة للطائفة المنصورة والفرقة الناجية بأنهم ثابتون على الحق لا يحيدون عنه حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، ولعل المقصود به كما قال الشارح هو يوم القيامة عندما يبعث الله عز وجل الريح الطيبة من أجل أن تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة.

وعلى كلٍ فإن الشاهد من هذا الحديث هو قول النبي ﷺ " ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين و حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان " فإنه دال على مقصود الباب وهو دلالته واضحة وظاهرة.

نسأل الله تبارك وتعالى لنا ولكم التوفيق والسداد، ونسأله عز وجل أن يكون ما قلناه حجة لنا لا حجة علينا.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرست:

المحاضرة الأولى:...1

- مقدمة، ترجمة المصنف...2
- كتاب التوحيد...5

.

المحاضرة الثانية:...14

- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.........................15

المحاضرة الثالثة:...**26**

- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب...................... 27

المحاضرة الرابعة:... 40

- باب الخوف من الشرك... 41

المحاضرة الخامسة:... 55

- باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله............................... 56

المحاضرة السادسة:... 75

- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله........................ 76

المحاضرة السابعة:... 89

- باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه... 90

المحاضرة الثامنة:... 106

- باب ما جاء في الرقى والتمائم... 107

المحاضرة التاسعة:... 124

- باب من تبرك بشجرة أو حجر أو نحوهما.............................. 125

المحاضرة العاشرة: 141

- باب ما جاء في الذبح لغير الله... .142

المحاضرة الحادية عشر: 158

- باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله.................................. 159
- باب من الشرك النذر لغير الله.. 166

المحاضرة الثانية عشر: 172

- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله................................ 173
- باب من الشرك أن يستغسث بغير الله أو يدعو غيره...................... 181

المحاضرة الثالثة عشر: 189

- باب قول الله تعالى {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا } الآية... 190

المحاضرة الرابعة عشر: 201

- باب قول الله تعالى { حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }... 202

المحاضرة الخامسة عشر: 216

- باب الشفاعة.. 217

المحاضرة السادسة عشر: 233

- باب قول الله تعالى { إنّك لا تهدي من أحببت } الآية.................... 234

المحاضرة السابعة عشر: 245

- باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.. 246

المحاضرة الثامنة عشر: 257

- باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده.. 258

المحاضرة التاسعة عشر: 271

- باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله.. 272
- باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك 278

المحاضرة العشرون: 286

- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان...............................287

الفهرست.. 300